تأليف سماحة آية الله العظمى

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

مختصر الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

الجزء الخامس

المختصر: أحمد علي بابائي

[illegible]

دار النشر لمدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحیم

مختصر الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل

كاتب:

ناصرمكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابى طالب عليه السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

مختصر الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل المجلد ۵

اشارة

عنوان و نام پديدآور : مختصر الامثل فى تفسير كتاب الله المنزل/ناصر مكارم شيرازى
مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام على بن ابى طالب عليه السلام، ۱۴۲۸
مشخصات ظاهرى : ج
وضعيت فهرست نويسى : در انتظار فهرستنويسى
شماره كتابشناسى ملى : ۱۱۴۸۳۹۳

۵۳. سورة النجم

محتوى السورة: هذه السورة- كما يقول بعض المفسرين- هى أوّل سورة تلاها النبى صلى الله عليه و آله جهراً وبصوت عال فى حرم مكة بعد أن أضحت دعوته علناً ... وأصغى إليها المشركون وسجد لها جميع المسلمين حتى المشركون «۱».

إنّ هذه السورة- لكونها مكية- تحمل بين ثناياها بحوثاً فى الاصول الاعتقادية خاصة «النبوة والمعاد» وفيها تهديد ووعيد وإنذارات مكررة لإيقاظ الكفار وردعهم عن غيّهم.

ويمكن تقسيم محتوى هذه السورة إلى سبعة أقسام:

۱- بداية السورة تتحدث بعد القَسم العميق المغزى عن حقيقة الوحى وإتّصال النبى صلى الله عليه و آله مباشرةً بمنزل الوحى «جبريل».

۲- ثم يجرى الكلام على معراج الرسول صلى الله عليه و آله، له علاقة مباشرة بالوحى أيضاً.

۳- ثم يجرى الكلام عن خرافات المشركين فى شأن الأصنام وعبادة الملائكة.

۴- ويفتح القرآن سبيل التوبة بوجه المنحرفين وعامة المذنبين، ويؤمّلهم بمغفرة اللَّه الواسعة، ويؤكّد على أنّ كلّاً مسؤول عن عمله، ولا تزر وازرة وزر اخرى.

۵- وإكمالًا لهذه الأهداف يبيّن جوانب من مسألة- المعاد- ويقيم دليلًا واضحاً على هذه

---

(۱) تفسير روح البيان ۹/ ۲۰۸.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶

المسألة بما هو موجود فى النشأة الاولى- الدنيا-.

۶- وكعادة القرآن فى سائر السور ترد فى هذه السورة إشارات لعواقب الامم المؤلمة لعداوتهم للحق وعنادهم.

۷- وأخيراً فإنّ السورة تختتم بالأمر بالسجود للَّهوعبادته.

وتسمية السورة ب «النجم» هى لورود هذا اللفظ فى الآية الاولى من السورة ذاتها.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من قرأ سورة النجم اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد صلى الله عليه و آله ومن جحد به».

ومن المسلّم به أنّ مثل هذا الثواب العظيم هو لُاولئك الذين يتّخذون تلاوة هذه السورة وسيلة للتفكير، ثم العمل، وأن يطبّقوا تعليمات هذه السورة على أنفسهم فى حياتهم.

وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى (۱) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى (۲) وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (۴) ممّا يجدر بيانه أنّ السورة

السابقة «الطور» ختمت بكلمة «النجوم»، وهذه السورة بُدئت ب «والنّجم»- إذ أقسم به اللّه قائلًا: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى .

والظاهر من الآيـة ما يقتضيه إطلاق كلمـة «والنجم» القسم بنجوم السـماء كافّة التى هى من أدلّـة عظمـة اللّه ومن أسـرار عالم الوجود الكبرى ومن المخلوقات العظيمة للّه‌تعالى.

والتعويـل على غروبهـا وافولها مع أنّ طلوعها وإشـراقها يسترعى النظر أكثر، هو لأنّ غروب النجم دليل على حـدوثه كما أنّه دليل على نفى عقيـدة عبادة الكواكب كما ورد فى قصّة إبراهيم الخليل: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَاأُحِبُّ الْأَفِلِينَ» «۱».

لكن لنعرف لِمَ أقسم اللّه بالنجم؟ الآية التالية توضّح ذلك فتقول: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى .

---

(۱) سورة الأنعام/ ۷۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷

والتعبير ب «الصاحب» أى الصديق أو المحبّ لعلّه إشارة إلى أنّ ما يقوله نابع من الحبّ والشفقة.

ومن أجل التأكيد على هذا الموضوع وإثبات أنّ ما يقوله هو من اللّه فإنّ القرآن يضيف قائلًا: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى .

وهـذا التعبير مشابه التعبير الاسـتدلالى الوارد فى الآيـة آنفـة الـذكر فى صـدد نفى الضـلالة والغواية عن النبى صـلى الله عليه و آله لأنّ أساس الضلال غالباً ما يكون من اتّباع الهوى.

ثم تأتى الآية التالية لتصرّح: «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى .

فهو لا يقول شيئاً من نفسه، وليس القرآن من نسج فكره! بل كل ما يقوله فمن اللّه، والدليل على هذا الإدعاء كامن فى نفسه، فالتحقيق فى آيـات القرآن يكشف بجلاء أنّه لن يسـتطيع إنسـان مهمـا كـان عالماً ومفكّراً- فكيف بالامّى الـذى لم يقرأ ولم يكتب فى محيط مملوء بالخرافـات- أن يـأتى بكلام غزير المحتوى كـالقرآن، إذ ما يزال بعـد مضـى القرون والعهود ملهماً للأفكار، ويمكنه أن يكون أساساً لبناء مجتمع صالح مؤمن سالم.

وينبغى الإلتفات- ضمناً- إلى أنّ هذا القول ليس خاصّاً بآيات القرآن، بل بقرينة الآيات السابقة يشمل سنّة الرسول صلى الله عليه و آله أيضاً وأنّها وفق الوحى، لأنّ هذه الآية تقول بصراحة: «وما ينطق عن الهوى».

والحديث الطريف التالى شاهد آخر على هذا المدعى.

فى الدرّ المنثور: أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن تسد الأبواب التى فى المسجد فشق عليهم قال:

حبة أنّى لأنظر إلى حمزة بن عبد المطلب وهو تحت قطيفة حمراء وعيناه تذرفان وهو يقول:

أخرجت عمك وأبابكر وعمر والعباس، وأسكنت ابن عمك فقال رجل يومئذ ما يالوا برفع ابن عمه قال فعلم رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قد شق عليهم فدعا الصـلاة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر فلم يسمع لرسول اللّه صلى الله عليه و آله خطبة قط كان أبلغ منها تمجيداً وتوحيداً فلما فرغ قال: «يا أيّها الناس ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجتكم وأسـكنته». ثم قرأ: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى .

وهـذا الحديث الذى يكشف عن علوّ مقام أمير المؤمنين على عليه السـلام بين جميع الامة الإسـلامية بعد الرسول يدل على أنّه ليسـت أقوال النبى طبق الوحى فحسب بل حتى أعماله وأفعاله وتقريره وسيرته أيضاً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (۵) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (۷) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (۸) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (۹) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (۱۰) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (۱۱) أَ فَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (۱۲) تعقيباً على الآيات المتقدمـة التى تحدثت عن نزول الوحى

على الرسول صلى الله عليه و آله يجرى الكلام فى هذه الآيات عن معلم الوحى. تقول الآية: إنّ من له تلك القدرة العظيمة هو الذى علّم النبى صلى الله عليه و آله: «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى .

وللتأكيد أكثر تضيف الآية بعدها إنّه ذو قدرة خارقة ومتسلط على كل شيء: «ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى .

وقد علّمه هذا التعليم عندما كان بالافق الأعلى: «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى .

ثم اقترب واقترب حتى كان بفاصلة قوسين من معلّمه أو أقل «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . ثم أنّ اللّه تعالى أنزل عليه الوحى «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى .

«المِرّة»: معناها الفَتل، وبما أنّ الحبل كلّما فُتل أكثر كان أشدّ إحكاماً وقوة ... فإنّ هذه الكلمة استعملت فى الامور المادية أو المعنوية المحكمة والقوية.

«تدلّى»: فعل مأخوذ من التدلّى ومعناه، كما يقول الراغب فى مفرداته، الإقتراب، فبناءً على ذلك فهو تأكيد على جملة «دنا» الواردة قبله، وكلا الفعلين بمعنى واحد تقريباً.

«قاب»: بمعنى مقدار؛ و «قوس» (معروف معناه) وهو ما يوضع فى وترة السهم ليُرمى به فمعنى «قاب قوسين» ... قدر طول قوسين.

ورد فى الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بأنّ المراد من هذه الآيات الرؤية الباطنية (القلبية) لذات اللّه المقدسة التى تجلّت للرسول وتكرّرت فى المعراج واهتزّ لها النبى وهالته.

فعلى هذا التفسير يبيّن القرآن نزول الوحى على النبى صلى الله عليه و آله بالصورة التالية:

إنّ اللّه الذى هو شديد القوى علّم النبى فى وقت بلغ حدّ الكمال والإعتدال فى الافق الأعلى. ثم قرب وصار أكثر إقتراباً حتى كان بينه وبين اللّه مقدار قاب قوسين أو أقل وهناك أوحى اللّه إليه ما أوحاه. وبما أنّ هذا اللقاء الباطنى يصعب تصوّره لدى البعض، فإنّه يؤكّد

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹

أنّ ما رآه قلب النبى كان حقّاً وصادقاً ولا ينبغى تكذيبه أو مجادلته.

وكما بيّنا فإنّ تفسير هذه الآيات بشهود النبى الباطنى للّه‌تعالى هو أكثر صحّة وأكثر إنسجاماً وموافقة للرّوايات الإسلامية، وأكرم فضيلة للنبى، ومفهومها أجمل وألطف، واللّه أعلم بحقائق الامور.

ونختم هذا البحث بحديث عن النبى صلى الله عليه و آله وآخر عن على عليه السلام.

۱- فى تفسير القرطبى: سئل رسول اللّه صلى الله عليه و آله هل رأيت ربّك؟ فقال: «رأيته بفؤادى».

۲- وفى خطبة الإمام على (۱۷۹) فى نهج البلاغة إذ سأله ذعلب اليمانى: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أفأعبد ما لا أرى؟ ...».

وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (۱۳) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (۱۴) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (۱۵) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (۱۶) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى (۱۷) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (۱۸) هذه الآيات هى أيضاً تتمة للأبحاث السابقة فى شأن مسألة الوحى وإرتباط النبى صلى الله عليه و آله باللّه والشهود الباطنى، إذ تقول: «وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى . أى مرّة ثانية، وكان ذلك «عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى . أى عند شجرة سدر فى الجنة تدعى بسدرة المنتهى ومحلها فى جنة المأوى:

«عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السّدْرَةَ مَا يَغْشَى .

هذه حقائق واقعية شاهدها النبى صلى الله عليه و آله بام عينيه و «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى .

ورغم أنّه لم يرد توضيح عن سدرة المنتهى فى القرآن الكريم، إلّاأنّ الأخبار والروايات الإسلامية ذكرت لها أوصافاً كثيرة. وهذه التعابير تشير إلى أنّ المراد من هذه الشجرة ليس كما نألفه من الأشجار المورقة والباسقة على الأرض أبداً، بل إشارة إلى ظلّ عظيم فى جوار رحمة اللّه وهناك محل تسبيح الملائكة ومأوى الامم الصالحة.

أمّا «جَنَّةُ الْمَأْوَى فمعناها الجنة التی یُسکن فیها؛ والمراد من هذه الجنة هو «جنة البرزخ» التی تحلّ فیها أرواح الشهداء والمؤمنین بصورة مؤقتة.

والآیة: «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى إشارة إلی أنّ بصر النبی، وأنّ عینیه الکریمتین لم تمیلا یمنة ولا یسرة، وما رآه النبی بعینیه هو عین الواقع؛ لأنّ «زاغ»: من مادة «زیغ» معناه الانحراف یمیناً أو شمالًا؛ و «طغی : من الطغیان، معناه التجاوز عن الحد.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰

إنّ التعبیر ب «نَزْلَةً أُخْرَى معناه أنّ النبی صلی الله علیه و آله رأی اللّه فی شهود باطنی عند معراجه فی السماء. وبتعبیر آخر: نزل اللّه مرّة اخری علی قلب النبی وتحقّق الشهود الکامل فی (المنتهی إلیه) القریب إلی اللّه عند سدرة المنتهی حیث جنّة المأوی والسدرة تغطّیها حجب من أنوار اللّه.

ورؤیة قلب النبی فی هذا الشهود لم تکن لغیر الحق أبداً، ولم یر سواه، ولقد رأی من دلائل عظمة اللّه فی الآفاق والأنفس أیضاً وشاهدها بعینیه.

بحثان

۱- ما هو الهدف من المعراج؟ الهدف من المعراج هو بلوغ النبی صلی الله علیه و آله مرحلة الشهود الباطنی من جهة، ورؤیة عظمة اللّه فی السماوات بالبصر الظاهری من جهة اخری والتی أشارت إلیه آخر آیة من الآیات محل البحث: «لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى .

وفی الآیة الاولی من سورة الإسراء: «لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا» والإطلاع علی مسائل مهمّة- کثیرة- کأحوال الملائکة وأهل الجنة وأهل النار وأرواح الأنبیاء والتی کانت مصدر إلهام للنّبی طوال عمره الشریف فی تعلیم وتربیة الناس.

۲- جانب من إیحاءات اللّه وکلماته لرسوله فی لیلة المعراج: فی کتاب ارشاد القلوب للدیلمی: روی عن أمیر المؤمنین علی علیه السلام: «أنّ النبی صلی الله علیه و آله سأل ربّه سبحانه لیلة المعراج فقال:

یا ربّ أیّ الأعمال أفضل؟! فقال اللّه عزّ وجل: لیس شیء عندی أفضل من التوکل علیّ والرّضا بما قسمت. یا محمّد! وجبت محبّتی للمتحابّین فیّ، ووجبت محبّتی للمتعاطفین فیّ، ووجبت محبّتی للمتواصلین فیّ، ووجبت محبّتی للمتوکّلین علیّ، ولیس لمحبتی علم ولا غایة ولا نهایة».

وجاء فی جانب آخر: «یا أحمد «۱» فاحذر أن تکون مثل الصبی إذا نظر إلی الأخضر والأصفر أحبّه وإذا اعطی شیء من الحلو والحامض اغترّ به. فقال: یا ربّ، دُلّنی علی عمل أتقرّب به إلیک.

قال: اجعل لیلک نهاراً ونهارک لیلًا. قال: ربّ وکیف ذلک؟ قال: اجعل نومک صلاة وطعامک الجوع».

کما جاء فی مکان آخر منه: «یا أحمد، محبّتی محبّة للفقراء فادن الفقراء وقرّب مجلسهم

(۱) إنّ إسم النبی فی کل مکان من هذا الحدیث ورد بلفظ أحمد إلّافی بدایته، أجل فاسم النبی فی الأرض محمّد وفی السماء أحمد.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱

منک ادنِک وبعّد الأغنیاء وبعّد مجلسهم منک فإنّ الفقراء أحبّائی».

وجاء فی موضع آخر أیضاً: «یا أحمد، أبغض الدنیا وأهلها وأحبّ الآخرة وأهلها. قال یا ربّ ومن أهل الدنیا ومن أهل الآخرة؟ قال: أهل الدنیا من کثر أکله وضحکه ونومه وغضبه، قلیل الرضا لا یعتذر إلی من أساء إلیه ولا یقبل معذرة من اعتذر إلیه، کسلان عند الطاعة، شجاع عند المعصیة، أمله بعید وأجله قریب، لا یحاسب نفسه، قلیل المنفعة، کثیر الکلام، قلیل الخوف، کثیر الفرح عند الطعام، وإنّ أهل الدنیا لا یشکرون عند الرخاء ولا یصبرون عند البلاء، کثیر الناس عندهم قلیل، یحمدون أنفسهم بما لا یفعلون، ویدّعون بما

ليس لهم، ويتكلّمون بما يتمنّون ويذكرون مساوى الناس ويخفون حسناتهم.

قال: يا ربّ، هل يكون سوى هذا العيب فى أهل الدنيا؟ قال: يا أحمد، إنّ عيب أهل الدنيا كثير، فيهم الجهل والحمق، لا يتواضعون لمن يتعلّمون منه، وهم عند أنفسهم عقلاء وعند العارفين حمقاء».

ثم يتناول الحديث أهل الجنة فيقول: «يا أحمد، إنّ أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم، كثير حياؤهم، قليل حمقهم، كثير نفعهم، قليل مكرهم، الناس منهم فى راحة وأنفسهم منهم فى تعب، كلامهم موزون، محاسبين لأنفسهم، متعبين لها، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة، إذا كُتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين، فى أوّل النعمة يحمدون وفى آخرها يشكرون، دعاؤهم عند اللّه مرفوع، وكلامهم مسموع، تفرح الملائكة بهم، ... الناس [الغَفلَة] عندهم موتى واللّه عندهم حى قيّوم كريم، يدعون المدبرين كرماً ويريدون المقبلين تلطّفاً قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة، يموت الناس مرّة ويموت أحدهم فى كل يوم سبعين مرّة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم ... وإن قاموا بين يدى كأنّهم بنيان مرصوص لا أرى فى قلبهم شغلًا لمخلوق ... فوعزّتى وجلالى لأحيينّهم حياةً طيّبةً إذا فارقت أرواحهم من جسدهم ولا اسلّط عليهم ملك الموت ولا يلى قبض روحهم غيرى ولأفتحنّ لروحهم أبواب السماء كلها ولأرفعن الحجب كلها دونى، ولآمرنّ الجنان فلتزيننّ»

... «يا أحمد، إنّ العبادة عشرة أجزاء تسعة منها طلب الحلال فإذا طيّبت مطعمك ومشربك فأنت فى حفظى وكنفى».

وجاء فى مكان آخر منه: «يا أحمد، هل تدرى أىّ عيش أهنأ وأىّ حياة أبقى؟ قال اللّهمّ لا.

قال: أمّا العيش الهنيء فهو الذى لا يفترّ صاحبه عن ذكرى ولا ينسى نعمتى ولا يجهل حقى،

يطلب رضاى فى ليله ونهاره. وأمّا الحياة الباقية فهى التى يعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا وتصغر فى عينه وتعظم الآخرة عنده ويؤثر هواى على هواه ويبتغى مرضاتى ويعظّم حق عظمتى ويذكر علمى به ويراقبنى بالليل والنهار عند كل سيّئة أو معصية وينقّى قلبه عن كل ما أكره، ويبغض الشيطان ووساوسه ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطاناً وسبيلًا فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبّاً حتى أجعل قلبه لى وفراغه وإشتغاله وهمّه وحديثه من النعمة التى أنعمت بها على أهل محبّتى من خلقى وافتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالى وعظمتى». وأخيراً فإنّ هذا الحديث القدسى الكريم يختتم بهذه العبارات المؤثّرة: «يا أحمد، لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض ويصوم صيام أهل السماء والأرض ويطوى من الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العارى ثم أرى فى قلبه من حبّ الدنيا ذرّة أو سعتها أو رئاستها أو حليّها أو زينتها لا يجاورنى فى دارى ولأنزعنّ من قلبه محبّتى وعليك سلامى ورحمتى والحمد للّه ربّ العالمين» «۱».

هذه الأحاديث القدسية «من ربّ العرش» التى تحمل روح الإنسان إلى أوج السماوات معها وتعرج به إلى حالة الشهود هى قسم من الحديث القدسى المشار إليه آنفاً.

ونضيف إلى ذلك أنّنا على يقين أنّه كان بين النبى ومحبوبه فى تلك الليلة الكريمة أسرار وإشارات وكلمات اخرى لا تستطيع الآذان الإصغاء إليها ولا الأفكار الساذجة إستيعابها؛ ولذلك بقيت فى نفس النبى صلى الله عليه و آله طىّ الكتمان فلم يَبُح بها لأحد إلّالخلصائه المختصين به.

أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى (۱۹) وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (۲۰) أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثَى (۲۱) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (۲۲) إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (۲۳) هذه الأصنام وليدة أهوائكم: بعد بيان الأبحاث المتعلّقة بالتوحيد والوحى والمعراج وآيات عظمة الواحد الأحد فى السماء، يتناول القرآن أفكار المشركين، فينقضها ويتحدث عن معتقداتهم الخرافية ... فيقول: بعد أن أدركتم عظمة اللّه وآياته فى خلقه فهل أنّ أصنامكم

(۱) بحار الأنوار ۷۴/ ۲۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳

مثل اللات والعزّى والصنم الثالث وهو «مناة» بإمكانها أن تنفعكم أو تضرّكم: «أَفَرَءَيْتُمُ اللتَ وَالْعُزَّى وَمَنَوةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى .

مع أنّكم تزعمون أنّ قيمة البنت دون قيمة الولد ولو بلغكم أنّ أزواجكم أنجبن بنات حزنتم واسودّت وجوهكم.

«تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيْزَى . فهذه قسمة غير عادلة بينكم وبين اللَّه تعالى فعلام تجعلون نصيب اللَّه دون نصيبكم؟!

وهكذا يتناول القرآن أفكارهم الخرافية مستهزئاً بها! ويقول لهم: إنّكم ترون البنت عاراً وذلّةً وتئدونها وهى حيّة فى القبر، وفى الوقت ذاته تزعمون بأنّ الملائكة بنات اللَّه، ولا تعبدون الملائكة من دون اللَّه فحسب بل تصنعون لها التماثيل وتجعلون لها تلك القدسية.

ومن هنا يبدو واضحاً أنّ العرب الجاهليين كانوا يعبدون بعض هذه الأصنام على الأقل على أنّها تماثيل الملائكة، الملائكة التى يسمّون كلّاً منها بربّ النوع ومدير الوجود ومدبّره، وكانوا يرون أنّ الملائكة بنات اللَّه.

ومن هنا يتبيّن أنّ القرآن لا يقصد إمضاء ما كان عليه العرب من التفريق بين الذكر والانثى، بل يريد بيان ما هو مقبول ومسلّم عندهم (وهو منطق الجدل)، وإلّا فلا فرق فى نظر الإسلام ومنطقه بين الذكر والانثى من حيث القيمة الإنسانية، ولا الملائكة فيهم ذكر وانثى، ولا هم بنات اللَّه، وليس عند اللَّه من ولد أساساً.

وفى آخر آية من الآيات محل البحث يقول القرآن بضرس قاطع: «إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ».

فلا دليل لديكم من العقل، ولا دليل عن طريق الوحى على مدّعاكم، وليس لديكم إلّا حفنة من الأوهام والخيالات الباطلة.

ثم يختتم القرآن الآية بالقول: «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ». فهذه الخيالات والموهومات وليدة هوى النفس «وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى .. إلّاأنّهم أغمضوا أعينهم عنه وخلّفوه وراء ظهورهم وتاهوا فى هذه الأوهام والضلالات.

وأساساً فإنّ «هوى النفس» ذاته يعدّ أكبر الأصنام وأخطرها، وهو الأصل لظهور الأصنام الاخرى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (۲۴) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى (۲۵) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى (۲۶) هذه الآيات أيضاً تتناول بالبحث والتعقيب موضوع عبادة الأصنام وخرافتها، وهى تتمّة لما سبق بيانه فى الآيات المتقدمة. فتتناول أوّلًا الامنيات الجوفاء عند عبدة الأصنام وما كانوا يتوقّعون من الأصنام: «أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى .

تُرى! هل من الممكن أن تشفع هذه الأجسام التى لا قيمة لها ولا روح فيها عند اللَّه سبحانه؟ أو يُلتجأ إليها عند المشكلات؟ كلّا! «فَلِلَّهِ الْأَخِرَةُ وَالْأُولَى .

إنّ عالم الأسباب يدور حول محور إرادته، وكل ما لدى الموجودات فمن بركات وجوده، فالشفاعة من اختياراته أيضاً، وحلّ المشاكل بيد قدرته كذلك.

وهكذا فإنّ القرآن يقطع أمل المشركين تماماً- بشفاعة الأصنام.

وفى آخر الآيات محل البحث يقول القرآن مضيفاً ومؤكّداً على هذه المسألة: «وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّموَاتِ لَاتُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى .

فحيث لا تستطيع الملائكة على عظمتها حتى ولو بشكل جماعى أن تشفع لأحد إلّاباذن اللَّه ورضاه، فما عسى يُنتظر من هذه الأصنام التى لا قيمة لها.

بحث

سعة الأمانى: الأمل أو التمنّى إنّما ينبع من محدودية قدرة الإنسان وضعفه، الإنسان إذا كانت له علاقة بالشىء ولم يستطع أن يبلغه

ويحقّقه فإنّه يأخذ صورة التمنّى عنده ...

وبالطبع قد تكون أمانىّ الإنسان أحياناً نابعة من روحه العالية وباعثاً على الحركة والجدّ والنشاط والجهاد وسيره التكاملى ... كما لو تمنّى بأن يتقدم الناس بالعلم والتقوى والشخصية والكرامة.

إلّا أنّه كثيراً ما تكون هذه الأحلام «والأمانى» كاذبة، وعلى العكس من الأمانى الصادقة فانّها- أى الكاذبة- أساس الغفلة والجهل والتخدير والتخلّف كما لو تمنّى الإنسان الخلود فى الأرض والعمر الدائم، وأن يملك أموالًا طائلة، وأن يحكم الناس جميعاً وأمثال هذا الخيال الموهوم.

ولذلك فقد رغّبت الروايات الإسلامية الناس فى تمنّى الخير، كما فى كتاب الخصال عن

على عليه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من تمنّى شيئاً وهو للَّهعزّ وجل رضاً لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه».

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (۲۷) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (۲۸) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (۲۹) ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (۳۰) هذه الآيات- محل البحث- كالآيات المتقدمة، تبحث موضوع نفى عقائد المشركين، فتقول أوّلها: «إِنَّ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى .

أجل، إنّ هذا الكلام القبيح والمخجل إنّما يصدر من اناس لا يعتقدون بيوم الحساب ولا بجزاء أعمالهم، فلو كانوا يعتقدون بالآخرة لما تجاسروا وقالوا مثل هذا الكلام، وأى كلام؟! كلام ليس لهم فيه أدنى دليل ... بل الدلائل العقلية تبرهن على أنّه ليس للَّهمن ولد، وليس الملائكة إناثاً، ولا هم بنات اللَّه كذلك.

ثم يتناول القرآن واحداً من الأدلة الواضحة على بطلان هذه التسمية فيقول معقّباً:

«وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَايُغْنِى مِنَ الْحَقّ شَيًا».

فالإنسان الهادف والمعتقد لا يطلق كلامه دون علم ودراية، ولا ينسب أيّة نسبة لأحد دونما دليل .. فالتعويل على الظن والتصور إنّما هو من عمل الشيطان أو من يتّصف بالشيطانية ... وقبول الخرافات والأشياء الموهومة دليل الإنحراف وعدم العقل.

ولكن الظن المعقول وهو ما يخطر فى الذهن، ويكون مطابقاً للواقع غالباً، وعليه يبنى الإنسان أعماله و سلوكياته اليومية عادة- كشهادة الشهود فى المحكمة وقول أهل الخبرة وظواهر الألفاظ وأمثال ذلك- غير داخل فى هذه الآيات، وهذه الامور نوع من العلم العرفى لا الظن.

ومن أجل أن يبيّن القرآن أنّ هؤلاء الجماعة ليسوا أهلًا للإستدلال والمنطق الصحيح، وقد ألهاهم حب الدنيا عن ذكر اللَّه وجرّهم إلى الوحل فى خرافاتهم وأوهامهم يضيف قائلًا:

«فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا».

إنّما عبارة (ذكرنا) ذو مفهوم واسع بحيث يشمل كل توجّه نحو اللَّه، سواء أكان ذلك عن طريق القرآن، أو عن طريق العقل، أو عن طريق السنّة، أو تذكّر القيامة وما إلى ذلك.

وربّما لا حاجة إلى التذكير أنّ الأمر بالإعراض عن هذه الفئة (أهل الدنيا) لا ينافى تبليغ الرسالة الذى هو وظيفة النبى الأساسية، لأنّ التبليغ والإنذار والبشارة كلها لا- تكون إلّافى موارد احتمال التأثير، فحيث يعلم ويتيقّن عدم التأثير فلا يصحّ هدر الطاقات، وينبغى الإعراض بعد إتمام الحجة.

وفى آخر آية من الآيات محل البحث يثبت القرآن إنحطاط أفكار هذه الفئة فيقول مضيفاً:

«ذلِکَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ».

إنّ آية أعلاه يمكن أن تكون إشارةً إلى خرافاتهم كعبادة الأصنام وجعلهم الملائكة بنات اللَّه: أى أنّ منتهى علمهم هو هذه الأوهام.

أو أنّها إشارة إلى حبّ الدنيا والأسر فى قبضة الماديات، أى أنّ منتهى إدراكهم هو قناعتهم بالأكل والشرب والنوم والمتاع الفانى فى هذه الدنيا وزبرجها وزخرفها الخ.

وقد جاء فى الدعاء المعروف فى أعمال شعبان المنقول عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا».

وتختتم الآية بالقول: «إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى .

ختام الآية يشير إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ اللَّه يعرف الضالين جيّداً كما يعرف المهتدين أيضاً، فيصبّ غضبه على الضالّين ويسبغُ لطفه على المهتدين، ويجازى كلّاً بعمله يوم القيامة.

وَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (۳۱) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّکَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (۳۲) لما كان الكلام فى الآيات المتقدمة عن علم اللَّه بالضالين والمهتدين، فإنّ الآيات أعلاه تتمّة لما جاء آنفاً. تقول: «وَلِلَّهِ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷

فالمالكية المطلقة فى عالم الوجود له وحده، والحاكمية المطلقة على هذا العالم له أيضاً، ولذلك فإنّ تدبير عالم الوجود بيده فحسب. ولما كان الأمر كذلك فهو وحده الجدير بالعبادة والشفاعة.

إنّ هدفه الكبير من هذا الخلق الواسع ليستيقظ الإنسان فى عالم الوجود وليسير فى مسير التكامل فى ضوء المناهج التكوينية والتشريعية وتعليم الأنبياء وتربيتهم، لذلك فإنّ القرآن يذكر نتيجة هذه المالكية فيختتم الآية بالقول: «لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى .

ثم يصف القرآن المحسنين فى الآية التالية فيقول: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ».

«الكبائر»: جمع كبيرة؛ و «الإثم» فى الأصل هو العمل الذى يُبعد الإنسان عن الخير والثواب، لذلك يطلق على الذنب عادةً؛ و «اللمم»: معناه الإقتراب من الذنب. فى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «اللمم: الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر اللَّه منه».

والقرائن الموجودة فى هذه الآية تشهد على هذا المعنى أيضاً ... إذ قد تصدر من الإنسان بعض الذنوب، ثم يلتفت إليها فيتوب منها.

أضف إلى ذلك فإنّ الجملة التالية بعد الآية فى القرآن تقول: «إِنَّ رَبَّکَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ».

وهذا يدل على أنّ ذنباً صدر من الإنسان وهو بحاجة إلى غفران اللَّه. يعنى أنّ الذين أحسنوا من الممكن أن ينزلقوا فى منزلق ما فيذنبوا، إلّاأنّ الذنب على خلاف سجيّتهم وطبعهم وقلوبهم الطاهرة- وإنّما تقع الذنوب عَرضاً، ولذلك فما أن يصدر منهم الذنب إلّا ندموا وتذكّروا وطلبوا المغفرة من اللَّه سبحانه.

ويتحدث القرآن فى ذيل الآية عن علم اللَّه المطلق مؤكّداً عدالته فى مجازاة عباده حسب أعمالهم فيقول: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ».

وقوله «أنشأكم من الأرض» إمّا هو بإعتبار الخلق الأوّل عن طريق آدم عليه السلام الذى خلقه من تراب، أو باعتبار أنّ ما يتشكّل منه وجود الإنسان كله من الأرض، حيث له الأثر الكبير فى التغذية وتركيب النطفة، ثم بعد ذلك له الأثر فى مراحل نمو الإنسان أيضاً.

وعلى كل حال، فإنّ الهدف من هذه الآية أنّ اللَّه مطّلع على أحوالكم وعليم بكم منذ كنتم ذرّات فى الأرض ومن يوم إنعقدت نطفتكم فى أرحام الامّهات فى أسجاف من الظلمات فكيف- مع هذه الحال- لا يعلم أعمالكم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸

وهذا التعبير مقدمة لما يليه من قوله تعالى: «فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى .

فلا حاجة لتعريفكم وتزكيتكم وبيان أعمالكم الصالحة، فهو مطّلع على أعمالكم وعلى ميزان خلوص نيّاتكم، وهو أعرف بكم منكم.

فى علل الشرائع عن الإمام الباقر عليه السلام فى تفسير قوله تعالى «فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ» قال:

«لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأنّ اللّه تعالى أعلم بمن اتّقى منكم».

بحث

ما هى كبائر الإثم: إنّ كل ذنب فيه أحد الشروط التالية يعدّ كبيراً:

أ الذنوب التى ورد الوعيد من قبل اللّه فى شأنها والعذاب لمرتكبها.

ب الذنوب المذكورة فى نظر أهل الشرع ولسان الروايات بأنّها عظيمة.

ج الذنوب التى عدّتها المصادر الشرعية أكبر من الذنوب التى هى من الكبائر.

د وأخيراً الذنوب المصرّح بها فى الروايات المعتبرة بأنّها من الكبائر.

وقد ورد ذكر الكبائر فى الروايات الإسلامية مختلفاً عددها فيه، إذ جاء فى بعضها أنّها سبع. فى ثواب الأعمال عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «... والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف».

وجاء فى بعض الروايات أنّها «عشر»، وأوصلتها روايات اخر إلى «تسع عشرة» كبيرةً، وربّما ترقّى هذا العدد إلى أكثر مما ذكر فى بعض الروايات أيضاً.

أ فَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى (۳۳) وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى (۳۴) أ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (۳۵) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى (۳۶) وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى (۳۷) أَنْ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (۳۸) وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (۳۹) وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (۴۰) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (۴۱)

سبب النّزول

فى مجمع البيان: نزلت فى عثمان بن عفان، كان يتصدق وينفق ماله، فقال له أخوه من الرضاعة عبداللّه بن أبى سرح: ما هذا الذى تصنع يوشك أن لا يبقى لك شيء؟ فقال عثمان:

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹

إنّ لى ذنوباً، وإنّى أطلب بما أصنع رضى اللّه وأرجو عفوه. فقال له عبداللّه: أعطنى ناقتك، وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها. فأعطاه، وأشهد عليه، وأمسك عن الصدقة. فنزلت الآيات.

وقيل: نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول اللّه صلى الله عليه و آله على دينه، فعيره بعض المشركين، وقالوا: تركت دين الأشياخ وظلتهم، وزعمت أنّهم فى النار؟ قال: إنّى خشيت عذاب اللّه. فضمن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب اللّه، ففعل. فأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له، ثم بخل، ومنعه تمام ما ضمن له، فنزلت الآيات.

التّفسير

كان الكلام فى الآيات السابقة فى أن يجزى اللّه تعالى من أساء بإساءته ويثيب المحسنين بإحسانهم ... وبما أنّه من الممكن أن يتصور أن يعذّب أحد بذنب غيره أو أن يتحمل أحد وزر غيره، فقد جاءت هذه الآيات لتنفى هذا التوهم فى المقام، وبيّنت هذا الأصل الإسلامى المهم أنّ كلّاً يرى نتيجة عمله، فقالت أوّلًا: «أَفَرَءَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى . أى تولّى من الإسلام أو الإنفاق. «وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى «۱».

بمعنى أنّه أنفق القليل ثم إمتنع وأمسك وهو يظنّ أنّ غيره سيحمل وزره يوم القيامة ..

«أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى . فأىّ رجل جاءهم من الغيب و «القيامة» فأخبرهم بأنّه يمكن أخذ الرشوة وتحمّل آثام الآخرين؟

وبعد هذا تأتى الآية الاخرى لتبيّن إعتراض القرآن الشديد على ذلك، وبيان لأصل كلى مطّرد فى الأديان السماوية كلها فتقول: تُرى أهذا الذى إمتنع عن الإنفاق وآمن بالوعود الخيالية، ويريد أن يخلص نفسه من عذاب اللّه بإنفاقه اليسير والزهيد من أمواله، أتغنيه هذه الخيالات والتصورات: «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرهِيمَ الَّذِى وَفَّى «٢».

«إبراهيم»: هو ذلك النبى العظيم الذى أدّى حق رسالة اللّه، وبلّغ ما أمره به ووفى بجميع عهوده ومواثيقه، ولم يخش تهديد قومه وطاغوت زمانه، ذلك الإنسان الذى بذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للُاخوان.

ثم تأتى الآية الاخرى لتقول: «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .

---

(١) «أكدى»: مأخوذ من الكدية ومعناه الصلابة، ثم أطلق على من يمسك والبخيل.

(٢) «وفّى»: مصدره توفية معناه البذل والأداء التامّ ..

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢٠

«الوزر»: فى الأصل مأخوذ من «الوَزَر»- على زنة خطر- ومعناه المأوى أو الكهف أو الملجأ الجبلى، ثم استعملت هذه الكلمة فى الاعباء الثقيلة! لشباهتها الصخور الجبلية العظيمة، وأطلقت على الذنب أيضاً، لأنّه يترك عبئاً ثقيلًا على ظهر الإنسان. والمراد من «الوازرة» من يتحمل الوزر.

ولمزيد الإيضاح يضيف القرآن قائلًا: «وَأَن لَّيسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى .

أمّا الآية التالية فتقول: «وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . فالإنسان لا يرى غداً نتائج أعماله التى كانت فى مسير الخير أو الشرّ فحسب، بل سيرى أعماله نفسها يوم الحساب، كما نجد التصريح بذلك فى الآية (٣٠) من سورة آل عمران: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا».

أمّا الآية الأخيرة من الآيات محل البحث فتقول: «ثُمَّ يُجْزَيهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى .

والمراد من «الجزاء الأوفى» هو الجزاء الذى يكون طبقاً للعمل، وبالطبع هذا لا ينافى لطف اللّه وتفضّله بأن يضاعف الجزاء على الأعمال الصالحة عشرة أضعاف أو عشرات الأضعاف ومئاتها وإلى ما شاء اللّه.

اشير فى الآيات- آنفة الذكر- إلى ثلاثة اصول من الاصول الإسلامية، وقد أكّدت عليها الكتب السماوية السابقة وهى:

أ) كل إنسان مسؤول عن ذنبه ووزره.

ب) ليس للإنسان فى آخرته إلّاسعيه.

ج) يُجزى اللّه كل إنسان على عمله الجزاء الأوفى.

وهكذا فإنّ القرآن يشجب الكثير من الأوهام والخرافات التى يهتمّ بها عامة الناس أو السائدة بينهم وكأنّها مذهب عقائدى.

وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى (٤٣) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا (٤۴) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى (٤۵) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (۴۶) وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (۴٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى (۴٨) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (۴٩) كل شىء ينتهى إليه: فى هذه الآيات تتجلى بعض صفات اللّه التى ترشد الإنسان إلى مسألة التوحيد وكذلك المعاد أيضاً. ففى هذه الآيات وإكمالًا للبحوث الواردة فى شأن جزاء

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢١

الأعمال يقول القرآن: «وَأَنَّ إِلَى رَبّكَ الْمُنتَهَى .

وليس الحساب والثواب والجزاء فى الآخرة بيد قدرته فحسب، فإنّ الأسباب والعلل جميعها تنتهى سلسلتها إلى ذاته المقدسة، وجميع

تدبیرات هذا العالم تنشأ من تدبیراته، وأخیراً فإنّ ابتداء هذا العالم والموجودات وانتهاؤها کلّها منه وإلیه، وتعود إلی ذاته المقدسة.

فی تفسیر علی بن إبراهیم عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «إذا انتهی الکلام إلی اللّه فأمسکوا وتکلموا فیما دون العرش، ولا تکلموا فیما فوق العرش». أی لا تتکلّموا فی ذات اللّه فإنّ العقول تحار فیه ولا تصل إلی حدّ فإنّه لا یمکن للعقول المحدودة أن تفکر فی ما هو غیر محدود لأنّه مهما فکّرت العقول فتفکیرها محدود وحاشا للّهأن یکون محدوداً.

إنّ هذا التفسیر لا ینافی ما ذکرناه آنفاً ویمکن الجمع بین المفهومین فی الآیة.

ثم یضیف القرآن فی الآیة التالیة مبیّناً حاکمیة اللّه فی أمر ربوبیته وإنتهاء امور هذا العالم إلیه فیقول: «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَأَبْکَی وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْیَا* وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَالْأُنثَی مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَی .

وهذه الآیات الأربع وما قبلها هی بیان جامع وتوضیح طریف لمسألة انتهاء الامور إلیه وتدبیره وربوبیته، لأنّها تقول: إنّ موتکم وحیاتکم بیده واستمرار النسل عن طریق الزوجین بیده، وکل ما یحدث فی الحیاة فبأمره، فهو یضحک، وهو یبکی، وهو یمیت، وهو یحیی، وهکذا فإنّ أساس الحیاة والمعوّل علیه من البدایة حتی النهایة هو ذاته المقدسة.

وقد جاء فی بعض الأحادیث ما یوسع مفهوم الضحک والبکاء فی هذه الآیة ففسّرت بأنّه سبحانه: «أبکی السماء بالمطر وأضحک الأرض بالنبات» «۱».

وبعد ذکر الامور المتعلقة بالربوبیة والتدبیر من قِبَل اللّه یتحدث القرآن عن موضوع المعاد فیقول: «وَأَنَّ عَلَیْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَی .

«النشأة»: معناها الإیجاد والتربیة، و «النشأة الاخری» لیست شیئاً سوی القیامة.

ثم یضیف القرآن فی الآیة التالیة قائلًا: «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَی وَأَقْنَی .

فاللّه سبحانه لم یرفع حاجات الإنسان المادیة عنه بلطفه العمیم فحسب، بل أولاه غنی یرفع عنه حاجاته المعنویة من امور التربیة والتعلیم والتکامل عن طریق إرسال الرسل إلیه وإنزال الکتب السماویة وإعطائه المواهب العدیدة.

---

(۱) تفسیر علی بن إبراهیم القمی ۲/ ۳۳۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲

«أغنی»: فعل مشتق من غنی ومعناه عدم الحاجة؛ و «أقنی»: فعل مشتق من قنیة علی وزن جِزیة، ومعناها الأموال التی یدّخرها الإنسان.

فیکون معنی الآیة علی هذا النحو: هو أغنی أی رفع الحاجات الفعلیة، وأقنی معناه إیلاء المواهب التی تدخّر سواء فی الامور المادیة کالحائط أو البستان والأملاک وما شاکلها، أو الامور المعنویة کرضا اللّه سبحانه الذی یُعدّ أکبر «رأس مال» دائم.

أمّا آخر آیة من الآیات محل البحث فتقول: «وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَی .

تخصیص القرآن «الشعری» النجم المعروف فی السماء بالذکر، بالإضافة إلی أنّه أکثر النجوم لمعاناً ویطلع عند السحر فی مقربة من الجوزاء مما یلفت النظر تماماً ... فإنّ طائفةً من المشرکین العرب کانت تعبده، فالقرآن یشیر إلی أنّ الأولی بالعبادة هو اللّه لأنّه ربّ الشعری «وربّکم».

وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عَاداً الْأُولَی (۵۰) وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَی (۵۱) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَی (۵۲) وَ الْمُؤْتَفِکَةَ أَهْوَی (۵۳) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّی (۵۴) فَبِأَیِّ آلَاءِ رَبِّکَ تَتَمَارَی (۵۵) ألا تکفی دروس العبرة هذه: هذه الآیات- کالآیات المتقدمة- تستکمل المسائل المذکورة فی الصحف الاولی وما جاء فی صحف إبراهیم وموسی.

وکانت الآیات المتقدمة قد ذکرت عشر مسائل ضمن فصلین:

الأوّل: کان ناظراً إلی مسؤولیة کل إنسان عن أعماله.

الثانی: ناظر إلی إنتهاء جمیع الخطوط والحوادث إلی اللّه سبحانه. أمّا الآیات محل البحث فتتحدث عن مسألة واحدة- وإن شئت

قلت- تتحدث عن موضوع واحد ذلک هو مجازاة أربع امم من الامم المنحرفة الظالمة وإهلاكهم، وفى ذلک إنذار لُاولئک الذين يلوون رؤوسهم عن طاعة اللَّه ولا يؤمنون بالمبدأ والمعاد.

فتبدأ الآية الاولى من الآيات محل البحث فتقول: «وَأَنَّهُ أَهْلَکَ عَادًا الْأُولَى .

وصف عاد ب «الاولى» إمّا لقدمها حتى أنّ العرب تطلق على كل قديم أنّه «عادىّ» أو لوجود امّتين فى التاريخ باسم «عاد» والامّة المعروفة التى كانت نبيّها هود عليه السلام تُدعى ب «عاد الاولى».

ويضيف القرآن فى الآية التالية قائلًا: «وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى .

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳

ويقول فى شأن قوم نوح: «وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى .

لأنّ نبيّهم نوحاً عاش معهم زماناً طويلًا، وبذل قصارى جهده فى إبلاغهم ونصحهم، فلم يستجب لدعوته إلّاقليل منهم، وأصرّوا على شركهم وكفرهم وعتوّهم وإستكبارهم وإيذائهم نبيّهم نوحاً وتكذيبهم إيّاه وعبادة الأوثان بشكل فظيع كما سنعرض تفصيل ذلک فى تفسير سورة نوح إن شاء اللَّه.

وأمّا رابعة الامم فهى «قوم لوط» المشار إليهم بقوله تعالى: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى .

والظاهر أنّ زلزلة شديدة أصابت حيّهم وقريتهم فقذفت عماراتهم نحو السماء بعد إقتلاعها من الأرض وقلبتها على الأرض، وطبقاً لبعض الروايات كان جبرئيل قد إقتلعها بإذن اللَّه وجعل عاليها سافلها ودمّرها تدميراً ... «فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى .

لقد امطروا بحجارة من السماء، فغشّت حيّهم وعماراتهم المنقلبة ودفنتها عن آخرها.

وفى ختام هذا البحث يشير القرآن إلى مجموع النعم الوارد ذكرها فى الآيات المتقدمة ويلمح إليها بصورة استفهام إنكارى قائلًا: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّکَ تَتَمَارَى .

فهل تشکّ وتتردّد بنعم اللَّه، كنعمة الحياة أو أصل نعمة الخلق والإيجاد، أو نعمة أنّ اللَّه لا- يأخذ أحداً بوزر أحد؛ وما جاء فى الصحف الاولى وأكّده القرآن؟!

صحيح أنّ المخاطب بالآية هو شخص النبى صلى الله عليه و آله إلّاأنّ مفهومها شامل لجميع المسلمين، بل الهدف الأصلى من هذه الآية إفهام الآخرين.

هذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (۵۶) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (۵۷) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (۵۸) أ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (۵۹) وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ (۶۰) وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ (۶۱) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (۶۲) تعقيباً على الآيات المتقدمة التى كانت تتحدث عن إهلاک الامم السالفة لظلمهم، تتوجّه هذه الآيات- محل البحث- إلى المشركين والكفار ومنكرى دعوة النبى صلى الله عليه و آله فتخاطبهم بالقول:

«هذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى . أى النبى أو القرآن نذير كمن سبقه من المنذرين.

وقوله عن «القرآن أو النبى «هذا نذير من النذر الاولى» يعنى أنّ رسالة محمّد وكتابه

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴

السماوى لم يكن (أى منهما) موضوعاً لم يسبق إليه، فقد أنذر اللَّه امماً بمثله فى ما مضى من القرون، فعلام يكون ذلک مثار تعجبكم.

ومن أجل أن يلتفت المشركون والكفار إلى الخطر المحدق بهم ويهتّموا به أكثر يضيف القرآن قائلًا: «أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ».

والتعبير ب «الآزفة» عن القيامة هو لإقترابها وضيق وقتها، لأنّ الكلمة هذه مأخوذة من الأزف على وزن نَجَف، ومعناه ضيق الوقت، وبالطبع فإنّ مفهومه يحمل الإقتراب أيضاً.

وتسمية القيامة بالآزفة فى القرآن بالإضافة إلى هذه الآية محل البحث، واردة فى الآية (۱۸) من سورة غافر أيضاً ... وهو تعبير بليغ وموقظ، وهذا المعنى جاء بتعبير آخر فى الآية (۱) من سورة القمر: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ». فإنّ إقتراب القيامة مع الأخذ بنظر الاعتبار عمر

الدنيا المحدود والقصير يمكن إدراكه بوضوح، خاصة ما ورد أنّ من يموت تقوم قيامته الصغرى.

ثم يضيف القرآن قائلًا: أنّ المهمّ هو أنّه لا أحد غير اللَّه بإمكانه إغاثة الناس فى ذلك اليوم والكشف عمّا بهم من شدائد: «لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ».

«الكاشفة»: هنا معناه مزيحة الشدائد.

فالحاكم والمالك وصاحب القدرة فى ذلك الحين وكل حين هو اللَّه سبحانه، فإذا أردتم النجاة فالتجئوا إليه وإلى لطفه وإذا طلبتم الدّعة والأمان فاستظلّوا بالإيمان به.

ويضيف القرآن فى الآية التالية قائلًا: «أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ».

ولعلّ هذه الجملة إشارة إلى القيامة الوارد ذكرها آنفاً، أو أنّها إشارة إلى القرآن، لأنّه ورد التعبير عنه ب «الحديث» فى بعض الآيات كما فى الآية (۳۴) من سورة الطور، أو أنّ المراد من «الحديث» هو ما جاء من القصص عن هلاك الامم السابقة أو جميع هذه المعانى.

ثم يقول مخاطباً: «وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ». أى فى غفلة مستمرّة ولهو وتكالب على الدنيا، مع أنّه لا مجال للضحك هنا ولا الغفلة والجهل، بل ينبغى أن يُبكى على الفرص الفائتة والطاعات المتروكة، والمعاصى المرتكبة، وأخيراً فلابد من التوبة والرجوع إلى ظلّ اللَّه ورحمته.

ويقول القرآن فى آخر آية من الآيات محل البحث- وهى آخر آية من سورة النجم أيضاً

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵

- بعد أن بيّن أبحاثاً متعددة حول إثبات التوحيد ونفى الشرك: «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا» «۱».

فإذا أردتم أن تسيروا فى الصراط المستقيم والسبيل الحق فاسجدوا لذاته المقدسة فحسب، إذ للَّهوحده تنتهى الخطوط فى عالم الوجود، وإذا أردتم النجاة من العواقب الوخيمة التى أصابت الامم السالفة لشركهم وكفرهم فوقعوا فى قبضة عذاب اللَّه، فاعبدوا اللَّه وحده.

الذى يجلب النظر- كما جاء فى روايات متعددة- أنّ النبى صلى الله عليه و آله عندما تلا هذه الآية وسمعها المؤمنون والكافرون سجدوا لها جميعاً.

وليست هذه هى المرّة الاولى التى يترك القرآن بها أثره فى قلوب المنكرين ويجذبهم إليه دون اختيارهم، إذ ورد فى قصّة «الوليد بن المغيرة» أنّه لمّا سمع آيات فصّلت وبلغ النبى صلى الله عليه و آله (فى قوله) إلى الآية: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ». قام من مجلسه واهتزّ لها وجاء إلى البيت فظنّ جماعة من المشركين أنّه صبا إلى دين محمّد.

«نهاية تفسير سورة النجم»

---

(۱) ينبغى الإلتفات إلى أنّ هذه الآية هى ثالثة السجدات الواجبة فى القرآن الكريم، وإذا ما تلاها أحد بتمامها، أو سمعها من آخر فيجب أن يسجد. طبعاً لا يجب فيها الوضوء، لكن يجب الإحتياط فى وضع الجبهة على ما يصحّ السجود عليه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷

۵۴. سورة القمر

محتوى السورة: تحوى هذه السورة خصوصيات السور المكية التى تتناول الأبحاث الأساسية حول المبدأ والمعاد، وخصوصاً العقوبات التى نزلت بالامم السالفة، وذلك نتيجة عنادهم ولجاجتهم فى طريق الكفر والظلم والفساد .. مما أدّى بها الواحدة تلو الاخرى إلى

الإبتلاء بالعذاب الإلهى الشديد، وسبّب لهم الدمار العظيم.
ونلاحظ فى هذه السورة تكرار قوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ» وذلك بعد كل مشهد من مشاهد العذاب الذى يحلّ بالامم لكى يكون درساً وعظة للمسلمين والكفار.
ويمكن تلخيص أبحاث هذه السورة فى عدّة أقسام هى:
۱- تبدأ السورة بالحديث عن قرب وقوع يوم القيامة، وموضوع شقّ القمر، وإصرار وعناد المخالفين فى إنكار الآيات الإلهية.
۲- ثم يبحث بتركيز واختصار عن أوّل قوم تمرّدوا على الأوامر الإلهية، وهم قوم نوح، وكيفية نزول البلاء عليهم.
۳- ثم يتعرض إلى قصة قوم «عاد» وأليم العذاب الذى حلّ بهم.
۴- ثم تتحدث الآيات عن قوم «ثمود» ومعارضتهم لنبيّهم صالح عليه السلام وبيان معجزة الناقة،
مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸
وأخيراً إبتلاؤهم بالصيحة السماوية.
۵- تتطرق الآيات بعد ذلك إلى الحديث عن قوم «لوط» ضمن بيان واف لإنحرافهم الأخلاقى ... ثم عن السخط الإلهى عليهم وإبتلائهم بالعقاب الربانى.
۶- ثم تركّز الآيات الكريمة الحديث عن آل فرعون، وما نزل بهم من العذاب الأليم جزاء كفرهم وضلالهم.
۷- ثم تعرض مقارنة بين هذه الامم ومشركى مكة ومخالفى الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله والمستقبل الخطير الذى ينتظر مشركى مكة فيما إذا استمرّوا على عنادهم وإصرارهم فى رفض الدعوة الإلهية.
وتنتهى السورة ببيان صور ومشاهد من معاقبة المشركين، وجزاء وأجر المؤمنين والمتقين.
وسورة القمر تتميّز آياتها بالقصر والقوّة والحركية.
وقد سمّيت هذه السورة ب (القمر) لأنّ الآية الاولى منها تتحدث عن شقّ القمر.
فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة اقتربت الساعة فى كل غبّ بُعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر، ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق».
ومن الطبيعى أن تكون النورانية التى تتّسم بها هذه الوجوه تعبيراً عن الحالة الإيمانية الراسخة فى قلوبهم نتيجة التأمل والتفكر فى آيات هذه السورة المباركة والعمل بها بعيداً عن التلاوة السطحية الفارغة من التدبر فى آيات اللّه.
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (۳) شقّ القمر: يتناول الحديث فى الآية الاولى حادثتين مهمّتين:
أحدهما: قرب وقوع يوم القيامة، والذى يقترن بأعظم تغيير فى عالم الخلق، وبداية لحياة جديدة فى عالم آخر، ذلك العالم الذى يقصر فكرنا عن إدراكه نتيجة محدودية علمنا وإستيعابنا للمعرفة الكونية.
مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹
والحادثة الثانية التى تتحدث الآية الكريمة عنها هى معجزة إنشقاق القمر العظيمة التى تدلّل على قدرة البارىء عزّ وجل المطلقة، وكذلك تدلّ- أيضاً- على صدق دعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله. قال تعالى: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ».
وجدير بالذكر أنّ سورة النجم التى أنهت آياتها المباركة بالحديث عن يوم القيامة «أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ» تستقبل آيات سورة القمر بهذا المعنى أيضاً، مما يؤكّد قرب وقوع اليوم الموعود رغم أنّه عندما يقاس بالمقياس الدنيوى فقد يستغرق آلاف السنين ويتوضّح هذا المفهوم، حينما نتصور مجموع عمر عالمنا هذا من جهة، ومن جهة اخرى عندما نقارن جميع عمر الدنيا فى مقابل عمر الآخرة فإنّها لا تكون سوى لحظة واحدة.

إنّ إقتران ذكر هاتين الحادثتين فى الآية الكريمة: «إنشقاق القمر واقتراب الساعة» دليل على قرب وقوع يوم القيامة، حيث إنّ ظهور الرسول الأكرم– وهو آخر الأنبياء– قرينة على قرب وقوع اليوم المشهود.

ومن جهة اخرى، فإنّ إنشقاق القمر دليل على إمكانية إضطراب النظام الكونى، ونموذج مصغّر للحوادث العظيمة التى تسبق وقوع يوم القيامة فى هذا العالم، حيث إندثار الكواكب والنجوم والأرض يعنى حدوث عالم جديد، استناداً إلى الروايات المشهورة التى ادّعى البعض تواترها.

فى تفسير مجمع البيان: قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقالوا: إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين. فقال لهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «إن فعلت تؤمنون»؟ قالوا: نعم.

وكانت ليلة بدر فسأل رسول اللّه صلى الله عليه و آله ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشقّ القمر فرقتين ورسول اللّه ينادى: «يا فلان! يا فلان! اشهدوا».

يقول سبحانه: «وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ».

والمراد من قوله تعالى «مستمر» أنّهم شاهدوا من الرسول الكريم صلى الله عليه و آله معجزات عديدة، وشقّ القمر هو استمرار لهذه المعاجز، وأنّهم كانوا يبرّرون إعراضهم عن الإيمان وعدم الاستسلام لدعوة الحق وذلك بقولهم: إنّ هذه المعاجز كانت «سحر مستمر».

أمّا قوله تعالى: «وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ». فإنّه يشير إلى سبب مخالفتهم وعنادهم وسوء العاقبة التى تنتظرهم نتيجة لهذا الإصرار.

إنّ مصدر خلاف هؤلاء وتكذيبهم للرسول صلى الله عليه و آله أو تكذيب معاجزه ودلائله، وكذلك تكذيب يوم القيامة، هو اتّباع هوى النفس.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰

والمراد من جملة «وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ»، هو أنّ كل شىء فى هذا العالم لا يفنى ولا يزول، فالأعمال الصالحة أو السيّئة تبقى مع الإنسان حتى يرى جزاء ما فعل. حيث إنّ الحق سيظهر وجهه الناصح مهما حاول المغرضون إطفاءه، كما أنّ وجه الباطل القبيح سيظهر قبحه كذلك، وهذه سنّة إلهيّة فى عالم الوجود.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (۵) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (۶) خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (۷) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (۸) تأتى هذه الآيات لتواصل البحث عن الكفار الذين كذّبوا الرسول صلى الله عليه و آله ولم يذعنوا للحقّ حيث أعرضوا عن جميع المعاجز التى شاهدوها.

والآيات أعلاه تشرح حال هؤلاء الأفراد وموضّحة المصير البائس الذى ينتظر هؤلاء المعاندين فى يوم القيامة. يقول سبحانه إنّ هؤلاء لم يعدموا الإنذار والإخبار، بل جاءهم من الأخبار ما يوجب إنزجارهم عن القبائح والذنوب: «وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ». وذلك ليلقى عليهم الحجة.

والقصد من «الأنباء» الإخبار عن الامم والأقوام السابقة الذين هلكوا بألوان العذاب المدمّر الذى حلّ بهم، وكذلك أخبار يوم القيامة وجزاء الظالمين والكفار، حيث اتّضحت كل تلك الأخبار فى القرآن الكريم.

ويضيف تعالى: «حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ». فهذه الآيات حكم إلهية بليغة ومواعظ مؤثّرة، إلّاأنّها لا تفيد أهل العناد «۱».

الآية التالية تؤكّد على أنّ هؤلاء ليسوا على إستعداد لقبول الحق، فاتركهم لحالهم وأعرض عنهم وتذكّر يوم يدعو الداعى الإلهى إلى أمر مخيف، وهو الدعوة إلى الحساب،

(۱) «نـذر»: جمع «نـذير» ويعنى (المنـذرين) والمقصود بالمنـذرين هى الآيات القرآنيـة وأخبار الامم والأنبياء الذين وصل صوتهم إلى أسماع الناس.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱

حيث يقول سبحانه: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ» «۱».

أمّا المراد من «شَـيْءٍ نُّكُرٍ» فهو الحساب الإلهى الـدقيق الـذى لم يكن معلوماً من حيث وقته قبل قيام الساعة، أو العذاب الذى لم يخطر على بالهم، أو جميع هذه الامور، ذلك لأنّ يوم القيامة فى جميع أحواله حالة غير مألوفة للبشر.

وفى الآيـة اللاحقـة يبيّن اللّه سـبحانه وتعالى توضـيحاً أكثر حول هـذا الموضوع ويذكر أنّ هؤلاء يخرجون من القبور فى حالة: «خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ».

نسبة «الخشوع» هنا للأبصار لأنّ المشهد مرعب ومخيف إلى حدّ لا تستطيع الأنظار رؤيته، لذلك فإنّها تتحوّل عنه وتطرق نحو الأسفل.

والتشبيه هنا ب «الْجَرَادٌ مُّنتَشِرٌ» لأنّ النشور فى يوم الحشـر يكون بصورة غير منتظمة لحالة الهول التى تعترى الناس فيه، كما هى حركة إنتشـار الجراد التى تتمثّل فيها الفوضـى والاضـطراب خلافاً للقسم الأكبر من حركـة الطيور التى تطير وفق نظم خاصـة فى الجو، مضافاً إلى أنّهم كالجراد من حيث الضعف وعدم القدرة.

إنّ حالـة هؤلاـء الفاقـدين للعلم والبصـيرة، حالـة ذهول ووحشـة وتخبّـط فى المسـير كالسـكارى يرتطم بعضـهم ببعض فاقـدين للوعى والإرادة.

وأمّا قوله تعالى: «مُّهْطِعِينَ إِلَى الـدَّاعِ» فإنّ كلمـة «مهطعين»: تأتى من مادة «اهطاع» أى مـدّ الرقبـة، والبعض يرجعها إلى النظر بإنتباه أو الركض بسـرعة نحو الشـىء، ويحتمـل أن تكون كـل واحـدة من هـذه المعانى هى المقصودة، حيث إنّ بمجرد سـماع صوت الـداعى الإلهى تمدّ الرقاب إليه ثم يتبعه التوجّه بالنظر نحوه، ثم الإسراع إليه والحضور فى المحكمة الإلهية العادلة عند دعوتهم إليها.

وهنا يسـتولى الخوف من الأهوال العظيمـة لـذلك اليوم على وجود الكفار والظالمين، لـذا يضـيف سـبحانه معبّراً عن حالة البؤس التى تعترى الكافرين بقوله: «يَقُولُ الْكَافِرُونَ هذَا يَوْمٌ عَسِرٌ».

ويستفاد من هذا التعبير أنّ يوم القيامة يوم غير عسير بالنسبة للمؤمنين.

---

(۱) «نكر»: مفرد من مادة «نكارة» وتعنى الشىء المبهم المخيف.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ (۹) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (۱۱) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (۱۲) وَ حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَات أَلْوَاحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳) تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (۱۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۵) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَ نُذُرِ (۱۶) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۷) قصة قوم نوح عبرة وعظـة: جرت السـنّة القرآنيـة فى كثير من الموارد أنّ اللّه سـبحانه يسـتعرض حالـة الأقوام السابقة والعاقبة المؤلمة التى انتهوا إليهـا إنـذاراً وتوضـيحاً (للكفـار والمجرمين) بأنّ الاسـتمرار فى طريق الضـلال سوف لن يؤدى بهم إلّاإلى المصـير البائس الـذى لاقته الأقوام السابقة.

وفى هـذه السورة، إكمالًا للبحث الـذى تناولته الآيات السابقـة، فى إثارات وإشارات مختصـرة ومعبّرة حول تاريـخ خمسـة من الأقوام المعاندة ابتداءً من قوم نوح كما فى قوله تعالى:

«كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْـدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ». فمضافاً إلى تكـذيبه وإتّهامه بالجنون صـبّوا عليه ألوان الأذى والتعذيب ومنعوه من الإستمرار فى أداء رسالته.

فتارةً يقولون له مهدّدين ومنذرين: «قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» «۱».

وتارةً اخرى يضغطون رقبته بأيديهم حتى يفقد وعيه، ولكنّه ما أن يفيق إلى وعيه حتى يقول: «اللهمّ اغفر لقومى فإنّهم لا يعلمون» «۲».

والتعبير ب «عبدنا» إشارة إلى أنّ هؤلاء القوم المعاندين والمغرورين فى الواقع يبارزون اللَّه تعالى لا مجرّد شخص «نوح».

ثم يضيف تعالى أنّ نوح عندما يئس من هداية قومه تماماً: «فَدَعَا رَبَّهُ أَنّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ».

«انتصر»: طلب العون، وهنا جاءت بمعنى طلب الإنتقام على أساس العدل والحكمة.

---

(۱) سورة الشعراء/ ۱۱۶.

(۲) الدرّ المنثور ۳/ ۹۵؛ تفسير القرطبى ۸/ ۲۷۳؛ وجامع البيان ۲۹/ ۱۲۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳

ثم يشير هنا إشارة معبّرة وقويّة فى كيفية العذاب الذى إبتلوا به وصبّ عليهم حيث يقول سبحانه: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ».

إنّ تعبير إنفتاح أبواب السماء لتعبير رائع جدّاً، ويستعمل عادةً عند هطول الأمطار الغزيرة.

«منهمر»: من مادة «همر» على وزن (صبر) وتعنى النزول الشديد للدموع أو الماء.

ويذكر أنّ الماء الذى أدّى إلى الطوفان لم يكن من هطول الأمطار فقط، بل كان من تفجير العيون فى الأرض، حيث يقول تعالى: «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا». وهكذا إختلط ماء السماء بماء الأرض بمقدار مقدّر وملأ البسيطة: «فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ».

وتترك الآيات الكريمة مسألة الطوفان، لأنّ ما قيل فيها من الآيات السابقة يعتبر كافياً فتنتقل إلى سفينة نجاة نوح عليه السلام حيث يقول تعالى: «وَحَمَلْنَهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ».

«دسر»: جمع «دِسار» بمعنى الإبعاد أو النهر بشدة مقترناً مع حالة عدم الرضا.

فإنّ التعبير القرآنى هنا ظريف، لأنّه كما يقول البارىء عزّ وجل بأنّنا وفى وسط ذلك الطوفان العظيم، الذى غمر كل شىء أودعنا أمر نجاة نوح وأصحابه إلى مجموعة من المسامير وقطع من الخشب، وهكذا تتجلّى القدرة الإلهية العظيمة.

ويشير سبحانه إلى لطف عنايته للسفينة المخصّصة لنجاة نوح عليه السلام حيث يقول سبحانه:

«تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا». أى أنّ هذه السفينة تسير بالعلم والمشيئة الإلهية، وتشقّ الأمواج العالية بقوّة وتستمر فى حركتها تحت رعايتنا وحفظنا.

ثم يضيف تعالى: «جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ».

إنّ نوح عليه السلام كسائر الأنبياء الإلهيين يعتبر نعمة إلهية عظيمة وموهبة من مواهبه الكبيرة على البشرية، إلّاأنّ قومه الحمقى كفروا به وبرسالته.

ثم يقول سبحانه وكنتيجة لهذه القصة العظيمة موضع العظّة والاعتبار: «وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ».

وفى الآية اللاحقة يطرح اللَّه سبحانه سؤالًا معبّراً ومهدّداً للكافرين الذين اتّبعوا نفس المنهج الذى كان عليه قوم نوح حيث يقول سبحانه: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ».

هل هذه حقيقة واقعة، أم قصة واسطورة؟

ويضيف مؤكّداً هذه الحقيقة فى آخر الآية مورد البحث فى قوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴

إنّ هذا الكتاب العظيم الخالى من التعقيد والمجسّد لعناصر التأثير من حيث عذوبة ألفاظه وجاذبيتها، وطبيعة قصصه الواقعية ذات المحتوى الغزير ... لذا فإنّ القلوب المهيأة لقبول الحق والمتفاعلة مع منطق الفطرة والمستوعبة لمنهج العقل تنجذب بصورة متميّزة، والشاهد على هذا أنّ التاريخ الإسلامى يذكر لنا قصصاً عديدة عجيبة محيّرة من حالات التأثير العميق الذى يتركه القرآن الكريم على

القلوب الخيّرة.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَ نُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَ نُذُرِ (٢١) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢) مصير قوم عاد: تستعرض الآيات الكريمة أعلاه نموذج آخر من الكفار والمجرمين بعد قوم نوح، وهم (قوم عاد) وذلك كتحذير لمن يتنكّب طريق الحق والهداية الإلهية.

وتبدأ فصول أخبارهم بقوله تعالى: «كَذَّبَتْ عَادٌ».

لقد بذل هود عليه السلام غاية جهده فى توعية قومه وتبليغهم بالحق الذى جاء به من عند اللّه، وكان عليه السلام كلّما ضاعف سعيه وجهده لإنتشالهم من الكفر والضلال إزدادوا إصراراً ونفوراً ولجاجة فى غيّهم وغرورهم الناشىء من الثراء والإمكانات المادية، بالإضافة إلى غفلتهم نتيجة إنغماسهم فى الشهوات، جعلتهم صمّ الآذان، عمى العيون، فجازاهم اللّه بعقاب أليم، ولهذا تشير الآية الكريمة باختصار حيث يقول سبحانه: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ».

كما نلاحظ التفصيل فى الآيات اللاحقة بعد هذا الإجمال حيث يقول سبحانه: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ».

«صرصر»: من مادة «صرّ» على وزن (شرّ)، وفى الأصل تعنى (الإغلاق والإحكام) ويأتى تكرارها فى هذا السياق للتأكيد، ولأنّ الرياح التى عذّبوا بها كانت باردة وشديدة ولاذعة ومصحوبة بالأزيز، لذا اطلق عليها (صرصر).

«نحس»: ففى الأصل معناها (الإحمرار الشديد) الذى يظهر فى الافق أحياناً، كما يطلق العرب أيضاً كلمة (نحاس) على وهج النار الخالية من الدخان، ثم أطلق هذا المصطلح على كل (شؤم) مقابل (السعد).

«مستمر» صفة ل (يوم) أو ل (نحس) ومفهومه فى الحالة الاولى هو استمرار حوادث

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵

ذلك اليوم كما فى الآية (٧) من سورة الحاقة قوله تعالى: «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ».

وتعنى فى الحالة الثانية إستمرار نحوسة ذلك اليوم حتى هلك الجميع.

ثم يستعرض سبحانه وصف الريح بقوله: «تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ».

«منقعر»: من مادة «قعر» بمعنى أسفل الشىء أو نهايته، ولذا يستعمل هذا المصطلح بمعنى قلع الشىء من أساسه.

«أعجاز»: جمع «عجز»- على وزن رجل- بمعنى خَلْفُ أو تحت، وقد شبّهوا بالقسم الأسفل من النخلة وذلك حسبما يقول البعض لأنّ شدة الريح قطّعت أيديهم ورؤوسهم ودفعتها باتّجاهها، وبقيت أجسادهم المقطعة الرؤوس والأطراف كالنخيل المقطعة الرؤوس، ثم قُلعت أجسادهم من الأرض وكانت الريح تتقاذفها.

وللسبب المذكور أعلاه، يكرّر اللّه سبحانه وتعالى إنذاره للكفار بقوله: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ».

فنحن كذلك فعلنا وجازينا الأقوام السالفة التى سلكت سبيل الغى والطغيان والعصيان، فعليكم أن تتفكروا فى مصيركم وأنتم تسلكون نفس الطريق الذى سلكوه.

وفى نهاية القصة يؤكّد قوله سبحانه: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ».

والنقطة الأخيرة الجديرة بالذكر هى تأكيد قوله سبحانه: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ» حيث تكرّرت مرّتين: الاولى: فى بداية الحديث عن قصة قوم عاد، والثانية: فى نهايتها، ولعل سبب هذا الاختلاف بين قوم عاد والأقوام الاخرى، أنّ عذاب قوم عاد كان أكثر شدّة وإنتقاماً، رغم أنّ جميع ألوان العذاب الإلهى شديد.

إنّ مسألة الإهتمام بموضوع (سعد ونحس) الأيام، وكذلك الحوادث التى وقعت فيها، بالإضافة إلى أنّها ترشدنا للكثير من الحوادث التأريخية ذات العظة والعبرة، فإنّها أيضاً عامل للتوسل باللّه والتوجّه إلى رحاب عظمته السامقة، واستمداد العون من ذاته القدسية، وهذا

ما نلاحظه فى روايات عديدة.

ففى الأيام النحسة مثلًا نستطيع أن نطمئن نفسياً لممارستنا العملية وبكل تفاؤل وموفّقية، وذلك حينما نـدعو اللَّه ونطلب منه العون ونتصدق على الفقراء، ونقرأ شيئاً من الآيات القرآنية ونتوكل على الذات الإلهية المقدسة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (۲۳) فَقالُوا أ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (۲۴) أ أُلْقِیَ الذِّکْرُ عَلَیْهِ مِنْ بَیْنِنا بَلْ هُوَ کَذَّابٌ أَشِرٌ (۲۵) سَیَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْکَذَّابُ الْأَشِرُ (۲۶) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ (۲۷) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَیْنَهُمْ کُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (۲۸) فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطی فَعَقَرَ (۲۹) فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (۳۰) إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ صَیْحَةً واحِدَةً فَکانُوا کَهَشِیمِ الْمُحْتَظِرِ (۳۱) وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۳۲) العاقبة الأليمة لقوم ثمود: تكملة للأبحاث السابقة، تتحدث الآيات الكريمة باختصار عن ثالث قوم ذكروا فى هـذه السورة، وهم (قوم ثمود) الـذين عاشوا فى (حجر) الواقعة فى شـمال الحجاز، ليسـتفاد من قصّـتهم الـدروس والعبر.

لقد بذل نبيّهم «صالح» عليه السلام أقصى الجهد من أجل هدايتهم وإرشادهم ولكن دون جدوى. قال تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ».

إنّ «نذر» جاءت هنا جمع «إنذار» وهو الكلام الذى يتضمن التهديد، والذى هو الطابع العام لكلام الأنبياء جميعاً.

ويستعرض سبحانه سبب تكذيبهم (الأنبياء) حيث يقول على لسان قوم ثمود: «فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِی ضَلٰلٍ وَسُعُرٍ».

إنّ الكبرياء والغرور والنظرة المتعالية تجاه الآخرين، بالإضافة إلى حبّ الذات كانت حاجزاً عن الإستجابة لدعوة الأنبياء عليهم السلام، لقد قالوا: إنّ (صالح) شخص مثلنا وليست له أىّ امتيازات علينا ليصبح زعيماً وقائداً نطيعه ونتّبعه، كما لا يوجد سبب لإتّباعه.

وهذا هو الإشكال الذى تورده جميع الأقوام الضالة على أنبيائها بأنّهم أشخاص مثلنا، ولذا لا يستطيع أن يبلغ رسالة سماوية.

وتزداد اللجاجة والعناد فى قوم ثمود فيتساءلون: إذا اريد نزول الوحى على إنسان، فلماذا اختّص بصالح من بيننا: «أَءُلْقِیَ الذِّکْرُ عَلَیْهِ مِن بَیْنِنَا».

وفى الحقيقة أنّ هذه الأقوال لها شبه كبير بأقوال مشركى مكة، ذلك أنّهم شكّكوا برسالة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷

النبى بأقوال مماثلة: «مَالِ هذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعَامَ وَیَمْشِی فِی الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَیْهِ مَلَکٌ فَیَکُونَ مَعَهُ نَذِیرًا» «۱».

ثم تختتم الآية بقوله سبحانه: «بَلْ هُوَ کَذَّابٌ أَشِرٌ». وذلك إتّهاماً لصالح عليه السلام بالكذب فيما ادّعاه من اختصاص الوحى به وإنذار قومه وأنّه يريد أن يتحكّم علينا ويجعل كل امورنا تحت قبضته ويسيرنا وفق هواه وإرادته ..

«أشر»: وصف من مادة «أشر» على وزن (قمر) بمعنى بطر ومرح زائد عن الحد.

ويردّ البارىء عزّ وجل عليهم بصورة قاطعة بقوله: «سَیَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْکَذَّابُ الْأَشِرُ».

وعنـدما يـدركهم العذاب الإلهى ويسوّيهم مع التراب ويحوّلهم رماداً، وبعد أن يجازيهم اللَّه بأعمالهم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ... عندئـذ سيدركون حقيقة اتّهاماتهم الزائفة التى اتّهموا بها نبى من أنبياء اللَّه المقربين، وسيعلمون أيضاً أنّ هذه الإفتراءات هى أحق بهم وألصق.

ثم يشير سبحانه إلى قصة «الناقة» التى ارسلت كمعجزة ودلالة على صدق دعوة صالح عليه السلام حيث يقول: «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ».

«الناقة»: انثى البعير، وهى ليست كبقية النوق لما تتصف به من خصوصيات خارقة للعادة، وطبقاً للروايات المشـهورة فإنّ هذه الناقة قد خرجت من بطن صخرة جبل حجة دامغة للمنكرين والمعاندين.

ومن الواضح أنّ قوم ثمود قد جُعلوا أمام إمتحان عسير، حيث يستعرض سبحانه هذا الإختبار لهم بقوله: «وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَیْنَهُمْ

كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ». يوم لهم ويوم للناقة.

ومع أنّ القرآن الكريم لم يوافنا بتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع، ولكن كما يذكر الكثير من المفسرين فإنّ ناقة صالح عليه السلام كانت تشرب كل الماء يوم يكون شربها، ويعتقد البعض الآخر أنّ هيئتها ووضعها كانا بشكل يدفع الحيوانات إلى الفرار من الماء عندما تقترب الناقة نحوه، ولذلك فإنّهم إقترحوا حلًا وهو: أن يكون الماء يوماً لهم وآخر للناقة.

إنّ قوم ثمود المتمردين عقدوا العزم على قتل الناقة، فى الوقت الذى حذّرهم نبيّهم

---

(۱) سورة الفرقان/ ۷.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸

صالح عليه السلام من مسّها بسوء، وأخبرهم بأنّ العذاب الإلهى سيقع عليهم بعد فترة وجيزة إن فعلوا ذلك. ونظراً لإستخفافهم بهذا التحذير (فقد نادوا أحد أصحابهم حيث تصدّى للناقة وقتلها). يقول اللَّه سبحانه: «فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ».

ويمكن أن يكون المراد ب (صاحب) أحد رؤساء ثمود، وكان أحد أشرارهم المعروفين ويعرف فى التاريخ ب (قدارة بن سالف) «۱».

«عَقَرَ»: من مادة «عقر» على وزن (ظلم) وفى الأصل بمعنى الأساس والجذر، وإذا استعمل هذا المصطلح بخصوص الناقة فإنّه يعنى القتل والنحر.

وتأتى الآية اللاحقة مؤكّدة إنذارهم قبل نزول العذاب الشديد عليهم، حيث يقول سبحانه: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ». ثم وقع العذاب والسخط الإلهى على هؤلاء المتمردين المعاندين حيث يضيف سبحانه: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ».

«الهشيم»: من مادة «هشم» على وزن «حسم» وفى الأصل بمعنى إنكسار الأشياء الضعيفة كالنباتات.

«محتظر»: فى الأصل من مادة «حظر» على وزن (حفز) بمعنى المنع، ولذلك فإنّ إعداد الحظائر للحيوانات والمواشى تكون مانعة لها من الخروج ولدرء المخاطر عنها، ومفردها (الحظيرة)، و «محتظر» على وزن محتسب- هو الشخص الذى يملك مثل هذا المكان.

والإستعراض الذى ذكرته الآية الكريمة حول عذاب قوم ثمود عجيب جدّاً ومعبّر للغاية، حيث لم يرسل اللَّه لهم جيوشاً من السماء أو الأرض للتنكيل بهم، وإنّما كان عذابهم بالصيحة السماوية العظيمة، فكانت صاعقة رهيبة، أخمدت الأنفاس، وكان إنفجاراً هائلًا حطّم كل شىء فى قريتهم.

إنّ إستيعاب هذا اللون من العذاب كان صعباً وعسيراً للأقوام السالفة، ولكنّه يسير بالنسبة لنا، وذلك من خلال معرفتنا لتأثير الأمواج الناتجة من الإنفجارات، حيث إنّها تحطّم كل شىء يقع ضمن دائرة إشعاعاتها.

ومن الطبيعى أنّنا لا نستطيع المقارنة بين الإنفجارات البشرية وصاعقة العذاب الإلهى

---

(۱) «قدارة»: على وزن (منارة)- كان رجلًا قبيح الشكل والسيرة، ومن أكثر الأشخاص شؤماً فى التاريخ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹

التى أشاعت الدمار الرهيب فى هؤلاء القوم الحمقى المستبدين، وعلى بيوتهم وقصورهم، عسى أن يكون عبرة ودرساً للآخرين، حيث يقول سبحانه: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ».

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (۳۳) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (۳۴) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ (۳۵) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (۳۶) وَ لَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸) فَذُوقُوا عَذَابِى وَ نُذُرِ (۳۹) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۴۰) المصير الأكثر شؤماً: نلاحظ فى هذه الآيات تعبيرات قصيرة وقوية حول قصة «قوم لوط» والعذاب الشديد الذى حلّ بهم، وهم المجموعة الرابعة من الأقوام التى اتّصفت بالقبح

والضلال والتى استعرضتهم هذه السورة المباركة ... حيث يبدأ الحديث عنهم بقوله سبحانه:

«كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ».

«نذر»: جمع «إنذار» وتعنى التهديد والتخويف. ومن المحتمل أن يكون المراد بها بعد ذكرها بصيغة الجمع هو الإنذارات المتعاقبة من النبى لوط لقومه، والتى كُذّب بها أجمع، كما يمكن أن يكون المقصود منها هو إشارة إلى إنذار لوط والأنبياء الذين سبقوه فى الدعوة إلى اللَّه ذلك أنّ جميع الأنبياء يسعون من أجل تثبيت حقيقة أساسية واحدة وهى العبودية للَّه.

وتستعرض الآيات التالية مشاهد من العذاب الذى نزل بقوم لوط وكيفية نجاة عائلته حيث يقول سبحانه: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا».

«حاصب»: تعنى الريح الشديدة التى تأتى بالحجارة والحصباء، والحصباء هى الحصى، ويكون المقصود: إنّا أمطرناهم بالحجارة والحصباء حتى علت أجسادهم ودفنوا تحتها؛ «إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ».

وتتحدث الآيات القرآنية الاخرى عن هول العذاب الذى حلّ بقوم لوط حيث الزلازل التى قلبت مدنهم فأصبح عاليها سافلها، وبذلك اصيبت بكارثة الدمار الماحق ... وتتحدث عن مطر الحجارة والحصى الذى نزل عليهم بشدة، فيقول سبحانه فى ذلك: «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰

جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجّيلٍ مَّنْضُودٍ» (۱). ويضيف البارىء عزّ وجل بقوله: «نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ».

إنّ لوطاً عليه السلام قد أتمّ الحجة على قومه قبل أن ينزل البلاء عليهم، حيث يوضّح اللَّه سبحانه هذه الحقيقة فيقول تعالى: «وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ».

«بطش»: على وزن (فرش) وتعنى فى الأصل أخذ الشىء بالقوة، ولأنّ المجرم لا يؤخذ إلّا بالقوة ليلقى جزاءه، لذلك فإنّها تعنى المجازاة.

«تماروا»: من «تمارى» بمعنى محادثة طرفين لإيجاد الشك وإلقاء الشبهة مقابل الحق، فهؤلاء سعوا بطرق مختلفة إلى إلقاء الشكوك والشبهات بين الناس لإبطال تأثير إنذارات هذا النبى العظيم «لوط» عليه السلام.

ولم يكتف هؤلاء المعاندون بإلقاء الشبهات العقائدية بين الناس، بل بلغت بهم الوقاحة والصلف وعدم الحياء حدّاً أنّهم تجرّؤوا على ملائكة الرحمن وضيوف النبى الكريم المأمورين بعذاب هؤلاء القوم حينما دخلوا بيت لوط عليه السلام بصورة شباب وسيمين، حيث يقول سبحانه: «وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ». أى أنّهم طلبوا منه أن يضع ضيوفه تحت تصرفهم.

لقد بلغ الألم الذى اعترى «لوطاً» عليه السلام حدّاً لا يطاق نتيجة هذا التصرف القبيح والمخجل لقومه، وطلب بإصرار أن يكفّوا عن هذا السلوك المشين المخجل البعيد عن الشرف والحياء.

بل وأبدى إستعداده عليه السلام لتزويج بناته لهم- إن أعلنوا توبتهم- وهذه أعلى حالات المظلومية التى يتعرض لها هذا النبى الكريم من قبل قوم عديمى الحياء والإيمان والقيم الخيرة، كما فى قوله سبحانه: «قَالَ هؤُلَاءِ بَنَاتِى إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ» (۲).

ولم يمض وقت طويل حتى واجهت هذه الفئة المجرمة الباغية الجزاء الأوّلى لعملهم الإجرامى حيث يقول فى ذلك سبحانه: «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ».

إنّ يد القدرة الإلهية إمتدّت لتنتقم من هؤلاء القوم المجرمين، وذلك بأن طمست على أعينهم، حيث يقول البعض بأنّ جبرائيل قد امر أن يخفق بجناحهم على عيونهم حيث فقدوا

---

(۱) سورة هود/ ۸۲.

(۲) سورة الحجر/ ۷۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱

بصرهم حالًا، وقيل إنّ بؤر أبصارهم قد أصبحت مستوية مع وجوههم.

وجاءت الساعة المرتقبة حيث أمر اللَّه بفنائهم وقلبت الزلزلة مدينتهم رأساً على عقب وصُبّ عليهم العذاب صبّاً مع أوّل خيط من أشعّة فجر ذلك اليوم، فتتمزّق أجسادهم وتتلاشى أبدانهم وتدمّر بيوتهم وتندثر قصورهم وتتحول إلى أنقاض وخرائب، وإذا بالمطر الحجرى ينهمل عليهم ويطمس كل معالم الحياة لديهم حتى لم يبق أى أثر لهم.

وذلك ما تشير له الآية الكريمة حيث تعكس هذا المعنى بإختصار وتركيز: «وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ».

«مستقرّ»: تعنى الثبوت والإحكام، أى بمعنى (ثابت الحكم). ويحتمل أن يكون المراد به هنا هو: أنّ العذاب الإلهى كان شديداً إلى حدّ أنّ أى قوّة لم تكن قادرة على مواجهته.

ثم يضيف سبحانه مؤكّداً ومكرّراً مرّة اخرى قوله: «فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ».

لكى لا يكون مجال للشكك والتردد فى إنذار الأنبياء لكم بعد هذا.

وفى نهاية المطاف وفى آخر آية من بحثنا هذا تتكرّر جمل الموعظة والعبرة وللمرّة الرابعة فى هذه السورة بقوله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ».

نعم، لم يتّعظ قوم لوط من النذر، ولم يتّعظوا من العذاب الأوّل الذى أعمى أبصار البعض منهم والذى كان بمثابة إنذار لهم فهل أنّ الآخرين الذين يرتكبون نفس الذنوب يتّعظون لدى سماع آيات القرآن هذه وينوبوا إلى رشدهم ويندموا على ما فرط منهم ..

وَ لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (۴۱) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (۴۲) أَ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ (۴۳) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (۴۴) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ (۴۵) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمَرُّ (۴۶) هل أنتم أفضل من الأقوام السابقة: المجموعة الخامسة التى يتحدث عنها القرآن فى هذه السلسلة هم قوم فرعون، ولأنّ الحديث عن هؤلاء القوم قد طرح بصورة تفصيلية فى السور القرآنية المختلفة، لذا فإنّ هذه السورة المباركة تستعرض هذه القصة فى مقاطع مختصرة ومركّزة حول ضرورة الاستفادة من العبر التى جاءت فيها والإتّعاظ منها ...

يقول سبحانه: «وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲

المقصود من (آل فرعون) ليسوا أهل بيته ومتعلقيه فقط، بل يشمل كل أتباعه بصورة عامة.

«نذر»: على وزن (كتب) وهى جمع نذير، وهنا إشارة إلى المعجزات التسع لموسى عليه السلام.

و الآية اللاحقة تكشف عن ردّ الفعل لآل فرعون من دعوة النبيين الإلهيين، والإنذارات التى وجّهوها لهم حيث يقول اللَّه سبحانه: «كَذَّبُوا بَايَاتِنَا كُلّهَا».

(آيات) لها معنى واسع تشمل الدلائل العقلية والمعجزات والدلائل النقلية، وعند ملاحظة قوله تعالى: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ» يتبين لنا أنّ المقصود ب (الآيات) هنا هى المعجزات التسع لموسى عليه السلام.

إنّ الإنسان إذا كان صادقاً فى البحث عن الحقيقة فإنّه يكفيه أن يرى واحدة منها، وخاصة تلك التى يسبقها إنذار، ثم بلاء، ثم زوال هذا البلاء عند دعاء النبى الإلهى، ولكن العناد والإصرار على الباطل والغرور إذا ركب الإنسان، فحتى لو أصبحت جميع السماء والأرض آيات للَّه، فلن تكون ذات تأثير على أمثال هؤلاء، والجواب الحاسم المناسب لهم هو العذاب الإلهى الذى يقضى على النزعات الشريرة والنفوس المريضة التى يملؤها الهوى والغرور. كما قال تعالى: «فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ» تكملة للآية مورد البحث.

والتعبير الآخر الذى أتى فى آخر هذه القصة لا يوجد له شبه فى التعابير المماثلة فى القصص الاخرى، وذلك لأنّ الفراعنة كانوا يتباهون بقوّتهم وسطوتهم وعزّهم أكثر من بقية الامم، والحديث عن قوّة سلطانهم كان فى كل مكان. يقول اللَّه تعالى: «فَأَخَذْنَاهُمْ

أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ». وذلك كى يكون واضحاً للجميع أنّ القوة الحقيقة هى للّهوحده، لأنّ كل قوة وعزة اخرى غير قوّته وما يتّصل بذاته وهميّة لا تساوى شيئاً فى قبال عزّته وقدرته ...

والعجيب أنّ نهر النيل العظيم الذى كان مصدر خير وثروة لهم، هو الذى امر بالإنتقام منهم، والأعجب من ذلك أنّ أضعف المخلوقات سلّطت عليهم كالجراد والضفادع والقمل فجعلتهم فى حالة عجز ومسكنة لا يقدرون على دفعها، وهم الذين كانوا من السطوة والقوّة موضع حديث أهل زمانهم.

وبعد بيان هذه المشاهد المؤثّرة من قصص الأقوام المنصرمة والعذاب الإلهى العظيم الذى حلّ بهؤلاء الجبابرة المتمرّدين على الحق، يخاطب اللَّه سبحانه فى الآية اللاحقة مشركى مكة بقوله تعالى: «أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مّنْ أُولِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳

فما الفرق بينكم وبين قوم فرعون وقوم نوح ولوط وثمود؟ فكما أنّ اولئك الأقوام قد عذّبوا بالطوفان تارةً والزلازل والصواعق اخرى.

ومن الطبيعى أنّ مثل هذه الادّعاءات ادّعاءات كاذبة لا يقوم عليها أى دليل «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ».

والجدير بالذكر هنا أنّ الآية السابقة كانت بصورة خطاب، أمّا فى الآية مورد البحث والآيات اللاحقة، فإنّ الحديث عن الكفار بلغة الغائب، وهو نوع من أنواع التحقير، أى أنّهم غير مؤهّلين للخطاب الإلهى المباشر.

ويواجه القرآن الكريم هؤلاء السادرين فى غيّهم بإخبار غيبى حاسم وقوى، حيث يقول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ».

«سيهزم»: من مادة «هزم» فى الأصل بمعنى الضغط على الجسم اليابس لحد التلاشى.

وهذا إشارة إلى النقطة التالية وهى: رغم حالة الإتحاد والإنسجام لهؤلاء القوم ظاهراً، إلّا أنّهم كالموجودات اليابسة والفاقدة للروح، فبمجرد تعرّضها إلى ضغط قوى تتهشّم.

لقد صدق هذا التنبؤ فى معركة بدر وسائر الحروب الاخرى حيث كانت هزيمة الكفار ساحقة، فإنّه رغم قدرتهم وقوّتهم فقد تلاشى جمعهم.

وفى آخر الآية مورد البحث يشير سبحانه إلى أنّ الهزيمة التى مُنى بها المشركون سوف لن تكون فى الدنيا فقط، وإنّما هى فى الآخرة أشدّ وأدهى، حيث يقول البارىء عزّ وجل: «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ».

«أدهى»: من مادة (دَهَوَ) و (دهاء)، بمعنى المصيبة والكارثة العظيمة والتى لا مخرج منها ولا نجاة، ولا علاج لها، وتأتى أيضاً بمعنى الذكاء الشديد، إلّاأنّ المقصود منها فى الآيه الكريمة هو المعنى الأوّل.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَالٍ وَ سُعُرٍ (۴۷) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (۴۸) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (۴۹) وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (۵۰) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۵۱) وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ (۵۲) وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (۵۳) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ (۵۴) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (۵۵)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴

إنّ هذه الآيات هى استمرار لبحث الآيات السابقة حول بيان أحوال المشركين والمجرمين فى يوم القيامة، وآخر آية من تلك الآيات تعكس هذه الحقيقة بوضوح، وهو أنّ يوم القيامة هو الموعد المرتقب لهؤلاء الأشرار فى الاقتصاص منهم، حيث يحمل المرارة والصعوبة والأهوال لهم، والتى هى أشد وأقسى مما اصيبوا به فى هذه الدنيا. وتتحدث الآية الاولى- مورد البحث- عن ذلك حيث يقول سبحانه: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَللٍ وَسُعُرٍ».

يقول البارىء عزّ وجل: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ».

وفى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ فى جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له: سقر شكا إلى اللَّه عزّ وجل شدّة حرّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفّس فتنفس فأحرق جهنم».

ولکی لا یتصور أنّ هذه الشدة فی العذاب لا تتناسب مع المعاصی، یقول سبحانه: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ».
إنّ عذابهم فی هذه الدنیا کان بتقدیر وحساب، وکذلک سیکون عقابهم المؤلم فی الآخرة، ولیس الجزاء فقط، ذلک أنّ اللّه سبحانه خلق کل شیء بحساب وتقدیر.
ثم یضیف تعالی إنّه لیست أعمالنا موافقة للحکمة فحسب، بل انّها مقترنة مع القدرة والحسم، لأنّه: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ».
ولذلک فإنّ الیوم الذی تقوم فیه الساعة یحدث بأمر اللّه بلمح البصر، وکل شیء یکون فی مسار الآخرة حینئذ، وتبعث الحیاة من جدید فی الأبدان.
کما أنّ المشیئة الإلهیة فی مجازاة المجرمین بالصواعق والصیحات السماویة والزلازل والطوفان والریاح العاتیة ... کل ذلک یحدث بمجرد الأمر الإلهی وبدون تأخیر.
إنّ أمره تعالی فی کل مکان وکل شیء هو (کلمة واحدة) والتی تکون أسرع من لمح البصر، ولکن محتوی الأمر الإلهی متفاوت ومختلف، ومن خلال معرفة السنّة التدریجیة للعالم المادی وخاصیته وطبیعة الحرکة- نلاحظ أنّها تتأثّر بالزمان.
وفی الآیة اللاحقة یخاطب الکفار والمجرمین مرّة اخری، ویلفت إنتباههم إلی مصیر الأقوام السابقة حیث یقول: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ».
إنّ الآیة الکریمة تؤکّد هذه الحقیقة مرّة اخری، وهی أنّ أعمال مشرکی قریش وممارساتهم هی نفس أعمال وممارسات وعقائد الأقوام السابقة، لذا فلا یوجد دلیل علی أنّ مصیرکم سوف یکون أفضل من مصیرهم، فاتّعظوا وعوا.
مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵
ثم یشیر القرآن إلی هذا الأصل وهو أنّ صفحة أعمال الأقوام السابقة لم تنته بموتهم، بل هی باقیة ومسجّلة علیهم، یقول سبحانه: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ». فکذلک أعمالکم مثبّتة ومحفوظة لیوم الحساب.
«زبر»: جمع «زبور» بمعنی الکتاب، وهی تشیر إلی صحیفة أعمال الإنسان.
ثم یضیف سبحانه: «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ».
وبناءً علی هذا فحساب الأعمال فی ذلک الیوم هو حساب شامل وتامّ لا یغادر صغیرة ولا کبیرة، حیث یستلم المجرمون صفحة أعمالهم کاملة، فیصعقون لهولها ویصطرخون لدقّتها: «وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لَايُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» «۱».
ولما کانت السنّة المتّبعة فی القرآن الکریم غالباً ما تعتمد المقارنة بین جبهة الصلاح والهدی من جهة، وجبهة الفساد والضلال من جهة اخری، لأنّ فی المقارنة یبرز التفاوت والاختلاف بصورة أفضل، فهنا أیضاً بعد الحدیث عن مصیر الکفار والمجرمین یشیر سبحانه إشارة مختصرة إلی العاقبة السعیدة والحبور العظیم الذی یکون من نصیب المتقین حیث یقول سبحانه: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ».
وفی آخر آیة مورد البحث والتی هی آخر آیة فی سورة القمر یوضّح الباریء بصورة أکثر (مستقر المتقین) حیث یقول سبحانه أنّهم: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ».
ویا له من وصف رائع وظریف! حیث إنّ هذا الوصف یتمیّز بخصوصیتین تجمعان کل السمات الرائعة:
الاولی: أنّ المکان هو (مستقرّ صدق) ولیس فیه باطل، بل کلّه حق یجد فیه المتقون کل ما وعدوا به کاملًا غیر منقوص.
الثانیة: أنّهم فی جوار وقرب اللّه سبحانه، وهذا هو المستفاد من کلمة (عند) والذی یشیر إلی غایة القرب المعنوی، وهذا القرب هو من اللّه المالک القادر ... ما أروعه عن قرب من الربّ الکریم الوهّاب والذی یمنح العطایا والهبات لضیوفه المتقین بجمیل لطفه وعظیم إحسانه وواسع کرمه، حیث جمیع ما فی الوجود تحت قبضته وإمرته ومالکیته، وهو المنّان

---

(۱) سورة الکهف/ ۴۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶

الذی لا ینقصه شیء فی السماوات والأرض، والذی وعد المتقین بالخیر العظیم وأعدّ لهم عظیم العطایا والإحسان.

والنقطة الجدیرة بالذکر فی هاتین الآیتین والتی تتحدث فیها عن الهبات وجزاء أصحاب الیمین، حیث فی البدایة تتحدث عن العطایا المادیّة التی تشمل البساتین الوارفة والحدائق الغنّاء والأنهار الجاریة، ثم تتحدث بعد ذلک عن الجزاء المعنوی العظیم، والذی یتجسّد بحضورهم من الملیک المقتدر، وذلک تهیئة للإنسان من مرحلة إلی اخری، یغمرها الشوق والحبور والرغبة فی العمل الصالح.

«نهایة تفسیر سورة القمر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷

۵۵. سورة الرحمن

محتوی السورة: توضّح هذه السورة بصورة عامة النعم الإلهیة المختلفة، سواء کانت مادیة أو معنویة، والتی تفضّل بها الباریء عزّ وجل علی عباده وغمرهم بها، ویمکن تسمیتها لهذا السبب ب (سورة الرحمة) أو (سورة النعمة) ولهذا فإنّها بدأت بالإسم المبارک (الرحمن) الذی یشیر إلی صنوف الرحمة الإلهیة الواسعة، وتنهی هذه السورة آیاتها بإجلال وإکرام الباریء سبحانه، وبإقرار عباده بالنعم التی تفضّل بها علیهم (إحدی وثلاثین مرّة) وذلک من خلال تکرار آیة: «فَبِأَیِّ ءَالَاءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبَانِ».

ویمکن أن نقسّم محتویات السورة إلی عدّة أقسام:

۱- فی الآیات الاولی من هذه السورة حدیث عن النعم الإلهیة الکبیرة، سواء تلک التی تتعلق بخلق الإنسان أو تربیته وتعلیمه، أو الحساب والمیزان، وکذلک سائر الامور الاخری التی یتجسّد فیها الخیر للإنسان، إضافةً إلی الغذاء الروحی والجسمی له.

۲- یتناول توضیح مسألة خلق الإنس والجن.

۳- یتضمن توضیح الآیات والدلائل الإلهیة فی الأرض والسماء.

۴- وفیه بعد تجاوز النعم الإلهیة علی الإنسان فی الدنیا تتحدث الآیات عن نعم اللّه فی عالم الآخرة بدقّة وظرافة، خاصة عن الجنة، وبصورة أعمّ وأشمل عن البساتین والعیون والفاکهة وحور العین وأنواع الملابس من السندس والإستبرق ...

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸

۵- تتحدث عن مصیر المجرمین وجزائهم المؤلم المحسوب.

إنّ تکرار آیة: «فَبِأَیِّ ءَالَاءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبَانِ» وفی مقاطع قصیرة أعطت وزناً متمیّزاً للسورة، وخاصة إذا قریء بالمعنی المعبّر الذی یستوحی منها ... فإنّ حالة من الشوق والإنبهار تحصل لدی الإنسان المؤمن. ولذلک فلا نعجب عندما نقرأ فی حدیث للرسول صلی الله علیه و آله حیث یقول: «لکل شیء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن جلّ ذکره» «۱».

فضیلة تلاوة السورة: إنّ اتّصاف هذه السورة بما یثیر الإحساس بالشکر علی أفضل صورة أدّی إلی ورود روایات کثیرة فی فضل تلاوة هذه السورة تلک التلاوة التی ینبغی أن تنفذ إلی أعماق النفس الإنسانیة وتحرکها باتّجاه الطاعات وبعیداً عن لقلقة اللسان.

وفی تفسیر مجمع البیان: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «من قرأ سورة الرحمن، رحم اللّه ضعفه، وأدّی شکر ما أنعم اللّه علیه».

وفی ثواب الأعمال عن أبی عبداللّه الصادق علیه السلام قال: «من قرأ سورة الرحمن فقال عند کل: «فَبِأَیِّ ءَالَاءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبَانِ»: لا شیء من آلائک ربّی اکذّب، فإن قرأها لیلًا ثم مات، مات شهیداً، وإن قرأها نهاراً ثم مات، مات شهیداً».

الرَّحْمنُ (۱) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (۳) عَلَّمَهُ الْبَیَانَ (۴) الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (۵) وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ یَسْجُدَانِ (۶) بدایة النعم الإلهیة: لمّا کانت هذه السورة تبیّن أنواع النعم والهبات الإلهیة العظیمة، فإنّها تبدأ باسم (الرحمن) والذی یرمز إلی الرحمة الواسعة، ولو لم تکن (الرحمانیة) من صفاته لم ینعم بهذا الخیر العمیم علی عباده الصالحین والعاصین، لذلک یقول: «الرَّحْمنُ». «عَلَّمَ الْقُرْءَانُ»

وبهذا فإنّ أوّل نعمة تفضّل بها اللَّه سبحانه، هى نعمة «تعليم القرآن».

والظريف هنا أنّ بيان نعمة (تعليم القرآن) ذُكرت قبل «خَلَقَ الْإِنسَانَ» و «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» فى الوقت الذى يفترض فيه أن تكون الإشارة أوّلًا إلى مسألة خلق الإنسان، ومن ثم نعمة تعليم البيان، ثم نعمة تعليم القرآن، وذلك استناداً للترتيب الطبيعى، إلّاأنّ عظمة القرآن الكريم أوجبت أن نعمل خلافاً للترتيب المفترض.

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۹/ ۳۲۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹

وقد جاءت هذه الآية جواباً لقولهم: وما الرحمن فى قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ». [الفرقان قالوا وما الرحمن؟ وقد روى أنّه لما نزل قوله «قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ» قالوا: ما نعرف الرحمن إلّاصاحب اليمامة. فقيل لهم «الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانُ» أى: علم محمّداً صلى الله عليه و آله القرآن، وعلّمه محمّد صلى الله عليه و آله امته «۱».

وعلى كل حال فإنّ لإسم «الرحمن» أوسع المفاهيم بين أسماء البارىء عزّ وجل بعد إسم الجلالة (اللَّه) لأنّنا نعلم أنّ للَّه‌رحمتين: (الرحمة العامة) و (الرحمة الخاصة) واسم «الرحمن» يشير إلى رحمة اللَّه العامة التى تشمل الجميع، كما أنّ اسم «الرحيم» يشير إلى «الرحمة الخاصة» بأهل الإيمان والطاعة، ولعله لهذا السبب لا يطلق اسم الرحمن على غير اللَّه سبحانه (إلّا إذا كانت كلمة عبد قبله)، أمّا وصف «الرحيم» فيقال لغير اللَّه أيضاً، وذلك لأنّه لا أحد لديه الرحمة العامة سوى اللَّه تعالى، أمّا الرحمة الخاصة فإنّها موجودة فى المخلوقات وإن كانت بصورة محدودة.

وهنا يطرح التساؤل التالى: من الذى علّمه اللَّه سبحانه القرآن الكريم.

إنّ هذه السورة تبيّن الرحمة الإلهية للإنس والجن ولذا أكّد سبحانه إقرارهم بنعمه إحدى وثلاثين مرّة، وذلك بقوله: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ». والأنسب هو أنّ اللَّه علّم القرآن للإنس والجن بواسطة نبيّه الكريم محمّد صلى الله عليه و آله.

وبعد ذكره سبحانه لنعمة القرآن التى لا مثيل لها ينتقل إلى أهمّ نعمة فى الترتيب المذكور ويقول: «خَلَقَ الْإِنسنَ».

من الطبيعى أنّ المقصود هنا هو نوع الإنسان وليس آدم عليه السلام فقط.

وإطلاق كلمة (البيان) التى تأتى بعد خلق الإنسان دليل على عمومية كلمة الإنسان.

إنّ ذكر إسم «الإنسان» بعد «القرآن» هو الآخر يستوجب التأمل، ذلك لأنّ القرآن الكريم يمثّل مجموعة أسرار الكون بصورة مدوّنة «الكتاب التدوينى»، والإنسان هو خلاصة هذه الأسرار بصورة تكوينية «الكتاب التكوينى»، كما أنّ كل واحدة منها هو صورة من هذا العالم الكبير.

وتشير الآية اللاحقة إلى أهمّ النعم بعد نعمة خلق الإنسان حيث يقول البارىء عزّ وجل: «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ».

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۹/ ۳۲۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰

مختصر الامثل ج۵ ۹۹

كلمة (البيان) لها معنى لغوى واسع، حيث تقال لكل شىء يوضّح ويبيّن شيئاً معيناً.

وبناءً على هذا فإنّها لا تشمل النطق والكلام فحسب، بل تجمع الكتابة والخطّ وأنواع الاستدلالات العقلية والمنطقية التى تبيّن المسائل المختلفة والمعقّدة أيضاً رغم أنّ معالم هذه المجموعة هى التكلم والنطق.

وإذا أخذنا دور البيان فى تكامل وتقدم الحياة الإنسانية، فمن الواضح أنّ الإنسان لم يكن بمقدوره وإمكانه أن ينقل تجاربه وعلومه

من جیل إلی آخر بهذه السهولة وبالتالی أدّی إلی التقدم والعلم والدین والأخلاق ... وإذا ما سلبت هذه النعمة العظیمة من الإنسان لیوم واحد فإنّ المجتمع الإنسانی سوف یأخذ طریقه نحو التقهقر بسرعة، ولو أخذنا «البیان» بمعناه الواسع الذی یشمل الخط والکتابة والفنون المختلفة، فإنّه سیتّضح لدینا بصورة أکثر دوره الهامّ فی الحیاة الإنسانیة.

ویتطرق بعد ذلک إلی النعمة الإلهیة الرابعة والتی هی هبة من هبات اللّه العظیمة أیضاً، حیث یقول تعالی: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ».

إنّ أصل وجود الشمس من أکبر النعم الإلهیة للإنسان، لأنّ العیش فی المنظومة الشمسیة بدون نور وحرارة الشمس أمر غیر ممکن. إنّ نمو ونضج النبات والمواد الغذائیة أجمع، بالإضافة إلی سقوط الأمطار وهبوب الریاح، کلّها ببرکة هذه الهبة الإلهیة.

کما أنّ للقمر دوراً هامّاً فی حیاة الإنسان، فبالإضافة إلی أنّه یضیء اللیالی المعتمة، فإنّ جاذبیته هی علة المد والجزر فی البحار والمحیطات، وهی عامل لبقاء الحیاة فی البحار، کما أنّها تقوم بدورها فی إرواء کثیر من المناطق القریبة للسواحل والتی تصبّ الأنهار بالقرب منها.

وبالإضافة إلی ذلک فإنّ ثبات الإنتظام لهاتین الحرکتین (حرکة القمر حول الأرض، وحرکة الأرض حول الشمس) هو السبب فی الظهور المنتظم للیل والنهار والسنین والشهور والفصول المختلفة، وبالتالی فإنّه سبب أساسی لإنتظام الحیاة الإنسانیة وبرمجة الامور التجاریة والصناعیة والزراعیة، وإن فقد الإنتظام فیها فسوف تضطرب الحیاة البشریة وتختلّ الکثیر من مرتکزاتها.

ولیس لحرکة هذین الکوکبین نظام دقیق جدّاً فحسب، بل إنّ مقدار کثافة وجاذبیة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱

ومسافة کل منهما عن الأرض هی الاخری محسوبة بدقّة وحساب (وحسبان).

ومن المؤکّد أنّ اختلال کل واحدة من هذه الامور سیولّد اختلالات عظیمة فی المنظومة الشمسیة، ومن ثم فی النظام الحیاتی للبشر.

والجدیر بالذکر أنّ الشمس بالرغم من أنّها فی وسط المنظومة الشمسیة وتبدو ساکنة وثابتة، إلّاأنّها مع جمیع کواکبها وأقمارها تسیر فی وسط المجرّة المتعلقة بها إلی نقطة معینة (تسمّی هذه النقطة بنجمة فیکا) وهذه الحرکة لها أیضاً نظام وسرعة معینان.

ثم یتحول بنا اللّه إلی نعمة عظیمة اخری هی الخامسة فی مسلسل ما ذکره سبحانه من النعم فی هذه السورة المبارکة، حیث یوجّه النظر إلی ألطافه فی الأرض حیث یقول:

«وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ یَسْجُدَانِ».

«النجم»: یأتی أحیاناً بمعنی کوکب، ویأتی اخری بمعنی النبات الذی لا ساق له، ولمّا جاءت الکلمة هنا بقرینة «الشجر» فیکون المقصود هو المعنی الثانی، أی النباتات بدون سیقان.

ومن الواضح أنّ النبات مصدر جمیع المواد الغذائیة للإنسان، حیث یستهلک قسماً مباشراً منه، والقسم الآخر تستهلکه الحیوانات الاخری التی هی جزء أساسی من غذاء الإنسان، ومن هنا فإنّ النبات هو مصدر غذاء الإنسان بصورة مباشرة أو غیر مباشرة.

وهذا المعنی یصدق أیضاً فی عالم الحیوانات البحریة، لأنّها تتغذّی علی نباتات صغیرة جدّاً تنبت فی البحر وتوجد بکثرة هائلة تقدّر بملایین البلیارات، وهی المصدر الغذائی لهذه الحیوانات البحریة، وتنمو هذه النباتات الصغیرة فی البحر بتأثیر الضوء (أشعة الشمس) التی تتحرک بین الأمواج.

وبهذا فإنّ «النجم» أنواع من النباتات الصغیرة الزاحفة (مثل الیقطین والخیار وأمثاله).

أمّا «الشجر» فإنّه النوع الآخر من النباتات التی لها سیقان وتشمل أشجار الفاکهة ونباتات الغلّات وغیر ذلک.

وتعبیر «یسجدان» إشارة إلی التسلیم والخضوع أمام القدرة الإلهیة وقوانین الخلقة والإبداع الإلهی لأجل نفع الإنسان. وهنا إشارة إلی الأسرار التوحیدیة أیضاً حیث توجد فی کل ورقة وکل بذرة آیات عجیبة من عظمة وقدرة اللّه سبحانه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲

وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ (۷) أَنْ تَطْغَوْا فِی الْمِيزَانِ (۸) وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (۹) وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (۱۰) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (۱۱) وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحَانُ (۱۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۱۳) السماء رفعها ووضع الميزان: فى الآية مورد البحث يتحدث سبحانه عن النعمة السادسة، ألا وهى نعمة خلق السماء حيث يقول: «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا».

(السماء) فى هذه الآية سواء كانت بمعنى جهة العلو، أو الكواكب السماوية، أو جو الأرض ... إنّ كل واحدة من هذه المعانى هبة عظيمة ونعمة لا مثيل لها، وبدونها تستحيل الحياة أو تصبح ناقصة.

إنّ النور الذى يمنحنا الدفء والحرارة والهداية والحياة والحركة يأتينا من السماء وكذلك الأمطار، والوحى أيضاً، (وبذلك فإنّ للسماء مفهوماً عاماً، مادياً ومعنوياً).

ثم يستعرض سبحانه النعمة السابعة حيث يقول تعالى: «وَوَضَعَ الْمِيزَانَ».

«الميزان»: كل وسيلة تستعمل للقياس، سواء كان قياس الحق من الباطل، أو العدل من الظلم والجور، أو قياس القيم وقياس حقوق الإنسان فى المراحل الاجتماعية المختلفة.

و (الميزان) يشمل كذلك كل نظام تكوينى ودستور اجتماعى، لأنّه وسيلة لقياس جميع الأشياء.

ونستنتج من الآية اللاحقة استنتاجاً رائعاً حول هذا الموضوع حيث يضيف بقوله تعالى:

«أَلَّا تَطْغَوْا فِی الْمِيزَانِ».

يا له من تعبير رائع حيث يعتبر القوانين الحاكمة فى هذا العالم الكبير منسجمة مع القوانين الحاكمة على حياة الإنسان (العالم الصغير) وبالتالى ينقلنا إلى حقيقة التوحيد، حيث مصدر جميع القوانين والموازين الحاكمة على العالم هى واحدة فى جميع المفردات وفى كل مكان.

ويؤكّد مرّة اخرى على مسألة العدالة والوزن حيث يقول سبحانه: «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳

هذه الآية يؤكّد على مسألة الوزن بمعناها الخاص، ويأمر البشر أن يدقّقوا فى قياس ووزن الأشياء فى التعامل، وهذه أضيق الدوائر.

إنّ أهمية الميزان فى أى معنى كان عظيمة فى حياة الإنسان بحيث إنّنا إذا حذفنا حتى مصداق الميزان المحدود والصغير والذى يعنى (المقياس) فإنّ الفوضى والإرتباك سوف تسود المجتمع البشرى.

ويستفاد من بعض الروايات أنّ (الميزان) قد فسّر بوجود (الإمام)، وذلك لكون الوجود المبارك للإمام المعصوم هو وسيلة لقياس الحق من الباطل، ومعيار لتشخيص الحقائق وعامل مؤثّر فى الهداية. وهكذا فى تفسير «الميزان» بالقرآن الكريم ناظر إلى هذا المعنى.

ثم ينتقل سبحانه من السماء إلى الأرض فيقول عزّ وجل: «وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ».

إنّ القرائن الموجودة فى السورة وطبيعة النداءات الموجّهة للإنس والجن تدلّل على أنّها المقصود هنا (الجن والإنس).

وفى الآية اللاحقة يستعرض ذكر النعمتين التاسعة والعاشرة من النعم الإلهية، والتى تتضمّن قسماً من المواد الغذائية التى وهبها اللّه سبحانه للإنسان حيث يقول تعالى: «فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ».

«الفاكهة»: تشمل كل نوع من الفاكهة.

و «أكمام»: جمع (كِم) تطلق على الغلاف الذى يغطّى الفاكهة.

إنّ إختيار هذا الوصف لفاكهة شجرة النخل- والتى تكون فى البداية مختفية فى غلاف ثم ينشقّ الغلاف عن ثمر منظود وبشكل جميل وجذّاب- يمكن أن يكون لهذا الجمال الأخّاذ، أو للمنافع الجمّة الكامنة فى هذا الغلاف، والتى تتميّز بالمنافع الطبيّة والغذائية.

ثم يتحدث سبحانه عن النعمة الحادية عشرة والثانية عشرة حيث يقول سبحانه:

«وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ».

الحبوب مصدر أساسى لغذاء الإنسان، وأوراقها الطازجة واليابسة هى غذاء للحيوانات التى هى لخدمة الإنسان، حيث يستفيد من حليبها ولحومها وجلودها وأصوافها، وبهذا الترتيب فلا يوجد شىء فيها غير ذى فائدة.

ومن جهة اخرى، فإنّ اللّه تعالى خلق الأزاهير المعطّرة والورود التى تعطّر مشام الجسم والروح وتبعث الاطمئنان والنشاط، ولذا فإنّ اللّه سبحانه قد أتمّ نعمه على الإنسان.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴

وبعد ذكر هذه النعم العظيمة (المادية والمعنوية) ينقلنا فى آخر آية من البحث مخاطباً الجن والإنس بقوله تعالى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ». هذه النعم التى يدلّ كل هذا على لطف وحنان الخالق ... فكيف يمكن التكذيب بها إذاً؟

إنّ هذا الاستفهام استفهام تقريرى جىء به فى مقام أخذ الإقرار، وقد قرأنا فى بداية السورة رواية تؤكّد على ضرورة تعقيبنا بهذه العبارة (لا شىء من آلائك ربّى اكذّب) بعد كل مرّة نتلو فيها الآية الكريمة: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

إنّ التعبير ب (أىّ) إشارة إلى أنّ كل واحدة من هذه النعم دليل على مقام ربوبية اللّه ولطفه وإحسانه، فكيف بها إذا كانت هذه النعم مجتمعة.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (۱۴) وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (۱۵) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۱۶) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (۱۷) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۱۸) الصلصال وخلق الإنسان: إنّ اللّه تعالى بعد ذكره للنعم السابقة والتى من جملتها «خَلَقَ الْإِنسَانَ»، يتعرّض فى الآيات مورد البحث إلى شرح خاص حول خلق الإنس والجن كدليل على قدرته العظيمة من جهة، وموضع درس وعبرة للجميع من جهة اخرى، فيقول سبحانه: «خَلَقَ الْإِنسَنَ مِن صَلْصلٍ كَالْفَخَّارِ».

«صلصال»: فى الأصل معناه (ذهاب ورجوع أو تردد الصوت فى الأجسام الصلبة)، ثم اطلقت الكلمة على الطين اليابس الذى يخرج صوتاً.

«فخار»: من مادة «فخر» بمعنى الشخص الذى يفخر كثيراً، ولكون الأشخاص الذين يعيشون الفراغ فى شخصياتهم ومعنوياتهم يكثرون الثرثرة والإدّعاء عن أنفسهم، فإنّ هذه الكلمة تستعمل لكل إناء من الطين أو «الكوز»، وذلك بسبب الأصوات الكثيرة التى يولّدها.

ومن هنا يستفاد بوضوح من الآيات القرآنية المختلفة حول مبدأ خلق الإنسان، أنّه كان من التراب ابتداءً. قال تعالى: «فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ» «۱». ثم خرج مع الماء وأصبح طيناً:

---

(۱) سورة الحجّ/ ۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵

«هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ» «۱». ثم أصبح بصورة طين خبيث الرائحة: «إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ» «۲». ثم أصبح مادة فى حالة لاصقة: «إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ» «۳». ومن ثم يتحول إلى حالة يابسة ويكون من «صَلْصلٍ كَالْفَخَّارِ» كما ذكر فى الآية مورد البحث.

هذه المراحل كم تستغرق من الوقت، وكم هى المدة التى يتوقف فيها الإنسان فى كل مرحلة من هذه المراحل، وفى أى ظروف تحدث هذه التطورات؟

هذه المسائل خفيت عن علمنا وإدراكنا، واللّه وحده هو العالم بها فقط.

ثم يتطرق سبحانه لخلق الجن حيث يقول: «وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ».

«مارج»: فى الأصل من «مرج» على وزن (مرض) بمعنى الإختلاط والمزج، والمقصود هنا اختلاط شعل النيران المختلفة.

ولكن كيف خلق الجن من هذه النيران المتعددة الألوان؟ هذا ما لم يعرف بصورة دقيقة، كما أنّ الخصوصيات الاخرى عن هذا

المخلوق، قد بيّنت لنا عن طريق الوحى الربانى وكتاب اللّه الكريم، ولكن محدودية معلوماتنا لا تعنى السماح لنا أبداً بإنكار هذه الحقائق أو تجاوزها، خاصة بعد ما ثبتت عن طريق الوحى الإلهى. (وسيكون لنا إن شاء اللّه شرح مفصّل حول خلق الجن وخصوصيات هذا المخلوق فى تفسير سورة الجن).

وبعد أن تحدّث عن النعم التى كانت فى بداية خلق الإنسان يكرّر تعالى قوله تعالى:

«فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

فى الآية اللاحقة يستعرض نعمة اخرى، حيث يقول سبحانه: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ».

بما أنّ الشمس فى كل يوم تشرق من نقطة وتغرب من اخرى، وبعدد أيام السنة لها

(۱) سورة الأنعام/ ۲.

(۲) سورة الحجر/ ۲۸.

(۳) سورة الصّافات/ ۱۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶

شروق وغروب، ولكن نظراً للحدّ الأكثر من الميل الشمالى للشمس والميل الجنوبى لها، ففى الحقيقة أنّ للشمس مشرقين ومغربين والبقية بينهما.

إنّ هذا النظام الذى هو سبب وجود الفصول الأربعة له فوائد وبركات كثيرة، ويؤكّد ويكمّل ما مرّ بنا فى الآيات السابقة، وذلك لأنّ الحديث كان عن حساب سير الشمس والقمر، وكذلك عن وجود الميزان فى خلق السماوات، وإجمالًا فإنّه يبيّن النظام الدقيق للخلقة وحركة الأرض والقمر والشمس، وكذلك فإنّه يشير إلى النعم والبركات التى هى موضع استفادة الإنسان. فإنّ اللّه تعالى يؤكّد هذه النعمة بعد نعمة خلق الإنس والجن بقوله: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (۱۹) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (۲۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۱) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ (۲۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۳) وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (۲۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۵) البحار وذخائرها الثمينة: استمراراً لشرح النعم الإلهية يأتى الحديث هنا عن البحار، ولكن ليس عن خصوصيات البحار بصورة عامة، بل عن كيفية خاصة ومقاطع معينة منها تمثّل ظواهر عجيبة وآية على القدرة اللامتناهية للحقّ، بالإضافة إلى ما فيها من النعم التى هى موضع استفادة البشرية. يقول تعالى: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ». ولكن بين هذين البحرين المتلاقيين فاصل يمنع من طغيان وغلبة أحدهما على الآخر: «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ».

المقصود من البحرين هما الماء العذب والماء المالح، وذلك بالاستدلال بقوله تعالى:

«وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا» «۱».

إنّ الأنهار العظيمة ذات المياه العذبة عندما تصبّ فى البحار والمحيطات فإنّها تشكّل بحراً من الماء الحلو إلى جنب الساحل وتطرد الماء المالح إلى الخلف، والعجيب أنّ هذين الماءين لا يمتزجان مع بعضهما لمدة طويلة بسبب اختلاف درجة الكثافة؛ وتثير آلاف الكيلومترات على هذه الصورة.

ومرّة اخرى يخاطب اللّه تعالى عباده فى معرض حديثه عن هذه النعم حيث يسألهم

(۱) سورة الفرقان/ ۵۳.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۷

سبحانه: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

واستمراراً لهذا الحدیث یقول عزّ وجل: «یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَیّ ءَالَاءِ رَبّکَمَا تُکَذّبَانِ».

«اللؤلؤ»: فهو حبّـة شـفافة ثمینـة تنمو فی داخـل الصـدف فی أعمـاق البحار، وکلّما کبر حجمها زاد ثمنها؛ و «المرجان»: فهو کائن حی یشبه الغصن الصـغیر للشـجرة، وینشأ فی أعماق البحار، وکان العلماء یتصورون لفترة زمنیة أنّ هذه الشـجرة نوع من أنواع النباتات، إلّا أنّه اتّضـح فیمـا بعـد أنّه نوع من الحیوانـات. وأفضـل أنواع المرجـان الـذی یسـتعمل للزینـة هو المرجـان ذو اللون الأحمر، وکلّما کان إحمراره أشدّ کانت قیمته أغلی وأثمن.

واسـتمراراً لهـذا القسم من النعم الإلهیة یشـیر سـبحانه إلی موضوع (السـفن) التی هی فی الحقیقة أکبر وأهمّ وسـیلة لنقل البشـر وحمل الأمتعة فی الماضی والحاضر، حیث یقول سبحانه: «وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِی الْبَحْرِ کَالْأَعْلَم».

والظریف هنا أنّه فی الوقت الـذی یعبّر عن السـفن بأنها «منشآت» والتی تحکی أنّها مصـنوعة بواسـطة الإنسان، یقول سـبحانه (وله) أی للّه‌تعالی وهو إشارة إلی أنّ جمیع الخواص التی یسـتفاد منها فی صـناعة السـفن، والتی منحها اللّه للبشـر المخترعین لهذه الصـناعة هی للّه، وکـذلک فإنّه هو الـذی أعطی خاصـیة السـیولة لمیاه البحر والقوة للریاح، وأنّ اللّه تعالی هو الـذی أوجد هذه الخواص فی المواد المتعلّقة بالسفینة.

«أعلام»: جمع (علم) علی وزن (قلم)، بمعنی (جبل) بالرغم من أنّها فی الأصل بمعنی (علامـة وأثر) والذی یخبر عن شـیء معین، ولأنّ الجبال تکون واضحة من بُعد فإنّه یعبّر عنها ب (العلم) کما أنّ لفظة (عَلَم) تطلق أیضاً علی «الرایة».

ومرّة اخری یکرّر سبحانه هذا السؤال العمیق المغزی بقوله تعالی: «فَبِأَیّ ءَالَاءِ رَبّکُمَا تُکَذّبَانِ».

کُلُّ مَنْ عَلَیْهَا فَانٍ (۲۶) وَ یَبْقَی وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِکْرَام (۲۷) فَبِأَیِّ آلَاءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبَانِ (۲۸) یَسْأَلُهُ مَنْ فِی السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ کُلَّ یَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ (۲۹) فَبِأَیِّ آلَاءِ رَبِّکُمَا تُکَذِّبَانِ (۳۰) کل شـیء هالک إلّاوجهه: اسـتمراراً لشـرح النعم الإلهیـة، فی هذه الآیات یضیف سبحانه قوله: «کُلُّ مَنْ عَلَیْهَا فَانٍ». وهنا یتساءل کیف یکون الفناء نعمة إلهیة؟

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۸

وللجواب علی هـذا السؤال نـذکر مـا یلی: یمکن ألّـا یکون المقصود بالفنـاء هنا هو الفناء المطلق، وإنّما هو الباب الـذی یطلّ منه علی عالم الآخرة، والجسـر الـذی لابدّ منه للوصول إلی دار الخلد؛ أو أنّ النعم الإلهیة الکثیرة- المذکور سابقاً- یمکن أن تکون سـبباً لغفلة البعض وإسرافهم فیها بأنواع الطعام والشراب والزینة والملابس والمراکب وغیر ذلک، مما یستلزم تحذیراً إلهیاً للإنسان، بأنّ هذه الدنیا لیست المسـتقر، فالحـذر من التعلق بها، ولابـد من الاسـتفادة من هـذه النعم فی طاعـة اللّه ... إنّ هـذا التنبیه والتذکیر بالرحیل عن هذه الدنیا هو نعمة عظیمة. ویضیف فی الآیة اللاحقة قوله سبحانه: «وَیَبْقَی وَجْهُ رَبّکَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِکْرَام».

«وجه» معناه اللغوی معروف وهو القسم الأمامی للشـیء بحیث یواجهه الإنسان فی الطرف المقابل، وإستعمالها بخصوص لفظ الجلالة یقصد به (الذات المقدسة).

أمّـا «ذُو الْجَلَلِ وَالْإِکْرَام» والـذی هو وصف ل (الوجه) فـإنّه یشـیر إلی صـفات الجمال والجلال للّه‌سـبحانه، لأنّ «ذُو الْجَلَلِ» تنبّئنا عن الصـفات التی یکون اللّه أسـمی وأجلّ منها (الصفات السلبیة). وکلمة «الإکرام» تشیر إلی الصفات التی تظهر حسن وقیمة الشیء، وهی الصفات الثبوتیة للّه‌سبحانه کعلمه وقدرته.

وبنـاءً علی هـذا فـإنّ معنی الآیـة بصورة عامّـة یصبح کالآتی: إنّ الباقی فی هـذا العالم هو الـذات المقدسـة للّه‌سـبحانه، والتی تتّصـف بالصفات الثبوتیة والمنزهة عن الصفات السلبیة.

ثم یخاطب الخلائق مرّة اخری: «فَبِأَیّ ءَالَاءِ رَبّکُمَا تُکَذّبَانِ».

ومضمون الآیة اللاحقة هی نتیجة للآیات السابقة، حیث یقول سبحانه: «یَسْئَلُهُ مَن فِی السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ».

ولماذا لا یکون کذلک فی الوقت الذی یفنی الجمیع ویبقی وحده سبحانه.

التعبير ب (يسأله) جاء بصيغة المضارع، وهو دليل على أنّ السؤال والطلب فى الكائنات مستمر من الـذات الإلهية المقدسة، وهذا شأن الموجود الممكن الذى هو مرتبط بواجب الوجود ليس فى الحدوث فقط، وإنّما فى البقاء أيضاً.

ثم يضيف سبحانه: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ».

إنّ خلقه مستمر، وإجابـاته لحاجات السائلين والمحتاجين لا تنقطع، كما أنّ ابـداعاته مسـتمرّة فيجعل الأقوام يوماً فى قوّة وقـدرة، وفى يوم آخر يهلكهم، ويوماً يعطى السلامة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۹

والشباب، وفى يوم آخر الضعف والوهن، ويوماً يذهب الحزن والهمّ من القلوب وآخر يكون باعثاً له، وخلاصة الأمر أنّه فى كل يوم- وطبقاً لحكمته ونظامه الأكمل- يخلق ظاهرة جديدة وخلقاً وأحداثاً جديدة.

ومرّة اخرى- بعـد هـذه النعم المستمرة والإجابـة لاحتياجـات جميع خلقه من أهل السـماوات والأرض يكرّر قوله سـبحانه: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣۴) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣۵) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣۶) النعم الإلهية التى إستعرضتها الآيات السابقة كانت مرتبطة بهذا العالم، إلّاأنّ الآيات مورد البحث تتحدث عن أوضـاع يوم القيامـة، وخصوصـيات المعاد، وفى الوقت الـذى تحمل تهديـداً للمجرمين، فإنّها وسـيلة لتربيـة وتوعيـة وإيقاظ المؤمنين، بالإضافـة إلى أنّها مشـجّعة لهم للسير فى طريق مرضاته سبحانه، ومن هنا فإنّنا نعتبرها نعمة، لذلك بعد ذكر كل واحدة من هذه النعم يتكرّر نفس السؤال الذى كان يعقّب ذكر كل نعمة من النعم السابقة.

يقول سبحانه فى البداية: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ».

«الثقلان»: من مـادة «ثقـل» على وزن (كبر) بمعنى الحمـل الثقيـل وجـاءت بمعنى الوزن أيضاً، إلّاأنّ «ثقل» على وزن (خبر) تقال عادةً لمتـاع وحمـل المسافرين، وتطلق على جماعـة الإنس والجن وذلك لثقلهم المعنوى، لأنّ اللّه تبارك وتعالى قـد أعطاهم عقلًا وشعوراً وعلماً ووعياً له وزن وقيمة بالرغم من أنّ الثقل الجسدى لهم ملحوظ أيضاً.

وبعد هذا يكرّر اللّه سبحانه سؤاله مرّة اخرى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

وتعقيباً على الآية السابقة التى كانت تستعرض الحساب الإلهى الدقيق، يخاطب الجن والإنس مرّة اخرى بقوله: «يَا مَعْشَرَ الْجِنّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ» للفرار من العقاب الإلهى؛ «فَانفُذُوا لَاتَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ». أى بقوّة إلهيّة، فى حين أنّكم فاقدون لمثل هذه القوّة والقدرة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۰

«معشر»: فى الأصل من «عشر» مأخوذ من عدد «عشرة»، ولأنّ العدد عشرة عدد كامل، فإنّ مصطلح (معشر) يقال: للمجموعة المتكاملة والتى تتكوّن من أصناف وطوائف مختلفة. «أقطار»: جمع «قُطْر» بمعنى أطراف الشيء.

«تنفذوا»: من مادة «نفوذ»، وهى فى الأصل بمعنى خرق وعبور من شيء.

والتعبير (من أقطار) إشارة إلى شقّ السماوات وتجاوزها إلى خارجها.

إنّ الآية أعلاه تتحدث عن الهروب والفرار من يد العدالة الإلهية الذى يفكّر به العاصون فى ذلك اليوم.

فى مجمع البيان: روى مسعدة بن صدقة عن كليب قال: كنا عند أبى عبداللّه عليه السلام، فأنشأ يحدثنا فقال: «إذا كان يوم القيامة جمع اللّه العباد فى صعيد واحد، وذلك أنّه يوحى إلى السماء الدنيا أن اهبطى بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس والملائكـة. ثم يهبط أهل السـماء الثانيـة بمثل الجميع مرتين، فلا يزالون كـذلك حتى يهبط أهل سـبع سـماوات فيصير

الجن والإنس فى سبع سرادقات من الملائكـة ثم ينادى مناد: «يَا مَعْشَرَ الْجِنّ وَالْإِنسِ إِن اسْتَطَعْتُمْ» الآيـة. فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبع أطواق من الملائكة».

ويخاطب سبحانه هاتين المجموعتين (الجن والإنس) بقوله: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

والتهديد هنا لطف إلهى أيضاً، فالبرغم من أنّه يحمل تهديداً ظاهرياً، إلّاأنّه عامل للتنبيه والإصلاح والتربية، حيث إنّ وجود المحاسبة فى كل نظام هو نعمة كبيرة.

وما ورد فى الآيـة اللاحقـة تأكيـد لما تقـدّم ذكره فى الآيات السابقـة، والـذى يتعلق بعـدم قدرة الجن والإنس من الفرار من يد العدالة الإلهية، حيث يقول سبحانه: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ».

«شواظ»: بمعنى (الشعلة العديمة الدخان). إنّ هذا التعبير يشير إلى شدة حرارة النار.

و «نحاس»: بمعنى الـدخان أو (الشـعل ذات اللون الأحمر مصـحوبة بالـدخان)، لأنّها تتحدث عن موجود يحيط بالإنسان فى يوم القيامة ويمنعه من الفرار من حكومة العدل الإلهى.

ثم يضيف سبحانه قوله: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۱

والكلام هنا عن النعم والآلاء من أجل ما ذكرنا من اللطف فى الآية السابقة.

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (۳۷) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۳۸) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (۳۹) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۰) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَام (۴۱) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۲) هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (۴۳) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (۴۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۵) تكملـة للآيات السابقة يتحدث القرآن الكريم عن بعض مشاهد يوم القيامة، والآيات أعلاه تذكر خصوصيات من مشاهد ذلك اليوم الموعود، وعن كيفية الحساب والجزاء والعقاب.

يقول سبحانه فى بداية الحديث: «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدّهَانِ».

ويسـتفاد من مجموع آيات «القيامـة» بصورة واضـحة أنّ النظام الحالى للعالم سوف يتغير ويضـطرب وتقع حوادث مرعبـة جدّاً فى كل الوجود، فتتغير الكواكب والسيارات والأرض والسـماء، وتحصل تغيّرات يصـعب تصورها، ومن جملتها ما ذكر فى الآيـة أعلاه، وهى إنشقاق وتناثر الكرات السماوية، حيث يصبح لونها أحمر بصورة مذابة كالدهن.

ولأنّ الإخبار بوقوع هـذه الحوادث المرعبـة فى يوم القيامة- أو قبلها- تنبيه وإنذار للمؤمنين والمجرمين على السواء، ولطف من ألطاف اللّه سبحانه، يتكرر هذا السؤال: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

وفى الآيـة اللاحقـة ينتقل الحـديث من الحوادث الكونيـة ليوم القيامـة إلى حالـة الإنسان المذنب فى ذلك اليوم، حيث يقول سـبحانه: «فَيَوْمَئِذٍ لَّايُسْئَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ».

وكل شىء واضح، وكل شىء يُقرأ فى وجه الإنسان.

إنّ يوم القيامة يوم طويل جدّاً، وعلى الإنسان أن يجتاز محطّات ومواقف متعددة فيه، حيث لابد من التوقف فى كل محطّة مدة زمنية.

إنّ فى بعض هذه المواقف لا يسأل الإنسان إطلاقاً، كما أنّ بعض المواقف الاخرى لا يسمح له بالكلام، حيث تشهد عليه أعضاء بدنه.

قال تعالى: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۲

وَتُكَلّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» «۱». كما أنّ فى بعض المحطّات يُسأل الإنسان وبدقة متناهية عن كافة أعماله.

ومرّة اخرى يخاطب سبحانه عباده، حيث يقول: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

نعم، إنّه لا يسأل حيث «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ».

ثم يضيف سبحانه: «فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالْأَقْدَامِ».

«النواصى»: جمع ناصية وفى الأصل بمعنى الشعر وما يكون بمقدمة الرأس، من مادة (نصأ) وتعنى الإتصال والإرتباط، «وأخذ بناصيته» بمعنى أخذه من شعره الذى فى مقدمة رأسه، كما تأتى أحياناً كناية عن الغلبة الكاملة على الشيء.

والمعنى الحقيقى للآية المباركة هو أنّ الملائكة تأخذ المجرمين فى يوم القيامة من نواصيهم وأرجلهم، ويرفعونهم من الأرض بمنتهى الذلة ويلقونهم فى جهنم، أو أنّه كناية عن منتهى ضعف المجرمين وعجزهم أمام ملائكة الرحمن، حيث يقذفونهم فى نار جهنم بذلة تامة.

ومرّة اخرى يضيف سبحانه: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ». لأنّ التذكير بيوم القيامة هو لطف منه تعالى.

ثم يقول سبحانه: «هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ».

ويضيف سبحانه فى وصف جهنم وعذابها المؤلم الشديد حيث يقول: «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ».

«آن» و «آنى» هنا بمعنى الماء المغلى وفى منتهى الحرارة والإحراق.

فإنّ المجرمين يحترقون وسط هذا اللهيب الحارق لنار جهنم، ويظمأون ويستغيثون للحصول على ماء يروى ظمأهم، حيث يعطى لهم ماء مغلى (أو يصبّ عليهم) مما يزيد ويضاعف عذابهم المؤلم.

ويستفاد من بعض الآيات القرآنية أنّ (عين حميم) الحارقة تكون بجنب جهنم، ويلقى فيها من يستحق عذابها ثم فى النار يسجرون. قال تعالى: «يُسْحَبُونَ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى

---

(۱) سورة يس/ ۶۵.

النَّارِ يُسْجَرُونَ» «۱».

ومرّة اخرى بعد هذا التنبيه والتحذير الشديد الموقظ، الذى هو لطف من اللَّه يقول البارىء عزّ وجل: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

وَ لِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (۴۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۷) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (۴۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۴۹) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (۵۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۱) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (۵۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۳) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (۵۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۵) الجنّتان اللتان اعدّتا للخائفين: يترك القرآن الكريم وصفه لأهل النار وحالاتهم البائسة لينقلنا إلى صفحة جديدة من صفحات يوم القيامة، ويحدثنا فيها عن الجنة وأهلها، وما أعدّ لهم من النعم فيها، والتى يصوّرها سبحانه بشكل مشوّق ومثير ينفذ إلى أعماق القلوب فى عملية مقارنة لما عليه العاصون من عذاب شديد يحيط بهم والتى تحدثت عنها الآيات السابقة، وما ينتظر المؤمنين من جنّات وعيون وقصور وحور فى الآيات أعلاه، يقول سبحانه: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ جَنَّتَانِ».

وللخوف من اللَّه أسباب مختلفة، فأحياناً يكون بسبب قبح الأعمال وانحراف الأفكار، واخرى بسبب القرب من الذات الإلهية حيث الشعور بالخوف والقلق من الغفلة والتقصير فى مجال طاعة اللَّه، وأحياناً اخرى لمجرد تصورهم لعظمة اللَّه اللامتناهية وذاته اللامحدودة فينتابهم الشعور بالخوف والضعة أمام قدسيته العظيمة ... وهذا النوع من الخوف يحصل من غاية المعرفة للَّهسبحانه، ويكون خاصاً بالعارفين والمخلصين لحضرته.

ومرّة اخرى، وبعد ذكر هذه النعم العظيمة يخاطب الجميع بقوله: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

ثم يضيف سبحانه فى وصفه لهاتين الجنتين بقوله: «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ».

وبعد ذكر هذه النعم يكرّر سبحانه السؤال مرّة اخرى فيقول: «فَبِأَىّ ءَالَاءِ رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ».

ولأنّ البساتين النضرة والأشجار الزاهية ينبغى أن تكون لها عيون، أضاف سبحانه فى وصفه لهذه الجنة بقوله: «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ».

ثم يطرح مقابل هذه النعمة الإضافية قوله: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

---

(۱) سورة غافر/ ۷۱ و ۷۲.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۴

وفى الآية اللاحقة ينتقل البحث إلى فاكهة هاتين الجنّتين حيث يقول سبحانه: «فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ». ثم يضيف سبحانه قوله: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

لقد طرحت فى الآيات السابقة ثلاث صفات لهاتين الجنّتين، وتستعرض الآية التالية الصفة الرابعة حيث يقول تعالى: «مُتَّكِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ».

وهذا التعبير يدلّل على الهدوء الكامل والإستقرار التامّ لدى أهل الجنة.

إنّ أثمن قماش يتصور فى هذه الدنيا يكون بطانة لتلك الفرش، إشارة إلى أنّ القسم الظاهر لا- يمكننا وصفه من حيث الجمال والجاذبية.

وأخيراً، وفى خامس نعمة يشير سبحانه إلى كيفية هذه النعم العظيمة، حيث يقول:

«وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ». «جنى»: على وزن (بقى) وتعنى الفاكهة التى نضج قطفها؛ و «دان» فى الأصل (دانى) بمعنى قريب.

ومرّة اخرى يخاطب الجميع سبحانه بقوله تعالى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ (۵۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۷) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ (۵۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۵۹) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (۶۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۱) الجنة والزوجات الحسان: فى الآيات السابقة ذكرت خمسة أقسام من هبات وخصوصيات الجنتين، وهنا نتطرّق لذكر النعمة السادسة وهى الزوجات الطاهرات، حيث يقول سبحانه: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ». قد قصرن طرفهنّ على أزواجهن، ولم يردن غيرهم. ثم يضيف تعالى: «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» «۱».

فى تفسير مجمع البيان: قال أبو ذرّ: إنّها تقول لزوجها: وعزة ربّى ما أرى فى الجنة شيئاً أحسن منك فالحمد للّهالذى جعلنى زوجتك، وجعلك زوجى.

«طرف»: على وزن (حرف) بمعنى جانب العين، وبما أنّ الإنسان عندما يريد النظر يحرّك

---

(۱) «يطمثهنّ»: من مادة «طمث»، فى الأصل بمعنى دم الدورة الشهرية، وجاءت بمعنى زوال البكارة؛ والمراد هنا أنّ النساء الباكرات فى الجنة لم يكن لهنّ أزواج قطّ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۵

أجفانه، لذا فقد استعمل هذا اللفظ كناية عن النظر، وبناءً على هذا فإنّ التعبير بقاصرات الطرف إشارة إلى النساء اللواتى يقصرن طرفهن على أزواجهن، ويعنى أنّهن يكننّ الحبّ والودّ لأزواجهن فقط، وهذه هى إحدى ميزات الزوجة التى لا تفكّر بغير زوجها ولا تضمر لسواه الودّ.

وفى التعقيب على نعمة الجنة هذه يكرّر قوله تعالى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

ثم يتطرق إلى المزيد من وصف الزوجات الموجودات فى الجنة، حيث يقول: «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ».

ومرّة اخرى، وبعد ذكر هذه النعمة يقول سبحانه: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

وفى نهاية هذا البحث يقول عزّ وجل: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ».

وهل ينتظر أن يجازى من عمل عملًا صالحاً فى الدنيا بغير الإحسان الإلهى؟

يقول الراغب فى المفردات: الإحسان فوق العدل، وذاك أنّ العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله، والإحسان أن يعطى أكثر ممّا عليه ويأخذ أقلّ مما له فالإحسان زائد على العدل ..

ويتكرّر قوله سبحانه مرّة اخرى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

وذلك لأنّ جزاء الإحسان بالإحسان نعمة كبيرة من قبل اللّه تعالى، حيث يؤكّد سبحانه أنّ جزاءه مقابل أعمال عباده مناسب لكرمه ولطفه وليس لأعمالهم، مضافاً إلى أنّ طاعاتهم وعباداتهم إنّما هى بتوفيق اللّه ولطفه، وبركاتها تعود عليهم.

وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (۶۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۳) مُدْهَامَّتَانِ (۶۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۵) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (۶۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۷) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (۶۸) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۶۹) جنتان بأوصاف عجيبة: بعد بيان صفات جنتى الخائفين وخصوصياتهما المتميزة، واستمراراً للبحث ينتقل الحديث فى الآيات التالية عن جنتين بمرتبة أدنى من السابقتين يكونان لأشخاص أقلّ خوفاً وإيماناً باللّه تعالى من الفئة الاولى، حيث إنّ هدف العرض هو بيان سلسلة درجات ومراتب للجنان تتناسب مع الإيمان والعمل الصالح للأفراد.

يقول سبحانه فى البداية: «وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۶

فى تفسير مجمع البيان: فقد روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما».

وفى نفس الموضوع ورد فى حديث آخر: «جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين» «۱». أى من فضة. ثم يضيف سبحانه: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

ثم ذكر القرآن الخصوصيات الخمس لهاتين الجنتين التى تشبه- إلى حد ما- ما ذكر حول الجنتين السابقتين، كما أنّهما تختلفان فى بعض الخصوصيات الاخرى حيث يقول سبحانه:

«مُدْهَامَّتَانِ».

«مدهامتان»: من مادة (أدهيمام) ومن أصل (دهمه) على وزن (تهمه) ومعناها فى الأصل السواد وظلمة الليل، ثم اطلقت على الخضرة الغامقة المعتمة، ولأنّ مثل هذا اللون يحكى عن غاية النضرة للنباتات والأشجار، ممّا يعكس منتهى السرور والإنشراح، لهذا فقد استعمل لهذا المعنى.

ويضيف سبحانه مرّة اخرى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

وفى الآية اللاحقة يصف الجنة وصفاً إضافياً حيث يقول سبحانه: «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ». «نضّاختان»: من مادة (نضخ) بمعنى فوران الماء.

ومرّة اخرى يسأل سبحانه عن الإنس والجن سؤالًا إستنكارياً فيقول: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

وتتحدث الآية التالية حول فاكهة هاتين الجنتين حيث تقول: «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ».

ويكرّر سبحانه السؤال مرّة اخرى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (۷۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۱) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (۷۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۳) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ (۷۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۵) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (۷۶) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۷۷) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (۷۸)

---

(۱) الدرّ المنثور ۶/ ۱۴۶. والتعبير بالذهب والفضة يمكن أن يكون إشارة إلى اختلاف درجة هاتين الجنتين.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۷

زوجات الجنة ... مرّة اخرى: استمرار لشرح نعم الجنتين التى ذكرت فى الآيات السابقة، تتحدث هذه الآيات عن قسم آخر من هذه النعم التى تزخر بها جنان اللَّه التى أعدّها للصالحين من عباده، حيث يقول سبحانه فى البداية: «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ».

تستعمل كلمة (خير) غالباً للصفات الجيدة والجمال المعنوى، أمّا «حسن» فإنّها تستعمل للجمال الظاهر. لذا فإنّ المقصود ب «خَيْرَاتٌ حِسَانٌ» اولئك النسوة اللواتى جمعن بين حسن السيرة، وحسن الظاهر.

وجاء فى الروايات فى تفسير هذه الآية أنّ الصفات الحسنة للزوجات فى الجنة كثيرة ومن جملتها طيب اللسان والنظافة والطهارة، وعدم الإيذاء، وعدم النظر للرجال الأجانب.

ومرّة اخرى يكرّر السؤال نفسه بقوله تعالى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

ثم يضيف مستمراً فى وصف الزوجات فى الجنة: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ».

«حور»: جمع حوراء وأحور، وتطلق على الشخص الذى يكون سواد عينه قاتماً وبياضها ناصعاً، وأحياناً تطلق على النساء اللواتى يكون لون وجوههن أبيض.

والتعبير ب «مقصورات» إشارة إلى أنّهن مرتبطات ومتعلقات بأزواجهن ومحجوبات عن الآخرين.

ومرّة اخرى يكرّر السؤال نفسه بقوله تعالى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

ويضيف سبحانه وصفاً آخر لحوريات الجنة، حيث يقول: «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ».

ويستفاد من الآيات القرآنية أنّ الزوجين المؤمنين فى هذه الدنيا سيلتحقان فى الجنة مع بعضهما ويعيشان فى أفضل الحالات.

ويستفاد أيضاً من الروايات أنّ درجة ومقام زوجات المؤمنين الصالحات أعلى وأفضل من حوريات الجنة وذلك بما قمن به فى الدنيا من صالح الأعمال وعبادة اللَّه سبحانه.

ثم يضيف تعالى: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

وفى آخر وصف للنعم الموجودة فى هذه الجنة يذكر سبحانه تعالى: «مُتَّكِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ».

«رفرف»: فى الأصل بمعنى الأوراق الواسعة للأشجار، ثم اطلقت على الأقمشة الملوّنة الزاهية التى تشبه مناظر الحدائق.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۸

«عبقرى»: فى الأصل بمعنى كل موجود قلّ نظيره.

و «حسان»: جمع «حسن» على وزن «نسب» بمعنى جيّد ولطيف.

فإنّ هذه التعابير حاكية جميعاً عن أنّ كل موجودات الجنة لا نظير له ولا شبيه فى نوعه.

وللمرّة الأخيرة وهى (الحادية والثلاثون) يسأل سبحانه جميع مخلوقاته من الجن والإنس هذا السؤال: «فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

هل النعم المعنوية؟ أم النعم الماديّة؟ أم نعم هذا العالم؟ أم الموجودة فى الجنة؟ إنّ كل هذه النعم شملت وجودكم وغمرتكم ... إلّاأنّه- مع الأسف- قد أنساكم غروركم وغفلتكم هذه الألطاف العظيمة، ومصدر عطائها وهو اللَّه سبحانه الذى أنتم بحاجة مستمرّة إلى نعمه فى الحاضر والمستقبل ... فأيّاً منها تنكرون وتكذّبون؟

ويختم السورة سبحانه بهذه الآية الكريمة: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ».

«تبارك»: من أصل (برك) بمعنى صدر البعير، وذلك لأنّ الجمال حينما تبرك تضع صدرها على الأرض أوّلًا، ومن هنا استعمل هذا المصطلح بمعنى الثبات والدوام والاستقامة، لذا فإنّ كلمة (مبارك) تقال للموجودات الكثيرة الفائدة، وأكرم من تطلق عليه هذه الكلمة هى الذات الإلهية المقدسة باعتبارها مصدراً لجميع الخيرات والبركات.

واستعملت هذه المفردة هنا لأنّ جميع النعم الإلهية- سواء كانت فى الأرض والسماء فى الدنيا والآخرة والكون والخلق- فهى من فيض الوجود الإلهى المبارك، لذا فإنّ هذا التعبير من أنسب التعابير المذكورة فى الآية لهذا المعنى.

والملفت للنظر هنا أنّ هـذه السورة بـدأت باسم اللَّه (الرحمن) وانتهت باسم اللَّه ذى الجلال والإكرام) وكلاهما ينسـجمان مع مجموعة مواضيع السورة.

«نهاية تفسير سورة الرحمن»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۶۹

۵۶. سورة الواقعة

محتوى السورة: إنّ سورة الواقعة نزلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكانت قبلها سورة (طه) وبعدها (الشعراء) «۱».

هذه السورة- كما هو واضح من لحنها، وذكره المفسـرون أيضاً- نزلت فى مكة، بالرغم من أنّ بعضهم قال: إنّ الآيتين (۸۱ و ۸۲) نزلتا فى المدينة، إلّاأنّ هذا الإدعاء ليس له دليل، كما أنّ محتوى الآيتين الكريمتين لا يساعدان على ذلك أيضاً.

وسورة الواقعة- كما هو واضح من إسمها- تتحدث عن القيامة وخصوصياتها، ولذا فإنّ هذا الموضوع هو الأساس فى البحث.

إلّا أنّنا نستطيع أن نلخّص موضوعات السورة فى ثمانية أقسام:

۱- بداية ظهور القيامة والحوادث المرعبة المقترنة بها.

۲- تقسيم أنواع الناس فى ذلك اليوم إلى ثلاثة طوائف: (أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والمقربين).

۳- بحث مفصل حول مقام المقربين، وأنواع الجزاء لهم فى الجنة.

---

(۱) الفهرست للنديم/ ۲۸.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۰

۴- بحث مفصل حول القسم الثانى فى الناس وهم أصحاب اليمين، وأنواع الهبات الإلهية الممنوحة لهم.

۵- بحث حول أصحاب الشمال وما ينتظرهم من جزاء مؤلم فى نار جهنم.

۶- بيان أدلـة مختلفـة حول مسألـة المعاد من خلال بيان قدرة اللَّه عزّ وجل، وخلق الإنسان من نطفة حقيرة، وظهور الحياة فى النباتات، ونزول المطر، إشتعال النار.

۷- وصف حالة الاحتضار والإنتقال من هذا العالم إلى حيث العالم الاخروى والتى تعتبر من مقدمات يوم القيامة.

۸- وأخيراً نظرة إجمالية كلية حول جزاء المؤمنين وعقاب الكافرين.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من قرأ سورة الواقعة، كتب ليس من الغافلين». وذلك لأنّ آيات هذه السورة تتّصف بالتحريك والإيقاظ بصورة لا تسمح للإنسان أن يبقى فى جوّ الغفلة.

وفى ثواب الأعمال عن الإمام الصادق عليه السـلام قال: «من قرأ فى كل ليلـة جمعة الواقعة أحبّه اللَّه وأحبّه إلى الناس أجمعين، ولم ير فى الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا فاقة، ولا آفة من آفات الدنيا، وكان من رفقاء أمير المؤمنين عليه السلام».

ومن الواضـح أنّنـا لاـ نسـتطيع الحصول على جميع البركـات التى وردت لهـذه السورة بالقراءة السـطحية، بل ينبغى بعـد تلاوتها التفكر والتدبر، ومن ثم الحركة والعمل.

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (۱) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (۲) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (۳) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً (۴) وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً (۵) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً (۶) وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً (۷) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (۸) وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (۹) وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

(۱۰) أولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ (۱۱) فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ (۱۲) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِینَ (۱۳) وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرِینَ (۱۴) الواقعة العظیمة: إنّ الأحداث المرتبطة بالقیامة تذکر غالباً فی القرآن الکریم مقترنة بحوادث أساسیة عظیمة قاصمة ومدمّرة، وهذا ما یلاحظ فی الکثیر من السور القرآنیة التی

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۱

تتحدث عن القیامة؛ وفی سورة الواقعة، نجد هذا واضحاً فی الآیات الاولی منها، حیث یبدأ سبحانه بقوله: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ». «لَیْسَ لِوَقْعَتِهَا کَاذِبَةٌ». وذلک لأنّ الحوادث التی تسبقها عظیمة وشدیدة بحیث تکون آثارها واضحة فی کل ذرات الوجود.

فإنّ الحشر لا یقترن بتغییر الکائنات فحسب، بل إنّ البشر یتغیّر کذلک کما یقول سبحانه فی الآیة اللاحقة: «خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ».

أجل، بعض یسقط إلى قاع جهنم، وبعض آخر إلى أعلى علیین فی الجنة.

وفی الخصال عن الإمام علی بن الحسین علیهما السلام فی تفسیر هذه الآیة أنّه قال: «خافضة خفضت واللَّه بأعداء اللَّه فی النار، رافعة رفعت واللَّه أولیاء اللَّه إلى الجنة».

ثم یستعرض القرآن الکریم وصفاً أوسع فی هذا الجانب حیث یقول: «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا».

یا له من زلزال عظیم وشدید إلى حدّ أنّ الجبال فیه تندکّ وتتلاشى. قال تعالى: «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا* فَکَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا».

«رُجّت»: من مادة «رجّ» على وزن (حجّ) بمعنى التحرّک الشدید للشیء وتقال رجرجة للإضطراب؛ و «بُسّت»: من مادة «بسّ» على وزن (حجّ) والأصل بمعنى تلیّن الطحین وتعجنه بواسطة الماء؛ و «هباءً»: بمعنى غبار؛ و «منبث»: بمعنى منتشر.

وبعد بیان وقوع هذه الظاهرة العظیمة والحشر الکبیر یستعرض القرآن المجید ذکر حالة الناس فی ذلک الیوم، حیث قسّم الناس إلى ثلاثة أقسام بقوله سبحانه: «وَکُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَثَةً».

وحول القسم الأوّل یحدّثنا القرآن الکریم بقوله: «فَأَصْحَابُ الْمَیْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَیْمَنَةِ». والمقصود من أصحاب المیمنة هم الأشخاص الذین یعطون صحیفة أعمالهم بأیدیهم الیمنى، وهذا الأمر رمز لأهل النجاة، ودلیل الأمان للمؤمنین والصالحین فی یوم القیامة، کما ذکر هذا مراراً فی الآیات القرآنیة.

عبارة «ما أصحاب المیمنة» هو بیان حقیقة السعادة التی لیس لها حدّ ولا یمکن تصوّرها لهؤلاء المؤمنین.

ثم یستعرض اللَّه تعالى المجموعة الثانیة بقوله: «وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۲

الْمَشْئَمَةِ». حیث الشؤم والتعاسة، وإستلام صحائف أعمالهم بأیدیهم الیسرى التی هی رمز سوء عاقبتهم وعظیم جرمهم وجنایتهم، نتیجة عمى البصیرة والسقوط فی وحل الضلال. والتعبیر ب «ما أصحاب المشئمة» هو الآخر یعکس نهایة سوء حظّهم وشقاوتهم.

وأخیراً یصف المجموعة الثالثة أیضاً بقوله سبحانه: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ».

(السابقون) لیسوا الذین سبقوا غیرهم بالإیمان فحسب، بل فی أعمال الخیر والأخلاق والإخلاص، فهم اسوة وقدوة وقادة للناس، ولهذا السبب فهم من المقربین إلى الحضرة الإلهیة.

وإذا فسّرت (السابقون) کما فی بعض الروایات الإسلامیة بأنّها تعنی الأشخاص الأربعة وهم «هابیل»، و «مؤمن آل فرعون»، و «حبیب النجار» الذین تمیّز کل منهم بأسبقیته فی قومه، وکذلک «أمیر المؤمنین» علیه السلام الذی هو أوّل من دخل فی الإسلام من الرجال، فإنّ هذا التفسیر هو بیان للمصادیق الواضحة، ولیس تحدیداً لمفهوم الآیة.

ثم یوضّح المقام العالی للمقربین، حیث یقول سبحانه: «فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ».

التعبیر ب «جَنَّاتِ النَّعِیمِ» یشمل أنواع النعم المادیة والمعنویة.

ویشیر فی الآیة اللاحقة إلى الحالة العددیة فی الامم السابقة وفی هذه الامة أیضاً حیث یقول سبحانه: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِینَ». أی أنّهم جماعة

كثيرة فى الامم السالفة والأقوام الاولى.

«وَقَلِيلٌ مِّنَ الْأَخِرِينَ».

وطبقاً لهاتين الآيتين فإنّ قسماً كبيراً من المقربين هم من الامم السابقة، وقسم قليل منهم فقط هم من امة محمّد صلى الله عليه و آله.

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (۱۵) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (۱۶) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (۱۷) بِأَكْوَابٍ وَ أَبَارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (۱۸) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لَا يُنْزِفُونَ (۱۹) وَ فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (۲۰) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (۲۱) وَ حُورٌ عِينٌ (۲۲) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (۲۳) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (۲۴) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَ لَا تَأْثِيماً (۲۵) إِلَّا قِيلًا سَلَاماً سَلَاماً (۲۶) الجنة بإنتظار المقربين: هذه الآيات تتحدث عن أنواع نعم الجنة التى أعدّها اللّه

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۳

سبحانه للقسم الثالث من عباده المقربين، والتى كل واحدة منها أعظم من اختها وأكرم ..

وقد لخّصت هذه النعم بسبعة أقسام:

يقول تعالى فى البداية: «عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ* مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ».

«سرر»: جمع «سرير» من مادة (سرور) بمعنى التخت الذى يجلس عليه المنعّمين فى مجالس الانس والسرور.

ونلاحظ استمرار الأوصاف الرائعة فى القرآن الكريم لسرر الجنة، ومجالس أهلها، ومنتديات أحبّتها مما يدل على أنّ من أهم نعم وملذات هؤلاء هى جلسات الانس هذه ..

ثم يتحدث سبحانه عن نعمة اخرى لهم حيث يقول: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ».

التعبير ب «يطوف» من مادة (طواف) إشارة إلى استمرار خدمة هؤلاء (الطوافين) لضيوفهم.

والتعبير ب «مخلّدون» إشارة إلى خلود شبابهم ونشاطهم وجمالهم وطراوتهم، والأصل أنّ جميع أهل الجنة مخلّدون وباقون.

ويضيف القرآن أنّ هؤلاء الولدان يقدّمون لأصحاب الجنة أقداح الخمر وكؤوس الشراب المأخوذ من أنهار الجنة: «بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ» «۱».

وشرابهم هذا ليس من النوع الذى يأخذ لباب العقل والفكر، حيث يقول تعالى: «لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ» «۲».

إنّ الحالة التى تنتابهم من النشوة الروحية حين تناولهم لهذا الشراب لا يمكن أن توصف، إذ تغمر كل وجودهم بلذة ليس لها مثيل.

ثم يشير سبحانه إلى رابع وخامس قسم من النعم المادية التى وهبها اللّه للمقربين فى الجنة، حيث يقول سبحانه: «وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ». «وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ».

---

(۱) «أكواب»: جمع «كوب» بمعنى القدح أو الإناء الذى لا- عروة له؛ و «أباريق»: جمع «إبريق» وهى فى الأصل اخذت من الفارسية (أبريز) بمعنى الأوانى ذات اليد من جهة، ومن الاخرى ذات أنبوب لصبّ السائل؛ و «كأس»: تقال للإناء المملوء بالسائل لدرجة يفيض من جوانبه؛ و «معين» من مادة «معن» بمعنى الجارى.

(۲) «يصدّعون»: من مادة «صداع» على وزن (حباب)، بمعنى وجع الرأس، وهذا المصطلح فى الأصل من (صدع) بمعنى (الإنفلاق) لأنّ الإنسان عندما يصاب بوجع رأس شديد فكأنّ رأسه يريد أن ينفلق من شدّة الألم، لذا فإنّ هذه الكلمة قد استعملت فى هذا المعنى؛ و «ينزفون»: من أصل «نزف» بمعنى سحب جميع مياه البئر بصورة تدريجيّة، وتستعمل أيضاً حول (السُكْرُ) وفقدان العقل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۴

إنّ تقديم الفاكهة على اللحم بلحاظ كون الفاكهة أفضل من الناحية الغذائية بالإضافة إلى نكهتها الخاصة عند أكلها قبل الطعام. والذى يستفاد من بعض الروايات أنّ غصون أشجار الجنة تكون فى متناول أيدى أهل الجنة، بحيث يستطيعون بكل سهولة أن يتناولوا

أی نوع من الفاكهـة مباشـرة، وهكـذا الحال بالنسـبة لبقيّة الأغذيـة الموجودة فی الجنة، إلّاأنّ مما لا شك فيه أنّ تقديم الغذاء من قبل (الولدان المخلّدين) له صفاء خاص ولطف متميز حيث إنّ تقديم الطعام يعبّر عن مزيد الإحترام والإكرام لأهل الجنة.

ثم يشير سبحانه إلى سادس نعمة وهی الزوجات الطاهرات الجميلات، حيث يقول سبحانه: «وَحُورٌ عِينٌ». «كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُوِ الْمَكْنُونِ».

«حور»: جمع حوراء وأحور، ويقال للشـخص الـذی يكون سواد عينه شديـداً وبياضـها شـفافاً؛ و «عين»: جمع عيناء وأعين، بمعنى العين الواسعة.

«مكنون»: بمعنى مسـتور، والمقصود هنا الاسـتتار فی الصـدف. أنّهن مسـتورات عن أعين الآخرين بصورة تامـة، لا يـد تصل إليهن ولا عين تقع عليهن.

وبعد الحديث عن هذه المنح، والعطايا المادية الستّة، يضيف سبحانه: «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». كی لا يتصور أحد أنّ هذه النعم تعطى جزافاً، بـل إنّ الإيمان والعمل الصالـح هو السبيل لنيلها والحصول عليها، حيث يلزم للإنسان العمل المسـتمر الخالص حتى تكون هـذه الألطاف الإلهية من نصيبه.

ويلاحظ بأنّ (يعملون) فعل مضارع يعطی معنى الإستمرار.

ويتحـدث القرآن الكريم عن سابع نعمـة من نعم أهل الجنـة، وهی التی تتسّم بالطابع الروحی المعنوی، حيث يقول تعالى: «لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا».

فالجوّ هناك جوّ نزيه خالص بعيـد عن الـدنس، فلا كذب، ولا تهم، ولا إفتراءات، ولااسـتهزاء ولا غيبة ولا ألفاظ نابية وعبارات لاذعة ... وليس هنالك لغو ولا كلام فارغ.

ثم يضيف سبحانه: «إِلَّا قِيلًا سَلمًا سلمًا».

سلام وتحيـة من اللَّه، ومن الملائكة المقربين، وسـلامهم وتحيّتهم لبعضـهم البعض فی تلك المجالس العامرة المملوءة بالصـفاء والتی تفيض بالودّ والاخوّة والصدق.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۵

وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (۲۷) فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ (۲۸) وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ (۲۹) وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ (۳۰) وَ مَاءٍ مَسْكُوبٍ (۳۱) وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (۳۲) لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ (۳۳) وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (۳۴) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (۳۵) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (۳۶) عُرُباً أَتْرَاباً (۳۷) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (۳۸) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (۳۹) وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (۴۰) أصحاب اليمين وهباتهم: بعد بيان الهبات والنعم الماديّة والمعنوية (للمقرّبين) يأتی الدور فی الحديث عن (أصحاب اليمين)، ويشير سبحانه إلى نعم ستّ، ممّا أنعم به عليهم تمثّل مرحلة أدنى فی مقابل سبع نِعم منحها سبحانه إلى المقرّبين من عباده.

تبدأ الآيات فی الحديث عنهم أوّلًا من حيث مقامهم العالی، حيث يقول عزّ وجل:

«وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ».

إنّ هذا الوصف هو أروع وصف لهؤلاء، لأنّ هذا التعبير يستعمل فی موارد لا تسـتطيع الألفاظ التعبير عنه، وهو تعبير عن المقام العالی لأصحاب اليمين.

وتشير الآية اللاحقة إلى أوّل نعمة منحت لهذه الجماعة، حيث تقول: «فِی سِدْرٍ مَّخْضُودٍ».

وفی تفسير روح المعانی: كان أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقولون: إنّ اللَّه تعالى ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابی يوماً، فقال: يا رسول اللَّه! لقد ذكر اللَّه فی القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أنّ فی الجنة شجرة تؤذی صاحبها؟

قال: «وما هی». قال: السدر، فإنّ له شوكاً.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أليس اللَّه يقول: فی سـدر مخضود، خضـد اللَّه شوكه فجعل مكان كل شوكـة ثمرة، وأنّ الثمرة

من ثمره تفتق اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر».

ثم يأتى الحديث عن ثانى هبة لهم حيث يقول سبحانه: «وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ».

«الطلح»: شجرة خضراء لطيفة اللون والرائحة، وذكر البعض أنّها شجرة الموز التى تتميّز بأوراق عريضة وخضراء وجميلة، وفاكهتها حلوة ولذيذة.

و «منضود»: من مادة (نضد) بمعنى متراكم.

وقال بعض المفسرين: بالنظر إلى أنّ أوراق شجر السدر فى غاية الصغر، وأوراق شجر

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۶

الموز فى غاية الكبر فقوله تعالى «فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ» اشارة إلى ما يكون ورقه فى غاية الصغر من الأشجار وإلى ما يكون ورقه فى غاية الكبر منها فوقعت الإشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظراً إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر «۱».

ثم يستعرض سبحانه ذكر النعمة الثالثة من نعم أهل اليمين بقوله: «وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ».

فسّر البعض هذا (الظل الواسع) بحالة شبيهة للظل الذى يكون ما بين الطلوع الفجر إلى طلوع الشمس من حيث إنتشاره فى كل مكان، وقد نقل حديث للرسول صلى الله عليه و آله بهذا المعنى فى روضة الكافى «۲».

وينتقل الحديث إلى مياه الجنة حيث يقول سبحانه: «وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ».

«مسكوب»: من مادة «سكب» تعنى فى الأصل الصبّ، ولأنّ صبّ الماء يكون من الأعلى إلى الأسفل بصورة تيّار أو شلّال فهى إحدى الهبات التى منحها اللَّه لأهل الجنة.

ومن الطبيعى أنّ هذه الجنة المليئة بالأشجار العظيمة، والمياه الجارية، لابدّ أن تكون فيها فواكه كثيرة، وهذا ما ذكرته الآية الكريمة، حيث يقول سبحانه فى ذكر خامس نعمة:

«وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لَّامَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ».

نعم، ليست كفواكه الدنيا من حيث محدوديتها فى فصول معيّنة من أسابيع أو شهور.

ثم يشير سبحانه إلى نعمة اخرى حيث يقول: «وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ». أى الزوجات الرفيعات القدر والشأن.

«فرش»: جمع فراش وتعنى فى الأصل كل فراش يفرش ولهذا التناسب فإنّها تستعمل فى بعض الأحيان كناية عن الزوج (سواء كان رجلًا أو امرأة).

ويصف القرآن الكريم زوجات الجنة بقوله تعالى: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً».

وهذه الآية لعلّها تشير إلى الزوجات المؤمنات فى هذه الدنيا حيث يمنحهنّ اللَّه سبحانه خلقاً جديداً فى يوم القيامة، ويدخلن الجنة وهنّ فى قمّة الحيوية والشباب والجمال والكمال الظاهر والباطن، وبشكل يتناسب مع كمال الجنة وخلوّها من كل نقص وعيب.

ثم يضيف تعالى: «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا».

واحتمال أن يكون الوصف مستمرّاً، كما صرّح كثير من المفسرين بذلك، واشير له فى

---

(۱) التّفسير الكبير، الفخر الرازى ۲۹/ ۱۶۲.

(۲) روضة الكافى ۸/ ۹۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۷

الروايات الإسلامية أيضاً، حيث الزواج لا يغيّر وضعهن ويبقين أبكاراً «۱».

ويضيف فى وصفهن بوصف آخر فيقول تعالى: «عُرُبًا».

«عُرُباً»: جمع «عروبة» بمعنى المرأة التى يحكى وضع حالها عن مقام عفّتها وطهارتها، وعمّا تكنّه من المحبة لزوجها؛ و «إعراب»: معناه هو نفس مدلول الإظهار، ويأتى هذا المصطلح أيضاً بمعنى الفصاحة ولطافة الكلام، ويمكن جمع المعنيين فى هذه الآية.

والوصف الآخر لهن: «أَتْرَابًا». أى: أنّها متماثلات فى الجمال وأتراب فى الظاهر والباطن، ومتماثلات فى العمر مع أزواجهن.

«أتراب»: جمع «ترب» بمعنى المثل والشبيه. إنّ هذا الشبه والتماثل يمكن أن يكون فى أعمار الزوجات بالنسبة لأزواجهن، كى يدركن إحساسات ومشاعر أزواجهن كاملة.

ثم يضيف تعالى: «لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ».

وهذا تأكيد جديد على إختصاص هذه الصفات والنعم الإلهية بهم.

وفى نهاية هذا العرض يقول سبحانه: «ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْأَخِرِينَ».

«ثلّة»: فى الأصل بمعنى قطعة مجتمعة من الصوف، ثم اطلقت على كل مجموعة من الناس عظيمة ومتماسكة، وبهذا الترتيب فإنّ مجموعة عظيمة من أصحاب اليمين هم من الامم السابقة، ومجموعة عظيمة من الامة الإسلامية، لأنّ بين المجموعتين كثير من الصالحين والمؤمنين، بالرغم من أنّ السابقين للإيمان فى الامة الإسلامية أقلّ من السابقين للإيمان فى الامم السابقة، وذلك لكثرة تلك الامم وكثرة أنبيائها.

وَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (۴۱) فِى سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ (۴۲) وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (۴۳) لَا بَارِدٍ وَ لَا كَرِيمٍ (۴۴) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ (۴۵) وَ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (۴۶) وَ كَانُوا يَقُولُونَ أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (۴۷) أَ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (۴۸) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ (۴۹) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۵۰) العقوبات المؤلمة لأصحاب الشمال: بعد الاستعراض الذى مرّ بنا حول النعم والهبات العظيمة التى منحها اللّه سبحانه للمقربين من عباده ولأصحاب اليمين من أوليائه، يتطرق

---

(۱) روح المعانى ۲۷/ ۱۴۲.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۸

الآن إلى ذكر المجموعة الثالثة (أصحاب الشمال) والعذاب المؤلم والعاقبة السيئة التى حلّت بهم، فى عملية مقارنة لوضع المجموعات الثلاثة، حيث يقول البارىء: «وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ». أصحاب الشمال هم الذين يستلمون صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى إشارة إلى سوء عاقبتهم، وأنّهم من أهل المعاصى والذنوب.

ثم يشير سبحانه إلى ثلاثة أنواع من العقوبات التى يواجهونها، الهواء الحارق القاتل من جهة: «فِى سَمُومٍ»، والماء المغلى المهلك من جهة اخرى: «وَحَمِيمٍ»، وظل الدخان الخانق الحارّ من جهة ثالثة: «وَظِلّ مِّن يَحْمُومٍ».

هذه الألوان من العذاب تحاصرهم وتطوقهم وتسلب منهم الصبر والقدرة.

ثم يضيف البارىء مؤكّداً فيقول: «لَّابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ».

المظلة عادةً تحمى الإنسان من الشمس والمطر والهواء ولها منافع اخرى، والظل المشار إليه فى الآية الكريمة ليس له من هذه الفوائد شىء يذكر.

ومن الطبيعى أنّ مظلّة من الدخان الأسود الخانق لا ينتظر منها إلّاالشر والضرر.

وبالرغم من أنّ جزاء أهل النار له أنواع مختلفة مرعبة من العذاب، إلّاأنّ ذكر الأقسام الثلاثة يكفى لإعطاء فكرة عن بقية الأهوال.

وفى الآيات اللاحقة يذكر الأسباب التى أدّت بأصحاب الشمال إلى هذا المصير المخيف والمشؤوم، وذلك بثلاث جمل: أ) يقول سبحانه وتعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ».

«مترف»: من مادة «ترف» بمعنى التنعّم، وتطلق على الشخص الذى ملكته الغفلة وجعلته مغروراً سكراناً، وجرّته إلى الطغيان.

صحیح أنّ أصحاب الشمال لیسوا جمیعاً من زمرة المترفین، إلّاأنّ المقصودین فی القرآن الکریم هم أربابهم وأکابرهم.

ب) ثم یشیر سبحانه إلی العامل الذی کان مصدراً وسبباً لعذاب أصحاب الشمال، فیقول سبحانه: «وَکَانُوا یُصِرُّونَ عَلَی الْحِنثِ الْعَظِیمِ».

«الحنث»: فی الأصل یعنی کل نوع من الذنوب. فإنّ خصوصیة أصحاب الشمال لیس فقط فی إرتکاب الذنوب ولکن فی الإصرار علیها.

ج) وثالث عمل سبب لهم هذا الویل والعذاب، هو أنّهم قالوا: «وَکَانُوا یَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَکُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۷۹

وعلی هذا فإنّ إنکار القیامة والذی هو بحدّ ذاته مصدر للکثیر من الذنوب، هو وصف آخر لأصحاب الشمال، ومصدر لشقائهم. وتعبیر «کَانُوا یَقُولُونَ» یوضّح لنا أنّهم کانوا یصرّون ویعاندون فی إنکار یوم القیامة أیضاً.

إنّ الذنوب الثلاثة التی اشیر إلیها فی الآیات الثلاثة السابقة کانت بمثابة نفی اصول الدین الثلاثة من قبل أصحاب الشمال.

ففی آخر آیة تحدّث القرآن الکریم عن تکذیبهم لیوم القیامة، وفی الآیة الثانیة عن إنکار التوحید، وفی الآیة الاولی کان الحدیث عن المترفین وهی إشارة إلی تکذیب الأنبیاء.

إنّهم لم یکتفوا بما ذکروا وذهبوا إلی أکثر من ذلک حیث قالوا بتعجب: «أَوَ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ».

ثم إنّ القرآن الکریم یأمر الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله أن یجیبهم: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِینَ وَالْآخِرِینَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَی مِیقَاتِ یَوْمٍ مَّعْلُومٍ».

«میقات»: من مادة «وقت» بمعنی الزمان الذی یحدّد لعمل ما أو موعد. والمقصود من المیقات هنا هو نفس الوقت المقرر للقیامة.

ویستفاد من التعابیر المختلفة التی وردت فی الآیة السابقة والتأکیدات العدیدة حول مسألة الحشر، أنّ حشر جمیع الناس ینجز فی یوم واحد.

ولابدّ من الإشارة هنا إلی أنّ معلومیة یوم القیامة هی عند اللّه فقط، وإلّا فإنّ جمیع البشر بما فیهم الأنبیاء والمرسلون والمقربون والملائکة لیس لهم علم بتوقیتها.

ثُمَّ إِنَّکُمْ أَیُّهَا الضَّالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ (۵۱) لَآکِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (۵۲) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (۵۳) فَشَارِبُونَ عَلَیْهِ مِنَ الْحَمِیمِ (۵۴) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِیمِ (۵۵) هذَا نُزُلُهُمْ یَوْمَ الدِّینِ (۵۶) عقوبات جدیدة للمجرمین: هذه الآیات استمرار للأبحاث المرتبطة بعقوبات أصحاب الشمال، حیث یخاطبهم بقوله: «ثُمَّ إِنَّکُمْ أَیُّهَا الضَّالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ لَأَکِلُونَ مِن شَجَرٍ مّن زَقُّومٍ».

«زقّوم»: نبات مرّ نتن الرائحة وطعمه غیر مستساغ، وفیه عصارة إذا دخلت جسم الإنسان یصاب بالتورّم، وتقال أحیاناً لکل نوع من الغذاء المنفّر لأهل النار.

وجملة «فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ» إشارة إلی الجوع الشدید الذی یصیبهم بحیث إنّهم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۰

یأکلون بنهم وشره من هذا الغذاء النتن وغیر المستساغ جدّاً فیملؤون بطونهم. وعند تناولهم لهذا الغذاء السیء یعطشون ولکن ما هو شرابهم! یتبیّن ذلک فی قوله تعالی: «فَشَارِبُونَ عَلَیْهِ مِنَ الْحَمِیمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِیمِ».

إنّ البعیر الذی یبتلی بداء العطش فإنّ شدة عطشه تجعله یشرب الماء باستمرار حتی یهلک، وهذا هو نفس مصیر «الضَّالُّونَ الْمُکَذّبُونَ» فی یوم القیامة.

وفی آخر آیة- مورد البحث- یشیر سبحانه إلی طبیعة مأکلهم ومشربهم فی ذلک الیوم حیث یقول: «هذَا نُزُلُهُمْ یَوْمَ الدّینِ».

ومن الطبیعی أنّ أهل النار لیسوا ضیوفاً، وأنّ الزقّوم والحمیم لیس وسیلة لضیافتهم بل هو نوع من الطعن فیهم، وأنّه إذا کان کل هذا العذاب هو مجرد استقبال لهم، فکیف بعد ذلک سیکون حالهم.

نَحْنُ خَلَقْنَاکُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ (۵۷) أَ فَرَأَیْتُمْ مَا تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ

بِمَسْبُوقِينَ (۶۰) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (۶۱) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ (۶۲) سبعة أدلة على المعاد: بما أنّ الآيات السابقة تحدثت عن تكذيب الضالين ليوم المعاد، فإنّ الآيات اللاحقة استعرضت سبعة أدلة على هذه المسألة المهمة، كى يتركّز الإيمان وتطمئن القلوب بالوعود الإلهية التى وردت فى الآيات السابقة حول «المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال». يقول سبحانه فى المرحلة الاولى: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ».

أى لِمَ لا تصدّقون بالمعاد؟! لماذا تتعجبون من الحشر والمعاد الجسمى بعد أن تصبح أجسامكم تراباً؟ ألم نخلقكم من التراب أوّل مرّة؟ أليس حكم الأمثال واحداً؟

وفى الآية اللاحقة يشير البارىء إلى دليل ثان حول هذه المسألة فيقول: «أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ».

وهل أنّ القادر على الخلق المتكرر يعجز عن إحياء الموتى فى يوم القيامة؟

ثم يستعرض ذكر الدليل الثالث حيث يقول سبحانه: «نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۱

إنّنا لن نغلب أبداً، وإذا قدّرنا الموت فلا يعنى ذلك أنّنا لا نستطيع أن نمنح العمر السرمدى، بل إنّ الهدف هو أن نذهب بقسم من الناس ونأتى بآخرين محلّهم، وأخيراً نعيدكم خلقاً جديداً فى عالم لا تعلمون عنه شيئاً: «عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ».

ويمكن توضيح الدليل بالصورة التالية: إنّ اللّه الحكيم الذى خلق الإنسان وقدّر له الموت فطائفة يموتون وآخرين يولدون باستمرار، من البديهى أنّ له هدف.

فإذا كانت الحياة الدنيا هى الهدف فالمناسب أن يكون عمر الإنسان خالداً وليس بهذا المقدار القصير المقترن مع ألوان الآلام والمشاكل.

وسنّة الموت تشهد أنّ الدنيا معبراً وليست منزلًا وأنّها جسر وليست مقصداً، لأنّها لو كانت مستقرّاً ومقصداً للزم أن تدوم الحياة فيها.

وفى آخر آية- مورد البحث- يتحدث سبحانه عن رابع دليل للمعاد حيث يقول: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ».

هذا الدليل نستطيع بيانه بصورتين:

الاولى: إنّ خلق هذه الدنيا العظيمة وما فيها هل يمكن أن يكون لهدف صغير محدود، كأن يعيش الإنسان فيها بضعة أيام؟ كلّا ليس كذلك، وإلّا فإنّه يعنى أنّ خلق العالم سيكون بدون هدف، ولكن مما لا شك فيه أنّ هذه المخلوقات العظيمة قد خلقت لموجود شريف- مثل الإنسان- ليعرف اللّه سبحانه من خلالها، معرفة تكون رأسماله الوحيد فى الدار الآخرة، فالهدف إذن هو الدار الآخرة، وهذا دليل آخر على المعاد.

الثانية: هو أنّنا نلاحظ مشاهد المعاد فى هذا العالم تتكرر أمامنا فى كل سنة وفى كل زاوية وكل مكان، حيث مشهد القيامة والحشر فى عالم النبات، فتحيى الأرض الميتة بهطول الأمطار الباعثة للحياة. قال تعالى: «إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْىِ الْمَوْتَى» (۱).

أَ فَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ (۶۳) أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (۶۴) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (۶۵) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (۶۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۶۷) هل أنتم الزارعون أم اللّه: استعرضنا لحدّ الآن أربعة أدلة من الأدلة السبعة التى جاء

---

(۱) سورة فصّلت/ ۳۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۲

ذكرها فى هذه السورة حول المعاد، والآيات- مورد البحث واللاحقة لها- تستعرض الأدلة الاخرى المتبقّية والتى كل منها مصداق لقدرة اللّه اللا- متناهية. فالدليل الأوّل يرتبط بخلق الحبوب الغذائية، والثانى يرتبط بخلق الماء، والثالث يتعلق بالنار، وهذه المحاور

تشكّل الأركان الأساسية فى الحياة الإنسانية.

يقول سبحانه فى البداية: «أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ».

واللَّه سبحانه هو الذى يخلق فى وسط هذه البذرة الحياة، فعندما توضع البذرة فى محيط مهيّأ من حيث التربة والضوء والماء، فإنّها تستفيد ابتداءاً من المواد الغذائية المخزونة فيها إلى أن تصبح برعماً وتولّد جذراً، ثم تنمو بسرعة عجيبة مستفيدة من المواد الغذائية الموجودة فى الأرض.

وفى الآية اللاحقة يؤكّد الدور الهامشى للإنسان فى نمو ورشد النباتات فيقول: «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ».

«حطام»: من مادة «حطم» تعنى فى الأصل كسر الشيء، وغالباً ما تطلق على كسر الأشياء اليابسة كالعظام النخرة وسيقان النباتات الجافّة، والمقصود هنا هو التبن.

ويحتمل أيضاً أنّ المقصود بالحطام هنا هو فساد البذور فى التربة وعدم نموّها.

نعم، تتعجبون وتغمركم الحيرة وتقولون: «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» (۱).

وإذا كنتم أنتم الزارعين الحقيقيين، فهل بإمكانكم أن تمنعوا وتدفعوا عن زرعكم الأضرار والمصير المدمّر والنتيجة البائسة؟ وهذا التحدى يؤكّد لنا أنّ جميع امور الخلق من اللَّه سبحانه.

أ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ (۶۸) أ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (۶۹) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ (۷۰) أ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ (۷۱) أ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (۷۲) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ (۷۳) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (۷۴) من الذى خلق الماء والنار: يشير سبحانه فى هذه الآيات إلى سادس وسابع دليل للمعاد فى هذا القسم من آيات سورة الواقعة، التى تبيّن قدرة اللَّه تعالى على إحياء الموتى، بل

(۱) «مغرمون»: من مادة «غرامة» بمعنى الضرر وفقدان الوقت والمال.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۳

فى كل شيء: «أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ». «ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ».

«مزن»: يعنى (الغيوم البيضاء) وفسّرها البعض بأنّها (الغيوم الممطرة).

إنّ هذه الآيات تجعل الوجدان الإنسانى أمام استفسارات عدّة كى تأخذ إقراراً منه، حيث يسأل اللَّه سبحانه: هل فكّرتم بالماء الذى تشربونه باستمرار والذى هو سرّ حياتكم؟

وإذا لاحظنا فى الآيات أعلاه عملية استعراض لماء الشرب- فقط- وعدم التحدث عن تأثيره فى حياة الحيوانات أو النباتات فإنّ السبب هو الأهمية البالغة للماء فى حياة الإنسان نفسه، بالإضافة إلى أنّه قد اشير له فى الآيات السابقة فى حديث الزرع، لذا لا حاجة لتكرار ذلك.

وأخيراً- ولإكمال البحث فى الآية اللاحقة- يقول سبحانه: «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ». «اجاج»: من مادة «أجّ» وقد أخذت فى الأصل من «أجيج النار» يعنى إشتعالها وإحتراقها، ويقال «اجاج» للمياه التى تحرق الفمّ عند شربها لشدّة ملوحتها ومرارتها وحرارتها.

وأخيراً نصل إلى سابع- وآخر- دليل للمعاد فى هذه السلسلة من الآيات الكريمة، وهو خلق النار التى هى أهمّ وسيلة لحياة الإنسان وأكثرها أهمية له فى المجالات الصناعية المختلفة، حيث يقول سبحانه: «أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشُونَ». «تورون»: من مادة «ورى» بمعنى الستر، ويقال للنار التى تكون مخفية فى الوسائل التى لها القابلية على الإشتعال والتى تظهر بشرارة، ويقال «ورى» و «ايراء».

جملة (تورون)- بمعنى إشعال النار- بالرغم من أنّها فسّرت هنا بما يستفاد منه توليد النار، إلّاأنّه لا مانع من أن تشمل الأشياء المشتعلة أيضاً كالحطب باعتباره ناراً خفيّة تظهر وقت توفّر الشروط المناسبة لها.

وفى الآية اللاحقة يضيف مؤكّداً الأبحاث أعلاه بقوله سبحانه: «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ».

إنّ عودة النار من داخل الأشجار الخضراء تذكّرنا برجوع الأرواح إلى الأبدان فى الحشر من جهة، ومن جهة اخرى تذكّرنا هذه النار بنار جهنم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۴

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» «۱». جملة «مَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ» إشارة إلى الفوائد الدنيوية لهذه النار.

يستنتج سبحانه نتيجة مهمّة بعد ما ركّز على أهميّة هذه النعم للإنسان وذلك بتسبيحه والشكر له تعالى باعتباره المصدر الوحيد لهذه النعم ... فيقول سبحانه فى آخر آية مورد البحث: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ».

إنّ اللّه الذى خلق كل هذه النعم، والتى كل منها تذكّرنا بقدرته وتوحيده وعظمته ومعاده، لائق للتسبيح والتنزيه من كل عيب ونقص. إنّه ربّ، وكذلك فإنّه «عظيم» وقادر ومقتدر، وبالرغم من أنّ المخاطب فى هذه الآية هو الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله إلّاأنّ من الواضح أنّ جميع البشر هم المقصودون.

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم (۷۵) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (۷۶) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (۷۷) فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ (۷۸) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (۷۹) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (۸۰) أَ فَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (۸۱) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (۸۲) المطهّرون ومعرفة أسرار القرآن: استمراراً للأبحاث التى جاءت فى الآيات السابقة، والتى تركّز الحديث فيها حول الأدلة السبعة الخاصة بالمعاد، ينتقل الحديث الآن عن أهمية القرآن الكريم باعتباره يشكّل مع موضوع النبوة ركنين أساسيين بعد مسألة المبدأ والمعاد والتى بمجموعها تمثّل أهمّ الأركان العقائدية. يبدأ الحديث بقسم عظيم، حيث يقول سبحانه:

«فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم».

وعندما يلاحظ الإنسان- طبقاً لتصريحات العلماء- أنّ فى (مجرّتنا) فقط ألف مليون نجمة، وتوجد فى الكون مجرّات كثيرة، وكل واحدة منها لها مسار خاص، عندئذ ستتوضّح لنا أهمية هذا القسم القرآنى.

ولهذا السبب فإنّه تعالى يضيف فى الآية اللاحقة: «وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ».

وهذه بحد ذاتها تعتبر إعجازاً علميّاً للقرآن الكريم، حيث فى الوقت الذى كانت تعتبر

---

(۱) جامع البيان ۲۷/ ۲۶۲؛ وروح المعانى ۲۷/ ۱۵۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۵

النجوم عبارة عن مسامير فضائية رصّعت السماء بها فإنّ مثل هذا البيان القرآنى الرائع فى ظلّ ظروف وأوضاع يخيّم عليها الجهل، محال أن يصدر من بشر عادى.

وتوضّح الآية اللاحقة ما هو المقصود من ذكر هذا القسم؟ حيث يقول سبحانه: «إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ».

وبهذه الصورة فإنّه يردّ على المشركين المعاندين الذين يصرّون بإستمرار على أنّ هذه الآيات المباركة هى نوع من التكهّن- والعياذ باللّه- أو أنّه حديث جنونى أو شعر، أو أنّه من قبل الشيطان ... فيردّ عليهم سبحانه بأنّه وحى سماوى وحديث بيّن وعظمته وأصالته لا غبار عليها، ومحتواه يعبّر عن مبدأ نزوله.

نعم، إنّ القرآن كريم وقائله كريم ومن جاء به كذلك، وأهدافه كريمة أيضاً.

ثم يستعرض الوصف الثانى لهذا الكتاب السماوى العظيم حيث يقول تعالى: «فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ».

إنّه فى «لوح محفوظ» فى علم اللّه، محفوظ من كل خطأ وتغيير وتبديل.

وفى ثالث وصف له يقول سبحانه: «لَّايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ».

ذكر الكثير من المفسرين- تماشياً مع بعض الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام- بعدم جواز مسّ (كتابة) القرآن الكريم بدون غسل أو وضوء.

كما اعتبر بعضهم أنّها إشارة إلى أنّ الحقائق والمفاهيم العالية فى القرآن الكريم لا يدركها إلّا المطهّرون. فإنّ طهارة الروح فى طلب الحقيقة تمثّل حدّاً أدنى من مستلزمات إدراك الإنسان لحقائق القرآن، وكلّما كانت الطهارة والقداسة أكثر كان الإدراك لمفاهيم القرآن ومحتوياته بصورة أفضل.

وفى رابع وآخر وصف للقرآن الكريم يقول تعالى: «تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ».

إنّ اللّه المالك والبارىء لجميع الخلق، قد نزّل هذا القرآن لهداية البشر، وقد أنزله سبحانه على قلب النبى الطاهر، وكما أنّ العالم التكوينى صادر منه وهو تعالى رب العالمين فكذلك الحال فى المجال التشريعى، فكل نعمة وهداية فمن ناحيته ومن عطائه.

ثم يضيف سبحانه: «أَفَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ». هل أنتم بهذا القرآن وبتلك الأوصاف المتقدمة تتساهلون، بل تنكرونه وتستصغرونه فى حين تشاهدون الأدلة الصادقة والحقّة بوضوح، وينبغى لكم التسليم والقبول بكلام اللّه سبحانه بكل جديّة، والتعامل مع هذا الأمر كحقيقة لا مجال للشك فيها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۶

عبارة «هذا الحديث» فى الآية الكريمة إشارة للقرآن الكريم.

«مدهنون»: فى الأصل من مادة «دهن» بالمعنى المتعارف عليه، ولأنّ الدهن يستعمل للبشرة وامور اخرى، فإنّ كلمة (أدهان) جاءت بمعنى المداراة والمرونة، وفى بعض الأحيان بمعنى الضعف وعدم التعامل بجدية ... ولأنّ المنافقين والكاذبين غالباً ما يتّصفون بالمداراة والمصانعة، لذا استعمل هذا المصطلح أحياناً بمعنى التكذيب والإنكار، ويحتمل أن يكون المعنيان مقصودان فى الآية. وفى آخر آية- مورد البحث- يقول سبحانه إنّكم بدلًا من أن تشكروا اللّه تعالى على نعمه ورزقه وخاصة نعمة القرآن الكبيرة، فإنّكم تكذّبون به: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ».

فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (۸۳) وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (۸۴) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (۸۵) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (۸۶) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۸۷) عندما تصل الروح إلى الحلقوم: تكملة لأبحاث المعاد والردّ على المنكرين والمكذبين فإنّ القرآن الكريم يرسم لنا صورة معبّرة ومجسّدة لهذه اللحظات حيث يقول سبحانه:

«فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ» ولا تستطيعون عمل شىء من أجله.

والمخاطبون هنا هم أقارب المحتضر الذين ينظرون إلى حالته فى ساعة الاحتضار من جهة، ويلاحظون ضعفه وعجزه من جهة ثانية، وتتجلّى لهم قدرة اللّه تعالى على كل شىء، حيث إنّ الموت والحياة بيده، وأنّهم- أى أقاربه- سيلاقون نفس المصير.

ثم يضيف سبحانه: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلكِن لَّاتُبْصِرُونَ».

نعم، نحن الذين نعلم بصورة جيّدة ما الذى يجول فى خواطر المحتضر؟ وما هى الإزعاجات التى تعتريه؟ نحن الذين أصدرنا أمرنا بقبض روحه فى وقت معيّن، إنّكم تلاحظون ظاهر حاله فقط، ولا تعلمون كيفية إنتقال روحه من هذه الدار إلى الدار الآخرة.

ثم للتأكيد الأشد فى توضيح هذه الحقيقة يضيف تعالى: «فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ».

إنّ ضعفكم هذا دليل أيضاً على أنّ مالك الموت والحياة واحد، وأنّ الجزاء بيده، وهو الذى يحى ويميت.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۷

فَأَمَّا إِنْ کَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ (۸۸) فَرَوْحٌ وَ رَیْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِیمٍ (۸۹) وَ أَمَّا إِنْ کَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْیَمِینِ (۹۰) فَسَلَامٌ لَکَ مِنْ أَصْحَابِ الْیَمِینِ (۹۱) وَ أَمَّا إِنْ کَانَ مِنَ الْمُکَذِّبِینَ الضَّالِّینَ (۹۲) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِیمٍ (۹۳) وَ تَصْلِیَةُ جَحِیمٍ (۹۴) إِنَّ هذَا لَهُوَ حَقُّ الْیَقِینِ (۹۵) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ (۹۶) مصیر الصالحین والطالحین: هذه الآیات نوع من الخلاصة للآیات الاولی والأخیرة من هذه السورة، کما أنّها تجسّد حالة التفاوت بین البشر فی حالة الاحتضار، وکیف أنّ قسماً منهم یلفظون أنفاسهم بهدوء وراحة فی تلک اللحظات الصعبة، وآخرین تلوح لهم من بعید النار الحامیة، ویسیطر علیهم الخوف والاضطراب والهلع فیلفظون أنفاسهم بصعوبة بالغة.

یقول سبحانه فی البدایة: «فَأَمَّا إِن کَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ فَرَوْحٌ وَرَیْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِیمٍ».

«روح»: علی وزن (قول) فی الأصل بمعنی التنفّس؛ و «الریحان»: بمعنی النبات أو الشیء ذی العطر، ثم اصطلح علی کل شیء باعث للحیاة والراحة، کما أنّ الریحان یطلق علی کل نعمة ورزق کریم. وبناءً علی هذا فإنّ الروح إشارة إلی کل الامور التی تخلّص الإنسان من الصعوبات لیتنفّس براحة، وأمّا الریحان فإنّه إشارة إلی الهبات والنعم التی تعود إلی الإنسان بعد إزالة العوائق.

والجدیر بالملاحظة أنّ الحدیث عن «جنّة النعیم» جاء بعد ذکر الروح والریحان وقد یستفاد من هذا أنّ الروح والریحان یکون من نصیب المؤمنین فی الإحتضار والقبر والبرزخ، وأمّا الجنة ففی الآخرة. فی الأمالی للصدوق عن الإمام الصادق علیه السلام فی تفسیر هذه الآیة أنّه قال: « «فَأَمَّا إِن کَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ فَرَوْحٌ وَرَیْحَانٌ» یعنی فی قبره، وجنّة نعیم یعنی فی الآخرة».

ثم یضیف سبحانه: «وَأَمَّا إِن کَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْیَمِینِ». وهم تلک الثلّة الصالحة من الرجال والنساء الذین یستلمون صحیفة أعمالهم بیدهم الیمنی کعلامة للفوز والنصر والنجاح «فَسَلَمٌ لَّکَ مِنْ أَصْحَابِ الْیَمِینِ».

وبهذا الترتیب فإنّ ملائکة اللّه المختصّین بقبض الروح فی لحظات الإنتقال من هذه الدنیا یوصلون سلام أصحاب الیمین إلی المحتضر. کما قال تعالی- فی الآیة (۲۶) من نفس السورة- فی وصف أهل الجنة وکلامهم: «إِلَّا قِیلًا سَلَمًا سَلَمًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۸

ثم تستعرض الآیات الکریمة القسم الثالث الذین مرّ ذکرهم فی أوائل هذه السورة عبر التصنیف الذی ذکر واصطلح علیهم ب (أصحاب الشمال)، حیث یقول تعالی: «وَأَمَّا إِن کَانَ مِنَ الْمُکَذّبِینَ الضَّالّینَ فَنُزُلٌ مّنْ حَمِیمٍ وَتَصْلِیَةُ جَحِیمٍ».

نعم، إنّهم علی مشارف الموت حیث یذوقون أوّل عذاب إلهی، ویتجرّعون مرارة عقاب یوم القیامة فی القبر والبرزخ.

وهذا التعبیر یمکن أن یکون إشارة إلی أنّ قسماً من الأشخاص الضالین من فصیلة الأفراد المستضعفین أو الجهلة القاصرین الذین لیس لدیهم إصرار وعناد علی الباطل، یمکن أن تشملهم الألطاف الإلهیة، أمّا المکذبون المعاندون فإنّهم سیبتلون بالمصیر البائس والعاقبة السیّئة التی تقدّم ذکرها.

وفی نهایة هذا الحدیث یضیف سبحانه: «إِنَّ هذَا لَهُوَ حَقُّ الْیَقِینِ فَسَبّحْ بِاسْمِ رَبّکَ الْعَظِیمِ».

إنّ التعبیر ب (فسبّح)- الفاء تفریعیة- هو إشارة إلی أنّ ما قیل حول الأقسام الثلاثة هو عین العدالة، وبناءً علی هذا اعتبر (ربّک) منزّهاً من کل ظلم، وإذا ما ارید الإبتعاد عن مصیر أصحاب الشمال فعلینا أن نتنزّه من کل شرک وظلم المتلازمان مع إنکار القیامة.

وفی الدرّ المنثور: لما نزلت علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله «فَسَبّحْ بِاسْمِ رَبّکَ الْعَظِیمِ» قال: «اجعلوها فی رکوعکم». ولما نزلت «سَبّحِ اسْمَ رَبّکَ الْأَعْلَی» قال: «اجعلوها فی سجودکم».

«نهایة تفسیر سورة الواقعة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۸۹

۵۷. سورة الحدید

محتوی السورة: نستطیع أن نقسّم موضوعات هذه السورة إلی سبعة أقسام:

۱- الآيات الاولى من هذه السورة لها بحث جامع حول التوحيد وصفات اللّه تعالى.

۲- يتحدث عن عظمة القرآن، هذا النور الإلهى الذى أشرق فى ظلمات الشرك.

۳- يستعرض وضع المؤمنين والمنافقين فى يوم القيامة، وبهذا تعكس السورة فى أبحاثها الاصول الإسلامية الثلاثة: التوحيد والنبوّة والمعاد.

۴- تتحدث الآيات فيه عن الدعوى إلى الإيمان والخروج من الشرك، وعن مصير الأقوام الضالة من الامم السابقة.

۵- جزء مهم من هذه السورة يتحدث حول الإنفاق فى سبيل اللّه، وخصوصاً فى تقوية اسس الجهاد فى سبيل اللّه، وأنّ مال الدنيا ليس له وزن وقيمة.

۶- فى قسم قصير من الآيات- إلّاأنّه وافٍ ومستدلّ- يأتى الحديث عن العدالة الاجتماعية والتى هى إحدى الأهداف الأساسية للأنبياء.

۷- وفيه تتحدث الآيات عن سلبية الرهبانية والإنزواء الاجتماعى وأنّ ذلك يمثّل إبتعاداً عن الخط الإسلامى.

إنّ تسمية السورة ب (الحديد) هو لما جاء فى الآية (۲۵) من ذكر كلمة الحديد.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۰

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِى وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲) هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۳) فضيلة تلاوة السورة: وردت فى الروايات الإسلامية نقاط جديرة بالملاحظة حول فضيلة تلاوة سورة الحديد، ومما لا شك فيه أنّ المقصود فى التلاوة هى تلاوة التدبر والتفكر الذى يكون توأماً مع العمل.

فى الدرّ المنثور عن عرباض بن سارية أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: «إنّ فيهنّ آية أفضل من ألف آية».

وفى الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام، لم يمت حتى يرى القائم عليه السلام، وإن مات كان فى جوار رسول اللّه صلى الله عليه و آله».

آيات للمتفكّرين: إنّ هذه السورة بدأت بقسم التوحيد، الذى يشتمل على عشرين صفة من صفات اللّه سبحانه، تلك الصفات التى بمعرفتها يصل الإنسان إلى مستوى عال من المعرفة الإنسانية باللّه، وتعمّق معرفته بذاته المقدسة، وهذه الأوصاف والتى تشير إلى جانب من صفات جلاله وجماله، كلما تعمق العلماء وأهل الفكر فيها توصّلوا إلى حقائق جديدة عن الذات الإلهية المقدسة.

فى الكافى: عندما سئل الإمام علىّ بن الحسين عليهما السلام عن التوحيد فقال: «إنّ اللّه عزّ وجل علم أنّه يكون فى آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل اللّه تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فمن رام وراء ذلك فقد هلك».

إنّ أوّل آية من هذه السورة بدأت بتسبيح وتنزيه اللّه عزّ وجل حيث يقول سبحانه:

«سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ».

وبعد ذكر صفتين من صفات الذات الإلهية يعنى (العزة والحكمة) يتطرق إلى (مالكيته وتدبيره، وقدرته فى عالم الوجود) والتى هى من مستلزمات القدرة والحكمة، حيث يقول تعالى: «لَهُ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۱

إنّ مالكية اللّه عزّ وجل لعالم الوجود ليست مالكية اعتبارية وتشريعية، إذ أنّها مالكية حقيقية وتكوينية. وهذا يعنى أنّ اللّه سبحانه محيط بكل شىء، وأنّ جميع العالم فى قبضته وقدرته وتحت إرادته وأوامره، لذا فقد جاء الحديث بعد هذا الكلام عن (الإحياء والإفناء) والقدرة على كل شىء.

الاختلاف بين «العزّة» و «القدرة» هو أنّ العزّة أكثر دلالة على تحطيم المقابل والقدرة تعنى توفير الأسباب وإيجادها. وبناءً على هذا فإنّهما يعدّان وصفين مختلفين بالرغم من أنّهما مشتركان فى أصل القدرة (يرجى ملاحظة ذلك).

ثم يتطرق سبحانه إلى ذكر خمس صفات اخرى حيث يقول: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

الوصف هنا ب «الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» تعبير رائع عن أزليته وأبديته تعالى، لأنّنا نعلم أنّه وجود لا متناهى وأنّه (واجب الوجود) أى أنّ وجوده من نفس ذاته، وليس خارجاً عنه حتى تكون له بداية ونهاية، وبناءً على هذا فإنّه كان من الأزل وسيبقى إلى الأبد.

إنّه بداية عالم الوجود، وهو الذى سيبقى بعد فناء العالم أيضاً. وبناءً على هذا فإنّ التعبير ب «الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» ليس له زمان خاصّ أبداً، وليس فيه إشارة إلى مدّة زمنية معينة.

والوصف ب «الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» هو تعبير آخر عن الإحاطة الوجودية- أى وجود اللَّه- بالنسبة لجميع الموجودات، أى إنّه أظهر من كل شيء لأنّ آثاره شملت جميع مخلوقاته فى كل مكان، وهو خفى أكثر من كل شيء أيضاً لأنّ كنه ذاته لم يتّضح لأحد.

فإنّ أحد نتائج هذه الصفات المتقدمة هو ما جاء فى نهاية الآية الكريمة: «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ». إذ إنّ من كان فى البداية ويبقى فى النهاية، وموجود فى ظاهر وباطن العالم ...

سيكون عالماً بكل شيء قطعاً.

هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۴) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۵) يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۶)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۲

على عرش القدرة دائماً: تحدثت الآيات السابقة عن إحدى عشرة صفة للذات الإلهية المقدسة، وتبيّن الآيات أعلاه أوصافاً اخرى حيث اشير فى الآية الاولى مورد البحث إلى خمسة أوصاف اخرى من صفات جلاله وجماله. ويبدأ الحديث عن مسألة الخلقة حيث يقول سبحانه: «هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ».

لقد ذكرت مسألة الخلقة فى (ستّة أيام) سبع مرّات فى القرآن الكريم، المرّة الاولى فى الآية (۵۴) من سورة الأعراف، والأخيرة هى هذه الآية مورد البحث (الحديد/ ۴).

فإنّ المقصود من (اليوم) فى هذه الآيات ليس المعنى المتعارف (لليوم)، بل المقصود هو (الزمان) سواء كان هذا الزمان قصيراً أو طويلًا حتى لو بلغ ملايين السنين.

ثم تتطرق الآيات إلى مسألة الحكومة وتدبير العالم حيث يقول سبحانه: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ».

إنّ زمام حكومة وتدبير العالم كانت دائماً بيده ولا زالت، وبدون شك فإنّ اللَّه تعالى ليس جسماً، ولذا فليس معنى «العرش» هنا هو عرش السلطة، والتعبير كناية لطيفة عن الحاكمية المطلقة للَّهسبحانه ونفوذ تدبيره فى عالم الوجود.

ثم يستعرض نوعاً آخر من علمه اللا متناهى بقوله تعالى: «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا».

وفى رابع وخامس صفة له سبحانه يركّز حول نقطة مهمة حيث يقول: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

وكيف لا يكون معنا فى الوقت الذى نعتمد عليه، ليس فى إيجادنا فحسب، بل فى البقاء لحظة بلحظة- أيضاً- ونستمدّ منه العون، إنّه روح عالم الوجود.

الحقيقة أنّ الاحساس بأنّ اللَّه معنا فى كل مكان يعطى للإنسان عظمة وجلالًا من جهة، ومن جهة اخرى يخلق فيه إعتماداً على النفس وشجاعة وشهامة، ومن جهة ثالثة فإنّه يثير إحساساً شديداً بالمسؤولية، لأنّ اللَّه حاضر معنا فى كل مكان، وناظر ومراقب لأعمالنا، وهذا أكبر درس تربوى لنا. وهذا الاعتقاد يمثّل دافعاً جدّياً للتقوى والطهارة والعمل الصالح فى الإنسان، ويعتبر رمز عظمته وعزّته.

وبعد مسألة الحاكمية والتدبير يأتی الحديث عن مسألة مالكيته سبحانه فی كل عالم الوجود، حيث يقول: «لَّهُ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۳

وأخيراً يشير إلی مسألة مرجعيته فيقول تعالی: «وَإِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

نعم، عندما يكون الخالق والمالك والمدبر معنا فی كل مكان، فمن البديهی أن يكون رجوعنا ورجوع أعمالنا إليه كذلك.

وفی آخر آية مورد للبحث يشير إلی صفتين اخريين بقوله تعالی: «يُولِجُ الَّيْلَ فِی النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِی الَّيْلِ».

بالتدريج ينقص أحد الوقتين (الليل والنهار) ليضيف للآخر، وتبعاً لذلك يتغير طول النهار والليل فی السنة، وهذا التغير يكون مصحوباً بالفصول الأربعة فی السنة مع كل البركات التی تكون مختصة فی هذه الفصول لبنی الإنسان.

وتفسير آخر لهذه الآية هو: إنّ شروق وغروب الشمس لن يحدثا فجأة ودون مقدّمات، بل يتمّ هذا التغيير بصورة تدريجية حتی يتهيّأ الجميع لذلك.

ويضيف سبحانه فی النهاية: «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

فكما أنّ أشعة الشمس الباعثة للحياة تنفذ فی أعماق ظلمات الليل، وتضیء كل مكان، فإنّ اللّه عزّ وجل ينفذ كذلك فی كل زوايا قلب وروح الإنسان، ويطّلع علی كل أسراره.

آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۷) وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) هُوَ الَّذِی يُنَزِّلُ عَلَی عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَی النُّورِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (۹) وَ مَا لَكُمْ أَنْ تُنْفِقُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَوِی مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَی وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۰) مَنْ ذَا الَّذِی يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (۱۱) الإيمان والإنفاق أساسان للنجاة: بعد البيان الذی تقدم حول دلائل عظمة اللّه فی عالم الوجود وأوصاف جماله وجلاله، تلك الصفات المحفّزة للحركة باتّجاه اللّه تعالی، ننتقل الآن إلی جوّ هذه الآيات المفعم بالدعوة للإيمان والعمل ...

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۴

يقول سبحانه فی البداية: «ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ».

إنّ هذه الدعوة دعوة عامة لجميع البشر، فهی تدعو المؤمنين إلی إيمان أكمل وأرسخ، وتدعو- أيضاً- غير المؤمنين إلی التصديق والإيمان بما جاء به الرسول صلی الله عليه و آله، وهذه الدعوة إلی الإيمان جاءت توأماً مع أدلة التوحيد التی تناولتها الآيات التوحيدية السابقة.

ثم يدعو إلی أحد الالتزامات المهمة للإيمان وهی: (الإنفاق فی سبيل اللّه) حيث يقول تعالی: «وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ».

إنّ للإنفاق مفهوماً واسعاً ولا ينحصر بالمال فقط، بل يشمل- أيضاً- العلم والهداية والسمعة الاجتماعية ورؤوس الأموال المعنوية والمادية.

ثم يقول تعالی فی الحثّ علی الإنفاق: «فَالَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ».

إنّ وصف الأجر بأنّه «كبير» إشارة إلی عظمة الألطاف الإلهية والهبات الإلهية، وأبديتها وخلوصها ودوامها ليس فی الآخرة فحسب، بل فی عالم الدنيا أيضاً حيث إنّ قسماً من الأجر سوف يكون من نصيب الإنسان فی الدنيا.

وبعد الأمر بالإيمان والإنفاق يعطی بياناً لكل منهما، وهو بمثابة الاستدلال والبرهان، وذلك بصورة استفهام توبيخی ابتداءاً، حيث يستفسر عن علة عدم قبول دعوة الرسول صلی الله عليه و آله حول الإيمان باللّه فيقول سبحانه: «وَمَا لَكُمْ لَاتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ».

يعنى أنّكم إذا كنتم مستعدّين حقيقة وصدقاً لقبول الحق، فإنّ دلائله واضحة عن طريق الفطرة والعقل، وكذلك عن طريق النقل.

وجاءت الآية اللاحقة لتأكيد وتوضيح نفس هذا المعنى حيث تقول: «هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ».

إنّ كلمة (رؤوف) جاءت هنا إشارة إلى محبته ولطفه الخاص بالنسبة إلى المطيعين، فى حين أنّ كلمة (رحيم) إشارة إلى رحمته بخصوص العاصين.

ثم يأتى استدلال آخر على ضرورة الإنفاق حيث يقول تعالى: «وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ». أى أنّكم سترحلون عن هذه الدنيا وتتركون كل ما منحكم اللّه فيها، وتذهبون إلى عالم آخر، فلماذا لا تستفيدون من هذه الأموال التى جعلها اللّه تحت تصرفكم بتنفيذ أمره بالإنفاق.

ولأنّ للإنفاق قيماً مختلفة وأحوالًا متفاوتة الشرائط والظروف، يضيف يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١۴) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١۵)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۵

سبحانه: «لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ». أى أنّ الذين بذلوا المال والنفس فى الظروف الحرجة مفضّلون على الذين ساعدوا الإسلام بعد سكون الموج وهدوء العاصفة. لذلك وللتأكيد أكثر يضيف تعالى: «أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا».

وبما أنّ القسمين (الإنفاق والجهاد) مشمولان بعناية الحق تعالى مع اختلاف الدرجة، فيضيف فى النهاية: «وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى .

وهذا تقدير لعموم الأشخاص الذين ساهموا فى هذا الطريق.

وكلمة (حسنى) لها مفهوم واسع، حيث تشمل كل ثواب وجزاء وخير فى الدنيا والآخرة.

ولكون قيمة العمل بإخلاصه للّهسبحانه فيضيف فى نهاية الآية: «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

نعم، إنّه يعلم بكيفية وكميّة أعمالكم. وكذلك نيّاتكم ومقدار خلوصكم، ولغرض الحثّ على ضرورة الإنفاق فى سبيل اللّه، ومن خلال تعبير رائع يؤكّد سبحانه ذلك فى الآية مورد البحث بقوله: «مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا». فينفق مما آتاه اللّه فى سبيل اللّه «فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ».

والمراد من الإقراض للّهتعالى هو كل إنفاق فى سبيله، وأحد مصاديقه المهمة الدعم الذى يقدّم للرسول صلى الله عليه و آله وأئمة المسلمين من بعده، كى يستعمل فى الموارد اللازمة لإدارة الحكومة الإسلامية. لذا نقل فى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ اللّه لم يسأل خلقه مما فى أيديهم قرضاً من حاجة به إلى ذلك، وما كان للّهمن حق فإنّما هو لوليّه».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۶

لقد بشّر اللّه المنفقين فى آخر آية من الآيات السابقة بالأجر الكريم، واستمراراً للبحث فالآيات أعلاه تتحدث عن هذا الأجر، وتبيّن مدى قيمته وعظمته فى اليوم الآخر. يقول سبحانه: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم».

والمقصود من النور- فى الواقع- تجسيم نور الإيمان، لأنّ فى ذلك اليوم تتجسّد أعمال البشر، فيتجسّد الإيمان الذى هو نور هدايتهم بصورة نور ظاهرى، ويتجسّد الكفر الذى هو الظلام المطلق بصورة ظلمة ظاهرية.

وهنا يصدر هذا النداء الملائكى بإحترام للمؤمنين: «بُشْرَيكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

أمّا المنافقون الذين سلكوا طريق الظلام والكفر والذنوب والمعصية، فإنّ صراخهم يعلو فى مثل تلك الساعة ويلتمسون من المؤمنين شيئاً من النور، لكنّهم يواجهون بالردّ والنفى، كما فى قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ».

ويأتى الجواب على طلبهم بقوله تعالى: «قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا».

كان من الممكن أن تحصلوا على النور من الدنيا التى تركتموها وراءكم، وذلك بإيمانكم وأعمالكم الصالحة، إلّاأنّ الوقت انتهى، وفاتت الفرصة عليكم ولا أمل هنا فى حصولكم على النور.

«فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ». وهذا الباب أو هذا الجدار من نوع خاص وأمره فريد، حيث إنّ كلًا من طرفيه مختلف عن الآخر تماماً، حيث: «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ».

ويمكن أن يكون هذا الباب من أجل أن يرى المنافقون من خلاله نعم الجنة ويتحسّرون عليها، أو أنّ من كان قليل التلوّث بالذنوب وقد نال جزاءه من العذاب بإمكانه أن يدخل منها ويكون مع المؤمنين فى نعيمهم.

غير أنّ هذا الحائط ليس من النوع الذى يمنع عبور الصوت حيث يضيف سبحانه: أنّ المنافقين «يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ». لقد كنّا نعيش معكم فى هذه الدنيا فما الذى حدث وإنفصلتم عنّا وذهبتم إلى الروح والرحمة الإلهية وتركتمونا فى قبضة العذاب؟

«قَالُوا بَلَى . كنّا معكم فى أماكن كثيرة فى الأزقّة والأسواق، فى السفر والحضر، وكنّا

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۷

أحياناً جيراناً أو فى بيت واحد ... نعم كنّا معاً، إلّاأنّ اختلافاتنا فى العقيدة والعمل كانت هى الفواصل بيننا، لقد كنتم تسيرون فى خطّ منفصل عن خطّنا وكنتم غرباء عن اللّه فى الاصول والفروع، لذا فأنتم بعيدون عنّا، ثم يضيفون: لقد إبتليتم بخطايا وذنوب كثيرة من جملتها:

۱- «وَلكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ» وخدعتموها بسلوك طريق الكفر والضلال.

۲- «وَتَرَبَّصْتُمْ» وانتظرتم موت النبى وهلاك المسلمين وإنهدام أساس الإسلام، بالإضافة إلى التهرّب من إنجاز كل عمل إيجابى وكل حركة صحيحة، حيث تتعلّلون وتماطلون وتسوّفون إنجازها.

۳- «وَارْتَبْتُمْ» فى المعاد وحقّانية دعوة النبى والقرآن ..

۴- وخدعتكم الآمال «وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ».

هذه الأمانى لم تعطكم مجالًا- حتى لحظة واحدة- للتفكر الصحيح، لقد كنتم مغمورين فى تصوراتكم وتعيشون فى عالم الوهم والخيال، واستولت عليكم امنية الوصول إلى الشهوات والأهداف المادية.

۵- «وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ». إنّ الشيطان غرّكم بوساوسه فى مقابل وعد اللّه عزّ وجل، فتارةً صوّر لكم الدنيا خالدة باقية واخرى صوّر لكم القيامة بعيدة الوقوع، وفى بعض الأحيان غرّكم بلطف اللّه والرحمة الإلهية، وأحياناً جعلكم تشكّون فى أصل وجود اللّه العظيم الخالق.

وأخيراً فإنّ المؤمنين- بلحاظ ما تقدّم- يخاطبون المنافقين بقولهم: «فَالْيَوْمَ لَايُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا». وبهذا الترتيب يواجه المنافقون نفس مصير الكفار أيضاً، وكلّهم رهينة ذنوبهم وأعمالهم القبيحة، ولا يوجد لهم أى طريق للخلاص.

ثم يضيف سبحانه: «مَأْوَيكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

الإنسان- عادةً- لكى ينجو من العقوبة المتوقعة فى الدنيا، يتوسل للخلاص منها إمّا بالغرامة المالية أو طلب العون والمساعدة من قوّة شفيعة، إلّاأنّه فى يوم القيامة تنقطع كل الأسباب والوسائل المادية المتعارف عليها فى هذا العالم للوصول إلى المقاصد المرجوة.

وبهذه الصورة يوضّح القرآن الكريم أنّ الوسيلة الوحيدة للنجاة فى ذلك اليوم هى الإيمان والعمل الصالح فى الدنيا، حتى أنّ دائرة

الشفاعة محدودة للأشخاص الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيّئاً وليسوا من الغرباء مطلقاً عن الإيمان والذين قطعوا إرتباطهم بصورة كلية من اللّه وأوليائه وعصوا أوامره.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۸

أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (۱۶) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۱۷) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (۱۸)

سبب النزول

فى تفسير مجمع البيان: قيل: إنّ الآية الاولى نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنّهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا: حدثنا عما فى التوراة، فإنّ فيها العجائب. فنزلت «الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» إلى قوله «لَمِنَ الْغَافِلِينَ» «۱» فخبّرهم أنّ القرآن أحسن القصص وأنفع لهم من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء اللّه. ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك، فنزلت آية «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا» «۲» فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء اللّه. ثم عادوا فسألوا سلمان، فنزلت هذه الآية.

التّفسير

إلى متى هذه الغفلة: بعد ما وجّهت الآيات السابقة مجموعة من الإنذارات الصارمة والتنبّهات الموقظة، وبيّنت المصير المؤلم للكفّار والمنافقين فى يوم القيامة، جاءت الآية الاولى مورد البحث بشكل استخلاص نتيجة كلية من ذلك، فتقول: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مّنْهُمْ فَاسِقُونَ» «۳».

«تخشع»: من مادة «خشوع» بمعنى حالة التواضع مقترنة بالأدب الجسمى والروحى، حيث تنتاب الإنسان هذه الحالة- عادةً- مقابل حقيقة مهمّة أو شخصية كبيرة.

---

(۱) سورة يوسف/ ۱- ۳.

(۲) سورة الزمر/ ۲۳.

(۳) «يأن»: من مادة إنا، على وزن (ندا) ومن مادة (أناء) على وزن جفاء بمعنى الإقتراب وحضور وقت الشيء.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۹۹

ومن الواضح أنّ ذكر اللّه عزّ وجل إذا دخل أعماق روح الإنسان، وسمع الآيات القرآنية بتدبّر فإنّها تكون سبباً للخشوع، والقرآن الكريم هنا يلوم بشدة قسماً من المؤمنين لعدم خشوعهم أمام هذه الامور، لأنّه قد إبتلى كثير من الامم السابقة بمثل هذا من الغفلة والجهل.

وهذه الغفلة تؤدّى إلى قساوة القلب وبالتالى إلى الفسق والعصيان.

إنّ آية: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ...» من الآيات المثيرة فى القرآن الكريم، حيث تليّن القلب، وترطّب الروح وتمزّق حجب الغفلة. لذلك نلاحظ بصورة مستمرة أنّ أفراداً مذنبين جدّاً قد هداهم اللّه إلى طاعته بعد سماعهم هذه الآية التى وقعت فى نفوسهم كالصاعقة، وأيقظتهم من سباتهم وغفلتهم التى كانوا فيها، ولهذا شواهد عديدة حيث تنقل لنا كتب التاريخ العديد منها، حتى أنّ البعض منهم أصبح فى صفّ الزهّاد والعبّاد. مختصر الامثل ج۵ ۱۱۹

ولأنّ إحياء القلوب الميتة لا يكون إلّابالذكر الإلهى، الحياة الروحية التى لن تكون إلّا بظل الخشوع والخضوع وخاصة فى أجواء القرآن الكريم ... لذا فإنّ القرآن يشبّه عملية إحياء القلوب الميتة بإحياء الأراضى الميتة، فكما أنّ هذه تحيا ببركة نزول الأمطار

کـذلک فإنّ القلوب تحیا بـذکر اللّه سبحانه ... حیث یضـیف سبحانه فی الآیهٔ اللاحقهٔ: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یُحْیِی الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَیَّنَّا لَکُمُ الْآیَاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ».

هذه الآیهٔ تشیر إلی إحیاء الأراضـی بوسیلهٔ المطر، کذلک فإنّ إحیاء القلوب المیتهٔ یکون بواسطهٔ ذکر اللّه وقراءهٔ القرآن المجید الذی نزل من سماء الوحی علی القلب الطاهر للنّبی محمّد صلی الله علیه و آله وکلاهما جدیران بالتدبر والتعقل.

ویرجع مرّهٔ اخری فی الآیهٔ اللاحقهٔ إلی مسألهٔ الإنفاق، والتی هی إحدی ثمار شجرهٔ الإیمان والخشوع، حیث یتکرر نفس التعبیر الذی قرأناه فی الآیات السابقهٔ مع إضافهٔ، حیث یقول تعالی: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِینَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا یُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ کَرِیمٌ».

إنّ المقصود من القرض الحسن للّهفی هـذه الآیات والآیات المشابهـهٔ هو الإنفاق فی سبیل اللّه، بالرغم من أنّ القرض لعباد اللّه هو من أفضل الأعمال أیضاً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۰

وَ الَّذِینَ آمَنُوا بِـاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِـکَ هُمُ الصِّدِّیقُونَ وَ الشُّهَـدَاءُ عِنْـدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَـذَّبُوا بِآیَاتِنَا أُولئِکَ أَصْحَابُ الْجَحِیمِ (۱۹) اعْلَمُوا أَنَّمَـا الْحَیَـاهُٔ الـدُّنْیَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَـهٌٔ وَ تَفَـاخُرٌ بَیْنَکُم وَ تَکَـاثُرٌ فِی الْـأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَـادِ کَمَثَلِ غَیْثٍ أَعْجَبَ الْکُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ یَهِیجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ یَکُونُ حُطَاماً وَ فِی الْآخِرَهِٔ عَذَابٌ شَدِیدٌ وَ مَغْفِرَهٌٔ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَیَاهُٔ الدُّنْیَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (۲۰) استـمراراً للبحث الـذی تناولته الآیات السابقـهٔ فی بیان حال المؤمنین وأجرهم عنـد اللّه تعالی، تضـیف الآیات التالیهٔ بهذا الصدد قوله تعالی: «وَالَّذِینَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِکَ هُمُ الصّدّیقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبّهِمْ».

«الصّدّیق»: صیغهٔ مبالغهٔ من «الصدق» بمعنی الشخص الذی یستوعب الصدق جمیع وجوده، حیث یصدّق عمله قوله، وهو النموذج التام للصدق.

«شـهداء»: جمع «شهید» بمعنی الحضور مع المشاهدهٔ. إلّاأنّ المراد من (الشهداء) فی الآیهٔ مورد البحث قد یکون الشهادهٔ علی الأعمال، کمـا یستفاد من الآیـات القرآنیـهٔ الاـخری، فالأنبیاء شـهداء علی أعمال اممهم، ورسول الإسـلام شاهـد علیهم وعلی الامـهٔ الإسـلامیهٔ، والمسلمون أیضاً شهداء علی أعمال الناس.

واحتمل البعض أنّ (شـهداء) هنا هو الشـهداء فی سبیل اللّه، أی الأشـخاص المؤمنون الذین لهم أجر وثواب الشـهادهٔ، یحسبون بمنزلهٔ الشهداء.

ثم یضیف تعالی: «لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ».

إنّ هذا التعبیر المختصر یشیر إلی عظیم الأجر والنور الذی ینتظرهم.

وفی النهایهٔ یضیف تعالی: «وَالَّذِینَ کَفَرُوا وَکَذَّبُوا بَایَاتِنَا أُولئِکَ أَصْحَابُ الْجَحِیمِ».

وذلـک کی تتوضّـح بهـذه المقارنـهٔ والنتیجهٔ التی آلت إلیهـا المجموعتان، والتی تتـدرّج بین القمّـهٔ والقاع، حیث إنّ القسم الأوّل فی المقام العالی من دار الخلد، والقسم الثانی فی الدرک الأسفل من النار یندبون سوء حظّهم وإنحطاط مصیرهم.

وبما أنّ المجموعهٔ الاولی کانت فی أعلی مستویات الإیمان، ففی المقابل أیضاً ذکرت الآیهٔ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۱

أیضاً الکفر بأسوأ صوره فی الجماعهٔ الثانیهٔ المقارن للتکذیب بآیات اللّه.

ولأنّ حبّ الـدنیا مصدر کل رذیلهٔ، ورأس کل خطیئهٔ، فالآیهٔ اللاحقهٔ ترسم بوضوح وضع الحیاهٔ الدنیا والمراحل المختلفهٔ والمحفّزات والظروف والأجواء التی تحکم کل مرحلـهٔ من هـذه المراحل، حیث یقول سـبحانه: «اعْلَمُوا إِنَّمَا الْحَیَوهُٔ الـدُّنْیَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِینَهٌٔ وَتَفَاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَتَکَاثُرٌ فِی الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلدِ».

وبهذه الصورة فإنّ «الغفلة» و «اللهو» و «الزينة» و «التفاخر» و «التكاثر» تشكّل المراحل الخمس لعمر الإنسان.

ويذكر سبحانه مثالًا لبداية ونهاية الحياة ويجسّد الدنيا أمام أعين الناس بهذه الصورة حيث يقول سبحانه: «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَيهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا» (١).

«كفّار» هنا ليس بمعنى الأشخاص غير المؤمنين، ولكن بمعنى «الزرّاع» لأنّ أصل الكفر هو التغطية، وبما أنّ الزارع عندما ينثر البذور يغطّيها بالتراب، فقد قيل له كافر.

«حطام»: من مادة «حطم» بمعنى التكسير والتفتيت، ويطلق على الأجزاء المتناثرة للتبن (حطام) وهى التى تأخذها الرياح باتّجاهات مختلفة.

إنّ المراحل التى يمرّ بها الإنسان مدّة سبعين سنة أو أكثر تظهر فى النبات بعدّة أشهر، ويستطيع الإنسان أن يسكن بجوار المزرعة ويراقب بداية ونهاية العمر فى وقت قصير.

ثم يتطرّق القرآن الكريم إلى حصيلة العمر ونتيجته النهائية حيث يقول سبحانه: «وَفِى الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ».

وأخيراً تنهى الآية حديثها بهذه الجملة: «وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ».

«غرور»: فى الأصل من مادة «غَرّ» بمعنى الأثر الظاهر للشىء، ويقال (غُرّة) للأثر الظاهر فى جبهة الحصان، ثم اطلقت الكلمة على حالة الغفلة، حيث إنّ ظاهر الإنسان واعٍ، ولكنّه غافل فى الحقيقة، وتستعمل أيضاً بمعنى الخدعة والحيلة.

«المتاع»: بمعنى كل نوع ووسيلة يستفاد منها، وبناءً على هذا فإنّ جملة (الدنيا متاع الغرور) كما جاءت فى قوله تعالى: «وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ». تعنى أنّها وسيلة

---

(١) «يهيج»: من مادة «هيجان» جاءت هنا بمعنيين الأوّل: جفاف النبات، والآخر: التحرّك والحيوية، وقد يرجع هذان المعنيان إلى أصل واحد، لأنّ النبات عند جفافه يكون مهيّأ للإندثار والإنتشار بحركة الرياح.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۲

وأداة للحيلة والخدعة للفرد وللآخرين. وطبيعى أنّ هذا المعنى وارد فى الأشخاص الذين يعتبرون الدنيا هدفهم النهائى، وتكون منتهى غاياتهم، ولكن إذا كانت الهبات المادية فى هذا العالم وسيلة للوصول بالإنسان للسعادة الأبدية، فذلك لا يعدّ من الدنيا، بل ستكون جسراً وقنطرة ومزرعة للآخرة التى ستتحقّق فيها تلك الأهداف الكبيرة حقّاً.

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَ لَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢۴) المسابقة المعنوية الكبرى: بعد ما بيّنت الآيات السابقة قيمة هذه الدنيا المتواضعة الفانية، وكيف أنّ الناس فيها منهمكون فى اللذات والتكاثر والتفاخر وجمع الأموال ... تأتى الآيات مورد البحث لتدعو الناس إلى العمل للحصول على موقع فى الدار الآخرة، ذلك الموقع المتّسم بالثبات والبقاء والخلود، وتدعوهم إلى السباق فى هذا المجال وبذل الجهد فيه، حيث يقول سبحانه: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ».

وفى الحقيقة أنّ مغفرة اللَّه هى مفتاح الجنة، تلك الجنة التى عرضها السماوات والأرض وقد اعدّت من الآن لضيافة المؤمنين، حتى لا يقول أحد إنّ الجنة نسيئة ودَين ولا أمل فى النسيئة.

وممّا ينبغى ملاحظته أنّ المسارعة لمغفرة اللَّه لابدّ أن تكون عن طريق أسبابها كالتوبة والتعويض عن الطاعات الفائتة، وأساساً فإنّ طاعة اللَّه عزّ وجل يعنى تجنّب المعاصى.

ویضیف تعالی فی نهایة الآیة: «ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَن یَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۳

ومن المؤکّد أنّ جنّة بذلک الإتّساع وبهذه النعم، لیس من السهل للإنسان أن یصل إلیها بأعماله المحدودة، لذا فإنّ الفضل واللطف والرحمة الإلهیة- فقط- هی التی تستطیع أن تمنحه ذلک الجزاء العظیم فی مقابل الیسیر من أعماله، إذ إنّ الجزاء الإلهی لا یکون دائماً بمقیاس العمل، بل إنّه بمقیاس الکرم الإلهی.

ولمزید من التأکید علی عدم التعلق بالدنیا، وعدم الفرح والغرور عند إقبالها، أو الحزن عند إدبارها، یضیف سبحانه: «مَا أَصَابَ مِن مُّصِیبَةٍ فِی الْأَرْضِ وَلَا فِی أَنفُسِکُمْ إِلَّا فِی کِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ».

إنّ المصائب التی تحدث فی الطبیعة کالزلازل والسیول والفیضانات والآفات المختلفة، وکذلک المصائب التی تقع علی البشر کالموت وأنواع الحوادث المؤلمة التی تشمل الإنسان، فإنّها مقدّرة من قبل ومسجّلة فی لوح محفوظ.

والجدیر بالإنتباه أنّ المصائب المشار إلیها فی الآیة هی المصائب التی لا- یمکن التخلّص منها، وتکون مقدّرة وحتمیة وغیر قابلة للإجتناب، ولیست ناتجة عن أعمال الإنسان. وإلّا فإنّ المصائب والمصاعب التی تکون بسبب ذنوب الإنسان وتسامحه فی الطاعات والالتزامات الإلهیة، فإنّ لمواجهتها لابدّ من وضع برنامج صحیح فی حیاة الإنسان.

والمقصود من «اللوح المحفوظ» هو: العلم اللا- متناهی للّهسبحانه، أو صحیفة عالم الخلقة ونظام العلّة والمعلول، والتی هی مصداق العلم الفعلی للّهسبحانه.

ولنلاحظ الآن ما هی فلسفة تقدیر المصائب فی اللوح المحفوظ، ومن ثم بیان هذه الحقیقة فی القرآن الکریم؟

الآیة اللاحقة تزیح هذا الحجاب عن هذا السرّ المهم حیث یقول تعالی: «لِّکَیْلَا تَأْسَوْا عَلَی مَا فَاتَکُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاکُمْ».

هاتان الجملتان تحلّان- فی الحقیقة- إحدی المسائل المعقّدة لفلسفة الخلقة، لأنّ الإنسان یواجه دائماً مشاکل وصعوبات وحوادث مؤسفة فی عالم الوجود، ویسأل دائماً نفسه هذا السؤال وهو: رغم أنّ اللّه رحمن رحیم وکریم ..، فلماذا هذه الحوادث المؤلمة؟!

ویجیب سبحانه أنّ هدف ذلک هو: ألا تأسرکم مغریات هذه الدنیا وتنشدّوا إلیها وتغفلوا عن أمر الآخرة ... کما ورد فی الآیة أعلاه.

هذه المصائب هی إنذار للغافلین وسوط علی الأرواح التی تعیش الغفلة والسبات، ودلالة علی قصر عمر الدنیا وعدم خلودها وبقائها.

إنّ هذه المصائب تکسر حدّة الغرور والتفاخر وحیث یقول سبحانه فی نهایة الآیة:

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۴

«وَاللَّهُ لَایُحِبُّ کُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». «مختال»: من مادة «خیال» بمعنی متکبر، لأنّ التکبر من التخیّل، أی من تخیّل الإنسان الفضل لنفسه، وتصوره أنّه أعلی من الآخرین؛ و «فخور»: صیغة مبالغة من مادة «فخر» بمعنی الشخص الذی یفتخر کثیراً علی الآخرین.

والشخص الوحید الذی یبتلی بهذه الحالات هو المغرور الذی أسکرته النعم، وهذه المصائب والآفات بإمکانها أن توقظه عن هذا السکر والغفلة وتهدیه إلی سیر التکامل.

ومن ملاحظة ما تقدم أعلاه فإنّ المؤمنین عندما یرزقون النعم من قبل اللّه سبحانه فإنّهم یعتبرون أنفسهم مؤتمنین علیها، ولا یأسفون علی فقدانها وفواتها، ولا یغفلون ویسکرون بوجودها.

وفی آخر آیة مورد البحث نلاحظ توضیحاً وتفسیراً لما جاء فی الآیات السابقة، والذی یوضّح حقیقة الإنسان المختال الفخور حیث یقول عنه تعالی: «الَّذِینَ یَبْخَلُونَ وَیَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ».

نعم، إنّ الإنشداد العمیق لزخارف الدنیا ینتج التکبر والغرور، ولازم التکبر والغرور هو البخل ودعوة الآخرین للبخل، أمّا البخل فلأنّ التکبر والغرور کثیراً ما یکون بسبب ثراء الإنسان الذی یدفعه إلی أن یحرص علیه، وبالتالی یبخل فی إنفاقه، ومن هنا فإنّ لازمة الغرور والتکبر هو البخل.

أمّا دعوة الآخرين إلى البخل، فلأنّ سخاء الآخرين سيفضح غيرهم من البخلاء، هذا أوّلًا، والثانی أنّ البخيل يحبّ البخل، لذا فإنّه يدعو للشیء الذی يرغب فيه.

ولكی لا يتصور أنّ تأكيد اللّه سبحانه على الإنفاق وترك البخل، أو كما عبّرت عنه الآيات السابقة ب (القرض للّه) مصدره إحتياج ذاته المقدسة، فإنّه يقول فی نهاية الآية:

«وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِيدُ».

بل نحن كلّنا محتاجون إليه وهو الغنی عنّا جميعاً، لأنّ جميع خزائن الوجود عنده وتحت قبضته، ولأنّه جامع لصفات الكمال فإنّه يستحق كل شكر وثناء.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲۵)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۵

الهدف الأساس من بعثة الأنبياء: ابتدأ اللّه سبحانه وتعالى عباده بالنعم فكانت رحمته ولطفه ومغفرته، ونعمه الكثيرة التی لا تحصى والتی اشير إليها فی الآيات السابقة ... ولأنّ هذه النعم تحتاج إلى تقنين فی استعمالها، ونظم وشرائط لنيل نتائجها المرجوّة، لذا فإنّه يحتاج إلى قيادة تقوم بمباشرتها والإشراف عليها وإعطاء التوجيهات الإلهية بشأنها، وهؤلاء القادة يجب أن يكونوا (قادة إلهيين) والآية مورد البحث- التی تعتبر من أكثر الآيات القرآنية محتوى- تشير إلى هذا المعنى، وتبيّن هدف إرسال الأنبياء ومناهجهم بصورة دقيقة، حيث يقول سبحانه: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ».

وبهذه الصورة فإنّ الأنبياء كانوا مسلّحين بثلاث وسائل وهی: «الدلائل الواضحة»، و «الكتب السماوية»، و «معيار قياس الحق من الباطل» والجيّد من الردیء. ولا يوجد مانع من أن يكون القرآن (بيّنة) أی معجزة، وهو كذلك كتاب سماوی ومبيّن للأحكام والقوانين، أی أنّ الأبعاد الثلاثة تصبّ فی محتوى واحد وهی موجودة فی القرآن الكريم.

وعلى كل حال، فإنّ الهدف من تعبئة هؤلاء الرجال العظام بهذه الأسلحة الأساسية، هو إقامة القسط والعدل.

وأنّ هذه الآية تشير إلى أحد الأهداف العديدة لارسال الرسل.

ثم إنّ أی مجتمع إنسانی مهما كان مستواه الأخلاقی والاجتماعی والعقائدی والروحی عالياً، فإنّ ذلك لا يمنع من وجود أشخاص يسلكون طريق العتو والطغيان، ويقفون فی طريق القسط والعدل، واستمراراً لمنهج الآية هذه يقول سبحانه: «وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ».

إنّ هذه الأسلحة الثلاثة التی وضعت تحت تصرّف الأنبياء هی بهدف أن تكون الأفكار والمفاهيم التی جاء بها الأنبياء فاعلة ومؤثّرة، وتحقّق أهدافها المنشودة، فقد وضع الحديد والبأس الشديد فی خدمة رسل اللّه.

إنّ تعبير (أنزلنا) إشارة إلى الهبات التی تعطى من المقام الأعلى إلى المستوى الأدنى، وهنا حديث لأمير المؤمنين عليه السلام فی تفسيره لهذا القسم من الآية حيث قال: «فإنزاله ذلك: خلقه إيّاه» «۱».

---

(۱) الاحتجاج، الشيخ الطبرسی ۱/ ۳۷۲.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۶

ثم يشير سبحانه إلى هدف آخر من أهداف ارسال الأنبياء وإنزال الكتب السماوية، وخلقه وتسخيره الوسائل المفيدة للإنسان كالحديد مثلًا، حيث يقول تعالى: «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ».

المقصود من (علم اللّه) هنا هو التحقق العينی ليتوضّح من هم الأشخاص الذين يقومون بنصرة اللّه ومبدئه، ويقومون بالقسط، ومن هم

الأشخاص الذين يتخلّفون عن القيام بهذه المسؤولية العظيمة.

ومفهوم هذه الآية يشبه ما ورد فى الآية (۱۷۹) من سورة آل عمران: «مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ».

وبهذه الصورة نلاحظ أنّ المسألة هنا مسألة إختبار وتمحيص واستخراج الصفوة التى استجابت لمسؤوليتها والقيام بواجبها الإلهى، وهذا هو هدف آخر من الأهداف الأساسية فى هذا البرنامج.

ومن الطبيعى أنّ المقصود ب (نصرة اللَّه) أنّها نصرة الدين والمبدأ والحاملين وحى الرسالة، وإقامة الحق والقسط ... وإلّا فإنّ اللَّه ليس بحاجة إلى نصرة أحد، بل الكل محتاج إليه.

ولتأكيد هذا المعنى تنتهى الآية بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».

حيث بإمكانه سبحانه أن يغيّر ما يشاء من العالم، بل يقلبه رأساً على عقب بإشارة واحدة، ويهلك أعداءه، وينصر أولياءه ... وبما أنّ الهدف الأساس له سبحانه هو التربية وتكامل البشر، لذا فقد دعاهم عزّ وجل إلى نصرة مبدأ الحق.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (۲۶) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (۲۷) تعاقب الرسل واحداً بعد الآخر: للقرآن الكريم منهجه المتميز، ومن خصوصياته أنّه

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۷

بعد بيان سلسلة من الاصول العامة يشير ويذكّر بمصير الأقوام السابقة، لكى يكون ذلك شاهداً وحجّة.

وهنا أيضاً يتجسّد هذا المنهج، حيث يشير فى المقدمة إلى ارسال الرسل مع البينات والكتاب والميزان والدعوة إلى الإيمان بالحق، لنيل مرضاته سبحانه والفوز بالسعادة الأبدية ... ثم يتحدث عن بعض الامم السابقة وأنبيائهم ويعكس هذه الاسس فى منهج دعوتهم.

ويبدأ بشيوخ الأنبياء وبداية سلسلة رسل الحق، نوح وإبراهيم عليهما السلام، حيث يقول سبحانه: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ».

ومما يؤسف له أنّ الكثيرين لم يستفيدوا من هذا الميراث العظيم، والنعم الإلهية الفيّاضة، والهبات والألطاف العميمة، حيث يقول عزّ وجل: «فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ».

نعم، لقد بدأت النبوّة بنوح عليه السلام توأماً مع الشريعة والمبدأ، ومن ثم إبراهيم عليه السلام من الأنبياء اولى العزم فى إمتداد خطّ الرسالة.

ثم يشير إلى قسم آخر من سلسلة الأنبياء الكرام التى تختتم بعيسى عليه السلام آخر رسول قبل نبيّنا محمّد صلى الله عليه و آله حيث يقول سبحانه: «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا».

حيث حملوا نور الهداية للناس ليضيئوا لهم الطريق، وتعاقبوا فى حملها الواحد بعد الآخر، حتى وصل الدور إلى السيّد المسيح: «وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ».

ثم يشير هنا إلى الكتاب السماوى للسيّد المسيح عليه السلام حيث يقول: «وَءَاتَيْنٰهُ الْإِنجِيلَ».

ويستمرّ متحدّثاً عن خصوصيات أتباعه فيقول سبحانه: «وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً».

وفى تفاوت مصطلحى «الرأفة» و «الرحمة» قالوا: إنّ «الرأفة» تعنى الرغبة فى دفع الضرر، و «الرحمة» تعنى الرغبة فى جلب المنفعة. ولهذا تذكر الرأفة قبل الرحمة غالباً، لأنّ قصد الإنسان ابتداءً هو دفع الضرر ومن ثم يفكّر فى جلب المنفعة.

ثم يضيف سبحانه: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ» «۱».

(۱) إنّ الرهبانیهٔ أخذت من «الرهبهٔ» التی جاءت بمعنی الخوف من اللَّه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۸

إنّ المستفاد من الآیهٔ أعلاه إجمالًا هو أنّ الرهبانیهٔ لم تکن فی شریعهٔ السیّد المسیح علیه السلام، وأنّ أصحابه ابتدعوها من بعده، وکان ینظر إلیها فی البدایهٔ علی أنّها نوع من أنواع الزهد والإبداعات الخیّرهٔ لکثیر من السنن الحسنهٔ التی تشیع بین الناس. ولا تتّخذ عنوان التشریع أو الدستور الشرعی، إلّاأنّ هذه السنّهٔ تعرّضت إلی الانحراف- فیما بعد- وتحریف التعالیم الإلهیهٔ، بل إقترنت بممارسات قبیحهٔ علی مرّ الزمن.

ومن جملهٔ الممارسات القبیحهٔ للمسیحیین فی مجال الرهبانیهٔ تحریم الزواج للنساء والرجال بالنسبهٔ لمن یتفرّغ (للرهبنهٔ) والإنزواء الاجتماعی، وإهمال کافّهٔ المسؤولیات الإنسانیهٔ فی المجتمع، والرکون إلی الصوامع والأدیرهٔ البعیدهٔ، والعیش فی محیط منزوٍ عن المجتمع ... بالإضافهٔ إلی جملهٔ من المفاسد التی حصلت فی الأدیرهٔ ومراکز الرهبان.

وفی أمالی الصدوق رحمه الله عن أنس بن مالک، قال: توفی ابن لعثمان بن مظعون، فاشتد حزنه علیه حتی اتخذ من داره مسجداً یتعبد فیه، فبلغ ذلک رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فقال له: «یا عثمان، إنّ اللَّه تبارک وتعالی لم یکتب علینا الرهبانیهٔ، إنّما رهبانیهٔ امّتی الجهاد فی سبیل اللَّه».

إنّ الإسلام ندّد للرهبانیهٔ بشدّهٔ، حتی أنّ الکثیر من المصادر الإسلامیهٔ أوردت الحدیث المعروف: «لا رهبانیهٔ فی الإسلام».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۸) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۲۹)

سبب النّزول

فی تفسیر مجمع البیان: قال سعید بن جبیر: بعث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله جعفراً فی سبعین راکباً إلی النجاشی، یدعوه. فقدم علیه ودعاه، فاستجاب له وآمن به. فلمّا کان عند إنصرافه، قال ناس ممّن آمن به من أهل مملکته، وهم أربعون رجلًا: ائذن لنا فنأتی هذا النبی فنسلم به.

فقدموا مع جعفر. فلمّا رأوا ما بالمسلمین من الخصاصهٔ، استأذنوا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وقالوا: یا

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۰۹

نبی اللَّه! إنّ لنا أموالًا ونحن نری ما بالمسلمین من الخصاصهٔ، فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسینا المسلمین بها. فأذن لهم فانصرفوا. فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمین.

فأنزل اللَّه تعالی فیهم: «الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» إلی قوله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» «۱» فکانت النفقهٔ التی واسوا بها المسلمین. فلمّا سمع أهل الکتاب ممّن لم یؤمن به قوله: «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» فخروا علی المسلمین، فقالوا: یا معشر المسلمین! أمّا من آمن بکتابکم وکتابنا فله أجران، ومن آمن منا بکتابنا، فله أجر کاجورکم، فما فضلکم علینا؟ فنزل قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ» الآیهٔ، فجعل لهم أجرین، وزادهم النور والمغفرهٔ.

التّفسیر

الذین لهم سهمان من الرحمهٔ الإلهیهٔ: بما أنّ الحدیث فی الآیات السابقهٔ کان عن أهل الکتاب والمسیحیین، فإنّ الآیات مورد البحث مکمّلهٔ لما جاء فی الآیات السابقهٔ. یقول سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ».

إنّ المخاطب فی هذه الآیهٔ هم جمیع المؤمنین الذین قبلوا- بالظاهر- دعوهٔ الرسول صلی الله علیه و آله ولکنّهم لم یؤمنوا بها الإیمان

الراسخ الذى يضىء أعماق النفوس ويتجسّد فى أعمالهم وممارساتهم.
وتكملة للآية الكريمة يشير القرآن الكريم إلى ثلاث نعم عظيمة تحصل فى ظلّ الإيمان العميق والتقوى، حيث يقول تعالى: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».
«كفل»: على وزن (طفل) بمعنى الحصّة التى توفّر للإنسان حاجته، ويقال للضامن «كفيل» أيضاً بهذا اللحاظ، حيث يكفل الطرف المقابل ويضمنه بنفسه.
والمقصود من هاتين الحصّتين أو النصيبين هو ما جاء فى قوله تعالى: «رَبَّنَا ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْأَخِرَةِ حَسَنَةً».
وحول القسم الثانى من الجزاء والأجر يقول تعالى: «وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ».
إنّ للآية مفهوماً مطلقاً واسعاً حسب الظاهر ولا يختص بالدنيا فقط ولا بالآخرة فحسب. وبتعبير آخر: فإنّ الإيمان والتقوى هى التى تسبّب زوال الحجب عن قلوب

---

(۱) سورة القصص / ۵۲- ۵۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۰

المؤمنين، حيث يتبيّن لهم وجه الحقيقة واضحاً وبدون حجاب، وفى ظلّ الإيمان والتقوى هذين سيكون للإنسان وعى وبصيرة حرم غير المؤمنين منها، لأنّ أكبر حاجز عن المعرفة وأهمّ مانع لها هو الحجاب الذى يغطّى قلب الإنسان، والذى هو هوى النفس والنزعات الذاتية والأمانى الفارغة، والآمال البعيدة، والوقوع فى أسر المادة ومغريات الدنيا، حيث لا تسمح للإنسان أن يرى الحقائق بصورتها الطبيعية، وبالتالى فإنّ الحكم على الأشياء يكون بعيداً فى منطق العقل والصواب.
إلّا أنّ إستقرار الإيمان والتقوى فى القلوب يبدّد هذه الحجب ويزيل عتمتها وظلامها عن صفحة القلب.
وفى الآية اللاحقة- والتى هى آخر آيات هذه السورة- بيان ودليل لما جاء فى الآية الآنفة الذكر حيث يقول تعالى: «لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».
إنّه جواب لهؤلاء الكتابيين الذين زعم قسم منهم: أنّ لهم أجراً واحداً كبقية المسلمين حينما رفضوا الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله وأمّا الذين آمنوا بالرسول منهم فلهم أجران: أجر الإيمان بالرسل السابقين، وأجر الإيمان بمحمّد صلى الله عليه و آله، حيث يجيبهم القرآن ويردّ عليهم بأنّ المقصود بالآية هم المسلمون.
فهؤلاء هم الذين لهم أجران، لأنّهم آمنوا جميعاً برسول اللَّه بالإضافة إلى إيمانهم بكل الأنبياء السابقين، أمّا أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول اللَّه فليس لهم أى نصيب أو سهم من الأجر، ذلك ليعلموا أنّ الرحمة الإلهية ليست فى اختيارهم حتى يهبوا ما يشاؤون منها وفق مشتهياتهم، ويمنعوها عن الآخرين.
«نهاية تفسير سورة الحديد»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۱

۵۸. سورة المجادلة

محتوى السورة: نزلت هذه السورة فى المدينة، وانسجاماً مع موضوعات السورة المدنية فإنّها تتحدث فى الغالب عن الأحكام الفقهية، ونظام الحياة الاجتماعية، والعلاقات بين المسلمين وغيرهم ... ونستطيع أن نلخّص أهمّ أبحاثها فى ثلاثة أقسام:
۱- يتحدث عن حكم (الظهار) الذى كان يعتبر نوعاً من الطلاق والانفصال الدائم، حيث قوّمه الإسلام وجعله فى الطريق الصحيح.
الثانى: يتحدث عن مجموعة من التعليمات الخاصة بآداب المجالسة، والتى منها:

«التفسّح» فی المجالس ومنع النجوی.

یتعرض إلی بحث وافٍ ومفصل عن المنافقین، تلک الفئة التی تتظاهر بالإسلام، إلّاأنّها تتعاون مع أعدائه، ویحذّر المسلمین المؤمنین من الدخول فی حزب الشیطان والنفاق، ویدعوهم إلی الحب فی اللّه والبغض فی اللّه والإلتحاق بحزب اللّه.

وقد اشتق اسم هذه السورة (المجادلة) من الآیة الاولی فیها.

فضیلة تلاوة السورة: فی تفسیر مجمع البیان عن ابی بن کعب قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «ومن قرأ سورة المجادلة کتب من حزب اللّه فی یوم القیامة».

فی ثواب الأعمال عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «من قرأ سورة الحدید والمجادلة فی صلاة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۲

فریضة أدمنهما لم یعذّبه اللّه حین یموت أبداً، ولا یری فی نفسه ولا فی أهله سوءاً أبداً، ولا خصاصة فی بدنه».

وحیث إنّ موضوعات هذه السورة تتناسب مع الجزاء المرتقب من اللّه تعالی، لذلک فإنّ الروایات أعلاه توضّح لنا الهدف من التلاوة من أجل العمل بمحتویاتها.

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا وَ تَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَ اللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (۱) الَّذِینَ یُظَاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِی وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَیَقُولُونَ مُنْکَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (۲) وَ الَّذِینَ یُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ یَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِیرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسَّا ذلِکُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۳) فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیَامُ شَهْرَیْنِ مُتَتَابِعَیْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّینَ مِسْکِیناً ذلِکَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْکَافِرِینَ عَذَابٌ أَلِیمٌ (۴)

سبب النّزول

فی تفسیر علی بن إبراهیم: حدّثنا علی بن الحسین قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبد اللّه عن الحسن بن محبوب عن أبی ولّاد عن حمران عن أبی جعفر علیه السلام قال: «إنّ امرأة من المسلمات أتت النبی صلی الله علیه و آله فقالت: یا رسول اللّه! إنّ فلاناً زوجی وقد نثرت له بطنی وأعنته علی دنیاه وآخرته، لم یر منّی مکروهاً أشکوه إلیک. فقال: فیم تشکینه؟ قالت: إنّه قال: أنت علیّ حرام کظهر امّی، وقد أخرجنی من منزلی فانظر فی أمری. فقال لها رسول اللّه صلی الله علیه و آله: ما أنزل اللّه تبارک وتعالی علیّ کتاباً أقضی فیه بینک وبین زوجک، وأنا أکره أن أکون من المتکلّفین، فجعلت تبکی وتشتکی ما بها إلی اللّه عزّ وجل وإلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وانصرفت.

قال: فسمع اللّه تبارک وتعالی مجادلتها لرسول اللّه فی زوجها وما شکت إلیه وأنزل اللّه فی ذلک قرآناً: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» إلی قوله «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۳

التّفسیر

الظهار عمل جاهلی قبیح: بالنظر إلی ما قیل فی سبب النزول، وکذلک طبیعة الموضوعات التی وردت فی السورة، فإنّ الآیات الاولی منها واضحة فی دلالتها حیث یقول سبحانه: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا».

«تجادل»: من المجادلة مأخوذة من مادة «جدل» وتعنی فی الأصل (فتل الحبل).

ثم یضیف تعالی: «وَتَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا».

«تحاور»: من مادة «حور» بمعنی المراجعة فی الحدیث أو الفکر.

«إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ». إنّ اللّه عالم بکل المسموعات والمرئیات، بدون أن یحتاج إلی حواس نظر أو سمع، لأنّه حاضر وناظر فی کل

مكان، يرى كل شيء ويسمع كل حديث.

ثم يستعرض تعالى حكم الظهار بجمل مختصرة وحاسمة تقضى بقوة على هذا المفهوم الخرافى حيث يقول سبحانه: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الِى وَلَدْنَهُمْ».

«الام» و «الولد» ليس بالشيء الذى تصنعه الألفاظ، بل إنّهما حقيقة واقعية عينية خارجية لا يمكن أن تكون من خلال اللعب بالألفاظ.

ويضيف تعالى مكمّلًا الآية: «وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً» «۱».

وتماشياً مع مفهوم هذه الآية فإنّ «الظهار» عمل محرّم ومنكر، ومع أنّ التكاليف الإلهية لا تشمل الممارسات السابقة، إلّاأنّها ملزمة لحظة نزول الحكم، ولابدّ عندئذ من ترتيب الأثر، حيث يضيف اللَّه سبحانه هذه الآية: «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ».

وبناءً على هذا فإذا كان المسلم قد إرتكب مثل هذا العمل قبل نزول الآية فلا بأس عليه لأنّ اللَّه سيعفو عنه، وأمّا مسألة الكفارة باقية بقوّتها.

إلّا أنّ مثل هذا العمل القبيح (الظهار) لم يكن شيئاً يستطيع الإسلام أن يغضّ النظر عنه، لذلك فقد جعل له كفارة ثقيلة نسبيّاً كى يمنع من تكراره، وذلك بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أن يَتَمَاسَّا».

ثم يضيف تعالى: «ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ».

(۱) «زور»: فى الأصل بمعنى الإنحناء الموجود على الصدر وجاءت أيضاً بمعنى الانحراف، ولأنّ حدود الكذب والباطل منحرفة عن الحق، فيقال له (زور) كما يطلق على الصنم أيضاً بهذا اللحاظ. مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۴

أى يجب ألّا تتصوروا أنّ مثل هذه الكفارة فى مقابل الظهار، كفارة ثقيلة وغير متناسبة مع الفعل، إنّ المقصود بذلك هو الموعظة والإيقاظ لنفوسكم، والكفارة عامل مهم فى وضع حدّ لمثل هذه الأعمال القبيحة والمحرمة، ومن ثم السيطرة على أنفسكم وأقوالكم.

وأساساً فإنّ جميع الكفارات لها جنبة روحية وتربوية، والكفارات المالية يكون تأثيرها غالباً أكثر من التعزيرات البدنية.

ولأنّ البعض يحاول أن يتهرّب من إعطاء الكفارة بأعذار واهية فى موضوع الظهار، يضيف عزّ وجل أنّه يعلم بذلك حيث يقول فى نهاية الآية: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

إنّه عالم بالظهار، وكذلك عالم بالذين يتهرّبون من الكفارة، وكذلك بنيّاتكم!

ولكن كفارة تحرير (رقبة) قد لا تتيسّر لجميع من يرتكب هذا الذنب كما لاحظنا ذلك فى موضوع سبب نزول هذه الآية المباركة.

وقد يتعذّر وجود المملوك، ليقوم المكلّف بتحرير رقبته حتى مع قدرته المالية، كما فى عصرنا الحاضر، لهذا كله ولأنّ الإسلام دين عالمى خالد فقد عالج هذه المسألة بحكم آخر يعوّض عن تحرير الرقبة، حيث يقول عزّ وجل: «فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أن يَتَمَاسَّا».

وهذا اللون من الكفارة له أثر عميق على الإنسان، حيث إنّ الصوم بالإضافة إلى أنّه وسيلة لتنقية الروح وتهذيب النفس، فإنّ له تأثيراً عميقاً وفاعلًا فى منع تكرّر مثل هذه الأعمال فى المستقبل.

ومن الواضح- كما فى ظاهر الآية- أنّ مدّة الصوم يجب أن تكون ستّين يوماً متتابعاً، وكثير من فقهاء أهل السنّة أفتوا طبقاً لظاهر الآية، إلّاأنّه قد ورد فى روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ المكلّف إذا صام أيام قلائل حتى ولو يوماً واحداً بعد صوم الشهر الأوّل، فإنّ مصداق التتابع فى الشهرين يتحقق، وهذا الرأى حاكم على ظاهر الآية.

ولأنّ الكثير من الناس غير قادرين على الوفاء بالكفارة الثانية، وهى صوم الشهرين المتتابعين، فقد ذكر لذلك بديل آخر حيث يقول سبحانه: «فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا».

والظاهر من الإطعام أن يعطى غذاء يشبع الشخص فى وجبة طعام، إلّاأنّ الروايات الإسلامية ذكرت أنّ المقصود بذلك هو (مدّ)

لإطعام كل واحد (والمد يعادل ۷۵۰ غم).

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۵

ثم يشير تعالى فى تكملة الآية مرّة اخرى إلى الهدف الأساس لمثل هذه الكفارات:

«ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ».

نعم إنّ إزالة الذنوب بوسيلة الكفارات تقوّى اسس الإيمان، وتربط الإنسان بالتعاليم الإلهية قولًا وعملًا.

وفى نهاية الآية يؤكّد سبحانه بصورة قاطعة على الالتزام بأوامره حيث يقول: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

يقال للقوانين الإلهية إنّها حدود، وذلك لحرمة تجاوزها.

وقد أدان الإسلام للظهار وشرّع له حكم الكفارة.

وبناءً على هذا فكلّما جعل الرجل على زوجته ظهاراً فإنّ الزوجة تستطيع أن تراجع الحاكم الشرعى وتلزمه، إمّا أن يطلّقها بصورة شرعية، أو يرجعها إلى حالتها الزوجية السابقة، بعد دفعه للكفارة بالصورة التى مرّت بنا سابقاً.

إنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (۵) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۶) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۷) اولئك أعداء اللّه: إذا كانت آخر جملة فى الآيات السابقة تحثّ الجميع بضرورة الالتزام بالحدود الإلهية وعدم تجاوزها، فإنّ الآيات مورد البحث لا تتحدث عن الأشخاص الذين تجاوزوا حدود اللّه فحسب، بل عن الذين حاربوا اللّه ورسوله، وتوضّح عاقبتهم ومصيرهم فى هذه الدنيا والعالم الآخر كذلك. يقول سبحانه فى البداية: «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ».

«يحادون»: من مادة «محادة» بمعنى الحرب المسلّحة والاستفادة من الحديد وتقال أيضاً

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۶

للحرب غير المسلّحة؛ و «كبتوا»: من مادة «كبت» بمعنى المنع بذلة، و (كبتوا) إشارة إلى أنّ اللّه تعالى يجعل جزاء المحاربين للّهورسوله الذلّة والهوان ويمنعهم من لطفه الشامل. ثم يضيف البارى سبحانه: «وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ».

وبناءً على هذا فقد تمّت الحجة بشكل كامل، ولم يبق عذر، وحجة للمخالفة، ومع ذلك فإن خالفوا، فلابدّ من أن يجازوا، ليس فى هذه الدنيا فحسب، بل فى القيامة: «وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ».

فإنّ هذا التهديد الإلهى للأشخاص الذين يقفون بوجه الرسول صلى الله عليه و آله والقرآن الكريم قد تحقّق، حيث واجهوا الذلة والإنكسار فى غزوة بدر وخيبر والخندق وغير ذلك، وأخيراً فى فتح مكة حيث كسرت شوكتهم واحبط كيدهم بانتصار الإسلام فى كل مكان.

والآية اللاحقة تتحدث عن إستعراض زمان وقوع العذاب الاخروى عليهم حيث يقول عزّ وجل: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا». نعم: «أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ».

وهذا بحد ذاته عذاب مؤلم، لأنّ اللّه تعالى يذكّرهم بذنوبهم المنسيّة ويفضحهم فى مشهد الحشر أمام الخلائق.

وفى نهاية الآية يقول البارىء سبحانه: «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

إنّ حضور اللّه سبحانه فى كل مكان وفى كل زمان وفى الداخل والخارج، يوجب ألّا يحصى أعمالنا- فقط- بل نيّاتنا وعقائدنا، وفى ذلك اليوم الكبير الذى هو «يوم البروز» يُعرف كل شيء ولكى يعلم الإنسان السبب فى شدة العقاب الإلهى.

ولتأكيد حضور اللّه سبحانه فى كل مكان وعلمه بكل شىء ينتقل الحديث إلى مسألة «النجوى» حيث يقول سبحانه: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ».

ثم يضيف تعالى: «مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

المقصود من أنّ «اللّه» رابعهم أو سادسهم هو أنّ اللّه عزّ وجل موجود حاضر وناظر فى كل مكان وعالم بكلّ شىء، وإلّا فإنّ ذاته المقدسة لا مكان لها، ولا يوصف بالعدد أبداً، ووحدانيّته أيضاً ليست وحدة عدديّة، بل بمعنى أنّه لا شبيه له، ولا نظير ولا مثيل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۷

أ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۷) أ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ إِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (۸) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَ تَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۹) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۰)

سبب النّزول

نقلت روايتان حول سبب نزول الآية الاولى أعلاه، وكل واحدة منهما تخصّ قسماً من الآية الكريمة. تقول الرواية الاولى: قال ابن عباس: نزل قوله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى الآية» فى اليهود والمنافقين، إنّهم كانوا يتناجون فيما بينهم، دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلّاوقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل، أو مصيبة أو هزيمة. فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فنزلت الآية «۱».

أمّا الرواية الثانية فقد نقل فى صحيح مسلم والبخارى وكثير من كتب التفسير، ففى صحيح مسلم عن عائشة قالت: أتى النبى صلى الله عليه و آله اناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. قال: «وعليكم». قالت عائشة قلت: بل عليكم السام والذام. فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله «يا عائشة لا تكونى فاحشة». فقالت ما سمعت ما قالوا. فقال: «أوليس قد رددت عليهم الذى

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۹/ ۴۱۳؛ وتفسير روح المعانى ۲۸/ ۲۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۸

قالوا قلت وعليكم». فأنزل اللّه عزّ وجل «وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ...» «۱».

التّفسير

النجوى من الشيطان: البحث فى هذه الآيات هو استمرار لأبحاث النجوى السابقة.

يقول سبحانه: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ».

ويستفاد من هذه الآية بصورة جليّة أنّ المنافقين واليهود قد نهوا من قبل ومنعوا من النجوى التى تولّد سوء الظن عند الآخرين وتسبّب لهم القلق.

واستمراراً لهذا الحديث فإنّ القرآن الكريم يشير إلى مورد آخر من أعمال التجاوز والمخالفة للمنافقين واليهود، حيث يقول تعالى: «وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ».

«حيّوك»: من مادة «تحيّة» مأخوذة فى الأصل من الحياة بمعنى الدعاء بالسلام والحياة الاخرى؛ والمقصود بالتحية الإلهية فى هذه الآية

هو: (السلام عليكم) أو (سلام اللّه عليك) والتى وردت نماذج منها فى الآيات القرآنية عن الأنبياء وأصحاب الجنة، ومن جملتها قوله تعالى فى الآية (۱۸۱) من سورة الصافات: «سَلمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ».

ثم يضيف تعالى أنّ هؤلاء لم يرتكبوا مثل هذه الذنوب العظيمة فقط بل كانوا مغرورين متعالين وكأنّهم سكارى فيقول عزّ وجل: «وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ».

وبهذه الصورة فإنّهم قد أثبتوا عدم إيمانهم بنبوّة الرسول صلى الله عليه و آله وكذلك عدم إيمانهم بالإحاطة العلمية للّهسبحانه.

ويرد عليهم القرآن الكريم: «حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

والطبيعى أنّ هذا الكلام لا ينفى عذابهم الدنيوى، لأنّ النجوى قد تكون بين المؤمنين أحياناً وذلك للضرورة أو لبعض الميول، لذا فإنّ الآية اللاحقة تخاطب المؤمنين ستكون مناجاتهم فى مأمن من التلوّث بذنوب اليهود والمنافقين حيث يقول البارىء عزّ وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

يستفاد من هذا التعبير- بصورة واضحة- أنّ النجوى إذا كانت بين المؤمنين فيجب أن

---

(۱) صحيح مسلم ۷/ ۵؛ صحيح البخارى ۸/ ۵۱؛ وفى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام ۲/ ۶۴۸.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۱۹

تكون بعيدة عن السوء وما يثير قلق الآخرين، ولابدّ أن يكون مسارها التواصى بالخير والحسنى، وبهذه الصورة فلا مانع منها.

ولذلك فإنّ القرآن يحذّر منها أشدّ تحذير فى آخر آية مورد البحث، حيث يقول تعالى:

«إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا». ولكن يجب أن يعلموا أنّ الشيطان لا يستطيع إلحاق الضرر بأحد إلّاأن يأذن اللّه بذلك «وَلَيْسَ بِضَارّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ».

ذلك لأنّ كل مؤثّر فى عالم الوجود يكون تأثيره بأمر اللّه حتى إحراق النار وقطع السيف.

«وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ». إذ أنّهم- بالروح التوكّلية على اللّه، وبالاعتماد عليه سبحانه- يستطيعون أن ينتصروا على جميع هذه المشاكل.

لهذا العمل- أى النجوى- من الوجهة الفقهية الإسلامية أحكام مختلفة:

فتارةً يكون هذا العمل «حراماً» وذلك فيما لو أدّى إلى أذى الآخرين أو هتك حرمتهم كالنجوى الشيطانية حيث هدفها إيذاء المؤمنين.

وقد تكون النجوى أحياناً «واجبة» وذلك فى الموضوعات الواجبة السرّية، حيث إنّ إفشاءها مضرّ ويسبّب الخطر والأذى، وفى مثل هذه الحالة فإنّ عدم العمل بالنجوى يستدعى إضاعة الحقوق وإلحاق خطر بالإسلام والمسلمين.

وتتصف النجوى فى صورة اخرى بالإستحباب، وذلك فى الأوقات التى يتصدّى فيها الإنسان لأعمال الخير والبرّ والإحسان، ولا يرغب بالإعلان عنها وإشاعتها وهكذا حكم الكراهة والإباحة.

وأساساً، فإنّ كل حالة لا يوجد فيها هدف مهم فالنجوى عمل غير محمود، ومخالف لآداب المجالس، ويعتبر نوعاً من اللامبالاة وعدم الإكتراث بالآخرين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَ إِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۱)

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى الصفّة، وفى المكان ضيق، وذلك يوم الجمعة. وكان صلى الله عليه و

آله يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار. فجاء اناس من أهل بدر، وفيهم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۰

مختصر الامثل ج۵ ۱۴۹

ثابت بن قيس بن شماس، وقد سبقوا فى المجلس. فقاموا حيال النبى صلى الله عليه و آله فقالوا: السلام عليك أيّها النبى ورحمهٔ اللَّه وبركاته، فردّ عليهم النبى صلى الله عليه و آله. ثم سلّموا على القوم بعد ذلك، فردّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّع لهم، فلم يفسحوا لهم. فشقّ ذلك على النبى صلى الله عليه و آله، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، قم يا فلان، بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر. فشقّ ذلك على من اقيم من مجلسه، وعرف الكراهيهٔ فى وجوههم. وقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أنّ صاحبكم يعدل بين الناس، فواللَّه ما عدل على هؤلاء أنّ قوماً أخذوا مجالسهم وأحبّوا القرب من نبيّهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم! فنزلت الآيهٔ.

التّفسير

إحترام أهل السابقهٔ والإيمان: تعقيباً على الموضوع الذى جاء فى الروايات السابقهٔ حول ترك (النجوى) فى المجالس، يتحدث القرآن عن أدب آخر من آداب المجالس حيث يقول سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ».

جملهٔ «يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» لها مفهوماً واسعاً، وتشمل كل سعهٔ إلهيهٔ، سواء كانت فى الجنهٔ أو فى الدنيا أو فى الروح والفكر أو فى العمر والحياهٔ، أو فى المال والرزق.

وبما أنّ المجالس تكون مزدحمهٔ أحياناً بحيث إنّه يتعذّر الدخول إلى المجلس فى حالهٔ عدم التفسّح أو القيام، وإذا وجد مكان فإنّه غير متناسب مع مقام القادمين واستمراراً لهذا البحث، يقول تعالى: «وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا». أى إذا قيل لكم قوموا فقوموا.

ولا ينبغى أن تضجروا أو تسأموا من الوقوف، لأنّ القادمين أحياناً يكونون أحوج إلى الجلوس من الجالسين فى المجلس، وذلك لشدّهٔ التعب أو الكهولهٔ أو للإحترام الخاص لهم، وأسباب اخرى.

ثم يتطرق سبحانه إلى الجزاء والأجر الذى يكون من نصيب المؤمنين إذا التزموا بالأمر الإلهى، حيث يقول عزّ وجل: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ».

وذلك إشارهٔ إلى أنّ الرسول صلى الله عليه و آله إذا أمر البعض بالقيام وإعطاء أماكنهم للقادمين، فإنّه لهدف إلهى مقدس، وإحتراماً للسابقين فى العلم والإيمان.

وبما أنّ البعض يؤدّى هذه التعليمات ويلتزم بهذه الآداب عن طيب نفس ورغبهٔ، والآخرون يؤدّونها عن كراهيهٔ أو للرياء، والتظاهر ... فيضيف تعالى فى نهايهٔ الآيهٔ: «وَاللَّهُ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۱

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

بالرغم من أنّ الآيهٔ نزلت فى مورد خاص، إلّاأنّ لها مفهوماً عاماً، وبملاحظهٔ أنّ ما يرفع مقام الإنسان عند اللَّه شيئان: الإيمان، والعلم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۲) أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (۱۳)

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: نزلت فى الأغنياء، وذلك أنّهم كانوا يأتون النبى صلى الله عليه و آله فيكثرون مناجاته. [وهذا العمل بالإضافهٔ

إلى أنّه يشغل الرسول صلى الله عليه و آله ويأخذ من وقته فإنّه كان يسبّب عدم إرتياح المستضعفين منه، وحيث يشعرهم بامتياز الأغنياء عليهم فأمر اللّه سبحانه بالصدقة عند المناجاة. فلمّا رأوا ذلك، انتهوا عن مناجاته. فنزلت آية الرخصة.

[التى لامت الأغنياء ونسخت حكم الآية الاولى وسمح للجميع بالمناجاة، حيث إنّ النجوى هنا حول عمل الخير وطاعة المعبود].

التّفسير

الصدقة قبل النجوى (إختبار رائع): فى قسم من الآيات السابقة كان البحث حول موضوع النجوى، وفى الآيات مورد البحث استمراراً وتكملة لهذا المطلب. يقول سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولُ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَيكُمْ صَدَقَةً».

ثم يضيف بقوله تعالى: «ذلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ».

أمّا كون الصدقة «خير» فإنّها كانت للأغنياء موضع أجر وللفقراء مورد مساعدة، وأمّا كونها (أطهر) فلأنّها تغسل قلوب الأغنياء من حبّ المال، وقلوب الفقراء من الغلّ والحقد.

ولكن لو كان التصدّق قبل النجوى واجباً على الجميع، فإنّ الفقراء عندئذ سيحرمون من طرح المسائل المهمّة كاحتياجاتهم ومشاكلهم أمام الرسول صلى الله عليه و آله فلذا جاء فى ذيل الآية إسقاط هذا الحكم عن المجموعة المستضعفة مما مكّنهم من مناجاة الرسول صلى الله عليه و آله والتحدّث

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۲

معه: «فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ». وبهذه الصورة فإنّ دفع الصدقة قبل النجوى كان واجباً على الأغنياء دون غيرهم.

والطريف هنا أنّ للحكم أعلاه تأثيراً عجيباً وامتحاناً رائعاً أفرزه على صعيد الواقع من قبل المسلمين فى ذلك الوقت، حيث امتنع الجميع من إعطاء الصدقة إلّاشخص واحد، ذلك هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا اتّضح ما كان يجب أن يتّضح، وأخذ المسلمون درساً فى ذلك، لذا نزلت الآية اللاحقة ونسخت الحكم حيث يقول سبحانه: «ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَيكُمْ صَدَقَاتٍ».

حيث اتّضح أنّ حبّ المال كان فى قلوبكم أحبّ من نجواكم للرسول صلى الله عليه و آله واتّضح أيضاً أنّ هذه النجوى لم تكن تطرح فيها مسائل أساسية، وإلّا فما المانع من أن تقدّم هذه المجموعة صدقة قبل النجوى، خاصة أنّ الآية لم تحدّد مقدار الصدقة فبإمكانهم دفع مبلغ زهيد من المال لحلّ هذه المشكلة.

ثم يضيف تعالى: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَا هُمْ مِنْكُم وَ لَا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (۱۵) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (۱۶) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (۱۷) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (۱۸) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (۱۹) حزب الشيطان: هذه الآيات تفضح قسماً من تآمر المنافقين وتعرض صفاتهم للمسلمين، وذكرها بعد آيات النجوى يوضّح لنا أنّ قسماً ممّن ناجوا الرسول كانوا من المنافقين، حيث كانوا بهذا العمل يظهرون قربهم للرسول صلى الله عليه و آله ويتستّرون على مؤامراتهم، وهذا ما سبّب أن يتعامل القرآن مع هذه الحالة بصورة عامّة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۳

يقول تعالى فى البداية: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم».

ثم يضيف تعالى: «مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ». فهم ليسوا أعوانكم فى المصاعب والمشاكل، ولا- أصدقاءكم وممّن يكنون لكم الودّ

والإخلاص، إنّهم منافقون يغيّرون وجوههم كل يوم ويظهرون كل لحظة لكم بصورة جديدة.

ويضيف- أيضاً- واستمراراً لهذا الحديث أنّ هؤلاء ومن أجل إثبات وفاءهم لكم فإنّهم يقسمون بالأيمان المغلّظة: «وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

وهذه طريقة المنافقين، فيقومون بتغطية أعمالهم المنفرة ووجوههم القبيحة بواسطة الأيمان الكاذبة والحلف الباطل، فى الوقت الذى تكون أعمالهم خير كاشف لحقيقتهم.

ثم يشير تعالى إلى العذاب المؤلم لهؤلاء المنافقين المصرّين على الباطل والمعاندين للحقّ، حيث يقول تعالى: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا». وبدون شك فإنّ هذا العذاب عادل وذلك:

«إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

ثم للتوضيح الأكثر حول بيان سمات وصفات المنافقين يقول سبحانه: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ».

يحلفون أنّهم مسلمون وليس لهم هدف سوى الإصلاح، فى حين أنّهم منهمكون بفسادهم وتخريبهم ومؤامراتهم ... وفى الحقيقة فإنّهم يستفيدون من الاسم المقدس للّهللصدّ والمنع عن سبيل اللّه تعالى ...

ويضيف تعالى فى النهاية: «فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ». أى مذلّ.

إنّهم أرادوا بحلفهم الكاذب تحسين سمعتهم وتجميل صورتهم، إلّاأنّ اللّه سيبتليهم بعذاب أليم مذلّ.

ولأنّ المنافقين يعتمدون فى الغالب على أموالهم وأولادهم وهما (القوة الاقتصادية والقوة البشرية) فى تحقيق مآربهم وحلّ مشاكلهم، فإنّ القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى بقوله تعالى: «لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا».

وهذه الأموال ستصبح لعنة عليهم وطوقاً فى أعناقهم وسبباً لعذابهم المؤلم، كما يوضّح اللّه سبحانه ذلك فى الآية (۱۸۰) من سورة آل عمران: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيمَةِ».

وفى ذيل الآية يهدّدهم ويقول: «أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

والعجيب أنّ المنافقين لا يتخلّون عن نفاقهم حتى فى يوم القيامة أيضاً، كما يوضّح اللّه

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۴

سبحانه ذلك فى قوله: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ». إنّ يوم القيامة يوم تتجلّى فيه الأعمال، وحقيقة الإنسان التى كان عليها فى الدنيا، ولأنّ المنافقين أخذوا هذه الحالة النفسية معهم إلى القبر والبرزخ، فإنّها ستتضح يوم القيامة أيضاً، ومع علمهم بأنّ اللّه سبحانه لا يخفى عليه شىء وأنّه علّام الغيوب، إلّاأنّهم- إنسجاماً مع سلوكهم المعهود- فإنّهم يحلفون أمام اللّه حلفاً كاذباً.

ثم يضيف عزّ وجل أنّهم بهذا اليمين الكاذب يظنّون أنّه بإمكانهم كسب منفعة أو دفع ضرر: «وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ».

إنّ هذا التصور الواهى ليس أكثر من خيال.

وأخيراً تنتهى الآية بهذه الجملة: «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ». وبهذه الصورة سيفتضح.

وفى آخر آية مورد البحث يبيّن البارى عزّ وجل المصير النهائى للمنافقين العمى القلوب بقوله تعالى: «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«استحوذ»: من مادة «حوذ» بمعنى الجزء الخلفى لفخذ البعير، ولأنّ أصحاب الإبل عندما يسوقون جمالهم يضربونها على أفخاذها، فقد جاء هذا المصطلح بمعنى التسلّط أو السوق بسرعة.

نعم، إنّ المنافقين المغرورين بأموالهم ومقامهم، ليس لهم مصير سوى أن يكونوا تحت سيطرة الشيطان واختياره ووساوسه بصورة تامّة، وينسون اللّه بصورة كلية، أنّهم ليسوا منحرفين فحسب، بل إنّهم فى زمرة الشيطان وهم أنصاره وحزبه وجيشه فى إضلال

الآخرين.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولِئكَ فِى الْأَذَلِّينَ (۲۰) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (۲۱) لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِك كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولِئَك حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۲۲)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۵

كان الحديث عن المنافقين وأعداء اللَّه وبيان بعض صفاتهم وخصائصهم فى الآيات السابقة، واستمراراً لنفس البحث- فى هذه الآيات التى هى آخر آيات سورة المجادلة- تطرح خصوصيات اخرى لهم، ويتّضح المصير الحتمى لهم حيث الموت والإندحار. يقول تعالى فى البداية: «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولِئكَ فِى الْأَذَلّينَ» «۱». أى أذلّ الخلائق.

والآية اللاحقة دليل على هذا المعنى حيث يقول سبحانه: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ».

وبنفس القدر الذى يكون فيه اللَّه قويّاً عزيزاً فإنّ أعداءه يكونون ضعفاء أذلّاء، وهذا بنفسه بمثابة الدليل على ما ورد فى الآية السابقة من وصف الأعداء بأنّهم «فِى الْأَذَلّينَ».

ولقد اتّضح على مرّ العصور هذا الإنتصار للمرسلين الإلهيين فى أوجه مختلفة، سواء فى أنواع العذاب الذى أصاب أعداءهم وصوره المختلفة كطوفان نوح وصاعقة عاد وثمود والزلازل المدمّرة لقوم لوط وما إلى ذلك، وكذلك فى الإنتصارات فى الحروب المختلفة كغزوات بدر وحنين وفتح مكة، وسائر غزوات رسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

وأهمّ من ذلك كلّه إنتصارهم الفكرى والمنطقى على أفكار الشيطان وأعداء الحق والعدالة.

آخر آية مورد البحث- والتى هى آخر آية من سورة المجادلة- تعدّ من أقوى الآيات القرآنية التى تحذّر المؤمنين من إمكانية الجمع بين حبّ اللَّه وحبّ أعدائه، إذ لابدّ من اختيار طريق واحد لا غير، وإذا ما كانوا حقّاً مؤمنين صادقين فعليهم اجتناب حبّ أعداء اللَّه.

يقول تعالى: «لَّاتَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ».

إنّ حبّ الآباء والأبناء والاخوان والعشيرة شىء ممدوح، ودليل على عمق العواطف الإنسانية، إلّاأنّ هذه المحبة حينما تكون بعيدة عن حبّ اللَّه فإنّها ستفقد خاصيتها.

ثم يتطرّق القرآن الكريم إلى الجزاء العظيم لهذه المجموعة التى سخّرت قلوبها لعشق اللَّه تعالى، حيث يستعرض خمسة من أوصافهم والتى يمثّل بعضها مدداً وتوفيقاً من اللَّه تعالى، والآخر نتيجة العمل الخالص له سبحانه ... وفى بيان القسم الأوّل والثانى يقول تعالى: «أُولِئكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مّنْهُ».

---

(۱) «يحادّون»: من مادة «محادّة» بمعنى الحرب المسلّح وغير المسلّح، أو بمعنى الممانعة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۶

ومن الطبيعى أنّ هذا الإمداد واللطف الإلهى لا- يتنافى أبداً مع أصل حرية الارادة واختيار الإنسان، لأنّ الخطوات الاولى فى ترك أعداء اللَّه قد قرّرها المؤمنون ابتداءً، ثم جاء الإمداد الإلهى بصورة استقرار الإيمان حيث عبّر عنه ب (كتب).

هذه الروح الإلهية التى يؤيّد اللَّه سبحانه المؤمنين بها هى نوع من الحياة المعنوية الجديدة التى أفاضها اللَّه تعالى على المؤمنين.

ويقول تعالى فى ثالث مرحلة: «وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا».

ويضيف فى رابع مرحلة لهم: «رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ».

إنّ أعظم ثواب معنوى وجزاء روحانى لأصحاب الجنة فى مقابل النعم المادية العظيمة فى القيامة من جنان وحور وقصور هو شعورهم

وإحساسهم أنّ اللَّه راضٍ عنهم وأنّ رضـی مولاهم ومعبودهم یعنی أنّهم مقبولون عنده، وفی کنف حمایته وأمنه، حیث یجلسهم علی بساط قربه، وهذا أعظم إحساس ینتابهم، ونتیجته رضاهم الکامل عن اللَّه سبحانه.

وفی آخر مرحلة یضیف تعالی بصورة إخبار عام یحکی عن نعم وهبات اخری حیث یقول: «أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

ولیس المقصود بالفلاح هنا ما یکون فی عالم الآخرة ونیل النعم المادیة والمعنویة فی یوم القیامة فحسب، بل کما جاء فی الآیات السابقة أنّ اللَّه تعالی ینصرهم بلطفه فی هذه الدنیا أیضاً علی أعدائهم وستکون بأیدیهم حکومة الحق والعدل التی تستوعب هذا العالم أخیراً.

«نهایة تفسیر سورة المجادلة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۷

۵۹. سورة الحشر

محتوی السورة: تأخذ هذه السورة بصورة متمیزة قصة حرب المسلمین مع بعض الیهود (یهود بنی النضیر) والتی انتهت بإخراجهم من المدینة وتطهیر هذه المدینة المقدسة منهم.

وهذه السورة من السور المهمة والمثیرة والموقظة فی القرآن الکریم، ولها انسجام قریب جدّاً مع الآیات الأخیرة مع السورة السابقة، والتی وعدت «حزب اللَّه» بالنصر، والنصر الوارد فی هذه السورة یعدّ مصداقاً بارزاً لذلک النصر الموعود.

ویمکن تلخیص موضوعات هذه السورة فی ستة أقسام هی:

۱- تتحدث عن تسبیح اللَّه الحکیم العلیم من قبل الموجودات جمیعاً.

۲- یوضّح قصة إشتباک المسلمین مع ناقضی العهد من یهود المدینة.

۳- یستعرض القرآن قصة منافقی المدینة مع الیهود والتعاون بینهما.

۴- یشمل مجموعة من التوجیهات والنصائح العامة لعموم المسلمین.

۵- عبارة عن وصف بلیغ للقرآن الکریم وبیان أثره فی تطهیر الروح والنفس.

۶- یتناول قسماً مهماً من أوصاف جلال وجمال الذات الإلهیة المقدسة، وبعض أسمائه الحسنی، وهذه الصفات تکون عوناً للإنسان فی طریق معرفة اللَّه سبحانه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۸

إنّ اسم هذه السورة مأخوذ من الآیة الثانیة فیها، والتی تتحدث عن «الحشر»، والذی یعنی هنا تجمّع الیهود للرحیل عن المدینة، أو حشر المسلمین الیهود لطردهم منها.

وأخیراً فإنّ هذه السور هی إحدی (سور المسبّحات) والتی بدأت بتسبیح اللَّه، وانتهت بتسبیح اللَّه أیضاً.

فضیلة تلاوة السورة: فی تفسیر مجمع البیان عن ابی بن کعب قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله:

«ومن قرأ سورة الحشر لم یبق جنّة ولا نار، ولا عرش ولا کرسی ولا حجاب، ولا السماوات السبع ولا الأرضون السبع، والهوام والریاح والطیر والشجر والدواب، والشمس والقمر والملائکة، إلّا صلّوا علیه، واستغفروا له، وإن مات من یومه أو لیلته مات شهیداً».

ومما لا شک فیه أنّ هذا من آثار التفکّر والتدبّر فی محتوی هذه السورة وعند قراءتها.

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۱) هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ مِنْ دِیَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ یُخْرِبُونَ

بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ (۲) وَ لَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (۳) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (۴) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ (۵)

سبب النّزول

ذكر المفسرون والمحدّثون والمؤرّخون بصورة مفصّلة سبب نزول هذه الآيات، وخلاصة ما ذكروه هى ما يلى:

كان بالمدينة ثلاث قبائل من اليهود وهم: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، ويذكر أنّهم لم يكونوا من أهل الحجاز أصلًا، وإنّما قدموا إليها واستقرّوا فيها، وذلك لما قرأوه فى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۲۹

كتبهم العقائدية من قرب ظهور نبى فى أرض المدينة، حيث كانوا بإنتظار هذا الظهور العظيم.

وعندما هاجر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله إلى المدينة عقد معهم حلفاً بعدم تعرّض كل منهما للآخر، إلّاأنّهم كلّما وجدوا فرصة مناسبة لم يألوا جهداً فى نقض العهد.

ومن جملة ذلك أنّهم نقضوا العهد بعد غزوة احد، التى وقعت فى السنة الثالثة للهجرة.

فقد ذهب كعب بن الأشرف زعيم قبيلة بنى النضير مع أربعين فارساً إلى مكة، وهنالك عقد مع قريش حلفاً لقتال محمّد صلى الله عليه و آله، وجاء أبو سفيان مع أربعين شخصاً، وكعب بن الأشرف مع أربعين نفراً من اليهود، ودخلا معاً إلى المسجد الحرام ووثقوا العهد فى حرم الكعبة، فعلم النبى صلى الله عليه و آله بذلك عن طريق الوحى.

والمؤامرة الاخرى هى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دخل يوماً مع شيوخ الصحابة وكبارهم إلى حى بنى النضير، وذلك بحجّة إستقراض مبلغ من المال منهم كديّة لقتيلين من طائفة بنى عامر، قتلهما (عمرو بن اميّة) أحد المسلمين، وربّما كان الهدف من ذلك هو معرفة أخبار اليهود عن قرب حتى لا يباغت المسلمون بذلك.

فبينما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يتحدث مع كعب بن الأشرف إذ حيكت مؤامرة يهودية لإغتيال رسول اللَّه وتنادى القوم: إنّكم لا تحصلون على هذا الرجل بمثل هذه الحالة وهاهو قد جلس بالقرب من حائطكم، فليذهب أحدكم إلى السطح ويرميه بحجر عظيم ويريحنا منه، فقام عمرو بن جحاش وأبدى إستعداده لتنفيذ الأمر، وذهب إلى السطح لتنفيذ عمله الإجرامى، إلّاأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علم عن طريق الوحى بذلك، فقفل راجعاً إلى المدينة دون أن يتحدث بحديث مع أصحابه، إلّاأنّ الصحابة تصوروا أنّ الرسول سيعود مرّة اخرى، ولمّا عرفوا فيما بعد أنّ الرسول فى المدينة عاد الصحابة إليها أيضاً.

وهنا أصبح من المسلّم لدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نقض اليهود للعهد، فأعطى أمراً للإستعداد والتهيّؤ لقتالهم.

وجاء فى بعض الروايات أيضاً أنّ أحد شعراء بنو النضير هجا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بشعر يتضمّن مسّاً بكرامة الرسول وهذا دليل آخر لنقضهم العهد.

وبدأت خطّة المسلمين فى مواجهة اليهود وكانت الخطوة الاولى أن أمر رسول اللَّه (محمّد بن سلمة) أن يقتل كعب بن الأشرف زعيم اليهود، إذ كانت له به معرفة، وقد نفّذ هذا العمل بعد مقدمات وقتله.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۰

إنّ قتل كعب بن الأشرف أوجد هزّة وتخلخلًا فى صفوف اليهود، عند ذلك أعطى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أمراً للمسلمين أن يتحرّكوا لقتال هذه الفئة الباغية الناقضة للعهد.

وعندما علم اليهود بهذا لجأوا إلى قلاعهم المحكمة وحصونهم القوية، وأحكموا الأبواب، إلّا أنّ الرسول صلى الله عليه و آله أمر أن تقلع أشجار النخيل القريبة من القلاع.

فقد إرتفع صوت اليهود عندما شعروا بالضيق، وهم محاصرون فى حصونهم ... فقالوا: يا محمّد، لقد كنت تنهى عن هذا، فما الذى حدا بك لتأمر قومك بقطع نخيلنا؟

فنزلت الآية (۵) من الآيات محل البحث وبيّنت بأنّ هذا العمل هو أمر من اللَّه عزّ وجل.

واستمرّت المحاصرة لعدّة أيّام، ومنعاً لسفك الدماء إقترح رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليهم أن يتركوا ديارهم وأراضيهم ويرحلوا من المدينة، فوافقوا على هذا وحملوا مقداراً من أموالهم تاركين القسم الآخر ... واستقرّ قسم منهم فى «أذرعات الشام»، وقليل منهم فى «خيبر»، وجماعة ثالثة فى «الحيرة»، وتركوا بقية أموالهم وأراضيهم وبساتينهم وبيوتهم بيد المسلمين بعد أن قاموا بتخريب ما يمكن لدى خروجهم منها «۱».

التّفسير

بدأت هذه السورة بتنزيه وتسبيح اللَّه وبيان عزّته وحكمته. يقول سبحانه: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

وهذه مقدمة لبيان قصة يهود بنى النضير، اولئك الذين انحرفوا عن طريق التوحيد ومعرفة اللَّه وصفاته.

التسبيح العام الوارد فى الآية لجميع موجودات الأرض والسماء، أعم من الملائكة والبشر والحيوانات والنباتات والجمادات يمكن أن يكون بلسان «القال» ويمكن أن يكون بلسان «حال» هذه المخلوقات حول دقّة النظام المثير للعجب لها فى خلق كل ذرّة من ذرّات هذا الوجود، وهو التسليم المطلق للَّهسبحانه والإعتراف بعلمه وقدرته وعظمته وحكمته.

ومن جهة اخرى فإنّ قسماً من العلماء يعتقدون أنّ كل موجود فى العالم له نصيب وقدر من العقل والإدراك والشعور، بالرغم من أنّنا لم ندركه ولم نطّلع عليه، وبهذا الدليل فإنّ هذه المخلوقات تسبّح بلسانها، بالرغم من أنّ آذاننا ليس لها القدرة على سماعها.

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۹/ ۴۲۵؛ وتفسير على بن إبراهيم ۲/ ۳۵۸؛ وتفسير القرطبى ۱۸/ ۲.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۱

وبعد بيان المقدمة أعلاه نستعرض أبعاد قصة يهود بنى النضير فى المدينة حيث يقول سبحانه: «هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ».

«حشر»: فى الأصل تحريك جماعة وإخراجها من مقرّها إلى ميدان حرب وما إلى ذلك، والمقصود منه هنا اجتماع وحركة المسلمين من المدينة إلى قلاع اليهود، أو اجتماع اليهود لمحاربة المسلمين، ولأنّ هذا أوّل اجتماع من نوعه فقد سمّى فى القرآن الكريم بأوّل الحشر، وهذه بحد ذاتها إشارة إلى بداية المواجهة المقبلة مع يهود بنى النضير ويهود خيبر وأمثالهم.

ويضيف البارىء عزّ وجل: «مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ». لقد كانوا مغرورين وراضين عن أنفسهم إلى حدّ أنّهم اعتمدوا على حصونهم المنيعة، وقدرتهم المادية الظاهرية.

ولأنّ اللَّه سبحانه يريد أن يوضّح للجميع أن لا قوّة فى الوجود تقاوم إرادته، فإنّ إخراج اليهود من أراضيهم وديارهم بدون حرب، هو دليل على قدرته سبحانه، وتحدّ لليهود الذين ظنّوا أنّ حصونهم مانعتهم من اللَّه.

ولذلك يضيف- استمراراً للبحث الذى ورد فى الآية- قوله تعالى: «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ». نعم، إنّ هذا الجيش غير المرئى هو جيش الخوف الذى يرسله اللَّه تعالى فى كثير من الحروب لمساعدة المؤمنين، وقد خيّم على قلوبهم، وسلب منهم قدرة الحركة والمقاومة، لقد جهّزوا وهيّأوا أنفسهم لقتال المهاجرين والأنصار غافلين عن إرادة اللَّه تعالى، حيث يرسل لهم جيشاً من داخلهم.

وفى نهاية الآية- بعنوان استنتاج كلى- يقول تعالى: «فَاعْتَبِرُوا يَأُولِى الْأَبْصَارِ».

«اعتبروا»: من مادة «إعتبار» وفى الأصل مأخوذة من العبور، أى العبور من شىء إلى شىء آخر، ويقال لدمع العين «عبرة» بسبب عبور

قطرات الدموع من العين، وكذلك يقال «عبارة» لهذا السبب، حيث إنّها تنقل المطالب والمفاهيم من شخص إلى آخر، وإطلاق «تعبير المنام» على تفسير محتواه، بسبب أنّه ينقل الإنسان من ظاهره إلى باطنه.

وبهـذه المناسبة يقال للحوادث التى فيها دروس وعظات «عبر» لأنّها توضّح للإنسان سلسلة من التعاليم الكليّة وتنقله من موضوع إلى آخر.

والتعبير ب «اولى الأبصار» إشارة إلى الأشخاص الذين يتعاملون مع الحوادث بعين

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۲

واقعية ويتوغلون إلى أعماقها.

والمقصود من العبرة والإعتبار فى الآية أعلاه هو الإنتقال المنطقى والقطعى من موضوع إلى آخر. يعنى مقايسة الحوادث المتشابهة من خلال إعمال العقل. وتضيف الآية اللاحقة: «وَلَوْلَا أن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا».

وبـدون شك فإنّ الجلاء عن الوطن وترك قسم كبير من رؤوس الأموال التى جهـدوا جهـداً بليغاً فى الحصول عليها، هو بحدّ ذاته أمر مؤلم لهم، وبنـاءً على هـذا فـإنّ مراد الآيـة أعلاه أنّه لو لم يحلّ بهم هـذا العـذاب، فـإنّ بإنتظارهم عـذاباً آخر هو القتل أو الأسـر بيد المسلمين ...

إلّا أنّ اللَّه سبحانه أراد لهم التيه فى الأرض والتشرّد فى العالم، لأنّ هـذا أشـدّ ألماً وأسىً على نفوسهم، إذ كلّما تـذكّروا أرضـهم وديارهم ومزارعهم وبساتينهم التى أصبحت بيد المسلمين، وكيف أنّهم شردوا منها بسبب نقضهم العهد ومؤامراتهم ضدّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فإنّ ألمهم وحزنهم ومتاعبهم تضاعف وخاصة على المستوى النفسى.

وكان هـذا عـذاباً دنيوياً لهم، إلّاأنّ لهم جولـة اخرى مع عذاب أشدّ وأخزى، ذلك هو عذاب الآخرة، حيث يضـيف سبحانه فى نهاية الآية: «وَلَهُمْ فِى الْأَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ».

وبما أنّ ذكر هـذه الحادثـة مضافاً إلى تجسيد قـدرة اللَّه وصـدق الدعوة المحمّدية، فهى فى نفس الوقت تمثّل إنذاراً وتنبيهاً لكل من يروم القيام بأعمال مماثلة لفعل بنى النضير، لذا ففى الآية اللاحقة يرشدنا سبحانه إلى هذا المعنى: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

«شـاقّوا»: من مادة «شـقاق» وهى فى الأصل بمعنى الشقّ والفصل بين شـيئين، وبما أنّ العـدو يكون دائماً فى الطرف المقابل، فإنّ كلمة (شقاق) تطلق على هذا العمل.

وفى الآية الأخيرة من الآيات مورد البحث نلاحظ جواباً على إعتراض يهود بنى النضير على قطع المسلمين لنخيلهم- كما ورد فى شأن النزول- بأمر من رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله لتهيئـة ظروف أفضل لقتال بنى النضـير أو لزيادة حزنهم وألمهم، فيضـطرّوا للنزول من قلاعهم ومنازلـة المسـلمين خارج القلعـة، وقد أثار هذا العمل غضب اليهود وحنقهم، فقالوا: يا محمّد، قد كنت تنهى عن الفحشاء، فما بالك تقطع النخل وتحرقها؟ فنزلت الآيـة مبيّنـة لهم أنّ ذلك من أمر اللَّه سـبحانه حيث يقول البارىء: «مَا قَطَعْتُم مّن لّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۳

فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ». «لينة»: من مادة «لون» تقال لنوع جيّد من النخل.

وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۶) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (۷)

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: قال ابن عباس: نزل قوله «مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى الآيـة. فى أموال كفار أهل القرى، وهم قريظة وبنو النضير، وهما بالمدينة. وفدك، وهى من المدينة على ثلاثة أميال. وخيبر، وقرى عرينة، وينبع، جعلها اللّه لرسوله، يحكم فيها ما أراد. وأخبر أنّها كلّها له. فقال اناس: فهلا قسمها، فنزلت الآية.

[وسنلاحظ أنّ الرسول صلى الله عليه و آله قسّم هذه الأموال بين المهاجرين الفقراء فى المدينة، وعلى قسم من الأنصار من ذوى الفاقة].

التّفسير

حكم الغنائم بغير الحرب: بما أنّ هذه الآيات تكملة للآيات القرآنية السابقة التى تتحدث عن إندحار يهود بنى النضير، لذا فإنّ هذه الآيات تبيّن حكم غنائم بنى النضير، كما أنّها فى نفس الوقت توضّح حكماً عاماً حول الغنائم التى يحصل عليها المسلمون بدون حرب، كما ذكر ذلك فى كتب الفقه الإسلامى بعنوان (الفىء).

يقول اللّه تعالى: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِن خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ».

«أفاء»: من مادة «فىء» وهى فى الأصل بمعنى الرجوع، وإطلاق كلمة (فىء) على هذا اللون من الغنائم لعلّه باعتبار أنّ اللّه سبحانه قد خلق هذه النعم والهبات العظيمة فى عالم الوجود فى الأصل للمؤمنين، وعلى رأسهم الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله الذى هو أشرف الكائنات.

وبناءً على هذا فإنّ الجاحدين لوجود اللّه والعاصين له بالرغم من إمتلاكهم للبعض من هذه النعم بموجب القواعد الشرعية والعرفية، إلّاأنّهم يعتبرون غاصبين لها، ولذلك فإنّ عودة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۴

هذه الأموال إلى أصحابها الحقيقيين (وهم المؤمنون) يسمّى (فيئاً) فى الحقيقة. «أوجفتم»: من مادة «إيجاف» بمعنى السّوق السريع الذى يحدث غالباً فى الحروب.

«خيل»: بمعناه المتعارف عليه (وهى اسم جنس وجمعها خيول) «۱».

«ركاب»: من مادة «ركوب» وتطلق فى الغالب على ركوب الجمال.

والهدف من مجموع الجملة أنّ جميع الموارد التى لم يحدث فيها قتال وفيها غنائم، فإنّها لا توزّع بين المقاتلين، وتوضع بصورة تامّة تحت تصرّف رئيس الدولة الإسلامية وهو يصرفها فى الموارد التى سيأتى الحديث عنها لاحقاً.

ثم يضيف سبحانه أنّ الإنتصارات لا تكون غالباً لكم «وَلكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

نعم، لقد تحقّق الإنتصار على عدو قوى وشديد كيهود (بنى النضير) وذلك بالمدد الإلهى الغيبى، ولتعلموا أنّ اللّه قادر على كل شىء. ولابدّ للمسلمين أن يتعلّموا من ذلك دروس المعرفة الإلهية، ويلاحظوا علائم حقّانية النبى صلى الله عليه و آله، ويلتزموا منهجالإخلاص والتوكل على الذات الإلهية المقدسة فى جميع ممارساتهم.

والآية اللاحقة تبيّن بوضوح مورد صرف (الفىء) الوارد فى الآية السابقة وتقول بشكل قاعدة كليّة: «مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ».

وهذا يعنى أنّ هذه الغنائم ليست كباقى الغنائم الحربية التى يكون خمس منها فقط تحت تصرّف الرسول صلى الله عليه و آله وسائر المحتاجين، والأربعة الأخماس الاخرى للمقاتلين.

وإذا ما صرّحت الآية السابقة برجوع جميع الغنائم لرسول اللّه صلى الله عليه و آله فلا يفهم من ذلك أن يصرفها جميعاً فى موارده الشخصية، وإنّما اعطيت له لكونه رئيساً للدولة الإسلامية، وخاصة كونه المتصدّى لتغطية حاجات المعوزين، لذا فإنّ القسم الأكبر يصرف فى هذا المجال.

إنّ الرسول صلى الله عليه و آله لا- يريد الأموال لُاموره الشخصية، بل بعنوان قائد المسلمين ورئيس دولتهم يصرفها فى الامور التى تحقّق مصلحة الدولة الإسلامية بشكل عام.

---

(۱) يقول الراغب فى المفردات: إنّ الخيل فى الأصل من مادة (خيال) بمعنى التصوّرات الذهنية، وخيلاء بمعنى التكبّر والتعالى على الآخرين لأنّه ناتج من تخيّل الفضيلة، ولأنّ ركوب الإنسان على الحصان يشعر بالإحساس بنوع من الفخر والزهو غالباً، لذلك أطلق لفظ الخيل على الحصان، والنقطة الجديرة بالملاحظة أنّ خيل تطلق على الحصان وكذلك على راكبه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۵

ومما يجدر بالملاحظة أنّ هذا الحق ينتقل من بعد الرسول صلى الله عليه و آله إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام ومن بعدهم إلى نوّابهم. يعنى (كل مجتهد جامع للشرائط) لأنّ الأحكام الإسلامية لا- تعطّل، والحكومة الإسلامية من أهمّ المسائل التى يتعامل المسلمون معها وقسم من هذه الاسس قنّنت ضمن الهيكل الاقتصادى العام للمجتمع الإسلامى، كما أنّها تمثّل مبدأً أساسياً فى النظام الاقتصادى للدولة الإسلامية.

ثم يستعرض سبحانه فلسفة هذا التقسيم الدقيق بقوله تعالى: «كَىْ لَايَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ». فيتداول الأغنياء الثروات فيما بينهم ويحرم منها الفقراء.

والمفهوم الذى ورد فى هذه الآية يوضّح أصلًا أساسياً فى الاقتصاد الإسلامى وهو:

وجوب التأكيد فى الاقتصاد الإسلامى على عدم تمركز الثروات بيد فئة محدودة وطبقة معيّنة تتداولها فيما بينها، مع كامل الإحترام للملكية الشخصية، وذلك بإعداد برنامج واضح بهذا الصدد يحرّك عملية تداول الثروة بين أكبر قطاع من الامة.

ويضيف سبحانه فى نهاية الآية: «وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

وبالرغم من أنّ هذا القسم من الآية نزل بشأن غنائم بنى النضير، إلّاأنّ محتواها حكم عام فى كل المجالات، ومدرك واضح على حجية سنّة الرسول صلى الله عليه و آله.

وطبقاً لهذا الأصل فإنّ جميع المسلمين ملزمون بإتّباع التعاليم المحمّدية، وإطاعة أوامر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وإجتناب ما نهى عنه، سواء فى مجال المسائل المرتبطة بالحكومة الإسلامية أو الاقتصادية أو العبادية وغيرها.

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَاناً وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (۸) وَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۹) وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (۱۰)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۶

السمات الأساسية للأنصار والمهاجرين والتابعين: هذه الآيات- التى هى إستمرار للآيات السابقة- تتحدث حول طبيعة مصارف الفىء الستّة، التى تشمل الأموال والغنائم التى حصل عليها المسلمون بغير حرب، وقد أوضحت الآية المعنى باليتامى والمساكين وأبناء السبيل، مع التأكيد على المقصود من أبناء السبيل بلحاظ أنّهم يشكّلون أكبر رقم من عدد المسلمين المهاجرين فى ذلك الوقت، حيث تركوا أموالهم ووطنهم نتيجة الهجرة، وكانوا فقراء بعد أن هجروا الدنيا من أجل دينهم. يقول تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».

هنا بيّنت الآية ثلاثة أوصاف مهمة وأساسية للمهاجرين الأوائل، تتلخص ب:

«الإخلاص» و «الجهاد» و «الصدق».

وفى الآيـة اللاحقـة يسـتعرض سـبحانه ذكر مورد آخر من موارد صـرف هـذه الأموال، ومن بين ما يسـتعرضه فى الآيـة الكريمـة أيضـاً وصف رائع ومعبّر جـدّاً عن طائفـة الأنصار، ويكمل البحث الـذى جاء فى الآيةِ السابقة حول المهاجرين، فيقول سـبحانه: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ».

«تبؤوا»: من مادة «بواء» وهى فى الأصل بمعنى تساوى أجزاء المكان. وبعبارة اخرى يقال: (بواء) لترتيب وتسوية مكان (ما)، هذا التعبير كناية لطيفة لهذا المعنى، وهو أنّ طائفة الأنصار- أهل المدينة- قد هيّؤوا الأرضية المناسبة للهجرة.

والتعبير «تَبَوَّءُو» يوضّح لنا أنّ الأنصار لم يهيّؤوا بيوتهم لاستقبال المهاجرين فحسب، بل إنّهم فتحوا قلوبهم ونفوسهم وأجواء مجتمعهم قدر المستطاع للتكيّف فى التعامل مع وضع الهجرة المرتقب.

وجملة «مِن قَبْلِهِمْ» يوضّح لنا أنّ كل تلك الامور كانت قبل هجرة مسلمى مكة، وهذا أمر مهمّ.

ثم يتطرق سبحانه إلى بيان ثلاث صفات اخرى توضّح روحية الأنصار بصورة عامة، حيث يقول تعالى: «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ».

فلا فرق بين المسلمين فى وجهة نظرهم والمهمّ لديهم هو مسألة الإيمان والهجرة وهذا الحبّ كان يعتبر خصوصية مستمرّة لهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۷

والأمر الآخر: «وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا». فهم لا يطمعون بالغنائم التى اعطيت للمهاجرين، ولا يحسدونهم عليها، ولا حتى يحسّون بحاجة إلى ما اعطى للمهاجرين منها.

ويضيف تعالى فى المرحلة الثالثة إلى وصفهم: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» «۱».

ومن هذه السمات الثلاث: «المحبّة» و «عدم الطمع» و «الايثار»، كانت تتشكّل خصوصية الأنصار المتميزة.

فى تفسير مجمع البيان عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم بنى النضير للأنصار:

«إن شـئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديارکم، وتشارکونهم فى هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم ديارکم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة». فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة، ولا نشاركهم فيها فنزلت الآية.

وفى نهايـة الآيـة- ولمزيـد من التأكيـد لهذه الصـفات الكريمة، وبيان تأثيرها الإيجابى العميق- يضـيف سـبحانه: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«الشحّ»: البخل مقترناً بالحرص عادةً؛ و «يوق»: من مادة وقاية.

وفى الكافى عن الفضل بن أبى قرة قال: قال الصادق عليه السـلام: «تـدرى ما الشـحيح»؟ قلت: هو البخيل. قال: «الشـحّ أشدّ من البخل، إنّ البخيل يبخل بما فى يده، والشـحيح يشحّ على ما فى أيدى الناس، وعلى ما فى يديه، حتى لا يرى مما فى أيدى الناس شيئاً إلّاتمنّى أن يكون له بالحلّ والحرام، ولا يقنع بما رزقه اللّه».

وفى آخر آيـة مورد البحث يـأتى الحـديث عن آخر طائفـة من المسـلمين، الـذين عرفوا بيننـا باصـطلاح القرآن الكريم ب (التـابعين)، والـذين يشـكّلون المجموعـة الغالبـة من المسـلمين بعد المهاجرين والأنصار الذين تحدّثت عنهم الآيات السابقة. يقول تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ».

---

(۱) «خصاصـة»: من مادة «خصاص» بمعنى الشـقوق التى توجـد فى جدران البيت، ولأنّ الفقر فى حياة الإنسان يمثّل شـقّاً، لذا عبّر عنه بالخصاصة. مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۸

وبهذا الترتيب فإنّ خصوصياتهم هى: (تربية النفس) و (الإحترام للسابقين فى الإيمان) و (الإبتعاد عن الحسد والبغضاء).

والتعـبير ب (إخوان) والإسـتمداد من الرؤوف الرحيم فى نهايـة الآيـة يحكى عن روح المحبّـة والصـفاء والاـخوّة الـتى يجب أن تسود المجتمع الإسلامى أجمع، فكل شخص يتمنّى صفة حسنة لا يتمنّاها لنفسه فحسب.

إنّ الآية أعلاه لبيان هذه الحقيقة وهى أنّ أموال «الفيء» لا تنحصر بمحتاجى المهاجرين والأنصار فقط، بل تشمل سائر المحتاجين من المسلمين على مرّ العصور.

بحث

الصحابة فى ميزان القرآن والتاريخ: يصرّ بعض المفسرين- بدون الإلتفات إلى الصفات التى مرّت بنا فى الآيات السابقة لكل من المهاجرين والأنصار والتابعين- على إعتبار جميع الصحابة بدون استثناء متّصفين بجميع الصفات الإيجابية (للمهاجرين والأنصار والتابعين) وأنّهم نموذج يقتدى بهم من حيث نزاهتهم وطهرهم والتسامح فيما بينهم، وكل خلاف صدر منهم أحياناً سواء فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله أو من بعده فإنّهم يغضّون النظر عنه، وبهذا اعتبروا كل مهاجر وأنصارى وتابع شخصاً محترماً ومقدّساً بصورة عامة، دون الإلتفات إلى أعمالهم وتقييمها حسب الموازين الشرعية.

إلّا أنّ الملاحظ أنّ فى الآيات أعلاه رفض واضح إزاء هذا الفهم، حيث تحدّد الآية التقييم وفق ضوابط وموازين دقيقة للمهاجرين الحقيقيين والأنصار والتابعين.

ففى «المهاجرين»: الإخلاص والجهاد والصدق.

وفى «الأنصار»: المحبة للمهاجرين والإيثار، والإبتعاد عن كل حرص وبخل.

وفى «التابعين»: بناء أنفسهم، والإحترام للسابقين فى الإيمان، والإبتعاد عن كل بغض وحسد.

إنّنا فى الوقت الذى نحترم فيه السابقين فى خطّ الرسالة والإيمان، يجدر بنا أن ندقّق فى سوابقهم وملفّ فعالهم، سواء على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أو المخاضات المختلفة التى حدثت بعده فى التاريخ الإسلامى، وعلى أساس الضوابط والمعايير الإسلامية المستلهمة من هذه الآيات المباركات نحكم لهم أو عليهم، وعندئذ نقوّى أواصرنا مع من بقى على العهد، ونقطعها أو نحدّدها- بما يناسب- مع من ضعفت روابطهم أو قطعوها مع تلك الموازين والضوابط، وهذا هو المنطق الصحيح والمنسجم مع حكم القرآن والعقل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۳۹

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (۱۱) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (۱۲) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (۱۳) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (۱۴)

سبب النّزول

فى تفسير روح البيان: إنّ قسماً من منافقى المدينة- كعبد اللَّه بن ابى وأصحابه- أرسلوا إلى بنى النضير وأبلغهم بما يلى: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فإنّ معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين وهو جالس فى بيته حتى قال أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم لحيى بن أخطب الذى كان هو المتولى لأمر بنى النضير واللَّه يا حيى إنّ قول ابن ابى لباطل وليس بشىء وإنّما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمّداً فيجلس فى بيته يتركك فقال حيى نأبى الاعداوة محمّد والا قتاله فقال سلام فهو واللَّه جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ما كان كما سبق فى أوّل السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن.

التّفسير

دور المنافقين فى فتن اليهود: بعد بيان ما جرى ليهود بنى النضير فى الآيات السابقة، وبيان حالة الأصناف الثلاثة من المؤمنين، يتعرّض

القرآن الكريم الآن لشرح حالة المنافقين ودورهم في هـذا الحادث، وفى البداية يتحدث مع الرسول صلى الله عليه و آله حيث يقول سبحانه: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۰

وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ». وهكذا فإنّ هؤلاء المنافقين وعدوا طائفة اليهود بامور ثلاثة، وجميعها كانت كاذبة.

ولهذا السبب يقول القرآن الكريم بصراحة: «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

أجل، لقد كان المنافقون كاذبين دائماً، والكاذبون منافقين غالباً.

ثم ... للإيضاح والتأكيد الأكثر حول كذب المنافقين يضيف سبحانه:

«لَئِنْ أُخْرِجُوا لَايَخْرُجُونَ مَعَهُمْ». «وَلَئِن قُوتِلُوا لَايَنصُرُونَهُمْ». «وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ». «ثُمَّ لَايُنصَرُونَ».

والآية اللاحقة تتحدث عن سبب هذا الإندحار، حيث يقول سبحانه: «لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ».

ولأنّهم لا يخافون اللّه، فإنّهم يخافون كل شيء خصوصاً إذا كان لهم أعداء مؤمنون مثلكم: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّايَفْقَهُونَ».

ثم يستعرض دليلًا واقعياً واضحاً يعبّر عن حالة الخوف والاضطراب حيث يقول سبحانه: «لَايُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ».

«قرى»: جمع قرية، أعمّ من المزروعة وغير المزروعة، وتأتى أحياناً بمعنى الناس المجتمعين فى مكان واحد.

«محصّنة»: من مادة «حصن» بمعنى مسوّرة، وبناءً على هـذا فإنّ (القرى المحصّنة) تعنى القرى التى تكون فى أمان بوسيلة أبراجها وخنادقها والمواضع التى تعيق تقدّم العدو فيها.

نعم، بما أنّهم خرجوا من حصن الإيمان والتوكل على اللّه، فإنّهم بغير الإلتجاء والإتّكاء على الجدران والقلاع المحكمة لا يتجرّؤون على مواجهة المؤمنين.

ثم يوضّح أنّ هـذا ليس ناتجاً عن جهل بمعرفة فنون الحرب، أو قلة فى عددهم وعدّتهم، أو عجز فى رجالهم، بل إنّ «بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ».

ولهذا السبب- واستمراراً لما ورد فى نفس الآية- نستعرض سبباً آخر من أسباب إندحار المنافقين، حيث يقول سبحانه: «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۱

وهكذا فإنّ الإنسجام الظاهرى للعناصر غير المؤمنة والإتفاقيات العسكرية والاقتصادية يجب ألّا تخدعنا أبداً، لأنّ وراءها قلوب متناحرة متنافرة، ودليلها واضح وهو إنهماك كل منهم بمنافعه المادية بشكل شديد، وبما أنّ المنافع غالباً ما تكون متعارضة، فعندئذ تبرز الاختلافات والشحناء فيما بينهم، ولن تغنى عن ذلك العهود والإتفاقيات وشعارات الوحدة والانسجام الظاهرى. فى الوقت الذى تكون فيه وحدة وانسجام المؤمنين على قواعد واصول ربانية كأصل الإيمان والتوحيد والقيم الإلهية.

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۱۵) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (۱۶) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَ ذلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (۱۷) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (۱۸) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (۱۹) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (۲۰) يستمرّ البحث فى هذه الآيات حول قصة بنى النضير والمنافقين ورسم خصوصية كل منهم فى تشبيهين رائعين: يقول سبحانه فى البداية: «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

تحدّثنا هذه الآية عن ضرورة الاعتبار بما جرى لبنى النضير والقوم الذين كانوا من قبلهم وما جرى لهم.

ويعتقـد كثير من المفسـرين أنّ المقصود بقوله «الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» هو إشارة إلى قصـة يهود «بنى قينقاع»، التى حـدثت بعـد غزوة بـدر، وانتهت بإخراجهم من المدينة، لأنّ يهود بنى قينقاع كيهود بنى النضير كانوا ذوى ثراء ومغرورين بقدرتهم القتالية، يهدّدون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والمسلمين بقوّتهم وقدرتهم العسكرية إلّاأنّ العاقبة لم تكن غير حصاد التيه والتعاسة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۲

«وبال»: بمعنى (عاقبة الشؤم والمرارة) وهى فى الأصل مأخوذة من «وابل» بمعنى المطر الغزير، لأنّ المطر الغزير غالباً ما يكون مخيفاً.

ثم يسـتعرض القرآن الكريم تشبيهـاً للمنـافقين حيث يقول سـبحانه: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنّى بَرِىءٌ مِّنكَ إِنّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

والمقصود ب «الإنسان» فى هذه الآية هو مطلق الإنسان الذى يقع تحت تأثير الشيطان، وينخدع بأحابيله ووعوده الكاذبة، ويسير به فى طريق الكفر والضلال، ثم إنّ الشيطان يتركه ويتبرّأ منهم.

نعـم، هكـذا حـال المنـافقين حيث يـدفعون بحلفـائهم من خلال الوعـود الكاذبـة والمكر والحيلـة إلى اتـون المعـارك والمشاكـل ثم يتركونهم لوحدهم، ويتخلّون عنهم، لأنّ الوفاء لا يجتمع والنفاق.

وتتحـدث الآيـة اللاحقـة عن مصير هاتين الجماعتين (الشيطان وأتباعه، والمنافقين وحلفائهم من أهل الكفر) وعاقبتهما البائسة، حيث النار خالدين فيها، فيقول سبحانه عنهم: «فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ».

وهـذا أصل كلّى فإنّ عاقبـة تعاون الكفر والنفاق، والشـيطان وحزبه، هو الهزيمة والخذلان، وعدم الموفّقية، وعذاب الدنيا والآخرة، فى الوقت الـذى تكون ثمره تعاون المؤمنين وأصـدقائهم تعاون وثيق وبنّاء، وعاقبته الخير ونهايته الانتصار والتمتع بالرحمة الإلهية الواسـعة فى عالم الدنيا والآخرة.

وتوجّه الآية اللاحقة حديثها للمؤمنين بعنوان استنتاج من حالة الشؤم والبؤس التى اعترت المنافقين وبنى النضير والشياطين، حيث يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ».

إنّ هـذه الـذخيرة الاخرويـة تمثّل أكبر رأسـمال حقيقى للإنسان فى مشـهد يوم القيامـة، لـذا فإنّ هـذا النوع من الأعمال الصالحـة يلزم إعداده وتهيئته وإرساله مسبقاً، وإلّا فلا أحد يهتمّ له بعد وفاته وإنقضاء أجله، وإذا ارسل شيئاً فليس له شأن يذكر.

ثم يضيف تعالى مرّة اخرى للتأكيد بقوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

نعم، التقوى والخوف من اللَّه يدعوان الإنسان للتفكير بيوم غده (القيامة) بالإضافة إلى السعى إلى تنقية وتخليص وتطهير أعماله.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۳

وأكّـدت الآيـة اللاحقـة بعـد الأمر بالتقوى والتوجّه إلى يوم القيامة على ذكر اللَّه سـبحانه، حيث يقول تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ».

وأساساً فإنّ جوهر التقوى شـيئان: ذكر اللَّه تعالى، وذلك بالتوجّه والإنشـداد إليه من خلال المراقبـة الدائمة منه واستشـعار حضوره فى كل مكان وفى كل الأحوال، والخشية من محكمة عدله ودقّة حسابه الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها فى صحيفة أعمالنا ...

ولـذا فـإنّ التوجّه إلى هـذين الأساسـين (المبـدأ والمعاد) كان على رأس البرامـج التربويـة للأنبياء والأولياء، وذلك لتأثيرها العميق فى تطهير الفرد والمجتمع.

وأساساً فإنّ النسـيان- بحـدّ ذاته- من أكبر مظاهر تعاسة الإنسان وشـقائه، لأنّ قيمة الإنسان فى قابلياته ولياقاته الذاتية وطبيعة خلقه التى تميّزه عن الكثير من المخلوقات، وإذا نسـيها فهذا يعنى نسـيان إنسانيته، وفى مثل هذه الحالة يسقط الإنسان فى وحل الحيوانية، ويصبح همّه الأكل والشرب والنوم والشهوات.

وهذه كلّها عامل أساس للفسق والفجور، بل إنّ نسيان الذات هو من أسوأ مصاديق الفسق والخروج عن طاعة اللَّه، ولهذا يقول سبحانه:

«أولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

وفى آخر آيـة- مورد البحث- يستعرض سبحانه مقارنـة بين هاتين الجماعتين: الجماعـة المؤمنة المتّقيةْ السائرة باتّجاه المبدأ والمعاد، والجماعة الغافلة عن ذكر اللَّه، التى ابتليت كنتيجة للغفلة عن اللَّه بنسيان ذاتها، حيث يقول سبحانه: «لَايَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ».

ليس فى الدنيا، ولا فى المعتقدات، وليس فى طريقة التفكير والمنهج، وليس فى طريقة الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان وأهدافه، ولاـ فى المحصّلة الاخروية والجزاء الإلهى ... إذ إنّ خطّ كل مجموعة من هاتين المجموعتين فى اتّجاه متعارض ... متعارض فى كل شيء وكل مكان وكل هدف ... إحداهما تؤكّد على ذكر اللَّه والقيامة وإحياء القيم الإنسانية الرفيعة، والقيام بالأعمال الصالحة كذخيرة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ... والاخرى غارقة فى الشهوات واللذات المادية، وأسيرة الأهواء ومبتلية بالنسيان .. وبهذا فإنّ الإنسان على مفترق طريقين، إمّا أن يرتبط بالقسم الأوّل، أو بالقسم الثانى، وليس غيرهما من سبيل آخر.

وفى نهاية الآية نلاحظ حكماً قاطعاً حيث يضيف سبحانه: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۴

فليس فى الدار الآخرة فقط يوجد (فائزون وخاسرون) بل فى هذه الدنيا أيضاً، حيث يكون الإنتصار والنجاة والسكينة من نصيب المؤمنين المتقين، كما أنّ الهزيمة والخسران فى الدارين تكون من نصيب الغافلين.

لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۲۱) هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (۲۲) هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۲۳) هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۴) لو نزل القرآن على جبل: تكملة للآيات السابقة التى كانت تهدف إلى تحريك النفوس والقلوب الإنسانية، وخاصة عن طريق التذكير بالنهاية التى يكون عليها الإنسان، والمصير الذى ينتظره، والذى يجدر أن يهيّئه فى أبهى وأفضل صورة ... تأتى هذه الآيات المباركات التى هى آخر آيات سورة الحشر، والتى تأخذ بنظر الاعتبار مجمل ما ورد من آيات هذه السورة، لتوضّح حقيقة اخرى حول القرآن الكريم، وهى: أنّ هذا الكتاب المبارك له تأثير عميق جدّاً حتى على الجمادات، حيث إنّه لو نزل على الجبال لهزّها وحرّكها وجعلها فى وضع من الإضطراب المقترن بالخشوع إلّا أنّه- مع الأسف- هذا الإنسان القاسى القلب يسمع آيات اللَّه تتلى عليه ولا تتحرّك روحه ولا يخشع قلبه. يقول سبحانه: «لَوْ أَنزَلْنَا هذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» «۱».

وقد حملها البعض الآخر على ظاهرها وقالوا: إنّ كل الموجودات فى هذا العالم- ومن جملتها الجبال- لها نوع من الإدراك والشعور الخاصّ بها، وإذا نزلت هذه الآيات عليها فإنّها

---

(۱) «متصدّع»: من مادة «صدع»، بمعنى شقّ الأشياء القوية، كالحديد والزجاج، وإذا قيل لوجع الرأس: صداع، فإنّه بسبب شعور الإنسان أنّ رأسه يريد أن يتشقّق من الألم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۵

ستتلاشى، ودليل هذا ما ورد فى الآية (۷۴) من سورة البقرة فى وصف جماعة من اليهود.

قال تعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِن خَشْيَةِ اللَّهِ».

الآيات اللاحقة تستعرض قسماً مهمّاً من صفات جمال وجلال اللَّه سبحانه، التى لكل واحدة منها الأثر العميق فى تربية النفوس

وتهذيب القلوب، وتحوى الآيات القرآنية الثلاثة خمسة عشر وصفاً للّهسبحانه. أو بتعبير آخر: فإنّ ثمانى عشرة صفة من صفاته العظيمة تذكرها ثلاث آيات، وكل منها تتعلّق ببيان التوحيد الإلهى والاسم المقدس، وتوضّح للإنسان طريق الهداية إلى العالم النورانى لأسماء وصفات الحق سبحانه. يقول تعالى: «هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ».

هنا وقبل كل شىء يؤكّد على مسألة التوحيد، التى هى أصل لجميع صفات الجمال والجلال، وهى الأصل والأساس فى المعرفة الإلهية، ثم يذكر علمه بالنسبة للغيب والشهود.

ثم يعتمد على رحمته العامة التى تشمل جميع الخلائق: (الرحمن) ورحمته الخاصة التى تخصّ المؤمنين، (والرحيم) لتعطى للإنسان أملًا، ولتعينه فى طريق بناء نفسه والتكامل بأخلاقه وسلوكه بالسير نحو اللَّه.

أمّا فى الآية اللاحقة، فبالإضافة إلى التأكيد على مسألة التوحيد فإنّها تذكر ثمانية صفات اخرى للَّهسبحانه، حيث يقول البارىء عزّ وجل: «هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ». «الْمَلِكُ» الحاكم والمالك الحقيقى لجميع الكائنات.

«الْقُدُّوسُ» المنزّه من كل نقص وعيب.

«السَّلمُ» لا يظلم أحد، وجميع الخلائق فى سلامة من جهته.

ثم يضيف سبحانه:

«الْمُؤْمِنُ» يعطى الأمان لأحبّائه، ويتفضّل عليهم بالإيمان.

«الْمُهَيْمِنُ» الحافظ والمراقب لكل شىء.

«الْعَزِيزُ» القادر الذى لا يقهر.

«الْجَبَّارُ»: مأخوذ من (جبر) وقد ورد هذا المصطلح عشر مرّات فى القرآن الكريم، تسع مرّات حول الأشخاص الظالمين والمستكبرين المتسلّطين على رقاب الامّة والمفسدين فى الأرض ومرّة واحدة فقط عن اللَّه القادر المتعال، حيث ورد بهذا المعنى فى الآية مورد البحث.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۶

ثم يضيف سبحانه: «الْمُتَكَبِّرُ».

«المتكبّر»: من مادة «تكبّر» وجاءت بمعنيين:

الأوّل: إستعملت صفة المدح، وقد اطلقت على لفظ الجلالة، وهو إتّصافه بالعلو والعظمة والسمات الحسنة بصورة عامة.

والثانى: استعملت صفة الذم وهو ما يوصف به غير اللَّه عزّ وجل.

ولأنّ العظمة وصفات العلو والعزة لا تكون لائقة لغير مقام اللَّه سبحانه، لذا استعمل هذا المصطلح هنا بمعناه الإيجابى حول اللَّه سبحانه، وكلّما إستعمل لغير اللَّه أعطى معنى الذم.

وفى نهاية الآية يؤكّد مرّة اخرى مسألة التوحيد التى كان الحديث حولها ابتداءً حيث يقول تعالى: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

وفى آخر آية مورد البحث يشير سبحانه إلى ستّ صفات اخرى حيث يقول تعالى:

«هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ». «الْبَارِئُ». «الْمُصَوِّرُ».

ولأنّ صفات اللَّه لا تنحصر فقط بالتى ذكرت فى هذه الآية فإنّه سبحانه يشير إلى صفة أساسية لذاته المقدسة اللامتناهية، حيث يقول عزّ وجل: «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .

ولهذا السبب فإنّه سبحانه منزّه ومبرّأ من كل عيب ونقص: «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ». ويعتبرونه تامّاً وكاملًا من كل نقص وعيب.

وأخيراً- للتأكيد الأكثر على موضوع نظام الخلقة- يشير سبحانه إلى وصفين آخرين من صفاته المقدسة، التى ذكر أحدهما فى السابق

بقوله تعالی: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».
الاولی دلیل کمال قدرته علی کل شیء، وغلبته علی کل قوّة.
والثانیة إشارة إلی علمه وإطّلاعه ومعرفته ببرامج الخلق وتنظیم الوجود وتدبیر الحیاة.
إنّ مجموع ما ورد فی الآیات الثلاث بالإضافة إلی مسألة التوحید التی تکرّرت مرّتین، فإنّ مجموع الصفات المقدسة للّهسبحانه تکون سبع عشرة صفة مرتبة بهذا الشکل: ۱- عالم الغیب والشهادة، ۲- الرحمن، ۳- الرحیم، ۴- الملک، ۵- القدوس، ۶- السلام، ۷- المؤمن، ۸- المهیمن، ۹- العزیز، ۱۰- الجبار، ۱۱- المتکبر، ۱۲- الخالق، ۱۳- الباریء، ۱۴- المصور، ۱۵- الحکیم، ۱۶- له الأسماء الحسنی، ۱۷- الموجود الذی تسبّح له کل موجودات العالم.
مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۷
إنّ هذه الآیات تأخذ بید السائرین فی طریق معرفة اللّه، وتقودهم من درجة إلی درجة ومن منزل إلی منزل، حیث تبدأ الآیات أوّلًا بالحدیث عن ذاته المقدسة، ومن ثم إلی عالم الخلقة، وتارةً اخری بالسیر نحو اللّه تعالی، حیث ترتفع روحیته إلی سمو الواحد الأحد، فیتطهّر القلب بالأسماء والصفات الإلهیة المقدسة، ویربی فی أجواء هذه الأنوار والمعارف، حیث تنمو براعم التقوی علی ظاهر أغصان وجوده، وتجعله لائقاً لقرب جواره لکی یکون وجوداً منسجماً مع کل ذرّات الوجود، مردّدین معاً ترانیم التسبیح والتقدیس.
إنّ الآیات الأخیرة لهذه السورة آیات خارقة وعظیمة وملهمة، وهی درس تربوی کبیر للإنسان.
فی تفسیر مجمع البیان: روی سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله:
«اسم اللّه الأعظم فی ستّ آیات فی آخر سورة حشر».
وعن أنس بن مالک عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «من قرأ آخر سورة الحشر، غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر».
«نهایة تفسیر سورة الحشر»
مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۴۹

۶۰. سورة الممتحنة

محتوی السورة: تتکوّن موضوعات هذه السورة من قسمین:
۱- یتحدث عن موضوع «الحبّ فی اللّه» و «البغض فی اللّه»، وینهی عن عقد الولاء والودّ مع المشرکین، ویدعو المسلمین لکی یستلهموا من سیرة الرسول العظیم إبراهیم علیه السلام فیما یتعلّق بموقفه من أقرب الأقربین إلیه (أبیه آزر) بلحاظ ما یملیه علیه الموقف المبدئی، کما تذکر بعض الخصوصیات الاخری فی هذا المجال ویتکرّر هذا المعنی فی نهایة السورة، کما فی بدایتها.
۲- یتناول هذا القسم مسائل المرأة المهاجرة وضرورة تمحیصها، کما یبیّن أحکاماً اخری فی هذا الصدد.
واختیار اسم (الممتحنة) لهذه السورة کان بلحاظ حالة التمحیص والإمتحان التی وردت فی الآیة العاشرة من هذه السورة «۱».
کما ذکر اسم آخر لهذه السورة وهو (سورة المودّة) وذلک بلحاظ النهی عن عقد الولاء والودّ مع المشرکین، وقد أکّدت علیه السورة کثیراً.

---

(۱) قرأها البعض «ممتحَنة» (بفتح الحاء) وذلک بسبب حالة التمحیص والإمتحان للنسوة المهاجرات، وقرأها آخرون «ممتحِنة» (بکسر الحاء) وذلک لأنّ موضوعات السورة- أجمع- کانت وسیلة للامتحان والتمحیص.
مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۰
مختصر الامثل ج۵ ۱۶۹

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان: عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«ومن قرأ سورة الممتحنة، كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة».

إنّ هذه النعم والألطاف الإلهية تكون للأشخاص الذين لا يكتفون بالتلاوة السطحية الفارغة من محتوى الروح، والبعيدة عن العلم والعمل.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِى سَبِيلِى وَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَ مَا أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (۱) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (۲) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۳)

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة، وذلك أنّ سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هشام، أتت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين، فقال لها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أمسلمة جئت»؟ قالت: لا. قال: «أمهاجرة جئت»؟ قالت: لاـ قال: «فما جاء بك»؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالى، وقد ذهب موالى واحتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى! قال: «فأين أنت من شباب مكة»؟ وكانت مغنية نائحة. قالت: ما طلب منّى بعد وقعة بدر [وهذا يدلّ على عمق النازلة التى نزلت بمشركى قريش فى بدر]؛ فحثّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عليها بنى عبدالمطلب، فكسوها وحملوها، وأعطوها نفقة. وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يتجهّز لفتح مكة، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب فى الكتاب: «من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة إنّ رسول اللَّه يريدكم فخذوا حذركم»! فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبى صلى الله عليه و آله بما فعل، فبعث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۱

علياً وعمّاراً وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود، وأبا مرثد وكانوا كلّهم فرساناً وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنّ بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها. فخرجوا حتى أدركوها فى ذلك المكان الذى ذكره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت باللَّه ما معها من كتاب، فنحوها وفتّشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهمّوا بالرجوع. فقال على عليه السلام: «واللَّه ما كذبنا ولا كُذِبنا»، وسلّ سيفه وقال لها: «أخرجى الكتاب وإلّا واللَّه لأضربنّ عنقك»! فلمّا رأت الجدّ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته فى شعرها.

فرجعوا بالكتاب إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب»؟ قال: نعم. قال: «فما حملك على ما صنعت»؟ قال: يا رسول اللَّه! واللَّه ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلّاوله بمكة من يمنع عشيرته وكنت عريراً فيهم [أى غريباً] وكان أهلى بين ظهرانيهم فخشيت على أهلى فأردت أن أتّخذ عندهم يداً، وقد علمت أنّ اللَّه ينزل بهم بأسه وأنّ كتابى لا يغنى عنهم شيئاً، فصدقه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعذره. فقام عمر بن الخطاب وقال:

دعنى يا رسول اللَّه أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «وما يدريك يا عمر لعلّ اللَّه اطّلع على أهل بدر فغفر لهم فقال لهم: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

[وكيفية العلاقة التى يجب أن تتحكّم بين المسلمين من جهة، والمشركين وأعداء اللَّه من جهة اخرى، والتأكيد على إلغاء وتجنّب أى ولاء مع أعداء اللَّه .

التّفسير

نتيجة الولاء لأعداء اللَّه: علمنا مما تقدّم أنّ سبب نزول الآيات السابقة هو التصرف المشين الذى صدر من أحد المسلمين (حاطب بن أبى بلتعة) ورغم أنّه لم يكن قاصداً التجسّس إلّاأنّ عمله نوع من إظهار المودّة لأعداء الإسلام، فجاءت الآيات الكريمة تحذّر المسلمين من تكرار مثل هذه التصرفات مستقبلًا وتنهاهم عنها.

يقول سبحانه فى البداية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ». مؤكّداً أنّ أعداء اللَّه وحدهم هم الذين يضمرون العداء للمؤمنين والحقد عليهم، ومع هذا التصور فكيف تمدّون يد الصداقة والودّ لهم.

ويضيف تعالى: «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۲

إنّهم يخالفونكم فى العقيدة، كما أنّهم شنّوا عليكم الحرب عمليّاً، ويعتبرون إيمانكم باللَّه- الذى هو أكبر فخر لكم وأعظم قداسة تجلّلكم- غاية الجرم وأعظم الذنب، ومع هذه الأعمال التى مارسوها معكم، هل من المناسب إظهار المودّة لهم.

ثم يضيف القرآن الكريم موضّحاً: «إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى». فلا تعقدوا معهم أواصر الولاء والودّ.

فإذا كنتم ممّن تدّعون حبّ اللَّه حقّاً، وهاجرتم من دياركم لأجله سبحانه وترغبون فى الجهاد فى سبيله طلباً لرضاه تعالى، فإنّ هذه الأهداف العظيمة لا يناسبها إظهار الولاء لأعداء اللَّه سبحانه.

ثم يضيف عزّ وجل للمزيد من الإيضاح فيقول: «تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ».

وبناءً على هذا فما عسى أن يغنى الإخفاء وهو واقع بعلم اللَّه فى الغيب والشهود؟

وفى نهاية الآية نجد تهديداً شديداً لمن يجانب السبيل الذى أمر به اللَّه سبحانه بقوله:

«وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

فمن جهة انحرف عن معرفة اللَّه تعالى بظنّه أنّ اللَّه لا يعلم ولا يرى ما يصنع، وكذلك إنحرف عن طريق الإيمان والإخلاص والتقوى، حينما يعقد الولاء وتقام أواصر المودّة مع أعداء اللَّه، وبالإضافة إلى ذلك فإنّه وجّه ضربة قاصمة إلى حياته حينما أفشى أسرار المسلمين إلى الأعداء، ويمثّل ذلك أقبح الأعمال وأسوأ الممارسات حينما يسقط الشخص المؤمن بهذا الوحل ويقوم بمثل هذه الأعمال المنحرفة بعد بلوغه مرتبة الإيمان والقداسة.

وفى الآية اللاحقة يضيف سبحانه للتوضيح والتأكيد الشديد فى تجنّب موالاتهم: «إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ» «۱».

أنتم تكنّون لهم الودّ فى الوقت الذى يضمرون لكم حقداً وعداوة عميقة ومتأصّلة، وإذا ما ظفروا بكم فإنّهم لن يتوانوا عن القيام بأى عمل ضدّكم.

والأدهى من ذلك هو سعيهم الحثيث فى ردّكم عن دينكم وإسلامكم، والعمل على تجريدكم من أعظم مكسب وأكبر مفخرة لكم، وهى حقيقة الإيمان: «وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ».

---

(۱) «يثقفوكم»: من مادة: «ثقف» و «ثقافة»، بمعنى المهارة فى تشخيص أو إنجاز شىء ما، ولهذا السبب تستعمل- أيضاً- بمعنى الثقافة أو التمكّن والتسلّط المقترن بمهارة على الشىء.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۳

وفى آخر آية من هذه الآيات يستعرض سبحانه الجواب على حاطب بن أبى بلتعة ومن يسايره فى منهجه من الأشخاص، حينما قال فى جوابه لرسول اللَّه عن السبب الذى حدا به إلى إفشاء أسرار المسلمين لمشركى مكة، حيث قال بلتعة: أهلى وعيالى فى مكة، وأردت

أن أمنع عنهم الأذى وأصونهم بعملى هذا، (واتّخذ عند أهلها يداً). يقول تعالى: «لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلدُكُمْ».

وذلك لأنّ الأرحام والأولاد المشركين سوف لن يجلبوا خيراً وعزّة فى الدنيا ولا نجاة فى الآخرة.

ثم يضيف تعالى: «يَوْمَ الْقِيمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ».

وهذا تأكيد على أنّ مقام أهل الإيمان هو الجنة، وأنّ أهل الكفر يساقون إلى جهنم وبئس المصير.

وفى نهاية الآية يحذّر الجميع مرّة اخرى بقوله تعالى: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

إنّه عالم بنيّاتكم، وعالم بالأعمال التى تصدر منكم، سواء كانت فى حالة السرّ أو العلن، وإذا كانت المصلحة الإلهية تقتضى عدم إفشاء أسراركم أحياناً كما فى حادثة حاطب بن أبى بلتعة، فلأنّها لحكمة أو مصلحة يراها سبحانه، وليس لأنّه لا يعلم بها أو تخفى عليه خافية.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَ الْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ (۴) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۵) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (۶) إنّ منهج القرآن (من أجل التأكيد على تعاليمه القيّمة) يعتمد فى كثير من الموارد طريقة الاستشهاد بنماذج أساسية فى عالم الإنسانية والحياة، وبعد التشديد السابق الذى مرّ بنا خلال الآيات السابقة فى تجنّب عقد الولاء لأعداء اللَّه، يتحدث القرآن الكريم عن

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۴

إبراهيم عليه السلام ومنهجه القدوة كنموذج رائد يحظى باحترام جميع الأقوام وخصوصاً العرب منهم. قال تعالى: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ».

والمراد من تعبير «الَّذِينَ مَعَهُ» هم المؤمنون الذين ساروا برفقته فى هذا الطريق بالرغم من قلّة عددهم. ثم يضيف سبحانه لتوضيح هذا المعنى: «إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ».

ومرّة اخرى يؤكّدون مضيفين: «كَفَرْنَا بِكُمْ». والكفر هنا هو كفر البراءة الذى اشير له فى بعض الروايات ضمن ما ورد فى تعدّد أقسام الكفر الخمسة.

ويضيفون للمرّة الثالثة مؤكّدين بصورة أشدّ: «وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ».

وبهذا الإصرار وبهذه القاطعية وبدون أى تردّد أو مواربة يعلن المؤمنون انفصالهم وإبتعادهم ونفرتهم من أعداء اللَّه حتى يؤمنوا باللَّه وحده، وهم مستمرّون فى موقفهم وإلى الأبد ولن يتراجعوا عنه أو يعيدوا النظر فيه إلّاإذا غيّر الكفار مسارهم وتراجعوا عن خطّ الكفر إلى الإيمان.

ولأنّ هذا القانون العام كان له استثناء فى حياة إبراهيم عليه السلام يتجسّد ذلك بإمكانية هداية بعض المشركين، حيث يقول سبحانه معقّباً: إنّ هؤلاء قطعوا كلّ إرتباط لهم مع قومهم الكافرين حتى الكلام الودود والملائم: «إِلَّا قَوْلَ إِبْرهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ». وقد عمل إبراهيم عليه السلام بما وعد آزر به.

ويقول عزّ وجلّ فى بيان هذا المعنى: «وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ إِبْرهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (۱).

إنّ إبراهيم عليه السلام وأصحابه كانوا من أشدّ المخالفين والمحاربين للشرك، ولابدّ لنا من الإقتداء بهم وأخذ الدروس والعبر من سيرتهم، بما فى ذلك ما يتعلق بموقفه من «آزر» إذا توفّرت لنا نفس الشروط والخصوصيات.

وبما أنّ محاربة أعداء اللَّه، والصرامة والشدّة معهم- خصوصاً مع تمتّعهم بقدرة ظاهرية- سوف لن تكون فاعلة إلّابالتوكل على اللَّه

تبارك وتعالى، يضيف سبحانه فى نهاية الآية:

(۱) سورة التوبة/ ۱۱۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۵

«رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

وفى الآية اللاحقة يشير القرآن الكريم إلى طلب آخر مهم وحسّاس لإبراهيم عليه السلام وأصحابه فى هذا المجال، حيث يقول تعالى: «رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا».

من المحتمل أن يكون ما ورد فى الآية إشارة إلى عمل حاطب بن أبى بلتعة واحتمال صدور شبيهه من أشخاص جهلة يكونون سبباً فى تقوية الظالمين، من حيث لا يشعرون، بل يتصورون أنّهم يعملون لمصلحة الإسلام.

ويضيف فى نهاية الآية: «وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

فقدرتك يا اللّه لا تقهر، وحكمتك نافذة فى كل شىء.

ومرّة اخرى يؤكّد سبحانه فى آخر آية من هذه الآيات على نفس الأمر الذى ذكر فى أوّل آية، حيث يقول تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ».

لقد كانوا لنا اسوة، ليس فقط فى موقفهم ضد منهج الكفر وعبدة الأوثان، بل هم اسوة لنا فى الدعاء بين يدى البارىء عزّ وجل، وقدوة لنا فى طلب المغفرة منه.

وبدون شك فإنّ هذا التأسّى والإقتداء يرجع نفعه إلى المسلمين أنفسهم قبل الآخرين، لذا يضيف سبحانه فى النهاية قوله: «وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

وذلك أنّ عقد الولاء مع أعداء اللّه يقوّى عودهم وشوكتهم وبالتالى يؤدّى إلى هزيمة المسلمين.

وفى الغالب فإنّ وجود القدوة فى حياة البشر مؤثّر فى تربيتهم وتوجيههم، ولهذا السبب فإنّ النبى الأعظم صلى الله عليه و آله والأئمة المعصومين، وبقية الأنبياء الكرام عليهم السلام كانوا موضع هداية البشرية من خلال أعمالهم والتزاماتهم.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۷) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (۸) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۹)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۶

مودّة الكفار غير الحربيين: يستمر الحديث فى هذه الآيات المباركات تكملة للموضوعات التى طرحت فى الآيات السابقة حول «الحبّ فى اللّه والبغض فى اللّه» وقطع العلاقة مع المشركين، بالرغم من أنّ قطع هذه الرابطة يولّد فراغاً عاطفياً بالنسبة للبعض من المسلمين، فإنّ المؤمنين الصادقين، وأصحاب رسول اللّه المخلصين آمنوا بهذا المنهج وثبتوا عليه، واللّه تعالى بشّر هؤلاء ألّا يحزنوا، لأنّ الثواب هو جزاؤهم بالإضافة إلى أنّ هذه الحالة سوف لن تستمرّ طويلًا، حيث يقول سبحانه: «عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً».

ويتحقق هذا الوعد وتصدق البشارة فى السنة الثامنة للهجرة حيث منّ اللّه على المسلمين بفتح مكة، ودخل أهلها جماعات جماعات فى دين الإسلام الحنيف، مصداقاً لقوله تعالى: «يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا». وعند ذلك تتبدّد غيوم الظلمة والعداء والعناد من سماء حياتهم، وتشرق نفوسهم بنور الإيمان وحرارة الودّ وأجواء المحبة والصداقة.

وعلى كل حال، إذا تباعد بعض الناس عن خط الإسلام والمسلمين وكانت تربطهم علاقات إيجابية مع المسلمين، ففى مثل هذه الحالة

لا ینبغی الیأس، لأنّ اللَّه تعالی قادر علی کل شیء، ویستطیع تغییر ما فی قلوبهم، فهو الذی یغفر الذنوب والخطایا لعباده، حیث یضیف تعالی فی نهایهٔ الآیهٔ: «وَاللَّهُ قَدِیرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِیمٌ».

وتبیّن الآیات اللاحقهٔ شارحهٔ وموضّحهٔ طبیعهٔ علاقهٔ المودهٔ مع المشرکین، حیث یقول سبحانه: «لَّایَنْهَاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقَاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَلَمْ یُخْرِجُوکُم مِّن دِیَارِکُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ إِنَّمَا یَنْهَاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِینَ قَاتَلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَأَخْرَجُوکُمْ مِّن دِیَارِکُمْ وَظَاهَرُوا عَلَی إِخْرَاجِکُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن یَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

إنّ المستفاد من الآیات الکریمهٔ حول طبیعهٔ وکیفیهٔ العلاقهٔ بین المسلمین وغیرهم هو (أصل کلی) لا یختص بذلک الوقت فقط، بل یمثّل خطاً عاماً لطبیعهٔ هذه العلاقهٔ فی کل الأزمنهٔ سواء الیوم أو غداً، فی حیاتنا المعاصرهٔ والمستقبلیهٔ.

وواجب المسلمین وفق هذه الاسس أن یقفوا بکل صلابهٔ أمام أیهٔ مجموعهٔ، أو دولهٔ، تتّخذ موقفاً عدائیاً منهم أو تعین من أراد بالإسلام والمسلمین سوءاً ... وقطع کل صلّهٔ قائمهٔ علی أساس المحبهٔ والصداقهٔ معهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۷

أمّا إذا کان الکفار فی موقع محاید إزاء الإسلام والمسلمین، أو أنّهم متعاطفون معهم، عندئذ یستطیع المسلمون أن یقیموا علاقات حسنهٔ ویرتبطوا وإیاهم بروابط المودهٔ علی أن لا- تکون بالصورهٔ التی تکون بین المسلمین أنفسهم، ولا- بالشکل الذی یؤدّی إلی تغلغلهم فی صفوف المسلمین.

یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا جَاءَکُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِیمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَی الْکُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لَا هُمْ یَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَ لَا جُنَاحَ عَلَیْکُمْ أَنْ تَنْکِحُوهُنَّ إِذَا آتَیْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لَا تُمْسِکُوا بِعِصَمِ الْکَوَافِرِ وَ اسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لْیَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذلِکُمْ حُکْمُ اللَّهِ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۰) وَ إِنْ فَاتَکُمْ شَیْءٌ مِنْ أَزْوَاجِکُمْ إِلَی الْکُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِینَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۱۱)

سبب النّزول

فی تفسیر مجمع البیان: قال ابن عباس: صالح رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بالحدیبیهٔ مشرکی مکهٔ علی أنّ من أتاه من أهل مکهٔ، رده علیهم، ومن أتی أهل مکهٔ من أصحاب رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فهو لهم، ولم یردّوه علیه، وکتبوا بذلک کتاباً، وختموا علیه. فجاءت سبیعهٔ بنت الحرث الأسلمیهٔ، مسلمهٔ بعد الفراغ من الکتاب والنبی صلی الله علیه و آله بالحدیبیهٔ. فأقبل زوجها مسافر من بنی مخزوم، فی طلبها، وکان کافراً. فقال: یا محمّد، اردد علیّ امرأتی، فإنّک قد شرطت لنا أن ترد علینا من أتاک وهذه طینهٔ الکتاب لم تجفّ بعد. فنزلت الآیهٔ «یَا أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَکُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» من دار الکفر إلی دار الإسلام «فَامْتَحِنُوهُنَّ».

قال ابن عباس: امتحانهن أن یستحلفن ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبهٔ عن أرض إلی أرض، ولا التماس دنیا، وما خرجت إلّاحبّاً للَّهورسوله. فاستحلفها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فحلفت باللَّه الذی لا إله إلّاهو علی ذلک. فأعطی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله زوجها مهرها وما أنفق علیها ولم یردّها علیه، فتزوجها عمر بن الخطاب.

فکان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یرد من جاءه من الرجال، ویحبس من جاءه من النساء إذا امتحنّ ویعطی أزواجهن مهورهنّ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۸

التّفسیر

تعویض خسائر المسلمین والکفار: إستعرضت الآیات السابقهٔ موضوع «البغض فی اللَّه» وما یترتّب علی ذلک من قطع أی صلهٔ مع أعداء اللَّه ... أمّا موضوع هذه الآیات فهو عن «الحبّ فی اللَّه» وعن طبیعهٔ العلاقهٔ مع الذین إنفصلوا عن الکفر وإرتبطوا بالإیمان.

وینصبّ الحدیث فی الآیهٔ الاولی- من هذه الآیات المبارکات- عن النساء المهاجرات، حیث ضمّت هذه الآیهٔ سبع نقاط تتعلق بالنساء المهاجرات، کما تناولت نقاطاً اخری تختص بالنساء المشرکات.

النقاط التى تختص بالنساء المهاجرات هى:

۱- امتحان النساء المهاجرات، حيث يوجّه سبحانه الحديث إلى المؤمنين فيقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ».

إنّ هذا الإمتحان هو أن يستحلفن أنّ هجرتهن لم تكن إلّامن أجل الإسلام.

كما يوجد احتمال آخر حول كيفية امتحان النسوة المهاجرات، وذلك كما ورد فى الآية (۱۲) من نفس السورة. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

ومن الممكن أن يكون الكذب فى الحلف أيضاً، فيقول البعض خلافاً لما يعتقد به، إلّاأنّ التزام الكثير من الناس حتى المشركين فى ذلك الزمان بمسألة البيعة والحلف باللّه كان سبباً فى تقليص دائرة غير الصادقين.

لذا يضيف سبحانه فى العبارة التالية: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ».

۲- يقول سبحانه فى الأمر اللاحق: «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ».

۳- فى ثالث نقطة التى هى دليل على الحكم السابق يضيف تعالى: «لَاهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ».

فالإيمان والكفر لا يجتمعان فى مكان واحد، لأنّ عقد الزواج المقدس لا يمكن أن يربط بين محورين وخطّين متضادين (خط الإيمان) من جهة و (الكفر) من جهة اخرى.

۴- كان المتعارف بين العرب أن يدفعوا للمرأة مهرها سلفاً، ولهذا المعنى أشار سبحانه فى قوله فى الأمر الرابع: «وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُوا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۵۹

بالرغم من أنّ أزواج المؤمنات كفار فلابدّ من إعطائهم ما أنفقوا من مهور على زوجاتهم، وذلك لأنّ الطلاق والانفصال قد تمّ بمبادرة من المرأة بسبب إيمانها، لذا توجب العدالة الإسلامية دفع خسارة الزوج.

وطبيعى أنّ دفع المهر يكون لمن عقد معاهدة صلح من الكفار مع المسلمين، كما فى صلح الحديبية.

۵- الحكم الآخر الذى يلى الحكم أعلاه، فهو قوله تعالى: «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ».

ومن الضرورى ملاحظة أنّ انفصال المرأة المؤمنة عن زوجها الكافر لا يحتاج إلى طلاق، إلّاأنّه لابدّ من انتهاء العدّة.

۶- أمّا إذا كان الزوج قد آمن بالإسلام، وبقيت المرأة كافرة، فهنا تنفصل الرابطة الزوجية، فتنقطع صلة زواجهما، كما فى قوله تعالى: «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ».

«عصم»: جمع عصمة، وهى فى الأصل بمعنى المنع، وهنا بمعنى النكاح والزوجية.

«الكوافر»: جمع كافرة، بمعنى النساء الكافرات.

۷- أمّا آخر حكم ذكر فى الآية الكريمة، فهو مهور النساء اللواتى ارتددن عن الإسلام والتحقنّ بالكفار فإنّ لكم الحق فى المطالبة بمهورهن مثلما للكفار الحق فى المطالبة بمهور زوجاتهم اللاتى دخلن دائرة الإسلام والتحقن بالمسلمين، حيث يقول تعالى: «وَسَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسَلُوا مَا أَنفَقُوا». وهذا ما توجبه العدالة والإحترام المتقابل للحقوق.

وفى نهاية الآية- وتأكيداً لما سبق- يقول سبحانه: «ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

إنّ هذه الأحكام المستلهمة من العلم الإلهى، الممتزجة بحكمته تعالى.

والإلتفات إلى حقيقة أنّ كون جميع هذه الأحكام إلهية يُعدّ أكبر ضمانة إجرائية لها فى قوّة التنفيذ.

وإستعرضت ثانى و آخر آية من هذه الآيات متابعة لما تقدّم، بعض الامور فى هذا الصدد.

يقول تعالى أنّه فى كل مرّة ترتدّ امرأة متزوّجة عن الإسلام وتلتحق بالكفار، ثم حدثت معركة بينكم وبين الكفار وحالفكم النصر

عليهم وغنمتم منهم مغانم فاعطوا الـذين ذهبت زوجاتهم إلى الكفار: «وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكَفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۰

وتدعو الآية الكريمة فى نهايتها جميع المسلمين إلى الالتزام بالتقوى حيث يقول تعالى:

«وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ».

والأمر بالتقوى هنا يمكن أن يكون بمراعاة الدقة والعدل فى تعيين مقدار مهر الزوجة، باعتبار أنّ هذا الأمر يعتمد فيه على قول الزوج فى الغالب، ولا يوجد سبيل لإثبات هذا الحق إلّاأقوال الزوجين، ولاحتمال أن تسبّب الوساوس الشيطانية فى الإدعاء بمبلغ أكثر من المقدار الحقيقى للمهر، لذا يوصى بالتقوى.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لَا يَسْرِقْنَ وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۲) شروط بيعة النساء: استمراراً للبحث الذى تقدّم فى الآيات السابقة والذى استعرضت فيه أحكام النساء المهاجرات، تتحدث هذه الآية عن تفاصيل وأحكام بيعة النساء المؤمنات مع الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله.

لقد ذكر المفسرون أنّ هذه الآية نزلت يوم فتح مكة لما فرغ النبى صلى الله عليه و آله من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الآية، فشرط اللّه تعالى فى مبايعتهم أن يأخذ عليهن هذه الشروط. يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُبَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

وبعد هذه الآية أخذ رسول اللّه صلى الله عليه و آله البيعة من النساء المؤمنات.

وروى أنّه صلى الله عليه و آله كان إذا بايع النساء، دعا بقدح ماء، فغمس فيه يده، ثم غمسن أيديهن فيه. وقيل: إنّه كان يبايعهن من وراء الثوب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (۱۳) بدأت هذه السورة بآية تؤكّد على قطع كل علاقة بأعداء اللّه، وتختتم هذه السورة بآية

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۱

تؤكّد هى الاخرى على نفس المفهوم والموقف من أعداء اللّه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ».

ويحذّر القرآن الكريم من أن يتّخذ أمثال هؤلاء أولياء وأن تفشى لهم الأسرار فيحيطون علماً بخصوصيات الوضع الإسلامى.

إنّ عبارة «قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» لها مفهوماً واسعاً حيث يشمل جميع الكفار والمشركين. والتعبير ب «الغضب» فى القرآن الكريم لا ينحصر باليهود فقط، إذ ورد بشأن المنافقين أيضاً كما فى الآية (۶) من سورة الفتح.

ثم تتناول الآية أمراً يعتبر دليلًا على هذا النهى حيث يقول تعالى: «قَدْ يِسُوا مِنَ الْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ».

ذلك أنّ موتى الكفار سيرون نتيجة أعمالهم فى البرزخ حيث لا رجعة لهم لجبران ما مضى من أعمالهم السيّئة، لذلك فإنّهم يئسوا تماماً من النجاة، وهؤلاء المجرمون فى هذه الدنيا قد غرقوا فى آثامهم وذنوبهم إلى حدّ فقدوا معه كل أمل فى نجاتهم، كما هو الحال بالنسبة للموتى من الكفار.

«نهاية تفسير سورة الممتحنة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۳

۶۱. سورة الصف

محتوى السورة: تدور أبحاث هذه السورة حول محورين أساسيين.

الأوّل: فضيلة الإسلام على جميع الأديان السماوية، وضمان خلوده وبقائه.

والثانى: وجوب الجهاد فى طريق حفظ المبدأ وترسيخ أركانه وتطوير العمل لتقدّمه والإلتزام به.

إلّا أنّنا حينما نتأمل فى الآيات الكريمة نلاحظ إمكانية تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أخرى:

۱- الدعوة إلى الانسجام بين القول والعمل.

۲- الإشارة إلى موقف اليهود من العهود ونقضهم لها، بالإضافة إلى بشارة السيد المسيح عليه السلام بظهور الإسلام العظيم.

۳- استعراض لحياة حوارى السيد المسيح والدعوة لاستلهام الدروس من سيرتهم.

إنّ إختيار إسم «الصّف» لهذه السورة كان بلحاظ العبارة التى وردت فى الآية الرابعة منها، وتسمّى أحياناً بسورة «عيسى»، أو سورة «الحواريين».

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان: ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأ سورة عيسى عليه السلام كان عيسى مصلّياً عليه، مستغفراً له ما دام فى الدنيا، وهو يوم القيامة رفيقه».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۴

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (۲) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (۳) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (۴)

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: قيل: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد، يقولون: وددنا لو أنّ اللّه دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبرهم اللّه أنّ أفضل الأعمال إيمان لا شك فيه والجهاد. فكره الناس، وشق عليهم، وتباطأوا عنه، فنزلت الآية.

التّفسير

اعتبرت هذه السورة من السور المسبّحات، ذلك لأنّها تبدأ بتسبيح اللّه فى بدايتها:

«سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ».

ولم لا يسبّحونه ولا ينزّهونه من كل عيب ونقص: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» القدير الذى لا يقهر والحكيم المحيط بكل شىء علماً.

ثم يضيف البارىء عزّ وجل فى معرض لوم وتوبيخ للأشخاص الذين لم يلتزموا بأقوالهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَاتَفْعَلُونَ».

ثم يضيف سبحانه مواصلًا القول: «كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَاتَفْعَلُونَ».

فمفهوم الآية يشمل كل تخلّف عن عمد، سواء تعلق بنقض العهود والوعود أو غير ذلك من الشؤون، حتى أنّ البعض قال: إنّها تشمل حتى النذور.

وفى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف اللّه بدأ، ولمقته تعرّض، وذلك قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَاتَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَاتَفْعَلُونَ»».

ثم تطرح الآية اللاحقة مسألة مهمة للغاية فى التشريع الإسلامى، وهى موضوع الجهاد فى سبيل اللّه، حيث يقول تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۵

«مرصوص»: من مادة «رصاص» بمعنى معدن الرصاص، ولأنّ هذه المادة توضع بعد تذويبها بين طبقات البناء من أجل استحكامه وجعله قوياً ومتيناً للغاية، لذا اطلقت هذه الكلمة هنا على كل أمر قوى ومحكم.

والمقصود هنا أن یکون وقوف وثبات المجاهدین أمام العدو قویاً راسخاً.

إنّ من العوامل المهمة والمؤثرة فی تحقیق النصر عامل الانسجام ووحدة الصفوف أمام الأعداء فی میادین القتال، وهذا المبدأ لا یجدر بنا الالتزام به فی الحرب العسکریة فحسب، بل علینا تجسیده فی الحروب الإقتصادیة والسیاسیة ... وإلّا فسوف لن نحقق شیئاً.

وَ إِذْ قَالَ مُوسَی لِقَوْمِهِ یَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِی وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفَاسِقِینَ (۵) وَ إِذْ قَالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یَا بَنِی إِسْرَائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَیِّنَاتِ قَالُوا هذَا سِحْرٌ مُبِینٌ (۶) البشارة بظهور النبی (أحمد): تأتی الآیة الکریمة- أعلاه- مکمّلة لمحورین أساسیین تحدثت عنهما الآیات السابقة وهما (الانسجام بین القول والعمل) و (وحدة الصف الإیمانی)، لتستعرض لنا زاویة من حیاة النبیین العظیمین (موسی وعیسی) علیهما السلام، ومتطرّقة إلی طبیعة التناقض والانفصام بین أقوال أتباعهم وأعمالهم، بالإضافة إلی (عدم إنسجام صفوفهم) وأخیراً المصیر السیء الذی انتهوا إلیه. یقول تعالی: «وَإِذْ قَالَ مُوسَی لِقَوْمِهِ یَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِی وَقَدْ تَّعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ».

والمراد من هذا الإیذاء هو ما کانوا ینسبونه لموسی علیه السلام من تهم، کما یبیّن ذلک فی الآیة (۶۹) من سورة الأحزاب: «یَا أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا لَاتَکُونُوا کَالَّذِینَ ءَاذَوْا مُوسَی فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَکَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِیهًا».

ومما لا شک فیه أنّ هذه الممارسات لم تبق بدون عقاب کما نقرأ ذلک فی نهایة الآیة حیث قال تعالی: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَایَهْدِی الْقَوْمَ الْفَاسِقِینَ».

إنّ ما یستفاد من المفهوم الذی إستعرضته الآیة المبارکة أنّ الهدایة والضلالة وإن کانت من قبل اللّه سبحانه، إلّاأنّ مقوّماتها وأرضیتها تکون من الإنسان نفسه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۶

وتشیر الآیة اللاحقة إلی مسألة تکذیب بنی إسرائیل لرسالة عیسی علیه السلام ومخالفتهم له، حیث یضیف تعالی: «وَإِذْ قَالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یَا بَنِی إِسْرَاءِیلَ إِنّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُم مُّصَدّقًا لّمَا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرَیةِ وَمُبَشّرًا بِرَسُولٍ یَأْتِی مِن بَعْدِی إسْمُهُ أَحْمَدُ».

وهذا بیان من عیسی علیه السلام أنّه یمثّل همزة وصل وحلقة من الرسالة بین نبیین وکتابین وامّتین، فقد سبقته رسالة موسی علیه السلام وکتابه، وستلیه رسالة الإسلام علی ید النبی العظیم محمّد صلی الله علیه و آله.

وبالرغم من أنّ قسماً من بنی إسرائیل قد آمنوا بالرسول الموعود، إلّاأنّ الأکثریة الغالبة کان لهم موقف عدائی متشدّد تجاهه، مما دعاهم وسوّل لهم إنکار معاجزه الواضحة، وذلک ما یجسّده قوله تعالی: «فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَیّنَاتِ قَالُوا هذَا سِحْرٌ مُّبِینٌ».

العجیب هو أنّ الیهود کانوا قد شخّصوا الرسول العظیم محمّد صلی الله علیه و آله قبل مشرکی العرب، إلّا أنّهم بقی علی لجاجتهم وإصرارهم وعنادهم وإنکارهم له.

عَسَی اللَّهُ أَنْ یَجْعَلَ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَ الَّذِینَ عَادَیْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللَّهُ قَدِیرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۷) لَا یَنْهَاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقَاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ لَمْ یُخْرِجُوکُمْ مِنْ دِیَارِکُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ (۸) إِنَّمَا یَنْهَاکُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِینَ قَاتَلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ أَخْرَجُوکُمْ مِنْ دِیَارِکُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَی إِخْرَاجِکُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ یَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۹) یریدون لیطفئوا نور اللّه بأفواههم: لاحظنا فی الآیات السابقة موقف الإصرار والعناد لجموع أهل الکتاب من دعوة الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله رغم ما بشّر به المسیح علیه السلام حول ظهور رسول الإسلام، وما اقترن بذلک من بیّنات ودلائل ومعاجز واضحة. وتبیّن الآیات- مورد البحث- عاقبة هؤلاء ومصیرهم السیء ونتیجة عملهم الخائب. فیقول تعالی: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَی عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَهُوَ یُدْعَی إِلَی الْإِسْلمِ».

نعم، إنّ أمثال هؤلاء المکذّبین لدعوة الرسول الإلهی، الذین یعتبرون ما یأتی الرسول به من إعجاز سحراً، وما یتحدث به من مبادیء

إلهيـة ساميـة ضـلالًا وباطلًا ... فإنّ هؤلاء هم أظلم الناس، لأنّهم يصدّون أنفسـهم عن طريق الحق والهداية والنجاة، ويصدّون سائر عباد اللَّه عن منابع الفيض الإلهى ويحرمونهم من السعادة الأبدية.

ويضيف سبحانه فى نهاية الآية: «وَاللَّهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۷

ثم يستعرض القرآن الكريم نقطـة اخرى ويبيّن لنـا أنّ أعـداء الحق ليسوا بقـادرين على الوقوف بوجه مبـادىء السـماء والأنوار الإلهيـة العظيمة، حيث يقول سبحانه: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

إنّ هـذه الجهود والمؤامرات الشيطانية غير قـادرة على التأثير وإطفاء شـعلة الوهـج الرسالى الـذى أتى به محمّـد صـلى الله عليه و آله، وبـذلك تحقّق التنبؤ القرآنى فى الفشل الـذريع الـذى لحق بهؤلاء الـذين أرادوا كيـداً بالرسالـة الإلهية ... بل إنّ النور الإلهى فى حالة إنتشار وإتّساع يوماً بعـد يوم، كما تكشف ذلك لنا الاحصائيات، حيث إنّ عدد مسـلمى العالم فى تزايد مسـتمر رغم الجهود المتظافرة من الصهاينة والصليبيين و (الماديين الشرقيين).

وهذا الأمر بحد ذاته يمثّل معجزة خالدة من معاجز القرآن الكريم وهذا الدين العظيم.

ويتوضّـح التأكيد الأكثر فى آخر آية- مورد البحث- حيث يعلن القرآن الكريم ذلك صـراحة بقوله عزّ وجل: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

وبـذلك أثبتت أحـداث المسـتقبل صـدق هذا التنبؤ العظيم، وغلبة الإسـلام من الناحية المنطقية على كافّة المذاهب الاخرى وقد حقّق خطوات عظيمة فى طريق التقدّم على الأعداء، واكتسح مناطق واسعة من العالم، وهو الآن فى تقدّم مستمر، وقوّة يخشى منها عالميّاً.

ومن المسـلّم أنّ النتيجـة النهائيـة كما نعتقـد سوف تكون للإسـلام، وذلك عنـد ظهور الإمام المهـدى- أرواحنا فداه- إنّ هذه الآيات بـذاتها دليل على هـذا الظهور العظيم. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِـدُونَ فِى سَبِيـلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِـكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَ يُـدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَـةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْـرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) التجارة الرابحـة: قلنا فى بدايـة السورة أنّ الأهداف المهمة لهذه السورة هو الدعوة إلى الإيمان والجهاد فى سبيل اللَّه، وما الآيات مورد البحث إلّاتأكيد على هذين الأصلين، من

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۸

خلال مثال رائع يبعث على الحركـة الإلهيـة فى روح الإنسان، والتى هى شـرط إنتصار الإسـلام على كل الأديان، وقـد اشـير إلى هـذا العامل فى الآيات الماضية. يقول تعالى فى البداية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

وقـد بادر فى نفس الوقت وبـدون إنتظار للإجابة متحدّثاً عن هذه التجارة المتعددة المنافع، حيث يضـيف تعالى: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِـدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِـكُمْ». ومما لا شك فيه أنّ اللَّه سـبحانه غنى عن هـذه التجارة النافعـة وأنّ جميع منافعها تعود على المؤمنين. لذا يقول فى نهاية الآية: «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ».

إنّ الإيمان بالرسول لا ينفصل عن الإيمان باللَّه تعالى، كما أنّ الجهاد بالنفس لا ينفصل عن الجهاد بالمال.

وعنـد التـدقيق فى الآيـة المباركـة نلاحظ أنّه تعالى قـد قـدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، لا باعتباره أكثر أهميـة، بل بلحاظ أنّه مقدمة للجهاد بالنفس، لأنّ مستلزمات الجهاد لا تتهيّأ إلّاعند توفّر الإمكانات المادية.

لقد تمّ تسليط الأضواء على ثلاثة عناصر أساسية فى هذه التجارة العظيمة والتى لا مثيل لها.

(فالمشترى) هنا هو اللَّه سـبحانه، و (البائع) هم المؤمنون، و (البضاعة) هى الأنفس والأموال، ويأتى دور العنصـر الرابع فى هذه الصـفقة وهو الثمن والعوض لهذه المعاملة العظيمة.

يقول تعالى: «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

وتستعرض الآية مرحلة الجزاء الاخروى فى البداية حيث غفران الذنوب باعتبارها أهمّ عوامل القلق وعدم الراحة الفكرية والنفسية للإنسان، وعندما يتحقق الغفران له فمن المسلّم أنّ الراحة والهدوء والإطمئنان تنشر ظلالها عليه.

كما أنّنا نقرأ فى الآية اللاحقة عن شعبتين من الهبات الإلهية التى تفضل بها البارىء على عباده المؤمنين فى هذه الدنيا حيث يقول: «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ».

يالها من تجارة مباركة مربحة حيث تشتمل على الفتح والنصر والنعمة والرحمة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۶۹

ولهذا فإنّه سبحانه يبارك للمؤمنين تجارتهم العظيمة هذه، ويزفّ لهم البشرى بقوله تعالى: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (۱۴) كونوا كالحواريين: فى الآية الأخيرة من سورة الصّف يدور الحديث مرّة اخرى حول محور (الجهاد) الذى مرّ ذكره سابقاً فى هذه السورة، إلّاأنّ الحديث عنه يستمر هنا فى هذه الآية- أيضاً باسلوب جديد. لقد طرحت الآية الكريمة مسألة مهمة غير الجنة والنار وذلك بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ».

نعم، أنصار اللَّه، اللَّه الذى هو منشأ جميع القدرات، ومرجعها.

ثم يستشهد بنموذج تاريخى رائد كى يوضّح سبحانه أنّ هذا الطريق لن يخلو من السالكين والعشّاق الإلهيين حيث يضيف تعالى: «كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ».

ويكون الجواب على لسان الحواريين بمنتهى الفخر والإعتزاز: «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ». وساروا فى هذا الدرب حاملين لواء الخير والهداية، ومتصدّين لحرب أعداء الحق والرسالة، حيث يقول سبحانه: «فَامَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِى إِسْرَاءِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ».

وهنا يأتى العون والنصر والإغاثة والمدد الإلهى للطائفة المؤمنة حيث يقول سبحانه:

«فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ».

وأنتم أيضاً يا حواريى محمّد، يشملكم هذا الفخر وتحيطكم هذه العناية واللطف الإلهى، لأنّكم أنصار اللَّه، وإنّ النصر على أعداء اللَّه سيكون حليفكم أيضاً، كما انتصر الحواريون عليهم.

من هم الحواريون؟ جاء ذكر الحواريين فى القرآن الكريم خمس مرّات، مرتين منها فى هذه السورة المباركة.

«الحواريون»: تعبير يراد به الإشارة إلى إثنى عشر شخصاً من الأنصار الخواص

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۰

لعيسى عليه السلام وقد ذكرت أسماؤهم فى الأناجيل المتداولة حالياً ك (إنجيل متّى، ولوقا باب ۶).

فى الدرّ المنثور: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله للنفر الذين لاقوه بالعقبة: «أخرجوا إلى إثنى عشر رجلًا منكم يكونوا كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم». مما يعكس أهمية هؤلاء العظام.

«نهاية تفسير سورة الصّف»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۱

۶۲. سورة الجمعة

مختصر الامثل ج۵ ۱۹۹

محتوى السورة: تدور هذه السورة حول محورين أساسيين:

۱- التوحيد وصفات اللَّه والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

۲- الأثر التربوى لصلاة الجمعة وبعض الخصوصيات المتعلقة بهذه العبادة العظيمة.

فضيلة تلاوة السورة: فی المجمع: ابی بن کعب عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «ومن قرأ سورة الجمعة اعطى عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة، وبعدد من لم يأتها فی أمصار المسلمين».

وقد ورد فی الروايات التأكيد الكثير على قراءة سورة الجمعة والمنافقون فی صلاة الجمعة، وقد ورد فی بعض الروايات أن لا تترك قراءتها ما أمكن، ومع أنّ العدول فی القراءة عن سورة «التوحيد» و «كافرون» إلى سور اخرى غير جائز، إلّاأنّ هذه المسألة مستثناة فی صلاة الجمعة، فيجوز العدول عنهما إلى سورة «الجمعة» و «المنافقون» بل عدّ ذلك مستحبّاً.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۱) هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلَالٍ مُبِينٍ (۲) وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۳) ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۴)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۲

تبدأ هذه السورة كذلك بالتسبيح للَّهعزّ وجل، وتشير إلى بعض صفات الجمال والجلال والأسماء الحسنى للَّه، ويعتبر ذلك فی الحقيقة مقدمة للأبحاث القادمة، حيث يقول تعالى:

«يُسَبّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ». حيث يسبّحونه بلسان الحال والقال وينزّهونه عن جميع العيوب والنقائض: «الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

وبناءً على ذلك تشير الآية أوّلًا إلى «المالكية والحاكمية المطلقة»، ثم «تنزّهه من أی نوع من الظلم والنقص» وذلك لإرتباط اسم الملوك بأنواع المظالم والمآسی، فجاءت كلمة «قدّوس» لتنفی كل ذلك عنه جلّ شأنه.

وبعد هذه الإشارة الخاطفة ذات المعنى العظيم لمسألة التوحيد وصفات اللَّه، يتحدث القرآن عن بعثة الرسول والهدف من هذه الرسالة العظيمة المرتبطة بالعزيز الحكيم القدوس، حيث يقول: «هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ».

وذلك من أجل أن يطهّرهم من كل أشكال الشرك والكفر والانحراف والفساد «وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَللٍ مُّبِينٍ».

«الاميّين»: جمع «امّی» وهو الذی لا يعرف القراءة والكتابة (ونسبته إلى الام باعتبار أنّه لم يتلقّ تعليماً فی معهد أو مدرسة غير مدرسة الام).

إنّ الآية تؤكّد على أنّ نبی الإسلام بعث من بين هؤلاء الاميين الذين لم يتلقّوا ثقافة وتعليماً وذلك لبيان عظمة الرسالة وذكر الدليل على حقانيتها، لأنّ من المحال أن يكون هذا القرآن العظيم وبذلك المحتوى العميق وليد فكر بشری وفی ذلك المحيط الجاهلی ومن شخص امّی أيضاً، بل هو نور أشرق فی الظلمات، وهی بحد ذاتها معجزة باهرة وسنداً قاطعاً على حقانيته.

ولخصّت الآية الهدف من بعثة الرسول صلی الله علیه و آله فی ثلاثة امور، جاء أحدها كمقدمة وهو تلاوة الآيات عليهم، بينما شكّل الأمران الآخران أی (تهذيب وتزكية النفس) و (تعليمهم الكتاب والحكمة) الهدف النهائی الكبير.

نعم، جاء الرسول صلی الله علیه و آله ليعطی الإنسانية ويعلّمها العلم والأخلاق، لتستطيع بهذين الجناحين (جناح العلم وجناح الأخلاق) أن تحلّق فی عالم السعادة وتطوی مسيرها إلى اللَّه لتنال القرب منه.

ويمكن أن يكون الفرق بين «الكتاب» و «الحكمة» هو أنّ الأوّل إشارة إلى القرآن والثانی إشارة إلى سنّة الرسول صلی الله علیه و آله.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۳

وتعبير «الضلال المبين» إشارة إلى سابقة العرب وماضيهم الجاهلى فى عبادة الأصنام.

نعم لقد جاء الرسول وأنقذهم ببركة الكتاب والحكمة من هذا الضلال والتخبّط وزكّاهم وعلّمهم. وحقّاً إنّ تربية وتغيير مثل هذا المجتمع الضال يعتبر أحد الأدلة على عظمة الإسلام ومعاجز نبيّنا العظيمة.

ولكن لم يكن الرسول مبعوثاً لهذا المجتمع الامّى فقط، بل كانت دعوته عامة لجميع الناس، فقد جاء فى الآية التالية: «وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ».

بناءً على ذلك تكون الآية أعلاه شاملة لجميع الأقوام الذين يأتون بعد أصحاب الرسول من العرب والعجم.

وجاء فى آخر الآية: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

بعد أن يشير إلى هذه النعمة الكبيرة- أى نعمة بعث نبى الأكرم وبرنامجه التعليمى والتربوى- يضيف قائلًا: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۶) وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (۷) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) الحمار الذى يحمل الأسفار: جاء فى بعض الروايات أنّ اليهود قالوا: (إذا كان محمّد قد بعث برسالة فإنّ رسالته لا تشملنا) فردّت عليهم الآية مورد البحث فى أوّل بيان لها بأنّ رسالته قد اشير إليها فى كتابكم السماوى لو أنّكم قرأتموه وعملتم به.

يقول تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَيةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا». أى نزلت عليهم التوراة وكلّفوا بالعمل بها ولكنّهم لم يؤدّوا حقّها ولم يعملوا بآياتها فمثلهم «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا».

لقد إقتنع هؤلاء القوم بتلاوة التوراة واكتفوا بذلك دون أن يعملوا بموجبها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۴

هؤلاء مثلهم كمثل الحمار الذى يضرب به المثل فى الغباء والحماقة.

ثم يقول تعالى: «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بَايَاتِ اللَّهِ». إذ لم يكتفوا بمخالفة القرآن عملًا، بل أنكروه بلسانهم أيضاً، حيث نصّت الآية (۸۷) من سورة البقرة وهى تصف اليهود قائلة: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَاتَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ».

ويقول تعالى فى آخر الآية فى عبارة وجيزة: «وَاللَّهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

صحيح أنّ الهداية شأن إلهى، ولكن ينبغى أن تهيّأ لها الأرضية اللازمة، وهى الروح التواقة لطلب الحق والبحث عنه، وهى امور يجب أن يهيّئها الإنسان نفسه، ولا شك أنّ الظالمين يفتقدون مثل هذه الأرضية.

وقد حملت الروايات بشدّة على مثل هؤلاء العلماء الذين لا يعملون بما يعلمون، ففى رواية عن الرسول صلى الله عليه و آله أنّه قال: «من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من اللَّه إلّابعداً» «۱».

ومثل هؤلاء العلماء سيكونون بلاءً على المجتمع ووبالًا عليه، وسينتهى المجتمع الذى علماؤه من هذا القبيل إلى مصير خطير.

يقول الشاعر:

وراعى الشاة يحمى الذئب عنهافكيف إذا الرعاة لها ذئاب.

وأوضحنا سابقاً أنّ اليهود اعتبروا أنفسهم امّة مختارة، أو نسيجاً خاصاً لا يشبه غيره، وذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما ادّعوا أنّهم أبناء اللَّه وأحبّاؤه المنتقمون، وهذا ما أشارت إليه الآية (۱۸) من سورة المائدة: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَؤُا اللَّهِ وَأَحِبؤُهُ». (رغم أنّهم يقصدون الأبناء المجازيين).

ولكن القرآن شجب هذا التعالى مرّة اخرى بقوله: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن

كُنتُمْ صَادِقِينَ».

فالأحبّاء يتمنون اللقاء دائماً، ولا يتمّ اللقاء المعنوى باللّه يوم القيامهٔ.

إنّ خوفكم وفراركم من الموت دليل قاطع على أنّكم متعلقون بهذه الدنيا وغير صادقين فى إدعائكم.

---

(۱) المحجّهٔ البيضاء فى تهذيب الاحياء ۱/ ۱۲۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۵

ثم يشير القرآن إلى سبب خوفهم من الموت بقوله: «وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

لأنّ خوف الإنسان من الموت ناشىء من عاملين أساسيين:

الأوّل: عدم إيمان الإنسان بالحياهٔ بعد الموت واعتقاده أنّ الموت زوال وفناء.

والثانى: أعماله السيّئهٔ التى يعتقد أنّه سيواجهها بعد مماته فى عالم الآخرهٔ عندما تقام المحكمهٔ الإلهيهٔ.

وإنّما يخاف اليهود من الموت لسوء أعمالهم إذ أنّهم يعتقدون- أيضاً- بيوم الحساب.

وقد وصفهم القرآن الكريم بالظالمين، وذلك لأنّ الظلم يتّسع ليشمل جميع الأعمال السيّئهٔ والجرائم التى إرتكبوها، من قتلهم الأنبياء وقول الزور وغصب الحقوق وتلوّثهم بمختلف المفاسد الأخلاقيهٔ.

غير أنّ هذا الخوف وذلك الفرار لا يجدى شيئاً، فالموت أمر حتمى لابدّ أن يدرك الجميع، إذ يقول تعالى: «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَقِيكُم ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

الموت قانون عام يخضع له الجميع بما فيهم الأنبياء والملائكهٔ وجميع الناس: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبّكَ ذُو الْجَللِ وَالْإِكْرَامِ» (۱).

وكذلك المثول أمام محكمهٔ العدل الإلهى لا يفلت منها أحد، إضافهٔ إلى علم اللّه تعالى بأعمال عباده بدقّهٔ وبتفصيل كامل.

وبهذا سوف لا يكون هناك طريق للتخلّص من هذا الخوف سوى تقوى اللّه وتطهير النفس والقلب من المعاصى، وبعد أن يخلص الإنسان للّه‌تعالى فإنّه لن يخاف الموت حينئذٍ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۹) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰) وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (۱۱)

---

(۱) سورهٔ الرحمن/ ۲۶ و ۲۷.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۶

سبب النّزول

نقل فى سبب نزول هذه الآيات وخصوصاً الآيهٔ «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً» روايات مختلفهٔ جميعها تخبر عن معنى واحد، هو أنّه فى أحد السنوات: أصاب أهل المدينهٔ جوع وغلاء سعر، فقدم دحيهٔ بن خليفهٔ بتجارهٔ زيت من الشام، والنبى صلى الله عليه و آله يخطب يوم الجمعهٔ فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشيهٔ أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه و آله إلّارهط، فنزلت الآيهٔ فقال صلى الله عليه و آله:

«والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادى ناراً».

وقال المقاتلان: بينا رسول اللّه صلى الله عليه و آله يخطب يوم الجمعهٔ، إذ قدم دحيهٔ بن خليفهٔ بن فروهٔ الكلبى، ثم أحد بنى الخزرج

ثم أحد بنى زيد بن مناة من الشام بتجارة. وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق، إلّاأتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق، أو برّ، أو غيره فينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان فى سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه، فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه.

فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول اللّه صلى الله عليه و آله قائم على المنبر يخطب. فخرج الناس، فلم يبق فى المسجد إلّااثنا عشر رجلًا وامرأة، فقال صلى الله عليه و آله: «لولا هؤلاء لسوّمت عليهم الحجارة من السماء». وأنزل اللّه هذه الآية «۱».

التّفسير

أكبر تجمّع عبادى سياسى اسبوعى: كانت الأبحاث السابقة تدور حول مسألة التوحيد والنبوّة والمعاد، وكذلك ذمّ اليهود عبيد الدنيا، بينما انصبّ الحديث فى الآيات مورد البحث على الركائز الإسلامية المهمة التى تؤثّر كثيراً على استقرار أساس الإيمان، وتمثّل الهدف الأساس للسورة، وهى صلاة الجمعة وبعض الأحكام المتعلقة بها. ففى البداية يخاطب اللّه تعالى المسلمين جميعاً بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ».

«نودى»: من مادة «نداء» وهى هنا بمعنى الأذان إذ لا نداء للصلاة غير الأذان.

فعندما يرتفع الأذان لصلاة الجمعة يكون لزاماً على الناس أن يتركوا مكاسبهم ومعايشهم، ويذهبوا إلى الصلاة وهى أهمّ ذكر للّه.

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۷

من الواضح أنّ لأمر ترك البيع والشراء مفهوماً واسعاً يشمل كل عمل يمكن أن يزاحم الصلاة.

المقصود من (ذكر اللّه) بالدرجة الاولى هو الصلاة، ولكنّنا نعلم أنّ خطبتى صلاة الجمعة مشتملة هى الاخرى ومتضمنة (لذكر اللّه) وهى جزء من صلاة الجمعة، وبناءً على ذلك ينبغى الإسراع لحضور الخطبتين أيضاً.

تضيف الآية التى تليها قائلة: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

فى آخر الآية- مورد البحث- ورد ذمّ عنيف للأشخاص الذين تركوا رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى صلاة الجمعة وأسرعوا للشراء من القافلة القادمة، إذ يقول تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا».

ولكن «قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

فمن المؤكّد، أنّ الثواب والجزاء الإلهى والبركات التى يحظى بها الإنسان عند حضوره صلاة الجمعة والإستماع إلى المواعظ والحكم التى يلقيها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وما ينتج عن ذلك من تربية روحية ومعنوية، لا يمكن مقارنتها بأى شىء آخر، فإذا كنتم تظنّون إنقطاع الرزق فإنّكم على خطأ كبير لأنّ «اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

التعبير ب «اللهو» إشارة إلى الطبل وسائر آلات اللهو التى كانت تستعمل عند دخول قافلة جديدة إلى المدينة، فقد كانت تستعمل كإعلان وإخبار عن دخول القافلة، إضافةً إلى كونها وسيلة للترفيه والدعاية واللهو.

بحوث

۱- أوّل صلاة جمعة فى الإسلام: فى المجمع: قيل: قبل أن تنزل الجمعة، قالت الأنصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم أيضاً مثل ذلك، فلنجعل يوماً نجتمع فيه، فنذكر اللّه عزّ وجل ونشكره. وكما قالوا يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذ وذكرهم فسمّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه فذبح لهم أسعد بن زرارة شاة، فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة، وذلك لقلتهم. فأنزل اللّه تعالى فى ذلك: «إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوةِ» الآية. فهذه أوّل جمعة فى الإسلام. فأمّا أوّل جمعة جمعها رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأصحابه فقيل: إنّه قدم رسول اللّه صلى الله عليه و آله مهاجراً

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۸

حتى نزل قبا على عمرو بن عوف، وذلک یوم الإثنین، لإثنتی عشرة لیلة، خلت من شهر ربیع الأوّل حین الضحى، فأقام بقبا یوم الإثنین والثلاثاء والأربعاء والخمیس وأسّس مسجدهم ثم خرج من بین أظهرهم یوم الجمعة قاصداً المدینة فأدرکته صلاة الجمعة فی بنی سالم بن عوف فی بطن واد لهم قد اتخذ الیوم فی ذلک الموضع مسجده. وکانت هذه الجمعة أوّل جمعة جمعها رسول اللَّه صلى الله علیه و آله فی الإسلام. فخطب فی هذه الجمعة وهی أوّل خطبة خطبها بالمدینة.

۲- أهمیة صلاة الجمعة: إنّ أفضل دلیل على أهمیة هذه الفریضة العظیمة هو الآیات الأخیرة فی هذه السورة المبارکة، التی أمرت جمیع المسلمین وأهل الإیمان بمجرد سماعهم لأذان الجمعة أن یسرعوا إلیها ویترکوا الکسب والعمل، وکل ما من شأنه أن یزاحم هذه الفریضة.

ورد عن النبی صلى الله علیه و آله فی خطبة طویلة نقلها المخالف والمؤالف: «إنّ اللَّه تعالى فرض علیکم الجمعة، فمن ترکها فی حیاتی أو بعد موتی إستخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع اللَّه شمله ولا بارک له فی أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زکاة له، ألا ولا حجّ له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برّ له، حتى یتوب» «۱».

ومن الملفت للنظر أنّه قد ورد ذمّ شدید لتارک صلاة الجمعة، عندما تکون صلاة الجمعة واجباً عینیّاً (أی فی زمن حضور الإمام المعصوم) وأمّا فی زمن الغیبة، فإنّه لا یکون مشمولًا بهذا الذم والتقریع رغم عظمة صلاة الجمعة وأهمیتها فی هذا الوقت أیضاً.

۳- فلسفة صلاة الجمعة العبادیة والسیاسیة: إنّ صلاة الجمعة- قبل کل شیء- عبادة جماعیة ولها أثر العبادات عموماً، حیث تطهّر الروح والقلب من الذنوب، وتزیل صدأ المعاصی عن القلوب.

أمّا من الناحیة السیاسیة والاجتماعیة فهی أکبر مؤتمر اسبوعی عظیم بعد مؤتمر الحج السنوی، لهذا نجد الرسول صلى الله علیه و آله یقول فی روایة أنّ الجمعة حج من لا یملک القدرة على المشارکة فی الحج.

ویعطی الإسلام أهمیة خاصة لثلاثة مؤتمرات کبیرة:

---

(۱) وسائل الشیعة ۵/ ۷ (باب وجوب صلاة الجمعة). رسائل شهید الثانی، رسالة الجمعة/ ۶۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۷۹

التجمعات التی تتمّ یومیاً لصلاة الجماعة.

التجمع الأسبوعی الأوسع فی صلاة الجمعة.

ومؤتمر الحج الذی یعقد فی کل سنة مرّة.

ودور صلاة الجمعة مهم جدّاً خاصة وأنّ من واجبات الخطیب هو التحدّث فی الخطبتین عن المسائل السیاسیة والاجتماعیة والاقتصادیة.

«نهایة تفسیر سورة الجمعة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۱

۶۳. سورة المنافقون

محتوى السورة: یمکن تقسیم مباحث هذه السورة بأربعة أقسام:

۱- صفات المنافقین وتتضمن نقاطاً مهمة وحساسة.

۲- تحذیر المؤمنین من خطط المنافقین ووجوب الإنتباه إلى ذلک ورصده بشکل دقیق.

۳- حثّ المؤمنين على عدم الاستغراق فى الدنيا وزخرفها والإنشغال بذلك عن ذكر اللَّه.

۴- حثّ المسلمين على الإنفاق فى سبيل اللَّه، والإنتفاع من الأموال قبل الموت وقبل إشتعال الحسرة فى نفوسهم.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق».

وفى ثواب الأعمال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ فى ليلة الجمعة بالجمعة وسبّح اسم ربّك الأعلى، وفى صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين، فإذا فعل ذلك فكأنّما يعمل كعمل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكان جزاؤه وثوابه على اللَّه الجنة».

إنّ المرور على هذه السور دون الاستفادة منها على الصعيد العملى وجعلها برنامجاً للحياة، سوف لن يؤدّى إلى زوال روح النفاق وإجتثاث جذورها من نفس الإنسان.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۲

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (۱) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (۲) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (۳) وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (۴) مصدر النفاق وعلامات المنافقين: نذكر مقدمة قبل الدخول فى تفسير هذه الآيات، وهى أنّ الإسلام طرح مسألة النفاق والمنافقين مع هجرة الرسول صلى الله عليه و آله وأصحابه إلى المدينة، وبداية استحكام اسس الإسلام وظهور عزّه، فلم تبرز ظاهرة النفاق فى مكة، لأنّ الأعداء يصعب عليهم التجاهر فى عدائهم، بل قد يتعذر ذلك عليهم فى بعض الأحيان، لهذا اختار أعداء الإسلام المهزومون أن يواصلوا خططهم التخريبية من خلال إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وانخرطوا ظاهراً فى صفوف المسلمين، بينما ظلّوا محافظين على كفرهم فى باطنهم.

وهكذا تكون غالباً طبيعة أعداء كل ثورة ودعوة بعد إشتداد عودها وقوّة ساعدها، إذ تواجه الكثير من الأعداء وكأنّهم أصدقاء.

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا نزلت كل تلك الآيات التى تصف المنافقين وتشرح حالهم، فى المدينة ولم تنزل فى مكة.

ومما يجدر الإشارة إليه أنّ هذه المسألة- أى مسألة النفاق- غير محصورة بعصر الرسول، بل إنّ جميع المجتمعات- وخاصة الثورية منها- تكون عرضة للإصابة بهذه الظاهرة الخطيرة، ولذلك يجب أن يدرس القرآن الكريم وما جاء فيه من تجارب وإرشادات من خلال هذه النظرة الحيوية، لا من خلال اعتبارها مسألة تاريخية لا علاقة لها بالواقع، وبهذا يمكن إستلهام الدروس والحكم لمكافحة النفاق وخطوط المنافقين فى المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أنّ خطر المنافقين يفوق خطر باقى الأعداء، لخفائهم وعدم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۳

القدرة على تشخيصهم بسهولة من جهة، ولكونهم أعداء يعيشون فى داخل الجسم الإسلامى وربّما ينفذون إلى قلبه نفوذاً يصعب معه فرزهم وتحديدهم من جهة اخرى.

ويأتى خطرهم ثالثاً من إرتباطاتهم مع سائر عناصر المجتمع بعلاقات بحيث تصعب مكافحتهم.

ولهذا نرى أنّ أكثر الضربات التى تلقّاها الإسلام على مدى التاريخ جاءته من هذا المعسكر، أى معسكر النفاق ولهذا نلاحظ أنّ الإسلام شنّ حملات شديدة جدّاً عليهم.

وبعد هذه المقدمة نرجع إلى تفسير الآيات.

إنّ أوّل صفة يذكرها القرآن للمنافقين هى: إظهار الإيمان الكاذب الذى يشكّل الظاهرة العامة للنفاق، حيث يقول تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ».

ويضيف: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ». لأنّهم لم يريدوا الإخبار عن واقعية رسالة رسول اللّه وإنّما أرادوا الإخبار عن إعتقادهم برسالته، وهذا من الكذب المحض.

وهذه أوّل علامة من علامات المنافقين، حيث اختلاف الظاهر مع الباطن، ففى الوقت الذى يظهر المنافقون الإيمان ويدعونه بألسنتهم، نرى قلوبهم قد خلت من الإيمان تماماً، وهذه الظاهرة تشكّل المحور الرئيسى للنفاق.

وتذكر الآية اللاحقة العلامة الثانية: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

ذلك لأنّهم يضعون الموانع والعراقيل فى طريق هداية الناس، وليس هناك أقبح من أن يمنع الإنسان غيره من الإهتداء.

من عبارة «جُنَّةً» يتّضح أنّ المنافقين فى حالة حرب دائمة ضد المؤمنين، وأنّ الظواهر التى يتخفّون وراءها لا ينبغى أن تخدع أحداً.

وتتطرق الآية اللاحقة إلى ذكر السبب الذى يقف وراء هذه الأعمال السيئة، حيث يقول تعالى: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايَفْقَهُونَ».

والواقع أنّ المنافقين مجموعتان:

المجموعة الاولى: كان إيمانها منذ البداية ظاهرياً وصورياً.

والثانية: كان إيمانها حقيقيّاً فى البداية ثم ارتدّوا ولزموا طريق النفاق.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۴

والظاهر أنّ الآية- مورد البحث- تتعرض للمجموعة الثانية.

وتشبه هذه الآية (۷۴) من سورة التوبة التى تقول: «وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلمِهِمْ».

فإنّ عدم قدرتهم على إدراك الحقائق الواضحة تعتبر علامة ثالثة من علامات نفاقهم.

وتوضّح الآية اللاحقة علامات المنافقين بشكل أكثر وضوحاً، إذ يقول تعالى: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ» فهم يتمتعون بظواهر جميلة وأجسام لطيفة.

«وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ» لأنّه ينطوى على شىء من التحسين والعذوبة.

وفى الوقت الذى يتأثّر الرسول بحديث بعضهم- كما يبدو من ظاهر التعبير- فكيف بالآخرين؟!

هذا فيما يخصّ ظاهرهم، أمّا باطنهم ف «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ».

فأجسامهم خالية من الروح، ووجوههم كالحة، وكيانهم خاوٍ منخور من الداخل، ليس لهم أيّة إرادة ولا- يتمتعون بأيّة استقلالية (كالأخشاب المسنّدة) المكدّسة.

وكان هؤلاء يتميّزون بالضعف والخواء فى داخلهم، لا يعرفون التوكل والاعتماد على اللّه ولا على أنفسهم، فهم كما يصفهم القرآن الكريم فى آية اخرى: «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ».

يسيطر عليهم الخوف والرعب وسوء الظن، وتغمر أرواحهم النظرة السوداء السيّئة ...

تجدهم فى خوف دائم من ظلمهم وخيانتهم.

وقد نبّه القرآن الكريم فى نهاية الآية قائلًا: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ». أى: هم الأعداء الواقعيون.

ويضيف: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ». أى: كيف ينحرفون عن الحق.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (۵) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (۶) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (۷) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (۸)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۵

سبب النّزول

ذكرت كتب التاريخ والتفسير سبباً مسهباً لنزول هذه الآيات، وجاء فى الكامل فى التاريخ: أنّه بعد غزوة بنى المصطلق إزدحم الناس على الماء، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له: جهجاه، فازدحم هو وسنان الجهنى حليف بنى عوف من الخزرج على الماء فاقتتلا- فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد اللَّه بن أبى سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث السنّ فقال: أو قد فعلوها؟ قد كاثرونا فى بلادنا، أما واللَّه «لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ»، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم، واللَّه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد فمشى به إلى النبى صلى الله عليه و آله وذلك عند فراغ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من غزوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: يا رسول اللَّه مُرْ به عبّاد بن بشر فليقتله، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كيف إذا تحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل. فارتحل فى ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه، فلقيه أسيد بن حضير فسلّم عليه وقال: يا رسول اللَّه، لقد رحت فى ساعة لم تكن تروح فيها؟ فقال: أو ما بلغك ما قال عبد اللَّه بن ابى؟ قال: وماذا قال؟ قال: زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل. قال أسيد: فأنت واللَّه تُخرجُه إن شئت، فإنّك العزيز وهو الذليل.

ثم قال: يا رسول اللَّه، ارفق به فواللَّه لقد منّ اللَّه بك وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنّه ليرى أنّك قد استلبته ملكاً. وسمع عبد اللَّه بن ابى أنّ زيداً أعلم النبى صلى الله عليه و آله قوله فمشى إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فحلف باللَّه ما قلت ما قال ولا تكلّمت به، وكان عبد اللَّه فى قومه شريفاً، فقالوا: يا رسول اللَّه عسى أن يكون الغلام قد أخطأه. وأنزل اللَّه: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ» تصديقاً لزيد، فلما نزلت أخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله باذن زيد وقال: هذا الذى أوفى اللَّه باذنه. وبلغ عبد اللَّه بن أبى سلول ما كان من أمر أبيه، فأتى النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول اللَّه! بلغنى أنّك تريد قتل أبى، فإن كنت فاعلًا فمرنى به، فأنا أحمل إليك رأسه، وأخشى أن تأمر غيرى بقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال النبى صلى الله عليه و آله: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا، فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثاً

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۶

عاتبه قومه وعنّفوه وتوعدوه «۱».

التّفسير

علامات اخرى للمنافقين: تأتى هذه الآيات لتكمّل توضيح علامات المنافقين التى بدأتها الآيات التى سبقتها. يقول تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ».

إنّ حبّ المنافقين لأنفسهم وعبادتهم لذواتهم، جعلتهم أبعد ما يكونون عن الإسلام الذى يعنى التسليم والرضا والاستسلام الكامل للحق.

«لوّوا»: من مادة «لى» وهى فى الأصل بمعنى برم الحبل، وتأتى أيضاً بمعنى إمالة الرأس وهزّه إعراضاً واستكباراً.

ومن أجل أن لا- يبقى هناك أى إبهام أو التباس قال تعالى: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

إنّ استغفار النبى تؤثّر حينما يتوبون بصدق وإخلاص، ويستسلمون للحقّ، هنالك يؤثّر استغفار الرسول وتقبل شفاعته.

والمقصود من الفسّاق، هم تلك المجموعة من الفسّاق أو المذنبين الذين يصرّون على ذنوبهم ويركبون رؤوسهم.

والشاهد الآخر الذى يذكره القرآن كعلامة لهم واضحة جدّاً، هو قوله تعالى: «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَاتُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى

يَنفَضُّوا». فلا تعطوا المسلمين شيئاً من أموالكم وإمكاناتكم لكى يتفرقوا عن رسول اللّه.

«وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَلكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَايَفْقَهُونَ».

إنّ هؤلاء فقدوا الوعى والبصيرة، ولم يعرفوا أنّ كل ما لدى الناس إنّما هو من اللّه. وأن تقاسم الأنصار لأموالهم مع المهاجرين إنّما هو من دواعى الإفتخار والإعتزاز، ولا ينبغى أن يمنّوا به على أحد.

ثم يقول تعالى فى إشارة اخرى إلى مقالة اخرى سيّئة من مقالاتهم: «يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ».

---

(۱) الكامل فى التاريخ ۲/ ۸۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۷

وهـذا نفس الكلام الـذى أطلقه عبـد اللّه بن ابى، ويريـدون من ورائه أنّهم أهـل المدينـة الأصـليّون الـذين سـيخرجون منهـا الرسـول وأصحابه من المهاجرين، بعد عودتهم من غزوة بنى المصطلق التى مرّت الإشارة إليها.

ورغم أنّ هـذا الحـديث صـدر عن رجل واحد، لكنه كان لسان حال المنافقين جميعاً، وهذا ما جعل القرآن يعبّر عنهم بشـكل جماعى «يقولون ...» فيردّهم ردّاً حازماً، إذ يقول:

«وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَايَعْلَمُونَ».

ولم يكن منافقو المدينة وحدهم الذين رووا هذا الكلام، بل سـبقهم إلى ذلك رؤساء قريش عندما قالوا: (سـينتهى أمر هذه المجموعة القليلة الفقيرة من المسلمين إذا حاصرناهم إقتصادياً أو أخرجناهم من مكة).

وهكذا نرى اليوم الدول المستكبرة وهى تحذّر الشعوب التى ترفض الخضوع لسيطرتها، بأنّها تملك الدنيا وخزائنها، فإن لم تخضع لها تحاصرها اقتصادياً لتركيعها.

وهؤلاء هم الـذين طبع على قلوبهم واتّخـذوا منهجاً واحـداً على مـدى التاريـخ، وظنّوا أنّ ما لـديهم باق، ولم يعلموا أنّ اللّه قادر على إزالته وإزهاقه بلمحة بصر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (۹) وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۰) وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (۱۱) لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم: إنّ حبّ الـدنيا والتكالب على الأموال والإنشداد إلى الأرض، من الأسـباب المهمـة التى تدفع باتّجاه النفاق، وهذا ما جعل القرآن يحذّر المؤمنين من مغبّة الوقوع فى هذه المصـيدة الخطيرة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

ورغم أنّ الأموال والأولاد من النعم الإلهيـة التى يستعان بها على طاعـة اللّه وتحصـيل رضوانه، لكنّها يمكن أن تتحول إلى سـدّ يحول بين الإنسان وخالقه إذا ما تعلق به الإنسان بشكل مفرط.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۸

بعد هذا التحذير الشديد، يأمر اللّه تعالى بالإنفاق فى سبيله حيث يقول: «وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مّن قَبْلِ أن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مّنَ الصَّالِحِينَ».

والأمر بالإنفاق هنا يشمل كافّة أنواع الإنفاق الواجبة والمستحبة.

والطريف أنّه جاء فى ذيل الآية «فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مّنَ الصَّالِحِينَ» لبيان تأثير الإنفاق فى صلاح الإنسان.

إنّ هناك عدداً كبيراً من الناس يضـطربون كثيراً حينما يجدون أنفسهم على وشك الإنتقال إلى عالم البرزخ، والرحيل عن هذه الدنيا، وترك كل ما بنوا فيها من أموال طائلـة وملاذ واسـعة، دون أن يسـتثمروها فى تعمير الآخرة، عندئـذ يتـذكّر هؤلاء ويطلبون العودة إلى

الحياة الدنيا مهما كان الرجوع قصيراً وعابراً، ليعوّضوا ما فات، ويأتيهم الجواب «وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا».

وفى الآية (۳۴) من سورة الأعراف: «فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ».

ثم تنتهى الآية بهذه العبارة: «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ». فقد سجل كل شيء عنكم وستجدونه محضراً من ثواب وعقاب.

«نهاية تفسير سورة المنافقون»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۸۹

۶۴. سورة التغابن

محتوى السورة: إنّ سياق الآيات الأخيرة فى هذه السورة ينسجم مع السور المدنية، وصدرها أكثر انسجاماً مع السور المكية، ولكنّنا نرى أنّها مدنية طبقاً للمشهور.

يمكن تقسيم مباحث هذه السورة إلى عدّة أقسام:

۱- بداية السورة التى تبحث فى التوحيد وصفات وأفعال اللَّه تعالى.

۲- حثّ الناس على ملاحظة أعمالهم ظاهراً وباطناً، وأن لا يغفلوا عن مصير الأقوام السابقين.

۳- ثم يجرى الحديث عن المعاد، وأنّ يوم القيامة «يوم تغابن»، تغبن فيه جماعة وتفوز فيه جماعة، واسم السورة مشتقّ من هذا المفهوم.

۴- الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه و آله وتحكيم قواعد النبوّة.

۵- ويأمر اللَّه تبارك وتعالى فى القسم الأخير من السورة بالإنفاق فى سبيله، ويحذّر من الإنخداع بالأموال والأولاد والزوجات، وتختم السورة بذكر صفات اللَّه تبارك وتعالى.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سورة التّغابن فى فريضته كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۰

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱) هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (۳) يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۴) أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۵) ذلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۶) تبدأ هذه السورة بتسبيح اللَّه، اللَّه المالك المهيمن على العالمين القادر على كل شيء:

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ». ويضيف: «لَهُ الْمُلْكُ». والحاكمية على عالم الوجود كافّة، ولهذا السبب: «وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

ثم يشير تعالى إلى أمر الخلقة الملازم لقدرته، إذ يقول تعالى: «هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ» وأعطاكم نعمة الحرية والإختيار «فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ».

وبناءً على هذا فإنّ الإمتحان الإلهى يجد له معنى عميقاً: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

ثم يوضّح مسألة الخلقة أكثر بالإشارة إلى الهدف منها، إذ يقول فى الآية اللاحقة: «خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ».

فإنّ هذا الخلق الحق الدقيق ينطوى على غايات عظيمة وحكمة بالغة، حيث يقول تعالى فى الآية (۲۷) من سورة «ص»: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا».

ثم يتحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، ويدعونا بعد آيات الآفاق إلى السير فى آفاق الأنفس. يقول تعالى: «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ». لقد صوّر الإنسان بأحسن الصور وأجملها، وجعل له من المواهب الباطنية الفكرية والعقلية ما جعل العالم كلّه ينطوى فيه، وأخيراً تنتهى الامور إليه تعالى: «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

ولأنّ الإنسان خلق لهدف سام عظيم، فعليه أن يكون دائماً تحت إرادة البارىء وضمن

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۱

طاعته، فإنّه: «يَعْلَمُ مَا فِي السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

تجسّد هذه الآية علم اللَّه اللامتناهى فى ثلاثة مستويات: علمه بكل المخلوقات، وما فى السماوات والأرض.

ثم علمه بأعمال الإنسان كافّة، سواء أضمرها أو أظهرها.

والثالث علمه بنيّة الإنسان وعقائده الداخلية التى تحكم قلب الإنسان وروحه.

وممّا لا شك فيه أنّ ذلك سيهىء الإنسان للحركة نحو الرقى والتكامل.

ثم يلفت القرآن الكريم الإنتباه إلى أهمّ عامل فى تربية الإنسان وتعليمه، وهو الإتّعاظ بمصارع القرون وما جرى على الأقوام السالفة حيث يقول: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

ألم تمرّوا على مدنهم المهدّمة وآثارهم المدمّرة فى طريقكم إلى الشام والأماكن الاخرى، فتروا بامّ أعينكم نتيجة كفرهم وظلمهم، وكان هذا عذابهم فى الدنيا وفى الآخرة لهم عذاب أشد.

ثم تشير الآية اللاحقة إلى سبب هذه العاقبة المؤلمة وهو الغرور والتكبر على الأنبياء:

«ذلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا». وبهذا المنطق عصوا وكفروا «فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا» واللَّه فى غنى عن طاعتهم «وَاسْتَغْنَى اللَّهُ» فطاعتهم لأنفسهم وعصيانهم عليها و «اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

ولو كفرت كل الكائنات لما نقص من كبريائه تعالى شىء، كما أنّ طاعتهم لا تزيده شيئاً، نحن الذين نحتاج إلى كل هذه التعليمات والمناهج التربوية.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَ رَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (۷) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۸) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۹) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱۰)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۲

فى أعقاب تلك الآيات التى بحثت مسألة الخلقة والهدف من الخلق، جاءت هذه الآيات لتكمّل البحث الذى يطرح قضية المعاد والقيامة، حيث يقول تعالى: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا».

فإنّ القرآن الكريم يأمر الرسول الأكرم فى أعقاب هذا الكلام بقوله: «قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

لأنّهم فى البداية كانوا عدماً وخلقهم اللَّه، فإعادتهم إلى الوجود مرّة اخرى أيسر ..

ولابدّ أن تكون النتيجة كما قرّرتها الآية اللاحقة وأنّه بعد أن ثبت أنّ المعاد حق: «فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

وبناءً على ذلك يأمرهم البارىء أن يعدوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح، ويستعدّوا للبعث ويوم الجزاء.

والإيمان هنا لابدّ أن يرتكز على ثلاثة اصول: (اللَّه) و (الرسول) و (القرآن) التى تتضمن الامور الاخرى جميعاً.

وتصف الآية اللاحقة يوم القيامة بقولها: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ».

فإنّ أحد أسماء يوم القيامة هو «يوم الجمع» الذى ورد كراراً بتعبيرات مختلفة فى القرآن الكريم، منها ما جاء فى الآية (۴۹ و ۵۰) من سورة الواقعة: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْأَخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ».

ثم يضيف تعالى: «ذلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ». أى اليوم الذى يعرف فيه «الغابن» بالفوز عن «المغبون» بالغلبة، وهو اليوم الذى ينكشف فيه من هم الناس الذين غبنوا وخسرت تجارتهم.

ثم يتحدث القرآن الكريم عن أحوال المؤمنين فى ذلك اليوم (يوم القيامة) أو (يوم التغابن) قائلًا: «وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

وستتنزّل النعم الإلهية والبركات بتحقق الشرطين الأساسيين، الإيمان والعمل الصالح.

ثم يقول تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِايَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

وهناك عاملان أساسيان للشقاء يذكرهما القرآن، هما الكفر والتكذيب بالآيات الإلهية، وهما النقيضان الواقعيان للإيمان والعمل الصالح.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۳

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۱) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (۱۲) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۳) كل ما يصيبنا بإذنه وعلمه: فى أوّل آية مورد البحث يشير القرآن إلى أصل كلّى عن المصائب والحوادث الأليمة التى تصيب الإنسان، ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ الكفار كانوا دائماً يتذرّعون بوجود المصائب والبلايا لنفى العدالة الإلهية فى هذا العالم، أو يكون المراد أنّ طريق الإيمان والعمل الصالح مقرون دائماً بالمشاكل، ولا يصل الإنسان المؤمن إلى مرتبة مقاومتها، وبذلك يتّضح وجه الإرتباط بين هذه الآية وما قبلها.

يقول تعالى أوّلًا: «مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ».

فما يجرى من حوادث كلّها بإذن اللَّه لا تخرج عن إرادته أبداً.

وعندما نقول يقع ذلك بإرادة اللَّه، فإنّما نعنى «الإرادة التكوينية» لا الإرادة التشريعية.

من مجموع الآيات التى وردت فى هذا المجال، فنلاحظ أنّها عرضت المصائب على نوعين:

الأوّل: ما يكون جزءاً من طبيعة تكوين الإنسان كالموت والحوادث الطبيعية الاخرى، وهذه لا يستطيع الإنسان أن يدفعها عنه، فيقرّر القرآن الكريم بأنّ ذلك يقع بإذن اللَّه.

الثانى: هو تلك المصائب التى تأتى من تقصير الإنسان ومن عمل يده، وله الدور الأساسى فى تحققها، وهذه يقول القرآن: إنّها تصيبكم بسبب أعمالكم.

ويبشّر القرآن المؤمنين بقوله: «وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ».

فالمؤمن لا تهزمه المصائب ولا ييأس ولا يجزع، واللَّه يهدى الإنسان حينما يكون شكوراً لنعمه، صابراً على بلائه، مستسلماً لقضائه.

وتقول الآية فى نهاية المطاف: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

وقد يراد من هذا التعبير الإشارة إلى الهدف من وراء هذه الامتحانات والاختبارات الصعبة، وهو إيقاظ الناس وتربيتهم وإعدادهم لمجابهة الغرور والغفلة، وسيؤثر ذلك حتماً ويدفع الإنسان إلى طاعة اللَّه ورسوله، و «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ».

لا يخفى أنّ إطاعة الرسول فرع عن إطاعة اللَّه تعالى وطاعة الرسول تقع فى طول طاعة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۴

اللَّه، فهما فى خطّ واحد، وهذا ما جعله يكرّر كلمة إطاعة. وإذا ما حاولنا الذهاب أبعد من ذلك، فإنّ طاعة اللَّه تتعلق باصول القوانين والتشريعات الإلهية، بينما طاعة الرسول فى تفسيرها وفى المسائل التنفيذية وفى التفاصيل، فعلى هذا تكون الاولى هى الأصل، والثانية

فرع.

ثم يضيف قائلًا: «فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَغُ الْمُبِينُ».

نعم، إنّ الرسول ملزم بتبليغ الرسالة، وسيتولّى البارىء جلّ شأنه محاسبتكم، وهذا نوع من التهديد الخفى الجاد.

ويشير القرآن الكريم فى الآية اللاحقة إلى قضية التوحيد فى العبودية، التى تشكّل المبرّر الطبيعى لوجوب الطاعة، إذ يقول تعالى: «اللَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ». وبما أنّه كذلك إذاً: «عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

فليس غير اللَّه يستحق العبودية، لأنّه لا مالك ولا قادر ولا عالم غيره، والغنى كله له، وكل ما لدى الآخرين فمنه وإليه، فيجب الرجوع له والإستعانة به على كل شىء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۴) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۱۵) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۶) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (۱۷) عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱۸)

سبب النّزول

فى تفسير على بن إبراهيم فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى قوله تعالى:

«إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ». وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد الهجرة إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا: ننشدك اللَّه أن تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذّرهم اللَّه أبناءهم ونساءهم، ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من

يمضى ويذرهم ويقول: أما واللَّه لئن لم تهاجروا معى ثم يجمع اللَّه بينى وبينكم فى دار الهجرة لا أنفعكم بشىء أبداً، فلمّا جمع اللَّه بينه وبينهم أمره اللَّه أن يوفى ويحسن ويصلهم فقال: «وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

التّفسير

أولادكم وأموالكم وسيلة لإمتحانكم: حذّر القرآن الكريم من مغبّة الوقوع فى الحب المفرط للأولاد والأموال، الذى قد يجرّ إلى عدم الطاعة للّهورسوله حيث قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِن أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلدِكُمْ عَدُوًّا لَكُم فَاحْذَرُوهُمْ».

إنّ هناك مظاهر عديدة لهذه العداوة، فأحياناً يتعلقون بثيابكم ليحرموكم خير الهجرة، واخرى ينتظرون موتكم ليسيطروا على أموالكم وثروتكم، وما إلى ذلك.

وتظهر هذه العداوة أحياناً بمظهر الصداقة وتقديم الخدمة، وحيناً آخر تظهر بسوء النية وخبث المقصد.

ومن أجل أن لا يؤدى ذلك إلى الخشونة فى معاملة الأهل، نجد القرآن يوازن ذلك بقوله فى ذيل نفس الآية: «وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

فإذا ندموا واعتذروا والتحقوا بكم فلا تتعرضوا لهم بعد ذلك، واعفوا عنهم واصفحوا كما تحبّون أن يعفو اللَّه عنكم.

«العفو»: بمعنى صرف النظر عن العقوبة؛ و «الصفح»: فى مرتبة أعلى، ويراد به ترك أى توبيخ ولوم؛ و «الغفران»: الذى يعنى ستر الذنب وتناسيه.

وتشير الآية اللاحقة إلى أصل كلى آخر حول الأموال والأولاد، حيث تقول: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلدُكُمْ فِتْنَةٌ». فإذا تجاوزتم ذلك كله فإنّ: «وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

وقد تقدم فى الآية السابقة الكلام عن عداء بعض الأزواج والأولاد الذين يدعون الإنسان إلى الانحراف وسلوك طريق الشيطان

والمعصیة والکفر، وفی هذه الآیة نجد الکلام عن أنّ جمیع الأموال والأولاد عبارة عن «فتنة»، وهذین الأمرین (الأموال والأولاد) من أهمّ وسائل الإمتحان والإبتلاء.

یقول أمیر المؤمنین علیه السلام فی نهج البلاغة: «لا یقولنّ أحدکم: أللّهم إنّی أعوذ بک من الفتنة لأنّه لیس أحد إلّاوهو مشتمل علی فتنة، ولکن من استعاذ فلیستعذ من مضلّات الفتن فإنّ اللّه سبحانه یقول: «إِنَّمَا أَمْوَالُکُمْ وَأَوْلَدُکُمْ فِتْنَةٌ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۶

وجاء فی الآیة اللاحقة: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِیعُوا وَأَنفِقُوا خَیْرًا لّأَنفُسِکُمْ».

لقد أمر اللّه تعالی أوّلًا بإجتناب الذنوب، ثم بإطاعة الأوامر، وتعدّ الطاعة فی قضیة الإنفاق مقدمة لتلک الطاعة، ثم یخبرهم أنّ خیر ذلک یعود إلیکم ولأنفسکم.

وللتأکید علی أهمیة الإنفاق ختمت الآیة ب «وَمَن یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«شحّ»: بمعنی «البخل المرادف للحرص»، أنّ هاتین الخصلتین السیّئتین من أکبر الموانع أمام فوز الإنسان، وتغلق علیه سبیل الإنفاق وتصدّه عن الخیر.

وفی تفسیر علی بن إبراهیم عن الفضل بن أبی مرة قال: رأیت أبا عبداللّه الصادق علیه السلام یطوف من أوّل اللیل إلی الصباح وهو یقول: «اللّهمّ قنی شحّ نفسی»! فقلت: جعلت فداک ما سمعتک تدعو بغیر هذا الدعاء. قال: «وأی شیء أشد من شحّ النفس وأنّ اللّه یقول: «وَمَن یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»».

وللتشجیع علی الإنفاق والتحذیر من البخل، یقول تعالی: «إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا یُضَاعِفْهُ لَکُمْ وَیَغْفِرْ لَکُمْ وَاللَّهُ شَکُورٌ حَلِیمٌ».

فاللّه الخالق الواهب للنعم الذی له کل شیء، یستقرض منّا ثم یعدنا بأنّه سیعوّضنا أضعاف ذلک، إنّه لطف ما بعده لطف.

«القرض»: فی الأصل بمعنی القطع، ولأنّها اقترنت بکلمة «حسن» فإنّها تعنی فصل المال عن النفس وإنفاقه فی الخیر.

وعبارة «یَغْفِرْ لَکُمْ» للإشارة إلی أنّ الإنفاق أحد عوامل غفران الذنوب.

ویقول فی آخر الآیة: «عَالِمُ الْغَیْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ». إنّه مطّلع علی أعمال عباده ومنها النفقة والبذل فی سبیل اللّه، وإنّه غیر محتاج لکی یستقرض من عباده وإنّما هو إظهار لکمال لطفه ومحبّته لعباده.

«نهایة تفسیر سورة التّغابن»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۷

۶۵. سورة الطلاق

محتوی السورة: یمکن أن نقسّم مباحث هذه السورة إلی قسمین:

۱- الآیات السبع الاول التی تتحدث عن الطلاق وما یرتبط به من امور.

۲- ویشکّل الدافع الحقیقی للقسم الأوّل من السورة، ویدور الحدیث فیه عن عظمة اللّه ومقام رسوله وثواب الصالحین وجزاء العاصین علی شکل مجموعة منسجمة لضمان إجراء هذه المسألة الإجتماعیة المهمّة، ویذکر أنّ لهذه السورة أسماء اخری کسورة «النساء القصری» (علی وزن صغری) مقابل سورة «النساء» المعروفة «النساء الکبری».

فضیلة تلاوة السورة: فی تفسیر مجمع البیان عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «ومن قرأ سورة الطلاق مات علی سنّة رسول اللّه».

یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّکُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُیُوتِهِنَّ وَ لَا یَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ یَأْتِینَ بِفَاحِشَةٍ مُبَیِّنَةٍ وَ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ یَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِی لَعَلَّ اللَّهَ یُحْدِثُ بَعْدَ ذلِکَ أَمْراً (۱)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۸

شرائط الطلاق والإنفصال: تقدم أنّ أهمّ بحث فى هذه السورة هو بحث الطلاق، حيث يشرّع القرآن فيها مخاطباً الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله بصفته القائد الكبير للمسلمين، ثم يوضّح حكماً عموميّاً بصيغة الجمع، حيث يقول: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ».

إنّ المراد هو أن تجرى صيغة الطلاق عند نقاء المرأة من الدورة الشهرية، مع عدم المقاربة الزوجية- هذا هو أوّل شرط للطلاق.

ثم يذكر الحكم الثانى وهو حساب العدّة، حيث يقول تعالى: «وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ».

«أحصوا»: من مادة «الإحصاء» بمعنى الحساب.

والجدير بالملاحظة هنا أنّ المخاطب فى «حساب العدّة» هم الرجال وليس النساء، وذلك لوقوع مسؤولية «النفقة والسكن» على عاتق الرجال، كما أنّ «حق الرجوع» عن الطلاق يعود إليهم وليس إلى النساء، وإلّا فهنّ ملزمات أيضاً فى إحصاء العدّة لتعيين تكليفهنّ.

بعد ذلك يدعو اللَّه تعالى الناس جميعاً إلى التقوى واجتناب المعاصى، حيث يقول تعالى:

«وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ». فهو ربّكم الحريص على سعادتكم، فلا تعصوا له أمراً ولا تتركوا له طاعة، وخاصة فى «حساب العدّة» والتدقيق بها.

ثم يذكر الحكم «الثالث» الذى يتعلق بالأزواج والحكم «الرابع» الذى يتعلق بالزوجات. يقول تعالى: «لَاتُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ».

ورغم أنّ كثيراً من الجهلة لا يلتزمون بهذا الحكم عند الطلاق، حيث يسمح الرجل لنفسه أن يخرج المرأة بمجرد إجراء صيغة الطلاق، كما تسمح المرأة لنفسها بالخروج من بيت زوجها والرجوع إلى أقاربها بمجرد ذلك.

ولكن يبقى لهذا الحكم فلسفته المهمّة وحكمته البالغة، فهو بالإضافة إلى إسداء الإحترام إلى المرأة، يهيىء أرضية جيّدة للانصراف والإعراض عن الطلاق، ويؤدى إلى تقوية الأواصر الزوجية.

إنّ عدم الالتزام بهذا الحكم الإسلامى الخطير، الذى جاء فى نصّ القرآن الكريم، يسبّب كثيراً من حالات الطلاق التى تؤدى إلى الفراق الدائم، بينما كثيراً ما يؤدى الالتزام بهذا الحكم إلى الرجوع والصلح والعودة إلى الزوجية مجدداً.

ولكن قد تقتضى بعض الظروف إخراج المرأة وعدم القدرة على الاحتفاظ بها فى البيت،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۱۹۹

فيجيىء الحكم الخامس الاستثنائى، إذ يقول تعالى: «إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ».

كأن يكون الزوجان غير منسجمين إطلاقاً، ويكون أحدهما مثلًا سيىء الأخلاق إلى الدرجة التى لا يمكن معها البقاء معه فى بيت واحد، وإلّا ستنشأ مشاكل جديدة وعديدة.

بعد بيان هذه الأحكام يؤكّد القرآن الكريم- مرّة اخرى- بقوله: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ». لأنّ الغرض من هذه الأحكام هو اسعاد الناس أنفسهم، والتجاوز على هذه الأحكام- سواء من قبل الرجل أو المرأة- يؤدّى إلى توجيه ضربة قويّة إلى سعادتهم.

ويقول تعالى فى لفتة لطيفة إلى فلسفة العدّة، والحكمة من تشريعها، وعدم السماح للنساء المعتدات بالخروج من مقرّهن الأصلى البيت. يقول: «لَاتَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْرًا».

ومع مرور الزمن يهدأ طوفان الغضب والعصبية الذى قد يسبّب الطلاق، غير أنّ مرور الزمن وحضور الزوجة إلى جانب زوجها خلال هذه الفترة فى البيت، وإظهار ندم ومحبّة كل واحد منهما إلى الآخر، وكذلك التفكير مليّاً فى عواقب هذا العمل القبيح، خاصة مع وجود الأطفال، كل هذه الأمور قد تهيىء أرضية صالحة للرجوع عن هذا القرار المشؤوم.

فى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «المطلّقة تكتحل وتختضب وتطيّب وتلبس ما شاءت من الثياب، لأنّ اللَّه عزّ وجل يقول: «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْرًا» لعلّها تقع فى نفسه فيراجعها».

أبغض الحلال إلى اللَّه الطلاق: إنّ أصل الطلاق من الضروريات التى لا يمكن إلغاؤها بأى وجه من الوجوه، ولكن ينبغى أن لا يصار إليها إلّافى الحالات التى يتعذر فيها مواصلة العلاقة الزوجية والحياة المشتركة. ولهذا نجد أنّ الطلاق قد ذمّ فى روايات إسلامية عديدة، وذكر على أنّه (أبغض الحلال إلى اللَّه).

ففى الكافى عن الإمام الصادق قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ... وما من شىء أبغض إلى اللَّه عزّ وجل من بيت يخرّب فى الإسلام بالفرقة يعنى الطلاق».

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما من شىء ممّا أحلّه اللَّه عزّ وجل أبغض إليه من الطلاق».

والطلاق هو السبب وراء مآس عديدة تحلّ بالعوائل والرجال والنساء، وأكثر منهم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۰

مختصر الامثل ج۵ ۲۳۹

بالأطفال والأولاد.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲) وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (۳) فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف: يشير فى الآية مورد البحث، وكاستمرار للأبحاث المرتبطة بالطلاق التى وردت فى الآيات السابقة، إلى عدّة أحكام اخرى، إذ يقول تعالى فى البداية: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ».

والمراد من عبارة «بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» هو تشرف على الانتهاء، فإنّ الرجوع بعد نهاية العدة غير جائز، إلّاأن يكون إبقاؤهن عن طريق صيغة عقد جديدة.

فإنّ هذه الآية تطرح أهمّ الأواصر المرتبطة بالحياة الزوجية وأكثرها نضجاً، وهى: إمّا أن يعيش الرجل مع المرأة بإحسان ومعروف وتوافق، أو أن ينفصلا بإحسان.

فالانفصال ينبغى أن يتمّ بعيداً عن الهياج والعربدة، وعلى اصول صحيحة، ويجب أن تحفظ فيه الحقوق واللياقات لكى تكون أرضية صالحة ومهيّأة للعودة والرجوع إذا ما قرّرا الرجوع إلى الحياة المشتركة فيما بعد، فإنّ العودة إذا تمّت فى جو مظلم ملبّد بالخلافات والتعديات، فسوف لا تكون عودة موفّقة تستطيع الاستمرار مدّة طويلة، هذا إضافة إلى أنّ الانفصال بالطريقة غير اللائقة قد يترك آثاراً، ليس فقط على الزوج والزوجة، وإنّما قد تتعدى إلى عشيرة وأقرباء كل منهما، وتقطع طريق المساعدة لهما فى المستقبل.

ثم يذكر القرآن الكريم الحكم الثانى حيث يقول: «وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ».

وذلك لكى لا يستطيع أحد أن ينكر فى المستقبل ما جرى.

وفى الحكم الثالث يبيّن القرآن الكريم وظيفة الشهود، حيث يقول: «وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ». حذار أن يكون ميلكم وحبّكم لأحد الطرفين مانعاً عن إظهار الحق.

إنّ تعبير «ذَوَىْ عَدْلٍ مِنكُمْ» دليل على أنّ الشاهدين يجب أن يكونا مسلمين عادلين ومن الذكور.

ولتأكيد الأحكام السابقة جميعاً، تقول الآية الكريمة: «ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۱

وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ».

وبسبب المشاكل المعيشية والحياة المستقبلية فإنّ الزوجين قد ينحرفان عن جادة الصواب عند الطلاق والرجوع، وقد تضغط هذه الظروف على الشاهدين فتمنعانهما عن أداء الشهادة الصحيحة والعادلة، لهذا تؤكّد الآية فى نهايتها قائلة: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ

مَخْرَجًا». ويساعده حتماً على إيجاد الحل لمشكلاته.

«وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ». ولا يتصور تحصيله.

«وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ». وسيكفيه ما يهمّه من اموره.

«إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ». لأنّ اللَّه عزّ وجل قادر مطلق، وأمره نافذ فى كل شيء وتخضع جميع الكائنات لمشيئته وإرادته ...

ولهذا يحذّر النساء والرجال والشهود أن لا يخافوا قول الحق، ويحثّهم على الاعتماد عليه واللجوء إليه فى تيسير الصعوبات، لأنّه قد تعهّد بأن ييسّر للمتقين أمرهم.

إنّ تلاوة الآيات السابقة تبعث- أكثر من غيرها- الأمل فى النفوس، وتمنح القلب صفاءً خاصاً، وتمزّق حجب اليأس والقنوط، إذ تعد كل المتقين بحلّ مشاكلهم وتسهيل امورهم.

فى الدرّ المنثور عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى قوله «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا»: «من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، وشدائد يوم القيامة».

وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (۴) ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (۵) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (۶) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (۷)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۲

أحكام النساء المطلّقات وحقوقهن: من بين الأحكام المستفادة من الآيات السابقة لزوم إحصاء العدة بعد الطلاق، ولما كانت الآية (۲۲۸) من سورة البقرة قد بيّنت حكم العدة للنساء اللاتى يرين العادة الشهرية وذلك بأن تعد ثلاث دورات شهرية متتالية وبمشاهدة الثالثة تكون المرأة قد أنهت عدّتها، فقد ذكرت الآيات محل البحث حكم النسوة اللواتى لا حيض لديهم لأسباب معينة، أو الحوامل لتكمل بحث العدة. يقول تعالى فى بداية الأمر:

«وَالِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَثَةُ أَشْهُرٍ».

فإذا شككتم فى وجود الحمل فمدّة العدة حينئذ ثلاثة أشهر، وكذلك النسوة اللائى لم يرين الحيض ولم تحدث لهن العادة الشهرية بعد: «وَالِي لَمْ يَحِضْنَ».

ثم يشير تعالى إلى ثالث مجموعة حيث يضيف قائلًا: «وَأُولتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ».

وبهذا اتّضح حكم المجاميع الثلاثة، مجموعتان يجب أن يحصين عدتهن ثلاثة أشهر، والمجموعة الثالثة- أى النساء الحوامل- تنتهى عدّتهن بوضع الحمل، سواء كان بعد ساعة من الطلاق، أو بعد ثمانى أشهر مثلًا.

ومعنى عبارة «إِنِ ارْتَبْتُمْ» هو الشك فى وجود «الحمل» بمعنى أنّه هناك إحتمال حمل بعد سنّ اليأس (خمسون سنة للنساء العاديات، وستون سنة للنساء القرشيات) فمن أجل هذا الاحتمال الضعيف الذى نادراً ما يقع، يجب أن تحتاط النساء فتحصى عدّتها ثلاثة أشهر.

وأخيراً يؤكّد مرّة اخرى فى نهاية الآية على التقوى، حيث يقول تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا».

ييسّر اموره ويسهّلها فى هذا العالم، وكذلك فى العالم الآخر، بألطافه سواء فى هذه القضيّة أى قضية الطلاق أو فى قضايا اخرى.

وللتأكيد على أحكام الطلاق والعدة فقد أضاف تعالى فى الآية اللاحقة قائلًا: «ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ». «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا».

وتعطى الآية اللاحقة توضيحاً أوسع وأشمل لحقوق المرأة بعد الطلاق، من حيث «السكن» و «النفقة» وامور اخرى. يقول تعالى فى

سكن النساء المطلّقات: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ». «وجد»: على وزن (حكم)، بمعنى القدرة والتمكّن.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۳

ومن الطبيعى أنّه حينما يكون الإسكان على نفقة الزوج وفى عهدته، فإنّ الامور الاخرى من الإنفاق ستقع هى الاخرى على عاتق الزوج، والشاهد على هذا المدّعى ذيل الآية الذى يتحدث عن نفقة النساء الحوامل.

ثم يتطرق تعالى لذكر حكم آخر: «وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ».

حذار أن يغرّكم البعض ويزرع بينكم البغض والعداوة والنفور، مما يؤدّى إلى إخراجكم عن جادة الحق، فتحرمونهن حقوقهن الطبيعية فى السكن والنفقة.

يقول تعالى فى ثالث حكم حول النساء الحوامل: «وَإِن كُنَّ أُولتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ».

فما دمن حاملات فهنّ فى حالة عدة يستحقّن النفقة والسكن على الزوج.

ويقول تعالى فى الحكم الرابع حول حقوق النساء المرضعات: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ».

اجرة تتناسب مع مقدار وزمان الإرضاع، وطبقاً لما هو معروف وشائع عرفاً.

ونظراً لأنّ الأطفال كثيراً ما يصبحون نقطة للنزاع والخلاف بين الزوج والزوجة بعد الطلاق، فقد أوضح القرآن فى الحكم الخامس هذا الأمر بشكل قاطع ولائق حيث قال:

«وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ». وتشاوروا بينكم فى مصير الأولاد ومستقبلهم.

ويحذّر القرآن الكريم من مغبّة أن يكون الأطفال ضحيّة الخلاف الواقع بين الزوج والزوجة، مما يترك عليهم آثاراً واضحة على تكوينهم الجسمى والنفسى، إذ يحرمون من حنان الام والأب وشفقتهما فينبغى أن يتّقى الأبوان اللّه تعالى ويحفظا حقوق الأطفال فإنّهم لا يستطيعون الدفاع عنها.

وفى حالة عدم حصول التوافق والتفاهم بين الزوجين حول مصير الأطفال وقضية إرضاعهم، يقول القرآن فى سادس حكم فى هذا المجال: «وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى .

وتبيّن الآية اللاحقة سابع- وآخر حكم- فى هذا المجال حيث يقول تعالى: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَيهُ اللَّهُ لَايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا».

إنّ هذا الأمر يرتبط بالنساء اللائى يتعهدن رضاعة أطفالهن بعد الفرقة والطلاق، وأثناء العدة التى اشير إليها فى الآيات السابقة.

وبناءً على هذا لا ينبغى للذين ليس لهم القدرة أن يتشدّدوا ويعقدوا الامور، كما أنّ الذين لا يملكون القدرة المالية غير مأمورين إلّابالقدر الذى تسعه قدرتهم المالية ولا يحق

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۴

للنساء مطالبتهم بأكثر من ذلك. وفى نهاية المطاف يبشّرهم اللّه تعالى بقوله: «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا». أى: لا تجزعوا ولا تحزنوا ولا يكن الضيق فى المعيشة سبباً لخروجكم عن الطريق السوى، فإنّ الدنيا أحوال متقلّبة لا تبقى على حال، فحذار من أن تقطع المشاكل العابرة والمرحلية حبل صبركم.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً (١١) العاقبة المؤلمة للعاصين: فى كثير من الموارد يأتى القرآن على ذكر الامم السابقة بعد إيراد سلسلة من الأحكام والتكاليف، لكى يرى المسلمون بأعينهم عاقبة كل من (الطاعة والعصيان) فى تجارب الماضى وتأخذ

القضیة طابعاً حسیّاً.

ولم یخرج القرآن الکریم فی هذه السورة عن هذا النهج، فبعد ذکر وظائف کل من الرجال والنساء عند الطلاق، یحذّر العاصین والمتمردین من العواقب الوخیمة التی تنتظرهم بقوله فی البدایة: «وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا».

والمقصود ب «القریة» هو محل اجتماع الناس، وهو أعمّ من المدینة والقریة، والمراد هو أهلها.

«عتت»: من مادة «عتو» بمعنی التمرّد علی الطاعة؛ و «نکر»: یعنی العمل الصعب الذی لم یسبق له مثیل.

«حساباً شدیداً» إشارة إلی عاقبة الأقوام السابقة المتمرّدة العاصیة فی هذه الدنیا.

لذلک یضیف تعالی فی الآیة اللاحقة: «فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا».

وأی خسارة أفدح من خسران رأس المال الذی وهبه اللَّه، والخروج من هذه الدنیا

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۵

لیس فقط بعدم شراء المتاع- وإنّما بالانتهاء إلی العذاب الإلهی والدمار.

ثم یشیر تعالی إلی عقابهم الاخروی بقوله: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا». عذاباً مؤلماً، مخیفاً، مذلّا، فاضحاً، دائماً أعدّه لهم منذ الآن فی نار جهنم.

والآن «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا».

إنّ الفکر والتفکّر من جهة، والإیمان والآیات الإلهیة من جهة اخری، تحذّرکم وتدعوکم لملاحظة مصائر الأقوام السابقة المتمردة التی عصت أمر ربّها، والاعتبار بذلک والحذر من أن تکونوا مثلهم.

وبعد ذلک یخاطب اللَّه تعالی المؤمنین الذین یتفکّرون فی آیات اللَّه بقوله: «قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا». وهو الشیء الذی یوجب تذکرکم.

وأرسل لکم رسولًا یتلو علیکم آیات اللَّه الواضحة: «رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ».

إنّ «الذکر» یعنی القرآن؛ و «رسولًا» تعنی شخص الرسول؛ ومعنی «الإنزال» هنا هو وجود الرسول صلی الله علیه و آله فی الامة وبعثه فیها من قبل اللَّه تعالی.

إنّ الهدف من إرسال الرسول وإنزال هذا الکتاب السماوی، هو لإخراج الناس من الظلمات والکفر والجهل وإرتکاب الذنوب والمآثم والمفاسد الأخلاقیة، إلی نور الإیمان والتوحید والتقوی.

وفی ختام الآیة یشیر إلی أجر العاملین المخلصین بقوله: «وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا».

وأشار بالفعل المضارع «یؤمن» و «یعمل» إلی أنّ إیمانهم وعملهم الصالح لیسا محدودین بحدود الزمان والمکان، وإنّما لهما استمرار ودیمومة.

والتعبیر ب (خالدین) دلیل علی کون الجنة خالدة.

والتعبیر ب «رزقاً» یشمل کل النعم الإلهیة فی الدنیا والآخرة، لأنّ الصالحین والمتقین لهم حیاتهم الکریمة حتی فی الحیاة الدنیا.

اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً (۱۲)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۶

الهدف من خلق العالم: هذه الآية هى آخر آية من سورة الطلاق، وفيها إشارة معبّرة وصريحة إلى عظمة وقدرة البارىء جلّ شأنه فى خلق السماوات والأرض وبيان الهدف النهائى للخلق. يقول تعالى أوّلًا: «اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَموَاتٍ». «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ». بمعنى أنّ الأرضين سبع كما السماوات سبع، وهذه هى الآية الوحيدة التى تشير إلى الأرضين السبع فى القرآن الكريم.

إنّ مفهوم هذه الآية مع الإلتفات إلى الآية (۶) من سورة الصّافات التى تقول: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ». هو أنّ علم البشر ومعرفته مهما اتّسعت فهى محدودة ومتعلّقة بالسماء الاولى التى توجد وراءها ثوابت وسيّارات ستة هى عبارة عن العوالم الاخرى التى لا تتسع لها معرفتنا المحدودة ولا ينالها إدراكنا الضيّق.

أمّا الأرضين السبع وما حولها، فربّما تكون إشارة إلى طبقات الأرض المختلفة، لأنّ الأرض تتكوّن من طبقات مختلفة كما ثبت اليوم علميّاً، أو لعلها تكون إشارة إلى المناطق السبع التى تقسّم بها الأرض فى السابق وحالياً.

ثم يشير تعالى إلى إدارة هذا العالم الكبير وتدبيره بقوله جلّ شأنه: «يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ».

وأخيراً يشير تعالى إلى الهدف من وراء هذا الخلق العظيم حيث يقول: «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا».

ومن ثم يجب أن يعلم الإنسان أنّ اللَّه محيط بكل أسرار وجوده، عالم بكل أعماله ما ظهر منها وما بطن، ثم يجب أن يعلم الإنسان أنّ وعد اللَّه فى البعث والمعاد والثواب والعقاب وحتمية انتصار المؤمنين، كل ذلك غير قابل للتخلف والتأخر.

«نهاية تفسير سورة الطّلاق»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۷

۶۶. سورة التحريم

محتوى السورة: تتكوّن هذه السورة من أربعة أقسام رئيسية:

۱- يرتبط بقصة الرسول صلى الله عليه و آله مع بعض أزواجه حينما حرم بعض أنواع الطعام على نفسه، فنزلت الآيات من (۱- ۵).

۲- خطاب لكل المؤمنين فى شؤون التربية ورعاية العائلة ولزوم التوبة من الذنوب، وهو من الآية (۶- ۸).

۳- وهو الآية التاسعة التى تتضمن خطاباً إلى الرسول صلى الله عليه و آله بضرورة مجاهدة الكفار والمنافقين.

۴- يتضمن توضيحاً للأقسام السابقة بذكر نموذجين صالحين للنساء، وهما (مريم العذراء، وزوجة فرعون) ونموذجين غير صالحين (زوجة نوح، وزوجة لوط) ويحذّر نساء النبى صلى الله عليه و آله من هذين النموذجين الأخيرين ويدعوهنّ إلى الإقتداء بالنموذجين الأوّلين من الآية (۱۰- ۱۲).

فضيلة تلاوة السورة: فى ثواب الأعمال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سورة الطلاق والتحريم فى فريضة أعاذه اللَّه من أن يكون يوم القيامة ممّن يخاف أو يحزن وعوفى من النار وأدخله اللَّه الجنة بتلاوته إيّاهما ومحافظته عليهما لأنّهما للنبى صلى الله عليه و آله».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۸

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضَاةَ أَزْوَاجِکَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَکُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِکُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاکُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَکِيمُ (۲) وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (۳) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِکَةُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِيرٌ (۴) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَکُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْکُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْکَاراً (۵)

سبب النّزول

عن عائشة: إنّ النبی صلی الله علیه و آله کان یمکث عند زینب ابنة جحش [إحدی أزواج الرسول ویشرب عندها عسلًا فتواصیت أنا وحفصة ان أتینا دخل علیها النبی صلی الله علیه و آله فلتقل إنّی لأجد منک ریح المغافیر أکلت المغافیر [وهو نوع من الصمغ یترشّح من بعض أشجار الحجاز یسمّی عرفط ویترک رائحة غیر طیبة، علماً أنّ الرسول کان یصرّ علی أن تکون رائحته طیّبة دائماً]، فدخل علی إحداهما فقالت له ذلک فقال: «لا بل شربت عسلًا عند زینب بنت جحش ولن أعود له». [ولهذا أقسم بأنّه سوف لن یتناول ذلک العسل مرّة اخری، خوفاً من أن تکون زنابیر العسل هذا قد تغذّت علی شجر صمغ المغافیر وحذّرها أن تنقل ذلک إلی أحد لکی لا یشیع بین الناس أنّ الرسول قد حرّم علی نفسه طعاماً حلالًا فیقتدون بالرسول ویحرّمونه أو ما یشبهه علی أنفسهم، أو خوفاً من أن تسمع زینب وینکسر قلبها وتتألّم لذلک. لکنّها أفشت السر فتبین أخیراً أنّ القصة کانت مدروسة ومعدّة فتألم الرسول صلی الله علیه و آله لذلک کثیراً، فنزلت علیه الآیات السابقة لتوضّح الأمر وتنهی من أن یتکرر ذلک مرّة اخری فی بیت رسول اللّه صلی الله علیه و آله «(۱)».

---

(۱) صحیح البخاری ۶/ ۱۶۷، والتوضیحات التی ذکرت فی تستفاد من کتب اخری.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۰۹

التّفسیر

التوبیخ لبعض زوجات الرسول: مما لا شک فیه أنّ رجلًا عظیماً کالرسول صلی الله علیه و آله لا یمکن أن یهمّه أمره وحده دون غیره، بل أمره یهمّ المجتمع الإسلامی والبشریة جمعاء، ولهذا یکون التعامل مع أیّة دسیسة حتی لو کانت بسیطة تعاملًا حازماً وقاطعاً لا یسمح بتکرّرها، لکی لا تتعرض حیثیة الرسول واعتباره إلی أی نوع من التصدّع والخدش والآیات محل البحث تعتبر تحذیراً من ارتکاب مثل هذه الأعمال حفاظاً علی اعتبار الرسول صلی الله علیه و آله. البدایة کانت خطاباً إلی الرسول: «یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ تَبْتَغِی مَرْضَاتَ أَزْوَاجِکَ».

إنّ هذا التحریم لیس تحریماً شرعیاً، بل هو- کما یستفاد من الآیات اللاحقة- قسم من قبل الرسول الکریم، ومن المعروف أنّ القسم علی ترک بعض المباحات لیس ذنباً. وبناءً علی هذا فإنّ جملة «لِمَ تُحَرّمُ» لم تأت کتوبیخ وعتاب، وإنّما هی نوع من الإشفاق والعطف.

ثم یضیف فی آخر الآیة: «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِیمٌ». وهذا العفو والرحمة إنّما هو لمن تاب من زوجات الرسول اللاتی رتّبن ذلک العمل وأعددنه.

ویضیف فی الآیة اللاحقة أنّ اللّه قد أوضح طریق التخلّص من مثل هذا القسم: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَکُمْ تَحِلَّةَ أَیْمَانِکُمْ». أی: أعط کفارة القسم وتحرّر منه.

ثم یضیف: «وَاللَّهُ مَوْلکُمْ وَهُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ». فقد أنجاکم من مثل هذه الأقسام ووضع لکم طریق التخلّص منها طبقاً لعلمه وحکمته.

ویستفاد من بعض الروایات أنّ النبی صلی الله علیه و آله أعتق رقبة بعد هذا القسم وحلّل ما کان قد حرّمه بالقسم.

وفی الآیة اللاحقة یتعرض لهذا الحادث بشکل أوسع: «وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلَی بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِیثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ».

إنّ هذا السر یتکوّن من أمرین:

الأوّل: تناول العسل عند زوجته (زینب بنت جحش).

والثانی: تحریم العسل علی نفسه فی المستقبل.

أمّا الزوجة التى أذاعت السر ولم تحافظ عليه فهى «حفصة» حيث أنّها نقلت ذلك

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۰

الحديث الذى سمعت به إلى عائشة.

وعلى كل حال فإنّه: «فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ».

ويتّضح من مجموع هذه الآيات أنّ بعض زوجات الرسول لم يكتفين بإيذاء النبى صلى الله عليه و آله بكلامهن، بل لا يحفظن سرّه، وحفظ السر من أهمّ صفات الزوجة الصالحة الوفيّة لزوجها. ثم يتحدث القرآن مع زوجتى الرسول اللتين كانتا وراء هذا الحادث بقوله: «إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا».

وقد اتّفق المفسرون الشيعة والسنة على أنّ تلك الزوجتين هما «حفصة بنت عمر» و «عائشة بنت أبى بكر».

ثم يضيف تعالى: «وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ».

ويتّضح من هذا كم تركت هذه الحادثة من أثر مؤلم فى قلب الرسول صلى الله عليه و آله وروحه العظيمة، ورغم قدرة الرسول المتكاملة نشاهد أنّ اللَّه يدافع عنه إذ يعلن حماية جبرائيل والمؤمنين له.

مما لا شك فيه أنّ صالح المؤمنين، لها معانٍ واسعة تشمل جميع المؤمنين الصالحين الأتقياء الذين كمل إيمانهم، ولكن ما هو المصداق الأكمل والأتم لهذا المصطلح؟

يستفاد من روايات عديدة أنّ المقصود هو الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام.

فى آخر آية من هذه الآيات يخاطب اللَّه تعالى جميع نساء النبى بلهجة لا تخلو من التهديد:

«عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا».

يضع القرآن الكريم عدّة صفات للمرأة الصالحة التى يمكنها أن تكون نموذجاً يقتدى به فى انتخاب الزوجة اللائقة.

الأوّل «الإسلام» ثم «الإيمان» أى الإعتقاد الذى ينفذ ويترسّخ فى أعماق قلب الإنسان، ثم حالة «القنوت» أى التواضع وطاعة الزوج، بعد ذلك «التوبة» ويقصد أنّ الزوجة إذا ما ارتكبت ذنباً بحق زوجها فإنّها سرعان ما تتوب وتعتذر عن ذلك، وتأتى بعد ذلك «العبادة» التى جعلها اللَّه سبحانه ليطهّر بها قلب الإنسان وروحه ويصنعها من جديد، ثم «إطاعة أوامر اللَّه» والورع عن محارمه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۱

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (۶) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۷) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۸) قوا أنفسكم وأهليكم النار: تخاطب الآيات السابقة جميع المؤمنين، وترسم لهم المنهج الصالح لتربية الزوجات والأولاد والاسرة بشكل عام، فهى تقول أوّلًا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ».

وذلك بحفظ النفس من الذنوب وعدم الاستسلام للشهوات والأهواء، وحفظ العائلة من الانحراف بالتعليم والتربية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتهيئة الأجواء الصالحة والمحيط الطاهر من كل رذيلة ونقص.

وينبغى مراعاة هذا البرنامج الإلهى منذ اللحظات الاولى لبناء العائلة، أى منذ أوّل مقدمات الزواج، ثم مع أوّل لحظة لولادة الأولاد، ويراعى ويلاحظ بدقة حتى النهاية.

ويضيف القرآن قائلًا: «عَلَيْهَا مَلِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ».

وبهذا لا يبقى طريق للخلاص والهروب، ولن يؤثّر البكاء والإلتماس والجزع والفزع.

فى الآيـة اللاحقـة يخاطب الكفار ويصف وضـعهم فى ذلك اليوم العصـيب بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَاتَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ».

قـد جـاءت هـذه الآيـة بعـد الآيـة السابقـة التى خاطب بها المؤمنين، ليكون واضـحاً أنّ عـدم الالتزام بأوامر اللّه وعـدم الإهتمام بالنساء والأولاد والأهل قد تكون نتيجته وعاقبته كعاقبة الكفار يوم القيامة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۲

ومما يجـدر ذكره أنّ عـدم قبول الإعتـذار ناتج عن كونه نوعاً من التوبة، والتوبة لا تقبل فى غير هذا العالم، سواء كان قبل دخول النار أو بعد دخولها.

ويلقى القرآن الضوء فى الآية اللاحقة على طريق النجاة من النار حيث يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا».

«نصوح»: من مادة «نصـح»، بمعنى طلب الخير بإخلاص، ولـذلك يقال للعسل الخالص بأنّه (ناصح) وبما أنّ من يريد الخير واقعاً يجب أن يكون عمله توأمـاً للإتقان جاءت كلمـة «نصـح» أحياناً بهـذا المعنى، ولـذا يقال للبناء المتين بأنّه «نصاح»- على وزن كتاب- ويقال للخيّاط «ناصح»، وكلا المعنيين- أى الخلوص والمتانة- يجب توفّرهما فى التوبة النصوح.

فى تفسـير مجمع البيـان عن ابن عبـاس قـال: قال معاذ بن جبل: يا رسول اللّه! ما التوبـة النصوح؟ قال: «أن يتوب التائب ثم لا يرجع فى ذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع».

وبهـذا التعبير اللطيف يتّضـح أنّ التوبـة يجب أن تحـدث إنقلاباً فى داخل النفس الإنسانيـة، وتسـدّ عليها أى طريق للعودة إلى الـذنب، وتجعل من الرجوع أمراً مستحيلًا كما يستحيل إرجاع اللبن إلى الضرع والثدى.

ثم يشـير القرآن الكريم إلى آثار التوبـة الصادقـة النصوح بقوله: «عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ». «وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ». «يَوْمَ لَايُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ». «نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ». ويضـىء لهم طريقهم فى المحشـر ويوصلهم إلى الجنة.

وهنا يتوجّهون إلى اللّه بطلب العفو: «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۳

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۹) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَ امْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (۱۰) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۱۱) وَ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (۱۲) نمـاذج من النساء المؤمنـات والكـافرات: بمـا أنّ المنافقين يفرحون لإفشاء أسـرار الرسول وإذاعـة الأخبار الداخليـة عن بيته، ويرحبون ببروز المشاجرات والاختلافـات بين زوجـاته- التى مضت الإشـارة إليهـا فى الآيـات السابقـة- بل إنّهم كانوا يساهمون فى إشاعـة تلك الأخبار وإذاعتها بشـكل أوسع، نظراً لكـل ذلك فقـد خاطب القرآن الكريم الرسول بأن يشـدّد على المنافقين والكافرين ويغلظ عليهم، حيث يقول: «يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

الجهاد ضـد الكفار قد يكون مسـلّحاً أو غير مسـلّح، أمّا الجهاد ضد المنافقين فإنّه بدون شك جهاد غير مسـلّح، لأنّ التاريخ لم يحدّثنا أبداً عن أنّ الرسول خاض مرّة معركة مسلّحة ضدّ المنافقين.

إنّ المراد من الجهـاد ضـدّ المنـافقين إنّمـا هو توبيخهم وإنـذارهم وتحـذيرهم، بـل وتهديـدهم وفضـحهم، أو تأليف قلوبهم فى بعض الأحيان.

وذلك بعد حياة الرسول صلى الله عليه و آله حدث فى خلافة أمير المؤمنين على عليه السلام حيث خاض ضدّهم معركة مسلّحة.

ومن أجل أن يعطى اللَّه تعالى درساً عملياً حيّاً إلى زوجات الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله عاد مرّة اخرى يذكر بالعاقبة السيّئة لزوجتين غير تقيتين من زوجات نبيين عظيمين من أنبياء

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۴

اللَّه، وكذلك يذكر بالعاقبة الحسنة والمصير الرائع لامرأتين مؤمنتين مضحيّتين كانتا فى بيتين من بيوت الجبابرة، حيث يقول أوّلًا: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ».

وبناءً على هذا فإنّ القرآن يحذّر زوجتى الرسول اللتين اشتركتا فى إذاعة سرّه، بأنّكما سوف لن تنجوا من العذاب لمجرّد كونكما من أزواج النبى كما فعلت زوجتا نوح ولوط فواجهتا العذاب الإلهى.

كما تتضمّن الآيات الشريفة تحذيراً لكل المؤمنين بأنّ القرب من أولياء اللَّه والإنتساب إليهم لا يكفى لمنع نزول عذاب اللَّه ومجازاته.

وعلى أيّة حال فإنّ هاتين المرأتين خانتا نبيّين عظيمين من أنبياء اللَّه. والخيانة هنا لا تعنى الانحراف عن جادّة العفّة والنجابة، لأنّهما زوجتا نبيّين ولا يمكن أن تخون زوجة نبى بهذا المعنى للخيانة، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه و آله قال: «ما بغت امرأة نبى قطّ».

ثم يذكر القرآن الكريم نموذجين مؤمنين صالحين فيقول: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ».

من المعروف أنّ اسم زوجة فرعون (آسية) واسم أبوها (مزاحم) وقد آمنت منذ أن رأت معجزة موسى عليه السلام أمام السحرة، واستقرّ قلبها على الإيمان، لكنّها حاولت أن تكتم إيمانها، غير أنّ الإيمان برسالة موسى وحبّ اللَّه ليس شيئاً يسهل كتمانه، وبمجرّد أن اطّلع فرعون على إيمانها نهاها مرّات عديدة وأصرّ عليها أن تتخلّى عن رسالة موسى وربّه، غير أنّ هذه المرأة الصالحة رفضت الاستسلام إطلاقاً.

وأخيراً أمر فرعون أن تُثبت يداها ورجلاها بالمسامير، وتترك تحت أشعة الشمس الحارقة، بعد أن توضع فوق صدرها صخرة كبيرة. وفى تلك اللحظات الأخيرة كانت امرأة فرعون بهذا الدعاء إذ قالت: «رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». وقد استجاب لها ربّها وجعلها من أفضل نساء العالم إذ يذكرها فى صفّ مريم.

فى الدرّ المنثور عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه و آله، ومريم بنت عمران، وآسيه بنت مزاحم امرأة فرعون».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۵

ثم يضرب اللَّه تعالى مثلًا آخر للنساء المؤمنات الصالحات، حيث يقول جلّ من قائل:

«وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا».

فهى امرأة لا زوج لها أنجبت ولداً صار نبيّاً من أنبياء اللَّه العظام (من اولى العزم).

ويضيف تعالى قائلًا: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ».

كانت فى القمّة من حيث الإيمان، إذ آمنت بجميع الكتب السماوية والتعاليم الإلهية، ثم إنّها كانت قد أخضعت قلبها للَّه، وحملت قلبها على كفّها وهى على أتمّ الإستعداد لتنفيذ أوامر البارى جلّ شأنه.

«نهاية تفسير سورة التحريم»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۷

۶۷. سورة الملك

محتوى السورة: تسمّى سورة الملك أيضاً ب (المنجية)، وكذلك تسمّى ب (الواقية) أو (المانعة) بلحاظ أنّها تحفظ الإنسان الذى

يتلوها من العذاب الإلهى أو عذاب القبر، وهى من السور التى لها فضائل عديدة. وقد طرحت فى هذه السورة مسائل قرآنية مختلفة، إلّاأنّ الأصل فيها يدور حول ثلاثة محاور هى:

۱- أبحاث حول المبدأ، وصفات اللَّه سبحانه، ونظام الخلق العجيب، خصوصاً خلق السماوات والنجوم والأرض وما فيها من كنوز عظيمة ... وكذلك ما يتعلق بخلق الطيور والمياه الجارية والحواس كالاذن والعين، بالإضافة إلى وسائل المعرفة الاخرى.

۲- ثم تتحدث الآيات الكريمة عن المعاد وعذاب الآخرة، والحوار الذى يدور بين ملائكة العذاب الإلهى وأهل جهنم، بالإضافة إلى امور اخرى فى هذا الصدد.

۳- وأخيراً تتحدث عن التهديد والإنذار الإلهى بألوان العذاب الدنيوى والاخروى للكفار والظالمين.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «سورة المُلك هى المانعة، تمنع من عذاب القبر، وهى مكتوبة فى التوراة سورة الملك، ومن قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطاب ولم يكتب من الغافلين».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۸

ومن الطبيعى أنّ جميع هذه الآثار العظيمة لا تكون إلّامن خلال التدبر فى قراءة آيات هذه السورة والعمل بها، والإستلهام من محتوياتها فى الممارسات الحياتية المختلفة.

تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (۱) الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (۲) الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (۳) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ (۴) وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (۵) تبدأ آيات هذه السورة بمسألة مالكية وحاكمية اللَّه سبحانه، وخلود ذاته المقدسة، وهى فى الواقع مفتاح جميع أبحاث هذه السورة المباركة. يقول تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ».

«تبارك»: من مادة «بركة» فى الأصل من «برك» على وزن (ترك) بمعنى (صدر البعير)، واطلقت كذلك على كل نعمة باقية ودائمة.

ثم يشير سبحانه فى الآية اللاحقة إلى الهدف من خلق الإنسان وموته وحياته، وهى من شؤون مالكيته وحاكميته تعالى فيقول: «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

«الموت»: حقيقته الإنتقال من عالم إلى عالم آخر، وهذا الأمر وجودى يمكن أن يكون مخلوقاً، لأنّ الخلقة ترتبط بالامور الوجودية، وهذا هو المقصود من الموت فى الآية الشريفة، أمّا الموت بمعنى الفناء والعدم فليس مخلوقاً، لذا فإنّه غير مقصود.

أمّا الهدف من الإمتحان فهو تربية الإنسان كى يجسّد الاستقامة والتقوى والطهر فى الميدان العملى ليكون لائقاً للقرب من اللَّه سبحانه، وقد بحثنا ذلك مفصّلًا فيما سبق.

ومن هنا نعلم أنّ العالم ميدان الإمتحان الكبير لجميع البشر، ووسيلة هذا الإمتحان هو الموت والحياة، والهدف منه هو الوصول إلى حسن العمل الذى مفهومه تكامل المعرفة، وإخلاص النيّة، وإنجاز كل عمل خيّر.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۱۹

وبما أنّ الإنسان يتعرّض لأخطاء كثيرة فى مرحلة الإمتحان الكبير الذى يمرّ به، فيجدر به ألّا يكون متشائماً ويائساً من عون اللَّه سبحانه ومغفرته له، وذلك من خلال العزم على معالجة أخطائه ونزواته النفسية وإصلاحها، حيث يقول تعالى: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ».

وبعد إستعراض نظام الموت والحياة الذى تناولته الآية السابقة، تتناول الآية اللاحقة النظام الكلى للعالم، وتدعو الإنسان إلى التأمل فى عالم الوجود، والتهيّؤ لمخاض الإمتحان الكبير عن طريق التدبّر فى آيات هذا الكون العظيم. يقول تعالى: «الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَموَاتٍ طِبَاقًا».

ثم يضيف سبحانه: «مَّا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفَاوُتٍ».

إنّ الآية أعلاه تبيّن لنا أنّ عالم الوجود- بكل ما يحيطه من العظمة- قائم وفق نظام مستحكم، وقوانين منسجمة، ومقادير محسوبة، ودقّة متناهية، ولو وقع أى خلل فى جزء من هذا العالم الفسيح لأدّى إلى دماره وفنائه.

ثم يضيف تعالى مؤكّداً: «فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ».

«فطور»: من مادة «فطر» على وزن (سطر) بمعنى الشقّ من الطول، كما تأتى بمعنى الكسر (كإفطار الصيام) والخلل والإفساد، وقد جاءت بهذا المعنى فى الآية مورد البحث.

ويقصد بذلك أنّ الإنسان كلّما دقّق وتدبّر فى عالم الخلق والوجود، فإنّه لا يستطيع أن يرى أى خلل أو اضطراب فيه. لذا يضيف سبحانه مؤكّداً هذا المعنى فى الآية اللاحقة حيث يقول: «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسًا وَهُوَ حَسِيرٌ».

«كرّتين»: من مادة «كر» على وزن (شرّ) بمعنى التوجّه والرجوع إلى شيء معيّن.

وبناءً على هذا فإنّ القرآن الكريم يأمر الناس فى هذه الآيات أن يتطلّعوا ويتأملوا ويدقّقوا النظر فى عالم الوجود ثلاث مرّات- كحد أدنى- ويتدبّروا أسرار الخلق.

وعندما لا يجد أى خلل أو نقص فى هذا النظام العجيب والمحيّر لخلق الكون، فإنّ ذلك سيؤدّى إلى معرفة خالق هذا الوجود العظيم ومدى علمه وقدرته اللامتناهية، مما يؤدى إلى عمق الإيمان به سبحانه والقرب من حضرته المقدسة.

«خاسىء»: من مادة «خسأ» و «خسوء» على وزن (مدح، وخشوع) وإذا كان مورد إستعمالها العين، فيقصد بهما التعب والعجز، أمّا إذا استعملت للكلب فيقصد منها طرده وإبعاده؛ و «حسير»: من مادة «حسر»، على وزن (قصر) بمعنى جعل الشيء عارياً، وإذا ما

فقد الإنسان قدرته واستطاعته بسبب التعب، فإنّه يكون عارياً من قواه، لذا فإنّها جاءت بمعنى التعب والعجز. وبناءً على هذا فإنّ كلمتى (خاسىء) و (حسير) اللتين وردتا فى الآية أعلاه، تعطيان معنى واحداً فى التأكيد على عجز العين، وبيان عدم مقدرتها على مشاهدة أى خلل أو نقص فى نظام عالم الوجود. إنّ لهذه الآيات دلالة واضحة على دقّة النظام الكونى، حيث معناها أنّ وجود النظام فى كل شيء دليل على وجود العلم والقدرة على خلق ذلك الشيء.

ثم تتناول الآية التالية صفحة السماء التى يتجسّد فيها الجمال والروعة، حيث النجوم المتلألئة فى جوّ السماء، المشعّة بضوئها الساحر فى جمال ولطافة، حيث يقول سبحانه: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ».

وتؤكّد الآية الكريمة- مرّة اخرى- الحقيقة القائلة بأنّ جميع النجوم التى نشاهدها ما هى إلّا جزء من السماء الاولى، والتى هى أقرب إلينا من أى سماء اخرى من السماوات السبع، لذا اطلق عليها اسم (السماء الدنيا) أى السماء القريبة والتى هى أسفل جميع السماوات الاخرى.

وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۶) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ (۷) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (۸) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (۹) وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (۱۰) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (۱۱) كان الحديث فى الآيات السابقة عن معالم العظمة والقدرة الإلهية ودلائلها فى عالم الوجود، أمّا فى الآيات مورد البحث فإنّه تعالى يتحدث عن الأشخاص الذين يعرضون ويتنكّبون عن أدلّة الحق، ويكابرون فى تحدّى البراهين الدامغة، ويسلكون طريق الكفر والشرك، ويقذفون أنفسهم كالشياطين فى اتون العذاب الإلهى. يقول تعالى فى البداية:

«وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

ثم يستعرض توضيحاً لهذا اللون من العذاب الرهيب فيقول تعالى: «إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ».

إنّهم عندما يلقون فيها بمنتهى الذلّ والحقارة تقترن حالة إلقائهم بصدور صوت مرعب وشديد من جهنم، حيث يسيطر الرعب والخوف على جميع وجودهم.

ثم يضيف تعالى مستعرضاً شدّة غضب (جهنم) وشدّة هيجانها وإنزعاجها بقوله تعالى:

«تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ» «۱».

إنّها حرارة هائلة جدّاً ونار حارقة مزمجرة كما لو وضعنا إناء كبير على نار محتدمة فإنّه لا يلبث أن يفور ويغلى بشكل يكاد فيه أن يتلاشى ويذوب.

ثم يستمرّ تعالى بقوله: «كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ».

فلماذا إذن أوقعتم أنفسكم فى هذا المصير البائس، وهذا البلاء العظيم والساعة الرهيبة، إنّ الملائكة (خزنة جهنم) يستغربون ويكادون أن يصعقوا لما أصابكم وما أوقعتم به أنفسكم، فى مثل هذه الداهية مع الوعى الذى حباكم به اللَّه سبحانه وما تفضّل به عليكم من نعمة الرسل الإلهيين والقادة من الأنبياء والمرسلين ... فكيف اخترتم لأنفسكم مقرّاً كهذا؟

«قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَلٍ كَبِيرٍ».

وهكذا يأتى الإعتراف: نعم قد جاءنا الرسل إلّاأنّنا كذّبناهم ولم نسمع نداءهم المحيى للنفوس بل خالفناهم وعارضناهم واعتبرناهم ضالّين، وأخرجناهم من بين صفوفنا، وأبعدناهم عنّا ..

ثم يذكر القرآن الدليل الأصلى على شقائهم وتعاستهم ولكن على لسانهم فيقول:

«وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ». أجل هكذا يأتى إعترافهم بذنوبهم بعد فوات الأوان: «فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ».

فمن جهة أعطاهم اللَّه تعالى الاذن السامعة والعقل، ومن جهة اخرى بعث إليهم الرسل والأنبياء بالدلائل الواضحة فلو اقترن هذان الأمران فالنتيجة هى ضمان سعادة الإنسان.

«سحق»: على وزن (قفل) وهى فى الأصل بمعنى طحن الشيء وجعله ناعماً كما تطلق على الملابس القديمة، إلّاأنّها هنا بمعنى البعد عن رحمة اللَّه. وبناءً على هذا فإنّ مفهوم قوله تعالى «فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ» هو: فبعداً لأصحاب النار عن رحمة اللَّه، ولأنّ لعنة وغضب اللَّه تعالى يكون توأماً مع التجسيد الخارجى له، فإنّ هذه الجملة بمثابة الدليل على أنّ هذه المجموعة بعيدة عن رحمة اللَّه بشكل كلى.

---

(۱) «تميّز»: بمعنى التلاشى والتشتّت وكانت فى الأصل (تتميّز).

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲۲

ملاحظة

المقام السامى للعقل: ليست هذه هى المرّة الاولى التى يشير فيها القرآن الكريم إلى مقام العقل السامى، كما أنّها ليست المرّة الاولى التى يصرّح فيها بأنّ العامل الأساسى لتعاسة الإنسان ودخوله عوالم الخسران والضياع والعاقبة التعيسة، وسقوطه وفى وحل الذنوب وجهنم ... هو عدم الاستفادة من هذه القوة الإلهية العظيمة، وإغفال هذه القدرة الجبارة، وعدم استثمار هذه الجوهرة والنعمة الربانية.

فإنّ الإسلام قد وضع أساس معرفة اللَّه تعالى وسلوك طريق السعادة والنجاة، ضمن مسؤولية العقل.

لذا فإنّ القرآن الكريم يوجّه نداءاته بصورة مستمرّة وفى كل مكان إلى (اولوا الألباب) و (اولوا الأبصار) وأصحاب الفكر من العلماء والمتعمّقين فى شؤون المعرفة.

فى الكافى عن الإمام على عليه السلام قال: «هبط جبرئيل على آدم عليه السلام، فقال: يا آدم! إنّى امرت أن اخيّرك واحدة من ثلاث

فاخترها ودع إثنين، فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين. فقال آدم: إنّى قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين: إنصرفا ودعاه.

فقالا: يا جبرئيل، إنّا امرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما وعرج».

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَ لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١۴) بعد ما بيّنا- فى الأبحاث التى تناولتها الآيات السابقة- مصير الكفار يوم القيامة، فإنّ القرآن الكريم يتناول فى الآيات مورد البحث حالة المؤمنين وجزاءهم العظيم عند اللّه سبحانه .. يقول فى البداية: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ».

«الغيب» هنا إشارة لمعرفة اللّه تعالى غير المرئية، أو الإشارة إلى المعاد غير المشاهد، أو يقصد به الأمران معاً.

كما يحتمل أن يكون إشارة إلى الخوف من اللّه تعالى بسبب ما عمل الإنسان من خطايا وذنوب فى السرّ، ذلك أنّ الإنسان إذا لم يقترف ذنوباً فى السرّ، فإنّه لن يجرأ عليها فى العلانية.

ويحتمل أن يكون هذا التعبير إشارة إلى خلوص النيّة فى الإبتعاد عن الذنوب والمعاصى، والالتزام بالأوامر الإلهية، إذ إنّ العمل السرّى يكون أبعد عن الرياء.

كما لا مانع من الجمع بين هذه الآراء.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢٢٣

ثم يضيف للتأكيد: «وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

قال ابن عباس: نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول اللّه صلى الله عليه و آله فيخبره جبرائيل بما قالوا فيقول بعضهم (أسرّوا قولكم)، حتى لا يسمع إله محمّد. فأنزل اللّه هذه الآية «١» [فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فإنّ اللّه يعلمه وأسرار الأقوال واعلانها مستويان عنده تعالى فى تعلق علمه .

وتأتى الآية اللاحقة دليلًا وتأكيداً على ما ورد فى الآية السابقة، حيث يقول تعالى: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

«اللطيف»: مأخوذ فى الأصل من (اللطف) ويعنى كل موضوع دقيق وظريف، وكل حركة سريعة وجسم لطيف، وبناءً على هذا فإنّ وصف اللّه تعالى ب (اللطيف) إشارة إلى علمه عزّ وجل بالأسرار الدقيقة للخلق.

هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (١۵) أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (١۶) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) بعد الأبحاث التى إستعرضناها فى الآيات السابقة بالنسبة لأصحاب النار وأصحاب الجنة، والكافرين والمؤمنين، يشير تعالى فى الآيات مورد البحث إلى بعض النعم الإلهية، ثم إلى أنواع من عذابه، وذلك للترغيب والتشويق بالجنة لأهل الطاعة، والإنذار بالنار لأهل المعصية. يقول تعالى: «هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا». «فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

«ذلول»: بمعنى (مطيع) وهو أجمل تعبير يمكن أن يطلق على الأرض، لأنّ هذا المركب السريع السير جدّاً، مع حركته المتعددة، يلاحظ هادئاً إلى حدّ يبدو وكأنّه ساكناً بصورة مطلقة.

يقول بعض العلماء: إنّ للأرض أربع عشرة حركة مختلفة، ثلاث منها هى:

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٨/ ۶٠، والتفسير الكبير ٣٠/ ۶۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢٢۴

الاولى: حركتها حول نفسها.

والثانية: حول الشمس.

والثالثة: مع مجموعة المنظومة الشمسية فى وسط المجرّة.

هذه الحركات التى تكون سرعتها عظيمة، هى من التناسب والانسجام إلى حدّ لم يكن ليصدق أحد أنّ للأرض حركة لولا إقامة البراهين القطعية على حركتها.

ومن جهة اخرى، فإنّ قشرة الأرض ليست قويّة وقاسية إلى حدّ لا يمكن معه العيش فوقها، ولا ضعيفة ليّنة لا قرار لها ولا هدوء، وبذلك فإنّها مناسبة لحياة البشر تماماً.

ومن جهة ثالثة فإنّ بعدها عن الشمس ليس هو بالقريب منها إلى حدّ يؤدّى بحرارة الشمس إلى أن تحرق كل شىء على وجهها، ولا هو ببعيد عنها بحيث يتجمّد كل شىء على سطحها.

وكذلك بالنسبة لضغط الهواء على الكرة الأرضية، فإنّه متناسب بما يؤدّى إلى هدوء الإنسان وراحته.

والأمر نفسه يقال فى الجاذبية الأرضية، هى ليست شديدة إلى حدّ تتهشّم فيها عظام الإنسان، ولا بالضعيفة التى يكون فيها معلّقاً لا يستطيع الاستقرار فى مكان.

والخلاصة: إنّ الأرض (ذلول) ومطيعة ومسخّرة لخدمة الإنسان فى جميع المجالات.

كما تحمل فى نفس الوقت إشارة إلى ضرورة السعى فى الأرض فى طلب الرزق والحصول عليه، وإلّا فسيكون الحرمان نصيب القاعدين والمتخلفين عن السعى.

ويجب الالتفات إلى أنّ هذا ليس هو الهدف الأساس لخلقكم، إذ إنّ كل ذلك وسائل فى طريق (نشوركم) وبعثكم وحياتكم الأبدية.

وبعد هذا الترغيب والتشويق يستعرض تعالى اسلوب التهديد والإنذار فيقول سبحانه: «ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ».

إنّ البارىء تعالى إذا أمر أو أراد فإنّ هذه الأرض الذلول الهادئة تكون فى حالة هيجان وطغيان كدابة جموح، تبدأ بالزلازل، وتتشقّق وتدفنكم وبيوتكم ومدنكم تحت ترابها وحجرها، وتبقى راجفة مضطربة مزمجرة بعد أن تقضى عليكم وعلى مساكنكم التى متّعتم فيها برهة من الزمن.

ثم يضيف سبحانه: «أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى السَّمَاءِ أن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا». فلا يلزم حتماً

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲۵

حدوث زلزلة لتدميركم، بل يكفى أن نأمر عاصفة رملية لتدفنكم تحت رمالها ... وحينئذ ستعلمون حقيقة إنذارى وتهديدى: «فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ».

إنّ الآيات أعلاه تؤكّد أنّ عذاب العاصين والمجرمين لا ينحصر فى يوم القيامة فقط، حيث يستطيع البارىء عزّ وجل أن يقضى على حياتهم فى هذه الدنيا بحركة بسيطة للأرض، أو بحركة الرياح، وإنّ أفضل دليل على هذه الإمكانية الإلهية هو وقوع مثل هذه الامور فى الامم السابقة.

لذا فإنّ اللّه تعالى يقول فى آخر آية من هذه الآيات: «وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» «۱».

نعم، فلقد عاقبنا قسماً من هؤلاء بالزلازل المدمّرة، وأقواماً آخرين بالصواعق، وبالطوفان، وبالرياح ... وبقيت مدنهم المدمّرة موضع درس واعتبار لمن كان له قلب واع.

أ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ (۱۹) أَمْ هذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ (۲۰) أَمْ هذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (۲۱) انظروا إلى الطير فوقكم: فى الآيات الاولى لهذه السورة كان البحث عن قدرة اللّه سبحانه ومالكيته، وعن السماوات السبع والنجوم والكواكب ...

ويستمرّ هذا اللون من الحديث فى أوّل آية- مورد البحث- وذلك بذكر مفردة اخرى من كائنات هذا الوجود، والتى تبدو فى ظاهرها صغيرة ويقول تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ».

هذه الأجسام بالرغم من قانون الجاذبية الأرضية تنطلق من الأرض وتحلّق ساعات فى السماء بكل راحة، وأحياناً أيّاماً وأسابيع وشهوراً، وتستمر بحركتها السريعة المرنة وبدون أى مشاكل.

فمن يا ترى خلق أجسام هذه الطيور بهذه الصورة التى جعلها تستطيع السير فى الهواء بكل سهولة وراحة؟

---

(۱) «نكير»: بمعنى (الإنكار) وجاءت هنا كناية عن العقوبة، لأنّ إنكار اللَّه تعالى مقابل أفعال هؤلاء القوم جاءت عن طريق مجازاتهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲۶

لذا يقول فى ختام الآية: «مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْ‌ءٍ بَصِيرٌ».

إنّه اللَّه تعالى الذى وضع باختيارها الوسائل والقوى والإمكانات المختلفة للطيران، وحافظ عليها فى السماء، هو بذاته المقدسة يحفظ الأرض والكائنات الاخرى، وعندما يشاء غير ذلك فلن يكون عندئذ للطيور قدرة الطيران ولا للأرض حالة الهدوء والاستقرار.

ثم يشير تعالى فى الآية اللاحقة إلى أنّ الكافرين ليس لهم أى عون أو مدد مقابل قدرة اللَّه عزّ وجل حيث يقول: «أَمَّنْ هذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مّن دُونِ الرَّحْمنِ».

إنّ هؤلاء الذين هم (جند لكم) ليسوا عاجزين عن مساعدتكم ونصرتكم فحسب، بل إذا شاء الرحمن جعلها سبب عذابكم ودماركم.

ألا «إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ». فلقد أعمت عقولهم حجب الجهل والغرور، ولا يعتبرون أو يتّعظون بما حصل للأقوام البائدة السابقة، ولا لما يصيب الآخرين فى حياتنا المعاصرة.

ثم يضيف سبحانه مؤكّداً ما سبق: «أَمَّنْ هذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ».

فإذا أمر اللَّه السماء أن تمتنع عن المطر، والأرض عن الإنبات، وأمر الآفات الزراعية بالفتك بالمحاصيل ... فمن القادر غيره أن يطعمكم الطعام؟

وإذا ما قطع اللَّه الرزق المعنوى عنكم والوحى السماوى من الوصول إليكم، فمن القادر غيره على إرشادكم وإنقاذكم من براثن الضلال؟ إنّها لحقائق واضحة وأدلة دامغة، إلّاأنّ العناد هو الذى يشكّل حجاباً للإدراك وللشعور الحق: «بَل لَّجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ».

السائر سويّاً على جادة التوحيد: تعقيباً لما ورد فى الآيات السابقة بالنسبة إلى أ فَمَنْ يَمْشِى مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم (۲۲) قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (۲۳) قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۴) وَ يَقُولُونَ مَتَى هـذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۲۵) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲۶) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (۲۷)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲۷

الكافرين والمؤمنين، فإنّ اللَّه تعالى يصوّر لنا- فى أوّل آية من هذه الآيات- حالة هاتين المجموعتين ضمن تصوير رائع ولطيف، حيث يقول تعالى: «أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ».

فهنا شبه المعاندين والمغرورين كمن يسير فى جادّة متعرّجة غير مستوية كثيرة المنعطفات وقد وقع على وجهه، يحرّك يديه ورجليه للإهتداء إلى سبيله، لأنّه لا يبصر طريقه جيّداً، وليس بقادر على السيطرة على نفسه، ولا بمطّلع على العقبات والموانع، وليست لديه القوّة للسير سريعاً، وبذلك يتعثّر فى سيره ... يمشى قليلًا ثم يتوقّف حائراً.

كما شبّه المؤمنين برجال منتصبى القامات، يسيرون فى جادّة مستوية ومستقيمة ليس فيها تعرّجات واعوجاج، ويمشون فيها بسرعة ووضوح وقدرة ووعى وعلم وراحة تامّة.

إنّه- حقّاً- لتشبيه لطيف فذّ، حيث إنّ آثار هذين السبيلين واضحة تماماً، وإنعكاساتها جليّة فى حياة هذين الفريقين، وذلك ما نلاحظه بامّ أعيننا.

ثم يوجّه اللَّه تعالى الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه و آله فى الآية اللاحقة فيقول: «قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفِئدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ».

إنّ اللَّه تعالى جعل لكم وسيلة للمشاهدة والإبصار (العين) وكذلك وسيلة وقناة للإطّلاع على أفكار الآخرين ومعرفة وجهات نظرهم من خلال الاستماع (الإذن) ثم وسيلة اخرى للتفكر والتدبر فى العلوم والمحسوسات واللامحسوسات (القلب).

وخلاصة الأمر إنّ اللَّه تعالى قد وضع جميع الوسائل اللازمة لكم لتتعرفوا على العلوم العقلية والنقلية، إلّاأنّ القليل من الأشخاص من يدرك هذه النعم العظيمة ويشكر اللَّه المنعم، حيث إنّ شكر النعمة الحقيقى يتجسّد بتوجيه النعمة نحو الهدف الذى خلقت من أجله، تُرى من هو المستفيد من هذه الحواس (العين والاذن والعقل) بصورة صحيحة فى هذا الطريق؟

ثم يخاطب الرسول مرّة اخرى حيث يقول تعالى: «قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

إنّ الآيات أعلاه يؤكّد على أنّ السير يجب أن يكون فى الطريق المستقيم، والصراط الواضح المتمثّل بالإسلام والإيمان، وبذل الجهد للاستفادة من جميع وسائل المعرفة بهذا الإتّجاه، والتحرّك نحو الحياة الخالدة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲۸

ثم يستعرض سبحانه قول المشركين فى هذا المجال والردّ عليهم، فيقول تعالى: «وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ».

ويجيبهم اللَّه سبحانه على تساؤلهم هذا بقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ».

ولابدّ أن يكون الجواب بهذه الصورة، حيث إنّ تحديد تأريخ يوم القيامة إن كان بعيداً فإنّ الناس سيغرقون بالغفلة، وإن كان قريباً فإنّهم سيعيشون حالة الهلع والاضطراب، وعلى كل حال فإنّ الأهداف التربوية تتعطّل فى الحالتين.

ويضيف فى آخر آية من هذه الآيات بأنّ الكافرين حينما يرون العذاب والوعد الإلهى من قريب تسودّ وجوههم: «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيَئتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا». فسيماهم طافحة بآثار الحزن والندم: «وَقِيلَ هذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ».

«تدّعون»: من مادة «دعاء» يعنى أنّكم كنتم تدعون وتطلبون دائماً أن يجىء يوم القيامة، وها هو قد حان موعده، ولا سبيل للفرار منه.

قُلْ أ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (۲۸) قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۲۹) قُلْ أ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ (۳۰) إنّ الآيات أعلاه، التى هى آخر آيات سورة الملك، تبدأ جميعها بكلمة (قل) مخاطبة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، حيث أنّها تمثّل استمراراً للأبحاث التى مرّت فى الآيات السابقة حول الكفار، وتعكس هذه الآيات الكريمة جوانب اخرى من البحث.

يخاطب البارىء عزّ وجل- فى البداية- الأشخاص الذين يرتقبون وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأصحابه، ويتصوّرون أنّ بوفاته سوف يمحى دين الإسلام وينتهى كل شىء، وهذا الشعور كثيراً ما ينتاب الأعداء المخذولين إزاء القيادات القويّة والمؤثّرة. يقول تعالى مخاطباً إيّاهم:

«قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

ورد فى بعض الروايات أنّ كفّار مكة، كانوا دائماً يسبّون الرسول صلى الله عليه و آله والمسلمين، وكانوا يتمنّون موته ظنّاً منهم أنّ رحيله سينهى دعوته كذلك، لذا جاءت الآية أعلاه ردّاً عليهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۲۹

واستمراراً لهذا البحث، يضيف تعالى: «قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَللٍ مُّبِينٍ».

وهذا يعنى أنّنا إذا آمنّا باللَّه، واتّخذناه وليّاً ووكيلًا لنا، فإنّ ذلك دليل واضح على أنّه الربّ الرحمن، شملت رحمته الواسعة كل شىء،

وغمر فيض ألطافه ونعمه الجميع (المؤمن والكافر)، أمّا الذين تعبدونهم من دون اللّه فماذا عملوا؟ وماذا صنعوا؟

ويقول تعالى فى آخر آيـة، عارضاً لمصداق من رحمته الواسـعة، والتى غفل عنها الكثير من الناس: «قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ».

جاء فى الروايات عن أئمـة أهل البيت عليهم السـلام أنّ المراد من الآيـة الأخيرة من هـذه السورة هو ظهور الإمام المهدى عليه السـلام وعدله الذى سيعمّ العالم.

وممّا يجدر الإنتباه له أنّ هذه الروايات هى من باب (التطبيق).

وبعبـارة اخرى: فإنّ ظاهر الآيـة مرتبط بالماء الجارى، والـذى هو علّـة حياة الموجودات الحيّـة، أمّا باطن الآيـة فإنّه يرتبط بوجود الإمام عليه السلام وعلمه وعدالته التى تشمل العالم، والتى هى الاخرى تكون سبباً لحياة وسعادة المجتمع الإنسانى.

«نهاية تفسير سورة الملك»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۱

محتوى السورة: إنّ نسق السورة ومحتوى آياتها ينسجم تماماً مع السور المكية، لأنّ المحور الأساسى فيها يدور حول مسألة نبوّة رسول الإسـلام صـلى الله عليه و آله ومواجهـة الأعداء الذين كانوا ينعتونه بالجنون وغيره، والتأكيد على الصبر والاسـتقامة وتحدّى الصـعاب، وإنذار وتهديد المخالفين لهذه الدعوة المباركة بالعذاب الأليم.

وبشكل عام يمكن تلخيص مباحث هذه السورة بسبعة أقسام:

۱- فى البدايـة تسـتعرض السورة بعض الصـفات الخاصـة لرسول الإنسانيـة محمّد صـلى الله عليه و آله وخصوصاً أخلاقه البارّة الرفيعة، ولتأكيد هذا الأمر يقسِم البارىء عزّ وجل فى هذا الصدد.

۲- ثم تتعرض بعض الآيات الواردة فى هذه السورة إلى قسم من الصفات السيئة والأخلاق الذميمة لأعدائه.

۳- كمـا يبيّن قسم آخر من الآيـات الشـريفة قصـة (أصـحاب الجنـة) والتى هى بمثابـة توجيه إنـذار وتهديـد للسالكين طريق العناد من المشركين.

۴- ثم ذكرت عدّة امور حول القيامة والعذاب الأليم للكفار فى ذلك اليوم.

۵- كما جاء فى آيات اخرى جملة إنذارات وتهديدات للمشركين.

۶- ونلاحظ فى آيات اخرى من السورة الأمر الإلهى للرسول العظيم محمّد صـلى الله عليه و آله بأن يواجه الأعداء بصبر واستقامة وقوّة وصلابة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۲

۷- وأخيراً تختتم السورة موضوعاتها بحـديث حول عظمـة القرآن الكريم، وطبيعـة المؤامرات التى كان يحوكها الأعـداء ضـدّ الرسول محمّد صلى الله عليه و آله.

إنتخاب (القلم) اسماً لهذه السورة المباركة، كان بلحاظ ما ورد فى أوّل آية منها.

ويستفاد من بعض الروايات التى وردت فى فضيلة هذه السورة أنّ اسمها «ن والقلم».

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيـان قـال النبى صـلى الله عليه و آله: «ومن قرأ سورة ن والقلم أعطاه اللّه ثواب الـذين حسن أخلاقهم».

كما عن الإمام الصادق عليه السـلام قال: «من قرأ سورة ن والقلم فى فريضة أو نافلة، آمنه اللّه أن يصـيبه فى حياته فقر أبداً، وأعاذه إذا مات من ضمّة القبر، إن شاء اللّه».

وهـذا الأجر والجزاء يتناسب تناسـباً خاصاً مع محتوى السورة، والهـدف من التأكيـد على هـذا النوع من الأجر من تلاوة السورة هو أن

تكون التلاوة مقرونة بالوعى والمعرفة ومن ثم العمل بمحتواها.

ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ (۱) مَا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ (۲) وَ إِنَّ لَکَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (۳) وَ إِنَّکَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (۴) فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ (۵) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (۶) إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۷) هذه السورة هى السورة الوحيدة التى تبدأ بحرف (ن) حيث يقول تعالى: «ن». ثم يقسم تعالى بموضوعين يعتبران من أهمّ المسائل فى حياة الإنسان، فيقول تعالى:

«وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ».

وقد يتصور أنّ القسم هنا يتعلق ظاهراً بمواضيع صغيرة، أى قطعة من القصب- أو شيء يشبه ذلک- وبقليل من مادة سوداء، ثم السطور التى تكتب وتخطّ على صفحة صغيرة من الورق.

إلّا أنّنا حينما نتأمّل قليلًا فيه نجده مصدراً لجميع الحضارات الإنسانية فى العالم أجمع، إنّ تطور وتكامل العلوم والوعى والأفكار وتطور المدارس الدينية والفكرية، وبلورة الكثير من المفاهيم الحياتية ... كان بفضل ما كُتب من العلوم والمعارف الإنسانية فى الحقول المختلفة،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۳

ممّا كان له الأثر الكبير فى يقظة الامم وهداية الإنسان ... وكان ذلک بواسطة (القلم).

لقد قسّمت حياة الإنسان إلى عصرين: (عصر التاريخ) و (عصر ما قبل التاريخ) وعصر تاريخ البشر يبدأ منذ أن إخترع الإنسان الخطّ واستطاع أن يدوّن قصة حياته وأحداثها على الصفحات.

وتتّضح عظمة هذا القسم بصورة أكثر عندما نلاحظ أنّ هذه الآيات المباركة حينما نزلت لم يكن هنالک كتاب ولا أصحاب قلم، وإذا كان هنالک أشخاص يعرفون القراءة والكتابة، فإنّ عددهم فى كل مكة- التى تمثّل المركز العبادى والسياسى والاقتصادى لأرض الحجاز- لم يتجاوز ال (۲۰) شخصاً، ولذا فإنّ القسم ب (القلم) فى مثل ذلک المحيط له عظمة خاصة.

ثم يتطرق سبحانه لذكر الأمر الذى أقسم من أجله فيقول تعالى: «مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّکَ بِمَجْنُونٍ».

إنّ الذين يتّهمون صاحب هذا العقل الجبّار بالجنون هم المجانين فى الحقيقة، إنّ إبتعادهم عن دليل الهداية وموجّه البشرية لهو الحمق بعينه.

ثم يضيف تعالى بعد ذلک: «وَإِنَّ لَکَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ». أى غير منقطع.

«ممنون»: من مادة (منّ) بمعنى (القطع) ويعنى الأجر والجزاء المستمرّ الذى لا ينقطع أبداً.

وتعرض الآية اللاحقة وصفاً آخر لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وذلک بقوله تعالى: «وَإِنَّکَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».

تلک الأخلاق التى لا نظير لها، ويحار العقل فى سموّها وعظمتها من صفاء لا يوصف، ولطف منقطع النظير، وصبر واستقامة وتحمّل لا مثيل لها، وتجسيد لمبادىء الخير حيث يبدأ بنفسه أوّلًا فيما يدعو إليه، ثم يطلب من الناس العمل بما دعا إليه والالتزام به.

عندما دعوت- يا رسول اللَّه- الناس لعبادة اللَّه، فقد كنت أعبد الناس جميعاً، وإذ نهيتهم عن سوء أو منكر فإنّک الممتنع عنه قبل الجميع، تقابل الأذى بالنصح، والإساءة بالصفح، والتضرّع إلى اللَّه بهدايتهم، وهم يؤلمون بدنک الطاهر رمياً بالحجارة، واستهزاءاً بالرسالة، وتقابل وضعهم للرماد الحارّ على رأسک الشريف بدعائک لهم بالرشد.

فى تفسير مجمع البيان عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إنّما بعثت لُاتمّم مكارم الأخلاق».

وجاء فى حديث آخر عنه صلى الله عليه و آله قال: «إنّ المؤمن ليدرک بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۴

«خُلُق»: من مادة «الخلقة» بمعنى الصفات التى لا تنفکّ عن الإنسان، وهى ملازمة له، كخلقة الإنسان.

فإنّ تأصّل هذا (الخُلُق العظيم) فى شخصية الرسول صلى الله عليه و آله هو دليل واضح على رجاحة العقل وغزارة العلم له ونفى جميع

التّهم التى تنسب من قبل الأعداء إليه.

ثم يضيف سبحانه بقوله: «فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ». «بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ». أى: من منكم هو المجنون.

«مفتون»: اسم مفعول من (الفتنة) بمعنى الإبتلاء، وورد هنا بقصد الإبتلاء بالجنون.

كما أنّ مواقفك وتحرّكاتك المستقبلية المقرونة بالتقدّم السريع لانتشار الإسلام، ستؤكّد بصورة أعمق أنّك منبع العلم والعقل الكبيرين، وأنّ هؤلاء الأقزام الخفافيش هم المجانين، لأنّهم تصدّوا لمحاربة نور هذه الشمس العظيمة المتمثّلة بالحق الإلهى والرسالة المحمّدية.

ومن الطبيعى فإنّ هذه الحقائق ستتوضّح أمامهم يوم القيامة بصورة دامغة، ويخسر هنالك المبطلون، حيث تتبيّن الامور وتظهر الحقيقة.

وللتأكيد على المفهوم المتقدم يقول سبحانه مرّة اخرى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

وبلحاظ معرفة البارىء عزّ وجل بسبيل الحق وبمن سلكه ومن جانبه وتخلّف أو إنحرف عنه، فإنّه يطمئن رسوله الكريم صلى الله عليه و آله بأنّه والمؤمنون فى طريق الهداية والرشد، أمّا أعداؤه فهم فى متاه الضلالة والغواية.

فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَ لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَنِينَ (١۴) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١۵) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١۶) اجتنب أصحاب هذه الصفات: بعد أن تعرّضت الآيات السابقة إلى الأخلاق السامية لرسول اللّه صلى الله عليه و آله، تلتها الآيات أعلاه مستعرضة أخلاق أعدائه ليتّضح لنا الفرق بين الأخلاقيتين، وذلك من خلال المقارنة بينهما. يقول تعالى فى البداية: «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢٣۵

ثم يشير تعالى إلى جهد هؤلاء المتواصل فى إقناع الرسول صلى الله عليه و آله بمصالحتهم والإعراض عن آلهتهم وضلالهم فيقول: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ».

«يدهنون»: من مادة «مداهنة» مأخوذة فى الأصل من (الدهن) وتستعمل الكلمة فى مثل هذه الموارد بمعنى إظهار اللين والمرونة، وفى الغالب يستعمل هذا التعبير فى مجال إظهار اللين والميل المذموم كما فى حالة النفاق.

ثم ينهى سبحانه مرّة اخرى عن اتّباعهم وطاعتهم، حيث يسرد الصفات الذميمة لهم، والتى كل واحدة منها يمكن أن تكون وحدها سبباً للإبتعاد عنهم والصدود عن الإستجابة لهم. يقول تعالى: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ».

تقال كلمة «حلّاف» على الشخص الكثير الحلف، والذى يحلف على كل صغيرة وكبيرة.

«مهين»: من «المهانة» بمعنى الحقارة والضّعة.

ثم يضيف عزّ وجل: «هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ».

«همّاز»: من مادة «همز»، (على وزن رمز) ويعنى: الغيبة وإستقصاء عيوب الآخرين.

«مشّاء بنميم» تطلق على الشخص الذى يمشى بين الناس بإيجاد الإفساد والفرقة، وإيجاد الخصومة والعداء فيما بينهم.

ثم يسرد تعالى أوصافاً اخرى لهم، حيث يقول فى خامس وسادس وسابع صفة ذميمة لأخلاقهم: «مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ».

ومن صفاتهم أيضاً أنّهم ليسوا فقط مجانبين لعمل الخير، ولا يسعون فى سبيله، ولا يساهمون فى إشاعته والعون عليه ... بل إنّهم يقفون سدّاً أمام أى ممارسة تدعو إليه، ويمنعون كل جهد فى الخير للآخرين، وبالإضافة إلى ذلك فإنّهم متجاوزون لكل السنن والحقوق التى منحها اللّه عزّ وجل لكل إنسان ممّا تلطف به من خيرات وبركات عليه.

وفوق هذا فهم مدنسون بالذنوب، محتطبون للآثام، بحيث أصبح الذنب والإثم جزءاً من شخصياتهم وطباعهم التى هى منّاعة للخير، معتدية وآثمة.

وأخيراً يشير إلى ثامن وتاسع صفة لهم حيث يقول تعالى: «عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِکَ زَنِیمٍ».

«عتل»: تطلق على الشخص الذى يأكل كثيراً ويحاول أن يستحوذ على كل شىء، ويمنع الآخرين منه.

وفسّر البعض الآخر كلمة (عتلّ) بمعنى الإنسان السىء الطبع والخُلق، الذى تتمثّل فيه الخشونة والحقد، أو الإنسان سىء الخُلق عديم الحياء.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۶

«زنيم»: تطلق على الشخص المجهول النسب، والذى ينتسب لقوم لا نسبة له معهم.

والتعبير بشكل عام إشارة إلى أنّ هاتين الصفتين هما أشدّ قبحاً وضعة من الصفات السابقة.

وبهذه الصورة يوضّح لنا أنّ الأشخاص الذين وقفوا بوجه الإسلام والقرآن، وعارضوا الرسول الكريم صلى الله عليه و آله كانوا من أخسّ الناس وأكثرهم كذباً وإنحطاطاً وخسّة، فهم يتتبعون عيوب الآخرين، نمّامون، معتدون، آثمون، ليس لهم أصل ونسب.

ويحذّر سبحانه فى الآية اللاحقة من الإستجابة لهم والتعامل معهم بسبب كثرة أموالهم وأولادهم، بقوله: «أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ».

وممّا لا شك فيه أنّ الرسول صلى الله عليه و آله لم يكن ليستسلم لهؤلاء أبداً، وهذه الآيات ما هى إلّا تأكيد على هذا المعنى، كى يكون خطّه الرسالى وطريقته العملية واضحة للجميع، ولن تنفع جميع الاغراءات الماديّة فى عدوله عن مهمّته الرسالية.

وتوضّح الآية اللاحقة ردود فعل هؤلاء الأشخاص ذوى الصفات الأخلاقية المريضة إزاء الآيات الإلهية، حيث يقول تعالى: «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

وبهذا المنطق السقيم والحجج الواهية يعرض عن آيات اللّه عزّ وجل.

وتوضّح لنا آخر آية- من هذه الآيات- مفردة من مفردات الجزاء الذى سيلاقيه أمثال هؤلاء فيضيف سبحانه: «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ».

وهذا التعبير كاشف ومعبّر عن سوء النهاية المذلّة لهؤلاء، إذ جاء التعبير أوّلًا بالخرطوم الذى يستعمل للفيل وللخنزير فقط، وهو دلالة واضحة فى تحقيرهم.

وثانياً: أنّ الأنف فى لغة العرب غالباً ما يستعمل كناية عن العزّة والعظمة، كما يقال للفارس حين إذلاله: مرّغوا أنفه بالتراب، كناية عن زوال عزّته.

وثالثاً: أنّ وضع العلامة تكون عادة للحيوانات فقط، بل حتى بالنسبة إلى الحيوانات فإنّها لا تعلّم فى وجوهها- خصوصاً انوفها- أضف إلى ذلک أنّ الإسلام قد نهى عن مثل هذا العمل.

ومع كل ما تقدّم تأتى الآية الكريمة ببيان معبّر واف وواضح أنّ اللّه تعالى سيذلّ هؤلاء الطغاة الذين امتلؤا عجباً بذواتهم، المتمادين فى عنادهم وإصرارهم على الباطل، وتجاوزهم على الرسول والرسالة ... سيذلّهم بتلک الصورة التى تحدثت عنها الآية ويفضحهم على رؤوس الأشهاد ليكونوا موضع عبرة للجميع.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۷

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (۱۷) وَ لَا يَسْتَثْنُونَ (۱۸) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّکَ وَ هُمْ نَائِمُونَ (۱۹) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (۲۰) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (۲۱) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (۲۲) فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَافَتُونَ (۲۳) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (۲۴) وَ غَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (۲۵) قصة (أصحاب الجنة): فى الآيات أعلاه يستعرض لنا القرآن الكريم- بما يتناسب مع البحث الذى ورد فى الآيات السابقة- قصة أصحاب الجنة ... فالآيات الكريمة تذكر لنا قصة مجموعة من الأغنياء كانت لهم جنّة (بستان مثمر) إلّاأنّهم فقدوها فجأة. يقول تعالى: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ».

وموضوع القصة هو: أنّ شيخاً مؤمناً طاعناً فى السنّ كان له بستان عامر، يأخذ من ثمره كفايته ويوزّع ما فضل من ثمرته للفقراء والمعوزين، وقد ورثه أولاده بعد وفاته، وقالوا:

نحن أحق بحصاد ثمار هذا البستان، لأنّ لنا عيالًا وأولاداً كثيرين، ولا طاقة لنا بإتّباع نفس الاسلوب الذى كان أبونا عليه ... ولهذا فقد صمّموا على أن يستأثروا بثمار البستان جميعاً، ويحرموا المحتاجين من أى عطاء منها، فكانت عاقبتهم كما تحدّثنا الآيات الكريمة عنه ..

يقول تعالى: «إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ».

«يصرمن» من مادة «صرم» بمعنى حصد الفاكهة، وبمعنى القطع المطلق.

«وَلَا يَسْتَثْنُونَ». أى: لا يتركون منها شيئاً للمحتاجين.

إنّ تصميمهم هذا ناشىء عن البخل وضعف الإيمان، لأنّ الإنسان مهما اشتدّت حاجته، فإنّه يستطيع أن يترك للفقراء شيئاً ممّا أعطاه اللَّه.

ثم يضيف تعالى استمراراً لهذا الحديث: «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مّن رَّبّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ».

لقد سلّط اللَّه عليها ناراً حارقة، وصاعقة مهلكة، بحيث أنّ جنّتهم صارت متفحّمة سوداء: «فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ». ولم يبق منها شىء سوى الرماد.

«طائف»: من مادة «طواف» وهى فى الأصل بمعنى الشخص الذى يدور حول شىء معيّن، كما تستعمل أحياناً كناية عن البلاء والمصيبة التى تحلّ فى الليل، وهذا المعنى هو المقصود هنا.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۸

«صريم»: من مادة «صرم» بمعنى (القطع) وهنا بمعنى (الليل المظلم) أو (الشجر بدون الثمار) أو (الرماد الأسود). والمقصود بذلك هو: البلاء السماوى الذى تمثّل بصاعقة عظيمة- فيما يبدو- أحالت البستان إلى فحم ورماد أسود.

فإنّ أصحاب البستان بقوا على تصوّرهم لأشجار جنّتهم المملوءة بالثمر، جاهزة للقطف:

«فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ».

وقالوا: «أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ».

«أغدوا»: من مادة «غدوة» بمعنى بداية اليوم.

وعلى ضوء المقدّمات السابقة: «فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ». «أَن لَّايَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مّسْكِينٌ».

ويرتقب الفقراء يوم الحصاد بفارغ الصبر فى مثل هذه الأيام، لأنّهم تعوّدوا فى كل سنة أن ينالهم شىء من الفاكهة كما كان يفعل ذلك الشيخ المؤمن، إلّاأنّ تصميم الأبناء البخلاء على حرمان الفقراء من العطاء، والسريّة التى غلفوا بها تحرّكاتهم، لم تدع أحداً يتوقّع أنّ وقت الحصاد قد حان ... حيث يطّلع الفقراء على الأمر بعد انتهائه، وبهذا تكون النتيجة:

«وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ».

«حرد»: على وزن «فرد» بمعنى الممانعة التى تكون توأماً مع الشدّة والغضب.

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (۲۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۲۷) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ (۲۸) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (۲۹) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (۳۰) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (۳۱) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (۳۲) كَذلِكَ الْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (۳۳) الآيات الشريفة- أعلاه- استمرار لقصّة أصحاب الجنة. يقول القرآن الكريم: «فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ».

ثم أضافوا: «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ». أى أردنا أن نحرم الفقراء والمحتاجين من العطاء إلّا أنّنا حرمنا أكثر من الجميع، حرمنا من الرزق المادى، ومن البركات المعنوية التى تحصل عن

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۳۹

طريق الإنفاق فى سبيل اللَّه للفقراء والمحتاجين.

«قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ».

ويستفاد مما تقدم أنّ أحدهم كان شخصاً مؤمناً ينهاهم عن البخل والحرص، إلّاأنّهم كانوا لا يسمعون كلامه.

وتستيقظ ضمائرهم فى تلك اللحظة ويعترفون بخطئهم وذنوبهم و «قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ».

إلّا أنّ المسألة لم تنته إلى هذا الحد، حيث يقول تعالى: «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ».

والملاحظ من منطوق الآية أنّ كل واحد منهم فى الوقت الذى يعترف بذنبه، فإنّه يلقى بأصل الذنب على عاتق الآخر، ويوبّخه بشدّة.

نعم، هكذا تكون عاقبة كل الظالمين عندما يصبحون فى قبضة العذاب الإلهى، ومع الإقرار بالذنب فإنّ كلًّا منهم يحاول التنصّل ممّا لحق بهم، ويسعى جاهداً لتحويل مسؤولية البؤس والدمار على الآخرين.

ثم يضيف تعالى: «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ».

لقد اعترفوا فى المرحلة السابقة بالظلم، وهنا اعترفوا بالطغيان، والطغيان مرحلة أعلى من الظلم.

وأخيراً- بعد عودة الوعى إلى ضمائرهم وشعورهم، بل وإعترافهم بالذنب والإنابة إلى اللَّه- توجّهوا إلى البارىء عزّ وجل داعين، وقالوا: «عَسَى رَبُّنَا أن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ». فقد توجّهنا إليه ونريد منه انقاذنا ممّا تورّطنا فيه ..

ويقول تعالى فى آخر آية من هذه الآيات، بلحاظ الإستفادة من هذا الدرس والإعتبار به: «كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

وهكذا توجّه الآية خطابها إلى كل المغرورين، الذين سحرهم المال وأبطرتهم الثروة والإمكانات المادية، وغلب عليهم الحرص والاستئثار بكل شىء دون المحتاجين ... بأنّه لن يكون لكم مصير أفضل من ذلك.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۰

مختصر الامثل ج۵ ۲۸۰

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم (۳۴) أ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (۳۵) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳۶) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (۳۷) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (۳۸) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (۳۹) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ (۴۰) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (۴۱) إنّ طريقة القرآن الكريم فى الكشف عن الحقائق، واستخلاص المواقف، تكون من خلال عملية مقارنة يعرضها اللَّه سبحانه فى الآيات الكريمة، وهذا الاسلوب مؤثّر جدّاً من الناحية التربوية ... فمثلًا تستعرض الآيات الشريفة حياة الصالحين وخصائصهم وميزاتهم ومعاييرهم ... ثم كذلك بالنسبة إلى الطالحين والظالمين، ويجعل كلّاً منهما فى ميزان، ويسلّط الأضواء عليهما من خلال عملية مقارنة، للوصول إلى الحقيقة.

وتماشياً مع هذا المنهج وبعد استعراض النهاية المؤلمة ل (أصحاب الجنة) فى الآيات السابقة، يستعرض البارىء عزّ وجل حالة المتقين فيقول: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

«جنّات»: من «الجنة» حيث كل نعمة متصوّرة على أفضل صورة لها تكون هناك، بالإضافة إلى النعم التى لم تخطر على البال.

ولأنّ قسماً من المشركين والمترفين كانوا يدّعون علوّ المقام وسموّه فى يوم القيامة كما هو عليه فى الدنيا، لذا فإنّ اللَّه يوبّخهم على هذا الإدّعاء بشدّة فى الآية اللاحقة، بل يحاكمهم فيقول: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

ثم يضيف تعالى أنّه لو لم يحكم العقل بما تدّعون، فهل لديكم دليل نقلى ورد فى كتبكم يؤيّد ما تزعمون: «أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ». أى: ما اخترتم من الرأى ... إنّ توقّعكم فى أن تكون العناصر المجرمة من أمثالكم مع صفوف المسلمين وعلى مستواهم ...، حديث هراء لا يدعمه العقل، ولم يأت فى كتاب يعتدّ به ولا هو موضع اعتبار.

ثم تضيف الآية اللاحقة أنّه لو لم يكن لديكم دليل من العقل أو النقل، فهل أخذتم عهداً من اللَّه أنّه سيكون معكم إلى الأبد: «أَمْ

لَكَمْ أَيْمانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ إِنَّ لَكَمْ لَمَا تَحْكَمُونَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۱

وتتساءل الآية الكريمة عن هؤلاء مستفسرة عمّن يستطيع الإدّعاء منهم بأنّه قد أخذ عهداً من اللَّه سبحانه فى الإستجابة لميوله وأهوائه. ويضيف سبحانه- استمراراً لهذه التساؤلات- كى يسدّ عليهم جميع الطرق ومن كل الجهات، فيقول: «سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذلِكَ زَعِيمٌ». فمن منهم يضمن أنّ المسلمين والمجرمين سواء، أو يضمن أنّ اللَّه تعالى سيؤتيه كل ما يريد؟! وفى آخر مرحلة من هذا الإستجواب العجيب يقول تعالى: أم لهم شركاء فلياتوا بشركائهم إن كَانُوا صَادِقِينَ».

فالآية تطلب من المشركين تقديم الدليل الذى يثبت أنّ هذه الأصنام المنحوتة من الحجارة، والتى لا قيمة لها ولا شعور، تكون شريكة اللَّه تعالى وتشفع لهم عنده.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (۴۲) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ (۴۳) فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (۴۴) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (۴۵) العجز عن السجود: تعقيباً للآيات السابقة التى استجوب اللَّه تعالى فيها المشركين والمجرمين استجواباً موضوعياً، تكشف لنا هذه الآيات جانباً من المصير البائس فى يوم القيامة لهذه الثلّة المغرمة فى حبّها لذاتها، والمكثرة للادّعاءات، هذا المصير المقترن بالحقارة والذلّة والهوان.

يقول تعالى: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ».

وفى ذلك اليوم العظيم يدعى الجميع إلى السجود للبارىء عزّ وجل، فيسجد المؤمنون، ويعجز المجرمون عن السجود.

وتعكس الآية اللاحقة صورة جديدة لحالتهم، حيث يقول سبحانه: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ».

هذه الآية الكريمة تصف لنا حقيقة المجرمين عندما يدانون فى إجرامهم ويحكم عليهم، حيث نلاحظ الذلّة والهوان تحيط بهم، وتكون رؤوسهم مطأطئة تعبيراً عن هذه الحالة المهينة.

ثم يضيف تعالى: «وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ». إنّهم لن يسجدوا أبداً، لقد صحبوا روح التغطرس والعتوّ والكبر معهم فى يوم القيامة فكيف سيسجدون؟

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۲

ثم يوجّه البارىء عزّ وجل الخطاب لنبيّه الكريم ويقول: «فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ». وهذه اللهجة تمثّل تهديداً شديداً من الواحد القهار لهؤلاء المكذبين المتمردين، حيث يخاطب الرسول صلى الله عليه و آله بقوله: لا تتدخّل، واتركنى مع هؤلاء، لُاعاملهم بما يستحقّونه.

ثم يضيف سبحانه: «سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ».

فى تفسير مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا أحدث العبد ذنباً، جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الإستدراج».

إذا أذنب عبد فإنّه لا يخرج من واحدة من الحالات الثلاث التالية:

إمّا أن ينتبه ويرجع عن خطئه ويتوب إلى ربّه.

أو أن ينزل اللَّه عليه العذاب ليعود إلى رشده.

أو أنّه غير أهل للتوبة ولا للعودة للرشد بعد التنبيه له، فيعطيه اللَّه نعمة بدل البلاء وهذا هو: (عذاب الإستدراج). لذا يجب على الإنسان المؤمن أن يكون يقظاً عند إقبال النعم الإلهية عليه، وليحذر من أن يكون ما يمنحه اللَّه من نعم ظاهرية يمثّل فى حقيقته (عذاب الإستدراج). ولذلك فإنّ المسلمين الواعين يفكّرون فى مثل هذه الامور ويحاسبون أنفسهم باستمرار، ويعيدون تقييم أعمالهم دائماً، كى يكونوا قريبين من طاعة اللَّه، ويؤدّون حق الألطاف والنعم التى وهبها اللَّه لهم.

فى الكافى عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبى عبداللَّه عليه السلام: إنّى سألت اللَّه عزّ وجل أن يرزقنى مالًا فرزقنى، وإنّى سألت اللَّه أن

یرزقنی ولداً فرزقنی، وسألته أن یرزقنی داراً فرزقنی، وقد خفت أن یکون ذلک استدراجاً، فقال: «أما- واللّه- مع الحمد فلا».

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَم مُثْقَلُونَ (۴۶) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ (۴۷) فَاصْبِرْ لِحُکْم رَبِّکَ وَ لَا تَکُنْ کَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَی وَ هُوَ مَکْظُومٌ (۴۸) لَوْ لَا أَنْ تَدَارَکَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (۴۹) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِینَ (۵۰) استمراراً للاستجواب الذی تمّ فی الآیات السابقة للمشرکین والمجرمین، یضیف الباریء عزّ وجل سؤالین آخرین، حیث یقول فی البدایة: «أَمْ تَسَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مّن مَّغْرَم مُّثْقَلُونَ».

أی: إذا کانت حجّتهم أنّ الاستجابة لدعوتک تستوجب أجراً مادیاً کبیراً، وأنّهم غیر

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۳

قادرین علی الوفاء به، فإنّه کذب، حیث أنّک لم تطالبهم بأجر، کما لم یطلب أی من رسل اللّه أجراً.

ثم یضیف واستمراراً للحوار بقوله تعالی: «أَمْ عِندَهُمُ الْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ».

ولأنّ العناد واللامنطقیة التی کان علیها أعداء الإسلام تؤلم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وتدفعه إلی أن یدعو اللّه علیهم، لذا فإنّه تعالی أراد أن یخفّف شیئاً من آلام رسوله الکریم، فطلب منه الصبر وذلک قوله تعالی: «فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبّکَ». أی انتظر حتی یهیء اللّه لک ولأعوانک أسباب النصر، ویکسر شوکة أعدائک، واعلم بأنّ اللّه ممهلهم وغیر مهملهم، وما المهلة المعطاة لهم إلّانوع من عذاب الإستدراج.

ثم یضیف تعالی: «وَلَا تَکُن کَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَی وَهُوَ مَکْظُومٌ».

والمقصود من هذا النداء هو ما ورد فی قوله تعالی: «فَنَادَی فِی الظُّلُمَاتِ أَن لَاإِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَکَ إِنّی کُنتُ مِنَ الظَّالِمِینَ».

وبذلک فقد إعترف النبی یونس علیه السلام بترک الأولی وطلب العفو والمغفرة من اللّه تعالی.

ویضیف سبحانه فی الآیة اللاحقة: «لَّوْلَا أَن تَدَارَکَهُ نِعْمَةٌ مّن رَّبّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ».

إنّ المقصود من (النعمة) فی الآیة أعلاه هو توفیق التوبة وشمول الرحمة الإلهیة لحاله علیه السلام حسب الظاهر. لذا یقول الباریء عزّ وجل فی الآیة اللاحقة: «فَاجْتَبَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِینَ».

وبذلک فقد حمّله اللّه مسؤولیة هدایة قومه مرّة اخری، وعاد إلیه یبلّغهم رسالة ربّه، مما کانت نتیجته أن آمن قومه جمیعاً.

وَ إِنْ یَکَادُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَیُزْلِقُونَکَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّکْرَ وَ یَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (۵۱) وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعَالَمِینَ (۵۲) یریدون قتلک ... لکنّهم عاجزون: هاتان الآیتان تشکّلان نهایة سورة القلم، وتتضمّنان تعقیباً علی ما ورد فی بدایة السورة من نسبة الجنون إلیه صلی الله علیه و آله من قبل الأعداء.

یقول تعالی: «وَإِن یَکَادُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَیُزْلِقُونَکَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذّکْرَ وَیَقُولُونَ إِنَّهُلَمَجْنُونٌ». «لیزلقونک»: من مادة «زلق» بمعنی التزحلق والسقوط علی الأرض، وهی کنایة عن الهلاک والموت.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۴

إنّهم یعجبون ویتأثّرون کثیراً عند سماعهم الآیات القرآنیة بحیث یکادون أن یصیبوک بالعین (لأنّ الإصابة بالعین تکون غالباً فی الامور التی تثیر الإعجاب کثیراً) إلّاأنّهم فی نفس الوقت یتّهمونک بالجنون، وهذا یمثّل التناقض حقّاً، إذ أین الجنون ولغو الکلام وأین هذه الآیات المثیرة للإعجاب والنافذة فی القلوب؟

وفی آخر آیة یضیف تعالی: «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لّلْعَالَمِینَ».

حیث إنّ معارف القرآن الکریم واضحة، وإنذاراته موقظة، وأمثاله هادفة، وترغیباته وبشائره مربّیة، وبالتالی فهو عامل وسبب لیقظة النائمین وتذکرة للغافلین، ومع هذا فکیف یمکن أن ینسب الجنون إلی من جاء به؟

بحث

هل أنّ إصابـة العين لها حقيقـة: يعتقـد الكثير من الناس أنّ لبعض العيون آثاراً خاصة عندما تنظر لشـىء بإعجاب، إذ ربّما يترتّب على ذلك الكسر أو التلف، وإذا كان المنظور إنساناً فقد يمرض أو يجنّ ..

إنّ هذه المسألة ليست مسـتحيلة من الناحية العقلية، كما جاء فى بعض الروايات الإسلامية- أيضاً- ما يؤيّد وجود مثل هذا الأمر بصورة إجمالية.

فى الكـافى عن أبى عبـداللّه عليه السـلام قـال: «قـال أمير المؤمنين عليه السـلام: رقى النبى صـلى الله عليه و آله حسـناً وحسـيناً فقال": اعيذكما بكلمات اللّه التامات وأسمائه الحسنى كلها عامة، من شرّ السامّة والهامّة، ومن شرّ كل عين لامّة، ومن شرّ حاسد إذا حسد "ثم التفت النبى صلى الله عليه و آله إلينا فقال: هكذا كان يعوّذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق».

«نهاية تفسير سورة القلم»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۵

۶۹. سورة الحاقّة

محتوى السورة: تدور موضوعات سورة الحاقّة حول ثلاثة محاور:

الأوّل: وهو أهمّ محاور هـذه السورة، يرتبط بمسائل يوم القيامة وبيان خصوصـياتها، وقد وردت فيه ثلاثة أسـماء من أسماء يوم القيامة وهى: (الحاقّة) و (القارعة) و (الواقعة).

أمّا المحور الثانى: فتدور أبحاثه حول مصير الأقوام الكافرين، خصوصاً قوم عاد وثمود وفرعون، وتشـتمل على إنذارات شديدة لجميع الكّفار ومنكرى يوم البعث والنشور.

والمحور الثالث تتحدث حول عظمة القرآن الكريم، ومقام الرسول صلى الله عليه و آله وجزاء المكذّبين.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة الحاقّة حاسبه اللّه حساباً يسيراً».

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ (۴) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (۵) وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (۶) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۶

تبـدأ هـذه السورة بعنوان جديد ليوم القيامة. يقول تعالى: «الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ* وَمَا أَدْرَيكَ مَا الْحَاقَّةُ». والمراد من الحاقّة هو اليوم الذى سيتحقق حتماً.

ذهب أغلب المفسـرين إلى أنّ (الحاقّـة) اسم من أسـماء يـوم القيامـة، باعتبـاره قطعى الوقـوع، كمـا هـو بالنسـبة ل (الواقعـة) فى سورة (الواقعة).

«ما الحاقّة»: تعبير لبيان عظمـة ذلك اليوم؛ والتعبير ب «ما أدريك ما الحاقّة» للتأكيـد مرّة اخرى على عظمـة الأحـداث فى ذلك اليوم العظيم حتى أنّ البارىء عزّ وجل يخاطب رسوله الكريم صلى الله عليه و آله بأنّك لا تعلم ما هو ذلك اليوم.

ثم تسـتعرض الآيات الكريمـة اللاحقـة مصـير الأقوام الذين أنكروا يوم القيامة، وكذلك نزول العذاب الإلهى فى الدنيا، حيث يضـيف تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ».

لقد كان (قوم ثمود) يسـكنون فى منطقة جبلية بين الحجاز والشام، فبعث اللّه النبى صالح عليه السـلام إليهم، ودعاهم إلى الإيمان باللّه ... إلّاأنّهم لم يسـتجيبوا له، بل حاربوه وتحدّوه فى إنزال العذاب الذى أوعدهم به إن كان صادقاً، وفى هذه الحالة من التمرد الذى هم عليه، سلّط اللّه عليهم (صاعقـة مـدمّرة) أنهت كل وجودهم فى لحظات، فخربت بيوتهم وقصورهم المحكمة، وتهاوت أجسادهم على

الأرض.

ثم تتطرق الآية اللاحقة لتحدثنا عن مصير (قوم عاد) الذين كانوا يسكنون فى أرض الأحقاف الواقعة (فى شبه جزيرة العرب أو اليمن) وكانوا ذوى قامات طويلة، وأجساد قوية، ومدن عامرة، وأراض خضراء خصبة، وحدائق نضرة وكان نبيّهم (هود) عليه السلام يدعوهم إلى الهدى والإيمان باللَّه ... إلّاأنّهم أصرّوا على كفرهم وتمادوا فى طغيانهم وتمرّدوا على الحق، فانتقم اللَّه منهم شرّ إنتقام، وأقبرهم تحت الأرض بعد أن سلّط عليهم عذاباً شديداً مؤلماً، سنوضّح شرحه فى الآيات التالية. يقول تعالى: «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ».

«صرصر»: تقال للرياح الباردة، أو المقترنة بصوت وضوضاء، أو المسمومة، وقد ذكر المفسرون هذه المعانى الثلاث فى تفسيرها، والجمع بين جميع هذه المعانى ممكن أيضاً.

«عاتية»: من مادة «عتو» بمعنى التمرّد على القانون الطبيعى للرياح وليست على أمر اللَّه.

ثم تبيّن الآية التالية وصفاً آخر لهذه الرياح المدمّرة، حيث يقول تعالى: «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۷

«حسوماً»: من مادة «حسم» بمعنى إزالة آثار شيء ما، ويقال: (حسم) أحياناً لوضع الشيء الحارّ على الجرح للقضاء عليه من الأساس.

لقد حطّمت وأفنت هذه الريح المدمّرة فى الليالى السبع والأيّام الثمانية جميع معالم حياة هؤلاء القوم، والتى كانت تتميّز بالابّهة والجمال، واستأصلتهم من الجذور.

ويصوّر لنا القرآن الكريم مآل هؤلاء المعاندين بقوله تعالى: «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ».

إنّه لتشبيه رائع يصوّر لنا ضخامة قامتهم التى إقتلعت من الجذور، بالإضافة إلى خواء نفوسهم، حيث إنّ العذاب الإلهى جعل الريح تتقاذف أجسادهم من جهة إلى اخرى.

«خاوية»: من مادة «خواء» فى الأصل بمعنى كون الشيء خالياً، ويطلق هذا التعبير أيضاً على البطون الجائعة، وتطلق كذلك على الجوز الأجوف الفارغ من اللب.

ويضيف فى الآية التالية: «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّن بَاقِيَةٍ».

نعم، لم يبق اليوم أى أثر لقوم عاد، بل حتى مدنهم العامرة، وعماراتهم الشامخة ومزارعهم النضرة لم يبق منها شيء يذكر أبداً.

وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (۹) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (۱۰) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (۱۱) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (۱۲) أين الآذان الواعية: بعد ما استعرضت الآيات الكريمة السابقة الأحداث التى مرّت بقومى عاد وثمود، وتستمرّ هذه الآيات فى التحدّث عن الأقوام الاخرى كقوم (نوح) وقوم (لوط) لتكون درساً وعبرة لمن وعى وكان له قلب سليم ... يقول تعالى: «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ».

ال «خاطئة»: بمعنى الخطأ و (لكليهما معنى مصدرى) والمراد من الخطأ هنا هو الشرك والكفر والظلم والفساد وأنواع الذنوب.

«المؤتفكات»: جمع (مؤتفكة) من مادة (ائتفاك) بمعنى الإنقلاب، وهى هنا إشارة إلى ما حصل فى مدن قوم لوط، حيث إنقلبت بزلزلة عظيمة.

والمقصود ب «وَمِن قَبْلِهِ» هم الأقوام الذين كانوا قبل قوم فرعون، كقوم شعيب، وقوم نمرود الذين تطاولوا على رسولهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۸

ثم يضيف تعالى: «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً».

لقد خالف الفراعنة (موسى وهارون) عليهما السلام وواجهوهما بمنتهى العنف والتشكيك والملاحقة ... وكذلك كان موقف أهل مدينة (سدوم) من لوط عليه السلام الذى بعث لهدايتهم وإنقاذهم من ضلالهم ... وهكذا كان- أيضاً- موقف أقوام آخرين من

رسلهم حيث التطاول، والتشكيك والإعراض والتحدّى ..

إنّ كل مجموعة من هؤلاء الأقوام المتمرّدين قد إبتلاهم اللَّه بنوع من العذاب، وأنزل عليه رجزاً من السماء بما يستحقّون، فالفراعنة أغرقهم اللَّه سبحانه فى وسط النيل الذى كان مصدراً لخيراتهم وبركة بلدهم وإعمار أراضيهم وديارهم، وقوم لوط سلّط اللَّه عليهم (الزلزال) الشديد ثم (مطر من الحجارة) ممّا أدّى إلى موتهم وفنائهم من الوجود.

وأخيراً تعرّض بإشارة موجزة إلى مصير قوم نوح والعذاب الأليم الذى حلّ بهم. قال تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ».

إنّ طغيان الماء كان بصورة غطّى فيها السحاب، ومن هنا جاء تعبير (طغى) حيث هطل مطر غزير جدّاً وكأنّه السيل ينحدر من السماء، وفاضت عيون الأرض، والتقت مياههما بحيث أصبح كل شىء تحت الماء (القوم وبيوتهم وقصور أكابرهم ومزارعهم وبساتينهم ...) ولم تنج إلّامجموعة المؤمنين التى كانت مع نوح عليه السلام فى سفينته.

جملة (حملناكم) كناية عن حمل وإنقاذ أسلافنا وأجدادنا من الغرق، وإلّا فنحن لم نكن فى عالم الوجود حينذاك.

ثم يبيّن اللَّه سبحانه الغاية والهدف من هذا العقاب، حيث يقول تعالى: «لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ».

إنّنا لم نرد الإنتقام منكم أبداً، بل الهداية والخير والسعادة، كنّا نروم أن تكونوا فى طريق الكمال والنضج التربوى والوصول إلى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان المكرم.

«تعيها»: من مادة «وعى» فى الأصل بمعنى الإحتفاظ بشىء معيّن فى القلب، وقد ذكرت هذه الصفة (الوعى) للآذان فى الآيات مورد البحث، وذلك بلحاظ أنّها تسمع الحقائق وتحتفظ بها.

تعقيب

فضيلة اخرى من فضائل الإمام على عليه السلام جاء فى كثير من الكتب الإسلامية المعروفة أنّ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۴۹

النبى صلى الله عليه و آله قال عند نزول هذه الآية «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»: «سألت ربّى أن يجعلها اذن على».

فكان على عليه السلام يقول: «ما سمعت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شيئاً قطّ فنسيته، إلّاوحفظته» «۱».

وهذه فضيلة عظيمة لقائد الإسلام العظيم الإمام على عليه السلام حيث يكون موضع أسرار الرسول صلى الله عليه و آله، ووارث علمه، ولهذا السبب فإنّ الجميع كانوا يرجعون إليه- الموافق له والمخالف- بعد النبى صلى الله عليه و آله وذلك عندما يواجهون المشاكل الاجتماعية والعلمية المختلفة، ويطلبون منه التدخّل فى حلّها، كما تحدّثنا بذلك كتب التواريخ بشكل تفصيلى.

فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (۱۳) وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (۱۴) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (۱۵) وَ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (۱۶) وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (۱۷) الصيحة العظيمة: استمراراً لما تعرّضت له الآيات الاولى من هذه السورة، والتى كانت تتعلق بمسألة الحشر والقيامة، تعرض لنا هذه الآيات صورة عن الحوادث العظيمة فى ذلك اليوم الرهيب باسلوب محرّك ومؤثّر فى النفوس كى تحيط الإنسان علماً بما ينتظره من حوادث ذات شأن كبير فى ذلك الموقف الرهيب. يقول تعالى فى البداية: «فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ».

لقد بيّنا فيما سبق أنّ مما يستفاد من القرآن الكريم أنّ نهاية عالم الدنيا وبداية عالم الآخرة تكون بصوت مفاجىء عظيم، وذلك ما عبّر عنه ب (نفخة الصور).

نفخة الصور فهى نفختان: (نفخة الموت)، و (نفخة الحياة الجديدة)، لكن المقصود فى هذه الآية الكريمة هو (النفخة الاولى) التى تحصل فيها نهاية عالم الدنيا.

ثم يضيف تعالى: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً».

«دكّ»: بمعنى (الأرض المستوية) ولأنّ الأرض غير المستوية تحتاج إلى الدك حتى تستوى، لذا استعمل هذا المصطلح فى الكثير من

الموارد بمعنى «الدق الشديد».

والمقصود فى الآية مورد البحث هو الدقّ الشديد للجبال والأراضى اللامستوية بعضها ببعض بحيث تستوى وتتلاشى فيها جميع التعرجات.

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۸/ ۲۶۴، وتفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۰۷.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۰

ثم يضيف تعالى: «فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ».

فى ذلك اليوم العظيم لا- تتلا- شى فيه الأرض والجبال فحسب، بل يقع حدث عظيم آخر، وذلك قوله تعالى: «وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ». وذلك بيان لما تتعرّض له الأجرام السماوية العظيمة من إنفلاقات وتناثر وتلاشى.

«وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا». «أرجاء»: جمع «رجا» بمعنى جوانب وأطراف شيء معيّن.

ثم يقول تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ».

المقصود ب (العرش) هو (مجموعة عالم الوجود) حيث أنّه عرش حكومة اللّه سبحانه، ويدبّر حكومته تعالى من خلاله بواسطة الملائكة الذين هم جاهزون لتنفيذ أمره سبحانه.

وفى تفسير على بن إبراهيم أنّ حملة العرش ثمانية؛ أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، والأربعة من الآخرين:

محمّد وعلى والحسن والحسين عليهم السلام.

وهذا الحديث من الممكن أن يكون إشارة إلى مقام شفاعتهم للأوّلين والآخرين، والشفاعة- عادةً- تكون لمن هم أهل لها، وممّن لهم لياقة لنيلها، ومع ذلك فإنّه يوضّح المفهوم الواسع للعرش.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (۱۸) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (۱۹) إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (۲۰) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (۲۱) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (۲۲) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (۲۳) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (۲۴) يا أهل المحشر: اقرؤا صحيفة أعمالى: قلنا فى تفسير الآيات السابقة أنّ (نفخ الصور) يحدث مرّتين، وكما ذكرنا فإنّ بداية الآيات تخبرنا عن النفخة الاولى ولم تستعرض تفاصيل النفخة الثانية، واستمراراً للحديث فى هذا الصدد، وخصوصيات العالم الجديد الذى سيكون عند النفخة الثانية، تحدّثنا هذه الآيات عن شيء من ذلك حيث يقول تعالى:

«يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَاتَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ».

«تعرضون»: من مادة «عرض» بمعنى عرض شيء معيّن، بضاعة أو غيرها.

وممّا لا شك فيه أنّ جميع ما فى الوجود- بشراً وغيره- هو بين يدى اللّه سبحانه، سواء فى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۱

هذه الدنيا أو فى عالم الآخرة، إلّاأنّ هذا الأمر يظهر ويتّضح بصورة أشد فى يوم القيامة.

فى ذلك اليوم لن يقتصر الوضوح والظهور على أعمال البشر الخفية فحسب، بل على صفات وروحيات وأخلاقيات ونيّات الجميع فإنّها هى الاخرى تبرز وتظهر، وهذا أمر عظيم جدّاً، بل إنّه أعظم من إنفجار الأجرام السماوية وتلاشى الجبال- كما يقول البعض- حيث الفضيحة الكبرى للطالحين، والعزّة والرفعة للمؤمنين بشكل لا نظير له.

لذا يقول سبحانه بعد ذلك: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ».

ثم يعلن بافتخار عظيم فيقول: «إِنّى ظَنَنتُ أَنّى مُلقٍ حِسَابِيَهْ».

«ظن»: فى مثل هذه الموارد تكون بمعنى (اليقين) إنّه يريد أن يقول: إنّ ما تفضّل به اللَّه تعالى علىّ كان بسبب إيمانى بهذا اليوم، والحقيقة أنّ الإيمان بالحساب والكتاب يمنح الإنسان روح التقوى، والتعهّد والإحساس بالمسؤولية، وهذا من أهمّ عوامل تربية الإنسان.

ثم يبيّن اللَّه تعالى فى الآيات اللاحقة جانباً من جزاء وأجر هؤلاء الأشخاص حيث يقول: «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ».

وبالرغم من أنّ الجملة أعلاه تجسّد كل ما يستحقّ أن يقال فى هذا الموضوع، إلّاأنّه سبحانه يضيف للتوضيح الأكثر: «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ».

إنّ الجنة تكون عالية ورفيعة بشكل لم ير أحد مثلها قطّ، ولم يسمع بها، ولم يتصور مثلها.

«قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» «۱». حيث لا جهد مكلّف ولا مشقة فى قطف الثمار، ولا عائق يحول من الإقتراب للأشجار المحمّلة بالثمار، وجميع هذه النعم فى متناول الأيدى بدون إستثناء.

وفى آخر آية- مورد البحث- يوجّه البارىء عزّ وجل خطابه المملوء بالحبّ والمودّة والإعتزاز إلى أهل الجنة بقوله: «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ».

وهكذا كانت هذه النعمة العظيمة التى منحها اللَّه لهؤلاء المتقين جزاء أعمالهم الصالحة وإنّ الأعمال الخيّرة والمحدودة هى التى أثمرت هذه الثمار الكبيرة حيث ظل الرحمة الإلهية واللطف الربانى.

والسؤال المطروح هو: هل أنّ دعوة المؤمنين لأهل المحشر لقراءة كتاب حسابهم وصحيفة أعمالهم- طبقاً لما جاء فى الآية الكريمة: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ»- تعنى أنّ صحيفة أعمالهم خالية من أى ذنب؟

---

(۱) «قطوف»: جمع «قطف» بمعنى أن الثمر قد اقتطف، و تأتى أحياناً بمعنى الثمار المهيئة للإقتطاف أيضاً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۲

وفى مقام الجواب يمكن أن نستفيد من بعض الأحاديث منها حديث عن النبى صلى الله عليه و آله حيث يقول: «يدنى اللَّه العبد يوم القيامة، فيقرره بذنوبه كلّها، حتى إذا رآى أنّه قد هلك. قال اللَّه تعالى: إنّى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه» «۱».

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (۲۵) وَ لَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (۲۶) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (۲۷) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (۲۸) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (۲۹) كان الحديث فى الآيات السابقة عن (أصحاب اليمين) حيث صحائف أعمالهم بأيديهم اليمنى، ويوجّهون نداءهم إلى أهل المحشر بكلّ فخر للإطّلاع على صحيفة أعمالهم وقراءتها، ثم يدخلون جنّات الخلد حيث تكون مستقرّهم الأبدى. أمّا هذه الآيات فتستعرض الطرف المقابل لأصحاب اليمين وهم (أصحاب الشمال) وتقدم مقارنة بين المجموعتين، حيث يقول تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ». «وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ».

نعم، فى ذلك اليوم العظيم، وعندما يواجهها يبدأ يجأر ويصرخ ويطلق الزفرات الساخنة المتلاحقة من الأعماق على المصير السيء الذى أوصل نفسه إليه، والشرّ الذى جلبه عليها، ويتمنّى أن يقطع علاقته بماضيه الأسود تماماً، ويتمنّى أن يموت ويفنى ويتخلّص من هذه الفضيحة الكبيرة المهلكة، ويعبّر عن هذا الشعور قوله تعالى: «وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا» «۲».

ثم يضيف تعالى مستعرضاً إعتراف المجرمين بذنوبهم فيقول: «مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ».

فالأموال التى كنت أجمعها فى الدنيا لم تنقذنى الآن ولم تغنّى ولم تدفع عنّى الأهوال أو تحلّ مشاكلى.

«هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ» فليست أموالى لم تسعفنى فى هذه الشدة فحسب، بل إنّ قدرتى ومقامى وسلطتى هى الاخرى هلكت وزالت عنّى.

القصة المثيرة: نقلت فى هذا المجال قصص كثيرة تؤكّد على المفاهيم العامة التى احتوتها الآيات الكريمة أعلاه، كموضع شاهد وعبرة

وتأييد لما ذهبت إليه الآيات المباركات،

(۱) فى ظلال القرآن ۸/ ۲۵۶.

(۲) سورة النبأ/ ۴۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۳

لتكون درساً لُاولئك الذين جعلوا (المال والسلطان) همّهم الأوّل، وانغمسوا حتى الأذقان فى الغفلة والغرور والذنوب من أجلهما، ومن جملتها ما يلى:

فى سفينة البحار عن كتاب النصائح لابن ظفر أنّه لمّا اشتدّ مرض الرشيد بطوس، احضر طبيباً طوسياً فارسيّاً وأمر أن يعرض عليه مائه مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رآى قارورة الرشيد فقال: قولوا لصاحب هذه الماء يوصى فإنّه قد انحلّت قواه وتداعت بنيته فاقيم وأمر بالذّهاب فذهب ويئس الرشيد من نفسه وتمثّل قائلًا:

إنّ الطبيب بطبّه ودوائهلا يستطيع دفاع نَحب قد أتى

ما للطبيب يموت بالدّاء الذىقد كان يُبرئ مثله فيما مضى

وبلغه أنّ الناس أرجفوا بموته فاستدعى بحمار وأمر فحمل عليه فاسترخت فخذاه فقال:

انزلونى صدق المرجفون ثم استدعى بأكفان فتخير منها ما أعجبه وأمر فشقّ له قبر أمام فراشه ثم اطّلع فيه فقال: «مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ» فتوفى فى يومه.

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (۳۰) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (۳۱) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (۳۲) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (۳۳) وَ لَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (۳۴) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (۳۵) وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (۳۶) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (۳۷) خذوه فغلّوه: استمراراً للآيات السابقة التى كانت تتحدث عن (أصحاب الشمال) الذين يستلمون صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى، فتنطلق الآهات والأنّات، ويتمنّى أحدهم الموت، يشير تعالى فى الآيات أعلاه إلى قسم من العذاب الذى يلاقونه يوم القيامة فيقول:

«خُذُوهُ فَغُلُّوهُ». «غلّوه»: من مادة (غلّ)، والمراد هو السلسلة التى كانوا يربطون بها أيدى وأرجل المجرمين إلى أعناقهم مقترن بالكثير من المشقة والألم.

«ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ».

«السلسلة»: فى الأصل مأخوذة من مادة «تسلسل» بمعنى الإهتزاز والإرتعاش، لأنّ حلقات السلسلة الحديدية تهتزّ وتتحرك.

إنّ هذه السلاسل الطويلة ليست لشخص واحد، بل لمجاميع يربط كل منها بسلسلة.

«ذراع»: بمعنى الفاصلة بين الساعد ونهاية الأصابع، (وقياسها بحدود نصف متر) وكانت وحدة الطول المستعملة عند العرب، وهى قياس طبيعى.

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (۳۸) وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ (۳۹) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۴۰) وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (۴۱) وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (۴۳)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۴

وقال البعض: إنّ (الذراع) الوارد فى الآية الكريمة هو غير الذراع المتعارف عليه، حيث إنّ كل وحدة منه تمثّل فواصل عظيمة، ويربط بهذا الزنجير جميع أهل جهنم.

وتتطرق الآيتان التاليتان لبيان السبب الرئيسى لهذا العذاب العسير، فيقول تعالى: «إِنَّهُ كَانَ لَايُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ».

وكلّما كان الأنبياء والأولياء ورسل اللّه تعالى يدعونه للتوجه إلى (الواحد الأحد) لم يكن ليقبل، ولذا فإنّ إرتباطه بالخالق كان مقطوعاً

بصورة تامة.

«وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ».

وبهذا الشكل فإنّ هؤلاء قد قطعوا علاقتهم مع (الخلق) أيضاً.

ويستفاد من التعبير السابق- بصورة واضحة- أنّه يمكن تلخيص أهمّ الطاعات والعبادات وأوامر الشرع بهذين الأساسين: (الإيمان) و (إطعام المسكين) وهذا يمثّل إشارة إلى الأهمية البالغة لهذا العمل الإنسانى العظيم.

ثم يضيف تعالى: «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ». أى: صديق مخلص وحميم.

«وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ». أى: القيح والدم.

والجدير بالملاحظة هنا هو أنّ (الجزاء) و (العمل) لهؤلاء الجماعة متناسبان تماماً، فبسبب قطع علاقتهم باللَّه، فليس لهم هنالك من صديق ولا- حميم، كما أنّ سبب إمتناعهم عن إطعام المحتاجين فإنّ طعامهم فى ذلك اليوم لن يكون إلّاالقيح والدم، لأنّهم حرموا المساكين من الإطعام وتركوهم نهباً للجوع والألم فى الوقت الذى كانوا يتمّعون لسنين طويلة بألذّ وأطيب الأطعمة.

ويضيف سبحانه فى آخر آية مورد البحث فى قوله تعالى للتأكيد: «لَايَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطُونَ».

إنّ (خاطىء) تقال للشخص الذى يرتكب خطأً عمداً. وبناءً على ما تقدم فإنّ طعام أهل جهنم خاصّ للأشخاص الذين سلكوا درب الشرك والكفر والبخل والطغيان تمردّاً وعصياناً وعمداً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۵

القرآن كلام اللَّه قطعاً: بعد الأبحاث التى مرّت بنا فى الآيات السابقة حول القيامة وما أعدّه اللَّه سبحانه للمؤمنين والكفار، يبيّن البارىء عزّ وجل فى هذه الآيات بحثاً وافياً حول القرآن والنبوّة، ليكون البحثان (النبوّة) و (المعاد) كلّاً منهما مكمّلًا للآخر. يقول تعالى فى البداية: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَاتُبْصِرُونَ». وهذه الجملة لها معنىً واسع، حيث تشمل كل ما يراه البشر وما لا يراه. وبعبارة اخرى: تشمل كل عالم (الشهود) و (الغيب).

ثم تستعرض الآية اللاحقة جواب هذا القسم العظيم، حيث يقول تعالى بأنّ هذا القرآن هو قول رسول كريم: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ».

والمقصود من الرسول هنا- بدون شك- هو الرسول الكريم صلى الله عليه و آله وليس جبرائيل.

والآية ذكرت كلمة «رسول» وهذا يعنى أنّ كل ما يقوله الرسول فهو قول مرسله.

ثم يضيف تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ».

تنفى هاتان الآيتان ما نسبه المشركون والمخالفون من تهم باطلة لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذ كانوا يقولون أحياناً: إنّه (شاعر) وإنّ هذه الآيات من شعره، كما كانوا يقولون أحياناً: إنّه (كاهن) وإنّ الذى يقوله هو (كهانة).

الشعر فى الغالب وليد الخيال، ومعبّر عن الأحاسيس الجياشة فى النفوس، ولهذا فإنّه يجسّد حالة عدم الإستقرار وعدم التوازن صعوداً ونزولًا، شدّة وإنخفاضاً، فى الوقت الذى نلاحظ أنّ القرآن الكريم، وهو يمثّل قمّة الروعة والجاذبية، فإنّه كتاب استدلالى ومنطقى فى عرضه للمفاهيم، وعقلانى فى محتواه، وما فيه من التنبؤ المستقبلى لا يشكّل قاعدة أساسية للقرآن الكريم، بالإضافة إلى أنّها صادقة جميعاً بخلاف ما عليه تنبؤ الكهنة.

ويقول سبحانه فى آخر آية- مورد البحث- كتأكيد على هويّة القرآن الربانية: «تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ». وبناءً على هذا فإنّ القرآن الكريم ليس بشعر ولا- كهانة، وليس هو إنتاج فكر الرسول، ولا قول جبرائيل ... بل إنّه كلام اللَّه سبحانه، حيث نزل بواسطة الوحى على القلب الطاهر لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (۴۶) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (۴۷) وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (۴۸) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (۴۹) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (۵۰) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (۵۱) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ

الْعَظِيمِ (۵۲)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۶

استمراراً للأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم، تستعرض الآيات التالية دليلًا واضحاً يؤكّد يقينية كون القرآن من اللَّه سبحانه، حيث يقول: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ».

ويذكر سبحانه مرّة اخرى فى الآية اللاحقة مؤكّداً ما سبق عرضه فى الآيات السابقة «وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ». إنّ كتاب اللَّه هذا أنزله للأشخاص الذين يريدون أن يطهّروا أنفسهم من الذنوب، ويسيروا فى طريق الحق، ويبحثوا عن الحقيقة، ويسعوا للوصول إليها، أمّا من لم يصل إلى هذا الحد من صفاء النظرة وتقوى النفس، فمن المسلّم أنّه لن يستطيع أن يستلهم تعاليم القرآن الكريم ويتذوّق حلاوة معرفة الحق المبين.

إنّ التأثير العميق الفذّ للقرآن الكريم الذى يحدثه فى نفوس سامعيه وقارئيه، هو بحدّ ذاته علامة على إعجازه وحقانيته.

ثم يضيف تعالى: «وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ».

إنّ وجود المكذبين المعاندين لم يكن مانعاً أبداً من الدليل على عدم حقانيتهم.

إنّ المتقين وطلّاب الحق يتّعظون به، ويرون فيه سمات الحق، وإنّه عون لهم فى الوصول إلى طريق اللَّه سبحانه.

ويضيف فى الآية اللاحقة: «وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ».

إنّ هؤلاء الكفرة الذين يتحدّون القرآن الكريم اليوم ويكذّبونه، فإنّهم غداً حيث (يوم الظهور) و (يوم البروز) وهو فى نفس الوقت (يوم الحسرة) يدركون مدى عظمة النعمة التى فرّطوا بها بسبب لجاجتهم وعنادهم، وما جلبوه لأنفسهم من أليم العذاب.

ولكى لا يتصور أحد أنّ التكذيب والتشكيك كان بلحاظ غموض وإبهام مفاهيم القرآن الكريم، فيضيف فى الآية اللاحقة: «وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ».

يعنى أنّ القرآن الكريم هو (يقين خالص). أو بتعبير آخر: أنّ لليقين مراحل مختلفة، حيث يحصل أحياناً بالدليل العقلى كما فى حصول اليقين بوجود النار من خلال مشاهدة دخّان من بعيد، لذا يقال لمثل هذا الأمر (علم اليقين).

وحينما نقترب أكثر ونرى إشتعال النار بام أعيننا، فعند ذلك يصبح اليقين أقوى ويسمّى عندئذ ب (عين اليقين).

وعندما يكون اقترابنا أكثر فأكثر ونصبح فى محاذاة النار أو فى داخلها ونلمس حرارتها

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۷

بأيدينا، فإنّ من المسلّم أنّ هذه أعلى مرحلة من مراحل اليقين، وتسمّى ب (حق اليقين).

والآية أعلاه تقول: إنّ القرآن الكريم فى مثل هذه المرحلة من اليقين، ومع هذا فإنّ عديمى البصيرة ينكرونه ويشكّكون فيه.

وأخيراً يقول سبحانه فى آخر آية من سورة الحاقّة: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ».

والجدير بالملاحظة- هنا- أنّ مضمون هذه الآية والآية السابقة قد جاء بتفاوت يسير مع ما ورد فى سورة الواقعة، وهذا التفاوت هو أنّ الآية وصفت القرآن الكريم هنا بأنّه (حق اليقين) أمّا فى نهاية سورة (الواقعة) فكان الحديث عن المجاميع المتباينة للصالحين والطالحين فى يوم القيامة.

«نهاية تفسير سورة الحاقّة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۵۹

۷۰. سورة المعارج

محتوى السورة: المعروف بين المفسرين هو أنّ سورة المعارج من السور المكّية، ولكن بعض آياتها مدنية؛ وهناك روايات تدلّ على

أنّ الآيات الاولى من هذه السورة هى آيات مدنية. فإنّ لهذه السورة أربعة أقسام:

۱- يتحدث عن العذاب السريع الذى حلّ بأحد الأشخاص ممن أنكر أقوال النبى صلى الله عليه و آله وقال: لو كان هذا القول حقّاً فلينزل عليّ العذاب. فنزل الآيات (۱- ۳).

۲- ذكر الكثير من خصوصيات يوم القيامة ومقدماتها وحالات الكفار فى ذلك اليوم.

۳- توضّح هذه السورة بعض الصفات الإنسانية الحسنة والسيّئة والتى تعيّن هذا الشخص من أهل الجنان أم من أهل النار.

۴- يشمل إنذارات تخصّ المشركين والمنكرين وتبيان مسألة المعاد وينهى السورة بذلك.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سأل سائل أعطاه اللّه ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون».

من البديهى أنّ الإنسان يحصل على مثل هذا الثواب العظيم إذا كانت قراءته بإيمان وعقيدة، وثم يقترن ذلك بالعمل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۰

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (۱) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (۲) مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ (۳)

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: الحاكم أبوالقاسم الحسكانى عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «لما نصّب رسول اللّه صلى الله عليه و آله علياً عليه السلام يوم غدير خم وقال ":من كنت مولاه فعليّ مولاه. "طار ذلك فى البلاد، فقدم على النبى صلى الله عليه و آله النعمان بن الحرث الفهرى فقال: أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلّااللّه وأنّك رسول اللّه، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها. ثم لم ترض حتى نصّبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من عند اللّه؟ فقال ":واللّه، الّذى لا إله إلّاهو إنّ هذا من اللّه. "فولى النعمان بن الحرث وهو يقول: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء! فرماه اللّه بحجر على رأسه فقتله، وأنزل اللّه تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»».

التّفسير

العذاب العاجل: من هنا تبدأ سورة المعارج حيث تقول: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».

هذا السائل كما قلنا فى سبب النزول هو النعمان بن الحارث أو النضر بن الحارث.

ثم يضيف بأنّ هذا العذاب خاص بالكفار ولا يستطيع أحد دفعه عنهم: «لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ».

وتصف الآية الاخرى من ينزل العذاب منه، وهو اللّه ذى المعارج فتقول الآية: «مِّنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ». أى صاحب السماء التى يعرج إليها الملائكة.

«المعارج»: جمع «معرج» بمعنى المصعد أو المكان الذى منه يصعدون، إذ إنّ اللّه جعل للملائكة مقامات مختلفة يتوجهون بها إلى قربه بالتدريج، وقد وصف اللّه تعالى بذى المعارج.

نعم، الملائكة المأمورون بتعذيب الكفار والمجرمين، والذين هبطوا على إبراهيم عليه السلام، وأخبروه بأنّهم قد امروا بإبادة قوم لوط.

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (۴) فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا (۵) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (۶) وَ نَرَاهُ قَرِيباً (۷)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۱

يوم مقداره خمسين ألف سنة: بعد إيراد قصة العذاب الدنيوى الذى أصاب من طلب العذاب، تبحث الآيات أمر المعاد والعذاب الاخروى للمجرمين فى ذلك اليوم. فى البداية يقول تعالى: «تَعْرُجُ الْمَلِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ [أى إلى اللّه فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

المشهور أنّ المراد من عروج الملائكة هو العروج الروحى، وليس العروج الجسمى، يعنى أنّهم يسرعون فى التقرب إلى المقام الإلهى

وهم مهيّئون لإستلام الأوامر فى ذلك اليوم الذى يراد به يوم القيامة.

والمراد بالروح هو (الروح الأمين) وهو أكبر الملائكة، وهذا ما اشير إليه أيضاً فى سورة القدر، حيث يقول تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِن كُلِّ أَمْرٍ».

وأمّا المراد بكون (خمسين ألف سنة) هو ذلك اليوم الذى بحيث لو وقع فى الدنيا كان مقداره خمسين ألف سنة من سنى الدنيا، وهذا لا ينافى ما جاء فى الآية (۵) من سورة السجدة من أنّ ذلك يوم مقداره ألف سنة، ولأجل ذلك ذكر فى الروايات أنّ فى القيامة خمسين موقفاً، وكل موقف مثل ألف سنة مما تعدون «۱».

فقد كان هذا ما يخصّ المجرمين والظلمة والكفار. روى أبوسعيد الخدرى قال: قيل يا رسول اللّه! ما أطول هذا اليوم؟ فقال: «والذى نفس محمّد بيده! إنّه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا» «۲».

ثم يخاطب اللّه تعالى رسوله الأكرم صلى الله عليه و آله فى الآية الاخرى ويقول: «فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا».

المراد ب (الصبر الجميل) هو ما ليس فيه شائبة الجزع والتأوه والشكوى، وفى غير هذا الحال لا يكون جميلًا.

ثم يضيف: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا* وَنَرَيهُ قَرِيبًا». إنّهم لا يصدقون بوجود مثل ذلك اليوم الذى يحاسب فيه جميع الخلائق حتى أصغر حديث وعمل لهم، وذلك فى يوم مقداره خمسون ألف سنة، ولكنّهم فى الواقع ما عرفوا اللّه وفى قلوبهم ريب بقدرة اللّه.

---

(۱) أمالى الطوسى/ ۳۶.

(۲) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۲۰؛ تفسير القرطبى ۱۳/ ۲۳.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۲

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (۸) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (۹) وَ لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (۱۰) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (۱۱) وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (۱۲) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ (۱۳) وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (۱۴) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (۱۵) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (۱۶) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (۱۷) وَ جَمَعَ فَأَوْعَى (۱۸) تضيف هذا الآيات على البحوث السابقة حول القيامة إيضاحات أكثر، حيث يقول اللّه تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ». «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ».

«المهل»: على وزن (قفل) وهو المذاب من المعدن كالنحاس والذهب وغيرهما.

«العهن»: مطلق الصوف المصبوغ ألواناً.

فى مثل ذلك اليوم تتلاشى السماوات وتذوب، تتدكدك الجبال ثم تتناثر فى الهواء كالصوف فى مهب الريح، وبما أنّ الجبال ذات ألوان مختلفة فإنّها شبهت بالصوف المصبوغ بالألوان، ثم يتحقق عالم جديد وحياة جديدة للبشرية بعد كل هذا الخراب.

وعندما يحلّ يوم القيامة فى ذلك العالم الجديد فسيكون فيه الحساب عسيراً ومرعباً بحيث ينشغل كل بنفسه، ولا يفكر بالآخر حتى لو كان من خلّص اصدقائه وأحبائه: «وَلَا يَسَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» «۱».

ولا يعنى ذلك أنّ الأصدقاء والأقرباء ينكر بعضهم بعضاً، بل إنّهم يعرفونهم ويقول تعالى: «يُبَصَّرُونَهُمْ». غاية الأمر هو أنّ هول الموقف ووحشته لايدعه يفكّر بغيره.

وإكمالًا للحديث وتوضيحاً لذلك الموقف الموحش، يضيف تعالى: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ». وليس ببنيه فحسب بل، يودّ أن يفتدى العذاب بزوجته وأخيه أيضاً «وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ». «وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُوِيهِ». أى عشيرته وأقرباءه الذين كان يأوى إليهم فى الدنيا: «وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ».

«يودّ»: من (الود) على وزن (حبّ) أى يحب ويتمنى

---

(۱) «الحميم»: فى الأصل يعنى الماء المغلى والمحرق، ثم اطلق كذلك على الأصدقاء المخلصين والحقيقيين.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۳

«يفتدى»: من (الفداء) أى حفظ النفس من المصائب والمشاكل بوسيلة تسديد أو دفع شيء ما.

«الفصيلة»: هى العشيرة والعائلة التى انفصل وتولّد منها الإنسان.

«تؤيه»: من «الإيواء» من الشدائد واللجوء إليها ويأوى إليها فى النسب.

ولكنّه يجيب على كل هذه الأمانى والآمال فى قوله: «كَلَّا». أى لا تقبل الفدية والإفتداء.

«إِنَّهَا لَظَى نار ملتهبة تحرق كل من بجانبها وفى مسيرها.

«نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تقلع اليد والقدم وجلد الوجه.

«لظى : تعنى لهيب النار الخالص، وهى اسم من أسماء جهنم أيضاً.

«نزاعة»: أى أنّها تقتلع وتفصل بالتوالى

و «شوى : الأطراف كاليد والرجل، وتأتى أحياناً بمعنى الشواء، ولكن المراد هنا هو المعنى الأوّل.

ثم يشير إلى من يكون فريسة لمثل هذه النار، فيقول: «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى .

وبهذا فإنّ هذه النار المحرقة تدعو اولئك المجرمين إلى نفسها سواء بلسان حالها وجاذبيتها الخاصة المودعة فيها تجاه المجرمين، أو بلسان مقالها الذى أعطاها اللّه إيّاها، إنّها تدعو اولئك المتصفين بهاتين الصفتين: الإعراض عن الإيمان وعدم طاعة اللّه ورسوله.

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (۱۹) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (۲۰) وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (۲۱) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (۲۲) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (۲۳) وَ الَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (۲۴) لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (۲۵) وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (۲۶) وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۲۷) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (۲۸) أوصاف المؤمنين: بعد ذكر أوصاف الطالحين وجوانب من أنواع العذاب فى يوم القيامة، يأتى هنا وصف المؤمنين للتعرف عن سبب انقسام الناس إلى صنفين، المعذبون والناجون. يقول أوّلًا: «إِنَّ الْإِنسَنَ خُلِقَ هَلُوعًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۴

«إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا».

ثم تذكر الآيات الكريمة صفات الأشخاص الجيدين على شكل استثناء، وتبيّن لهم تسع صفات ايجابية بارزة، فيقول تعالى: «إِلَّا الْمُصَلِّينَ». «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ».

هذه هى الخصوصية الاولى لهم وأنّهم مرتبطين باللّه بشكل دائم، وهذه الرابطة تتوثق بالصلاة، الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصلاة التى تربى روح الإنسان وتذكره دائماً باللّه تعالى، والسير بهذا الإتجاه سوف يمنعه من الغفلة والغرور، والغرق فى بحر الشهوات، والوقوع فى قبضة الشيطان وهوى النفس.

والمراد من الإدامة على الصلاة هو المحافظة على أوقات الصلاة المعينة.

بعد توضيح أهميّة الصلاة وأنّها من أهم الأعمال ومن أهم أوصاف المؤمنين تنتقل الآيات إلى ذكر الصفة الثانية فيضيف تعالى: «وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ».

وبهذا سوف يحافظون على إرتباطهم بالخالق من جهة، وعلاقتهم بخلق اللّه من جهة اخرى.

والمراد من الحق المعلوم هو شيء غير الزّكاة والذى يجب على الإنسان منحه للمحتاجين.

والفرق بين «السائل» و «المحروم» هو أنّ السائل يفصح عن حاجته ويسأل، والمحروم هو الذى لا يسأل لتعففه وحيائه.

الآية الاخرى أشارت إلى الخصوصية الثالثة لهم فيضيف: «وَالَّذِينَ يُصَدّقُونَ بِيَوْمِ الدّينِ».

والخصوصية الرابعة هى: «وَالَّذِينَ هُم مّنْ عَذَابِ رَبّهِم مُّشْفِقُونَ». «إِنَّ عَذَابَ رَبّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ».

وصحیح البخاری أنّ الرسول صلی الله علیه و آله کان یقول: «لن یدخل أحداً عمله الجنة». قالوا: ولا أنت یا رسول اللّه؟ قال: «ولا أنا، إلّاأن یتغمدنی اللّه برحمته».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۵

وَ الَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (۲۹) إِلَّا عَلَی أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَکَتْ أَیْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ (۳۰) فَمَنِ ابْتَغَی وَرَاءَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ العَادُونَ (۳۱) وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ (۳۲) وَ الَّذِینَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (۳۳) وَ الَّذِینَ هُمْ عَلَی صَلَاتِهِمْ یُحَافِظُونَ (۳۴) أُولئِکَ فِی جَنَّاتٍ مُکْرَمُونَ (۳۵) فی الآیات السابقة ذکرت أربعة أوصاف من الأوصاف الخاصة بالمؤمنین الصادقین من أهل الجنان، وفی الوصف الخامسة یقول اللّه عزّ وجل: «وَالَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَی أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَکَتْ أَیْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ» «۱».

لا شک فی أنّ الغریزة الجنسیة من غرائز الإنسان الشدیدة والطاغیة، والکثیر من الجرائم الکبیرة سببها هی هذه الغریزة، ولذا کانت السیطرة علی هذه الغریزة وحفظ حدودها من العلامات المهمّة للتقوی وبهذا ذکرت أهمیة السیطرة علی هذه الغریزة بعد تبیان أهمیة الصلاة وإعانة المحتاجین والإیمان بیوم القیامة والإشفاق من عذاب اللّه.

وفی الآیة الاخری یؤکّد بشکل أکثر علی نفس الموضوع فیضیف: «فَمَنِ ابْتَغَی وَرَاءَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْعَادُونَ».

وبهذه الطریقة فإنّ الإسلام یخطط لمجتمع یحافظ علی غرائزه الفطریة، ولا یؤدی به إلی الغرق بالفحشاء والفساد الجنسی والمضارّ الناتجة منه.

عندئذ یشیر إلی الصفات السادسة والسابعة، فیقول: «وَالَّذِینَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ».

من الطبیعی أنّ للأمانة معنیً واسعاً ولیست هی الأمانات المادیة المتنوعة للناس فحسب، بل إنّها تشمل الأمانات الإلهیة وأمانات الأنبیاء والأئمة المعصومین علیهم السلام.

إنّ کل نعمة من النعم الإلهیة هی من أماناته تعالی، منها المقامات الاجتماعیة وبالخصوص المسؤولون فی الدولة فإنّها تعتبر من أهم الأمانات.

والأهم من ذلک کلّه هو الدین والشریعة الإلهیة وکتاب اللّه، وهو من الأمانات الکبیرة التی یجب الحفاظ علیها بالسعی.

---

(۱) «فروج»: جمع «فرج» وهو کنایة عن الآلة التناسلیة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۶

«العهد»: وله مفهوم واسع أیضاً، یشمل العهود الإنسانیة وکذلک العهود الإلهیة.

ویضیف فی الوصف الثامن: «وَالَّذِینَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ». لأنّ القیام بالشهادة العادلة وترک کتمانها من أهم بنود إقامة العدل فی المجتمع البشری.

وفی الوصف الأخیر، وهو الوصف التاسع من هذه المجموعة، یعود مرّة اخری إلی موضوع الصلاة، کما کان البدء بالصلاة. یقول تعالی: «وَالَّذِینَ هُمْ عَلَی صَلَاتِهِمْ یُحَافِظُونَ».

والصلاة هی المدرسة العالیة للتربیة، وأهم وسیلة لتهذیب النفوس.

ومن الطبیعی أنّ الوصف الأوّل کان إشارة إلی المداومة، ولکن الخطاب هنا حول حفظ آداب وشروط الصلاة وخصائصها، والآداب التی تکمن فی ظاهر الصلاة والتی تنهی عن الفحشاء والمنکر من جهة، وتقوی روح الصلاة بحضور القلب من جهة اخری وتمحو الأخلاق الرذیلة التی تکون کحجر عثرة أمام قبولها، ولهذا لا یعتبر ذکرها مرّة اخری من قبیل التکرار.

وفی النهایة تبیّن الآیة الأخیرة عاقبة المتصفین بهذه الأوصاف، کما بیّنت فی الآیات السابقة المسیر النهائی للمجرمین، فیقول تعالی:

«أولئِکَ فِی جَنَّاتٍ مُّکْرَمُونَ».

لماذا لا یکونوا مکرمین! وهم ضیوف اللَّه، وقد وفرّ اللَّه القادر الرحمن لهم جمیع وسائل الضیافة.

فَمَا لِلَّذِینَ کَفَرُوا قِبَلَکَ مُهْطِعِینَ (۳۶) عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمَالِ عِزِینَ (۳۷) أَ یَطْمَعُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِیمٍ (۳۸) کَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا یَعْلَمُونَ (۳۹) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (۴۰) عَلَی أَنْ نُبَدِّلَ خَیْراً مِنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ (۴۱)

الطمع الواهی فی الجنة: جاء البحث فی الآیات السابقة من هذه السورة حول علامات المؤمنین والکفار، ومصیر کل من المجموعتین، فی الآیات یعود لیوضح أحوال الکفار واستهزاءهم بالمقدسات.

قال البعض: إنّ هذه الآیات نزلت فی جماعة من المشرکین فعندما کان الرسول صلی الله علیه و آله یتلو علی المسلمین آیات المعاد، کان هؤلاء الکفار یقدمون من کل صوب وحدب ویقولون: إذا کان هناک معاد فإنّ حالنا فی الآخرة أحسن من حال من آمن بک، کما أنّ حالنا فی هذه الدنیا أحسن منهم!

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۷

یقول القرآن الکریم فی جوابهم: «فَمَالِ الَّذِینَ کَفَرُوا قِبَلَکَ مُهْطِعِینَ». أی: یقبلون نحوک من کل جانب مسرعین.

«عَنِ الْیَمِینِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِینَ». أی جماعات متفرقین.

«أَیَطْمَعُ کُلُّ امْرِیٍ مِّنْهُمْ أَن یُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِیمٍ». بأی إیمان وبأی عمل یستحقون ذلک؟!

«مهطعین»: جمع مهطع، وتعنی الذی یمدّ عنقه مقبلًا علی شیء بسرعة للبحث عنه، وأحیاناً تأتی- فقط- بمعنی مدّ العنق لاستطلاع الأمر.

«عزین»: جمع عزة، علی وزن «هبة» وتعنی جماعات متفرقین.

وهنا یجیبهم القرآن المجید فیقول: «کَلَّا». لیس الأمر کذلک ولیس لهم حق الدخول إلی الجنة: «إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا یَعْلَمُونَ».

فی الحقیقة أنّ اللَّه یرید بهذه الجملة أن یحطم غرورهم، لأنّه یقول: إنّکم تعلمون جیداً مم خلقناکم؟ من نطفة قذرة، من ماء آسن مهین.

ویجیب ثانیاً علی المستهزئین بالمعاد فیقول: إذا کنتم فی شک من المعاد فتمعنوا فی حال هذه النطفة، وانظروا کیف خلقنا موجوداً بدیعاً من قطرة ماء قذرة یتطور فیها الجنین کل یوم یتّخذ شکلًا جدیداً، ألا یقدر خالق الإنسان من هذه النطفة أن یعید إلیه الحیاة بعد دفنه؟

ثم یقول تعالی مؤکّداً ذلک: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَی أَن نُّبَدِّلَ خَیْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ».

لعل هذه الجملة إشارة إلی أنّنا لسنا قادرین علی أن نعید لهم الحیاة بعد الموت فحسب، بل إنّنا نستطیع أن نبدله إلی أکمل الموجودات وأفضلها، ولا یمنعنا من ذلک شیء.

أو هو إشارة إلی أنّنا نهلککم جزاءً لأعمالکم ولا یمنعنا من ذلک شیء، ونستبدل بکم مؤمنین واعین، لیکونوا أنصاراً للنبی صلی الله علیه و آله ولا یضرّنا ذلک شیئاً.

فَذَرْهُمْ یَخُوضُوا وَ یَلْعَبُوا حَتَّی یُلَاقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی یُوعَدُونَ (۴۲) یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً کَأَنَّهُمْ إِلَی نُصُبٍ یُوفِضُونَ (۴۳) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِکَ الْیَوْمُ الَّذِی کَانُوا یُوعَدُونَ (۴۴) هذه الآیات وهی آخر آیات سورة المعارج جاءت لتنذر وتهدد الکفار المعاندین

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۸

والمستهزئین. یقول سبحانه: «فَذَرْهُمْ یَخُوضُوا وَیَلْعَبُوا حَتَّی یُلَقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی یُوعَدُونَ» «۱».

لا یلزم الإستدلال والموعظة أکثر من هذا، فإنّهم لا یتعضون ولیس لهم الإستعداد للإستیقاظ، دعهم یخوضوا فی أباطیلهم وأراجیفهم

كمايلعب الأطفال حتى يحين يومهم الموعود، يوم البعث ويرون كل شىء بأعينهم.

ثم تبيّن الآيـة التاليـة اليوم الموعود، وتذكر بعض علامات ذلك اليوم المرعب فيقول تعالى: «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ».

إنّ هذا التعبير فى الحقيقة استهزاء بعقائدهم التافهة التى كانوا يعتقدون بها فى الدنيا.

«الأجداث»: جمع جدث- على وزن (عبث)- وتعنى القبر.

«سراع»: جمع سريع، تعنى الحركة السريعة للشيء أو الإنسان.

«نصب»: جمع نصيب، والمراد منه هو ما ينصب كعلامة، وتطلق على الأصـنام الحجرية إذ كانوا ينصبونها فى مكان ما ليعبدوها ويُقدّم لها القرابين ثم يلطخون دماءها عليها.

«يوفضون»: من «إفاضة» وتعنى الحركة السريعة المشابهة لحركة الماء المنحدر من العين.

ثم تذكر الآيات حالات اخرى لهؤلاء فتضيف: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» «۲».

من شدة الهول والوحشة وقد غرقوا فى ذلة مهينة.

وفى آخر الآية يتابع قوله: «ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ».

«نهاية تفسير سورة المعارج»

---

(۱) «يخوضوا»: من أصـل خوض- على وزن حوض- وتعنى فى الأصل الحركـة فى الماء، ثم جاءت بصـيغة الكنايـة فى موارد يغطس فيه الإنسان فى الباطل.

(۲) «ترهقهم»: من أصل «رهق» على وزن (سقف) ويراد به غشيان الشيء بقهر.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۶۹

۷۱. سورة نوح

محتوى السورة: هذه السورة، كما هو واضح من اسـمها، تشـير إلى قصة نوح عليه السلام، واشير إلى قصة هذا النبى العظيم كذلك فى سور متعددة فى القرآن المجيد، منها: سورة الشعراء، والمؤمنون، والأعراف، والأنبياء، وبشكل أوسع فى سورة هود.

وما جاء فى سورة نوح عن قصـته عليه السـلام هو مقطع خاص من حياته، وهو أقل مما ذكر فى بقية السور، وهذا القسم يرتبط بدعوته المستمرة والمتتابعة إلى التوحيد، وترتبط بكيفيتها وعناصرها.

بلحاظ أنّ هذه السورة نزلت فى مكة، وأنّ النبى صـلى الله عليه و آله والمسـلمين القلائل فى ذلك الزمان كانوا يعيشون ظروفاً مشابهة لظروف عصر نوح عليه السلام وأعوانه، فإنّها تعلمهم اموراً كثيرة، وكانت هذه واحدة من أهداف إيراد هذه القصة، ومنها:

۱- أنّها تذكرهم كيف يبلغون الرسالة للمشـركين عن طريق الإسـتدلال المنطقى المقترن بالمحبة والمودة، واستخدام كل طريقة تكون مفيدة ومؤثرة فى الدعوة.

۲- أنّها تعلّمهم الثبات والنشاط فى طريق الدعوة إلى اللَّه وعدم التكاسل مهما طالت الأعوام، ومهما وضع الأعداء العوائق.

۳- أنّها تعلّمهم كيف يرغبونهم ويشجعونهم تارةً، وتكون لديهم عوامل الإنذار

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۰

والرهبة تارةً اخرى والإستفادة من كلا الطريقين فى الدعوة إلى اللَّه جلّ وعلا.

۴- الآيات الأخيرة من هذه السورة هى تحذير للمشركين المعاندين، بأنّ عاقبتهم وخيمة إذا لم يستسلموا للحق، وتخلّفوا عن أمر اللَّه.

فإنّ هذه السورة ترسم أبعاد الكفاح الدائم بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل، ترسم منهج أصحاب الحق الذى يجب عليهم إتّباعه.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح».

ولا يخفى أنّ الهدف من قراءة السورة هو الإقتباس من منهج وسلوك هذا النبى العظيم، من صبره واستقامته فى طريق الدعوة إلى اللّه تعالى ليدركوا دعوة النبى.

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۱) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ (۳) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴) قلنا: إنّ هذه السورة تبيّن من أحوال نوح عليه السلام وما يرتبط بأمر دعوته، وتبدأ أوّلًا بذكره فى بعثته عليه السلام فيقول تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَکَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

من الممكن أن يكون هذا العذاب الأليم هو عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، والأنسب أن يكون الإثنان معاً، وإن كانت القرائن فى آخر آيات هذه السورة تشير إلى أنّ هذا العذاب هو عذاب الدنيا.

نوح عليه السلام الذى كان هو من اولى العزم، وصاحب أوّل شريعة إلهيّة، وله دعوة عالمية، جاء إلى قومه بعد صدور هذا الأمر إليه قال: «قَالَ يَا قَوْمِ إِنّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ».

الهدف هو أن تعبدوا اللّه الذى لا إله إلّاهو، وتتركوا من دونه، وتتقوا وتطيعوا أمرى الذى هو أمر اللّه: «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ».

ثم ذكر النتائج المهمّة المترتبة على استجابتهم الدعوة فى جملتين لترغيبهم فقال: «يَغْفِرْ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۱

لَكُم مّن ذُنُوبِكُمْ».

ثم يضيف: «وَيُؤَخّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَايُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ».

يستفاد جيداً من هذه الآية أنّ «الأجل» وموعد عمر الإنسان قسمان، هما: الأجل المسمّى والأجل النهائى. أو بعبارة اخرى: الأجل المعلق، والأجل الحتمى. القسم الأوّل للأجل قابل للتغير والتبديل، فقد يتدنى ويقل عمر الفرد كثيراً بسبب الذنوب والأعمال السيئة وهذا نوع من أنواع العذاب الإلهى، وبالعكس فإنّ التقوى وحسن العمل والتدبير يمكن أن تكون سبباً لتأخير الأجل، ولكن الأجل النهائى لا يتغير بأى حال من الأحوال.

وفى الروايات الإسلامية أيضاً تأكيد على هذا المعنى، منها ما ورد- فى الأمالى الشيخ الطوسى- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار».

قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهَاراً (۵) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَاراً (۶) وَ إِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً (۷) ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (۸) ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (۹) استخدام مختلف الوسائل لهدايتهم، ولكن: تتحدث هذا الآيات عن استمرار مهمّة نوح فى دعوته قومه ولكن هذه المرّة جاء الحديث على لسانه مخاطباً ربّه وشاكياً إليه أمره معهم بعبارة مؤثّرة بليغة. خطاب نوح عليه السلام فى هذا الإطار يمكن أن يعبّد الطريق لكل المبلغين الرساليين: «قَالَ رَبّ إِنّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا».

وإنّنى لم أتوانى لحظة واحدة فى إرشادهم وإبلاغ الرسالة لهم، ثم يقول: «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِى إِلَّا فِرَارًا».

ومن العجيب أن تكون الدعوة سبباً لفرارهم، ولكن بما أنّ كل دعوة تحتاج إلى نوع من الإستعداد وصفاء القلب والتجاذب المتبادل فليس عجيباً أن يكون هنا أثر معاكس فى القلوب الخاملة.

ثم إنّ نوحاً عليه السلام يضيف: «وَإِنّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۲

ولكى لا يسمعوا صوت الحق كانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم، ويلفون ثيابهم حول أنفسهم أو يضعونها على رؤوسهم لئلا تصل أمواج الصوت إلى أدمغتهم! وربّما كانوا يتقنعون لئلا تقع أعينهم على الهيئة الملكوتية لهذا النبى العظيم، وكانوا يصرون على أن تتوقف الآذان عن السماع والعيون عن النظر.

هذه الآية يشير إلى أحد الأسباب المهمة لتعاستهم وهو الغرور والتكبر، فكان هذا الغرور والكبر أحد الموانع المهمة والدائمة فى طريق الحق، ونحن نشاهد النتائج المشؤومة لذلك على طول التاريخ فى حياة اناس لا إيمان لهم.

واستمر نوح عليه السلام فى حديثه عند المقام الإلهى، فيقول: «ثُمَّ إِنّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا».

ثم لم أكتفى بهذا: «ثُمَّ إِنّى أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا».

كان صبره عجيباً، والأعجب ما فيه رأفته، وكانت همته واستقامته الفريدة رأس ماله فى السير فى طريق الدعوة إلى دين الحق.

والأعجب من ذلك هو أنّ طيلة دعوته التى دامت (۹۵۰) عاماً لم يؤمن به إلّاثمانون شخصاً.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (۱۰) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (۱۱) وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (۱۲) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (۱۳) وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (۱۴) ثمرة الإيمان فى الدنيا: يستمر نوح عليه السلام فى تبليغه المؤثر لقومه المعاندين العصاة، ويعتمد هذه المرّة على عامل الترغيب والتشجيع، ويوعدهم بانفتاح أبواب الرحمة الإلهية من كل جهة إذا ما تابوا من الشرك والخطايا، فيقول: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا».

ولا يطهركم من الذنوب فحسب بل: «يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا» «۱».

ثم يضيف: «وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا». وبهذا فإنّه وعدهم بنعمة معنوية كبيرة، وبخمس نعم اخرى مادية كبيرة، والنعمة المعنوية الكبيرة هى

---

(۱) «مدراراً»: من أصل «درّ» وتعنى فى الأصل انسكاب الحليب من ثديى الام ويعطى معنى هطول الأمطار.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۳

غفران الذنوب والتطهير من درن الكفر والعصيان، وأمّا النعم المادية فهى هطول الأمطار المفيدة والمباركة فى حينها، كثرة الأموال، كثرة الأولاد (الثروات الإنسانية)، الحدائق المباركة والأنهار الجارية.

نعم، إنّ الإيمان والتقوى يبعثان على عمران الدنيا والآخرة بشهادة القرآن المجيد.

ويعود نوح عليه السلام مرّة اخرى لينذرهم، فيقول: «مَّا لَكُمْ لَاتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» «۱». ولا تخافون عقابه وقد خلقكم فى مراحل مختلفة.

ويقول أيضاً: «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا».

كنتم فى البداية نطفة لا قيمة لها، ثم صوركم علقة ثم مضغة، ثم وهبكم الشكل الإنسانى، ثم ألبسكم لباس الحياة، فوهب لكم الروح والحواس والحركة.

وليست أجسامكم هى المتغيرة فقط بل إنّ الروح هى أيضاً فى تغيّر مستمر، لكل منكم استعداده الخاص. وعلى هذا فإنّه معكم فى كل مكان هو يهديكم فى كل خطوة ويشملكم بلطفه وعنايته، فلم كل هذا الكفران والإستهانة.

أ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً (۱۵) وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (۱۶) وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً (۱۷) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (۱۸) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً (۱۹) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجاً (۲۰) كان نوح عليه

السلام يبيّن للمشركين المعاندين حقائق عميقة ومستدلة، إذ كان يأخذ بهم إلى أعماق وجودهم ليشاهدوا حقائق هذه الآيات (كما مرّ فى الآيات السابقة) ودعاهم إلى ما خلق اللّه من علامات فى هذا العالم الكبير، فكان يسير بهم إلى تلك الآفاق.

يبدأ أوّلًا بالسماء فيقول: «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَموَاتٍ طِبَاقًا».

«طباقاً»: مصدر من باب (مفاعلة) بمعنى «مطابقة»، وأحياناً تأتى بمعنى وضع الشىء فوق شىء آخر، وتأتى أحياناً اخرى بمعنى مطابقة ومماثلة شيئين أحدهما مع الآخر، والمعنيان يصدقان هنا.

---

(۱) «الوقار»: الثقل والعظمة؛ و «ترجون»: من أصل رجاء بمعنى الأمل وهو ملازم للخوف، ومعنى الآية لماذا لاتخضعون لعظمة اللّه تعالى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۴

وعلى الإحتمال الثانى فإنّ القرآن يشير إلى مطابقة وتناسق السماوات السبع فى النظم والعظمة والجمال. ثم يضيف: «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا».

التعبير بالسراج للشمس وبالنور للقمر هو أنّ نور الشمس ينشأ من ذاتها كالسراج، وأمّا نور القمر فإنّه ليس من باطنه بل انعكاس لنور الشمس.

ثم يعود ذلك إلى الإنسان فيقول: «وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا».

التعبير ب «الإنبات»، فى شأن الإنسان لأسباب؛ أوّلًا: خلق الإنسان الأوّل من التراب.

ثانياً: إنّ المواد الغذائية التى يتناولها الإنسان وبها ينمو ويحيى، هى من الأرض، فهو إمّا يتناول الخضار والحبوب الغذائية أو الفواكه مباشرة، أو بطريق غير مباشر كلحوم الحيوانات.

ثالثاً: هناك تشابه كثير بين الإنسان والنبات، وهناك كثير من القوانين التى يسرى حكمها على نمو وتغذية النباتات هى سارية أيضاً على الإنسان.

ثم يمضى إلى مسألة المعاد والتى كانت من المسائل المعقدة عند المشركين فيقول: «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا».

كنتم فى البدء تراباً، ثم تعودون إلى التراب ثانية، ومن كانت له القدرة على أن يخلقكم من التراب هو قادر على أن يحييكم بعد الموت.

ثم يعود مرّة اخرى إلى آيات الآفاق وعلامات التوحيد فى هذا العالم الكبير، ويتحدث عن نعم وجود الأرض فيقول: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا».

ليست هى بتلك الخشونة بحيث لا يمكنكم الإنتقال والاستراحة عليها، وليست بتلك النعومة بحيث تغطسون فيها، وتفقدون القدرة على الحركة، مضافاً إلى ذلك فهى كالبساط الواسع الجاهز المتوفر فيه جميع متطلباتكم المعيشية.

وليست الأراضى المسطحة كالبساط الواسع فحسب، بل بما فيها من الجبال والوديان والشقوق المتداخلة بعضها فوق بعض والتى يمكن العبور من خلالها.

«لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا». «فجاج»: على وزن (مزاج)، وهو جمع فج، وبمعنى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۵

الوادى الفسيح بين الجبلين، وقيل الطريق الواسعة.

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً (۲۱) وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً (۲۲) وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَ لَا سُوَاعاً وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً (۲۳) وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (۲۴) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا

نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً (۲۵) لطف اللّه معک: عندما رأى نوح عليه السلام عناد قومه وقد بذل فى سبيل هدايتهم منتهى مساعيه التى طالت مئات السنين، وما كانوا يزدادون فيها إلّافساداً وضلالًا، يئس منهم وتوجّه إلى ربّه ليناجيه ويطلب منه أن يعاقب قومه، كما نقرأ فى هذه الآيات محل البحث:

«قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا».

تشير هذه الآية إلى أنّ رؤساء هؤلاء القوم يمتازون بكثرة الأموال والأولاد، ولكنّها لا تستخدم لخدمة الناس بل للفساد والعدوان، ولا يخضعون للّه‌تعالى، وهذه الإمتيازات الكثيرة سببت فى طغيانهم وغيهم.

ثم يضيف فى قوله تعالى: «وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا».

إنّهم كانوا يضعون خططاً شيطانية واسعة لتضليل الناس، ورفض دعوة نوح عليه السلام، ومن المحتمل أن يكون عبادة الأصنام واحدة من هذه الخطط والأساليب، وذلک طبقاً للروايات التى تشير إلى عدم وجود عبادة الأصنام قبل عصر نوح عليه السلام وأن قوم نوح هم الذين أوجدوها.

وتدل الآية الاخرى على هذا الأمر، إذ أنّها تضيف بعد الإشارة إلى خفاء هذا المكر فى قوله تعالى: «وَقَالُوا لَاتَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ».

ولا ـ تقبلوا دعوة نوح إلى اللّه الواحد، وغير المحسوس، وأكدوا بالخصوص على خمسة أصنام، وقالوا: «وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا».

ويستفاد من القرائن أنّ هذه الأصنام الخمسة لقيت عناية بالغة من القوم الظالمين، ولهذا كان رؤسائهم المستغلون لهم يعتمدون على عبادتهم لها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۶

ثم يضيف عن لسان نوح عليه السلام: «وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَلًا».

المراد من زيادة الضلال للظالمين هو الدعاء بسلب التوفيق الإلهى منهم ليكون سبباً فى تعاستهم، أو أنّه دعاء منه أن يجازيهم اللّه بكفرهم وظلمهم ويسلبهم نور الإيمان، ولتحلّ محله ظلمة الكفر. وبالتالى فإنّ الآية الأخيرة فى البحث، يقول اللّه تعالى فيها: «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا».

تشير الآية إلى ورودهم النار بعد الطوفان، وممّا يثير العجب هو دخولهم النار بعد الدخول فى الماء! وهذه النار هى نار البرزخ، لأنّ بعض الناس يعاقبون بعد الموت، وذلک فى عالم البرزخ كما هو ظاهر فى سياق بعض الآيات القرآنية، وكذا ذكرت الروايات أنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً (۲۶) إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَکَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً (۲۷) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً (۲۸) على الفاسدين والمفسدين أن يرحلوا: هذه الآيات تشير إلى استمرار نوح عليه السلام فى حديثه ودعائه عليهم فيقول تبارک وتعالى: «وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا».

دعا نوح عليه السلام بهذا الدعاء عندما يئس من هدايتهم بعد المشقّة والعناء فى دعوته إيّاهم، فلم يؤمن إلّاقليل منهم.

والتّعبير ب «على الأرض» يشير إلى أنّ دعوة نوح عليه السلام كانت تشمل العالم، وكذا مجىء الطوفان والعذاب بعده.

ثم يستدل نوح عليه السلام للعنه القوم فيقول: «إِنَّکَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَکَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا». وهذا يشير إلى أنّ دعاء الأنبياء ومن بينهم نوح عليه السلام لم يكن ناتجاً عن الغضب والإنتقام والحقد، بل إنّه على أساس منطقى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۷

«الفاجر»: يراد به من يرتكب ذنباً قبيحاً وشنيعاً.

«كفّار»: المبالغ فى الكفر.

والإختلاف بين هذين اللفظين هو أن أحدهما يتعلق بالجوانب العملية، والآخر بالجوانب العقائدية.

ثم يدعو نوح عليه السلام، لنفسه ولمن آمن به فيقول: «رَّبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا».

طلب المغفرة هذا من نوح عليه السلام كأنّه يريد أن يقول إنّنى وإن دعوت قومى مئات السنين ولقيت ما لقيت من العذاب والإهانة، ولكن يمكن أن يكون قد صدر منّى الترك الأولى، فلذا أطلب العفو والمغفرة لا ابرىء نفسى أمام اللَّه تعالى.

«نهاية تفسير سورة نوح»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۷۹

۷۲. سورة سورة الجن

محتوى السورة: تتحدث هذه السورة حول نوع من الخلائق المستورين عن حواسنا وهم الجن، كما سمّيت السورة باسمهم، وأنّهم يؤمنون بنبيّنا الأكرم صلى الله عليه و آله، وعن خضوعهم للقرآن وإيمانهم بالمعاد، وأنّ فيهم المؤمن والكافر وغير ذلك، وفى هذا القسم من السورة (۱۹) آية من (۲۸) آية تصحح ما حُرّف من معتقدات حول الجن.

وهناك قسم آخر من السورة يشير إلى التوحيد والمعاد، والقسم الأخير يتحدث عن العلم الذى لا يعلمه إلّامن شاء للَّه.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أكثر قراءة «قُلْ أُوحِىَ» لم يصبه فى الحياة الدنيا شيء من أعين الجن، ولا من نفثهم، ولا من سحرهم، ولا من كيدهم، وكان مع محمّد صلى الله عليه و آله فيقول: يا ربّ، لا اريد بهم بدلًا، ولا أريد بدرجتى حولًا».

وطبعاً التلاوة مقدمة وتمهيد لمعرفة محتوى السورة والتدبّر بها، ثم العمل بما فيها.

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (۱) يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً (۲) وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَداً (۳) وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً (۴) وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً (۵) وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً (۶)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۰

سبب النّزول

ما جاء فى سبب نزول سورة الأحقاف فى تفسير الآيات (۲۹- ۳۲) مطابق لسبب نزول هذه السورة، ويدل على أنّ السورتين يتعلقان بحادثة واحدة، ونوضح سبب النزول باختصار كما يلى:

۱- إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجبه ولم يجد من يقبله، ثم رجع إلى مكة فلما بلغ موضعاً يقال له وادى مجنة تهجد بالقرآن فى جوف الليل فمر به نفر من الجن فلما سمعوا قراءة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ... فأسلموا وآمنوا وعلمهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شرائع الإسلام «۱».

۲- عن ابن عباس قال: انطلق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ. وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء، فاضربوا فى مشارق الأرض ومغاربها، فانطلقوا يضربون فى مشارق الأرض ومغاربها، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له، فقالوا: هذا واللَّه الذى حال بينكم وبين خبر السماء.

فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا* يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَامَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» «۲».

ولكن جاء فى سبب نزول هـذه السورة ما يخالف هـذا المعنى، وهو أنّ علقمة بن قيس قال: قلت لعبداللَّه بن المسعود: من كان منكم مع النبى صلى الله عليه و آله ليلة الجن؟ فقال: ما كان منّا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا: اغتيل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أو استطير. فانطلقنا نطلبه من الشعاب، فلقيناه مقبلًا من نحو حراء، فقلنا: يا رسول اللَّه! اين كنت لقد أشفقنا عليك؟ وقلنا له: بتنا الليلة بشرّ ليلة بات بها قوم حين فقدناك! فقال لنا: «إنّه أتانى داعى الجن فذهبت أقرئهم القرآن» «۳».

---

(۱) تفسير على بن ابراهيم ۲/ ۲۹۹ و ۳۸۸.

(۲) فى ظلال القرآن ۷/ ۴۲۹.

(۳) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۴۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۱

مختصر الامثل ج۵ ۲۹۹

التّفسير

القرآن العجيب: يقول اللَّه تعالى: «قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا».

يعلم من مفهوم الآيـة أنّ للجن عقلًا وشعوراً وفهماً وإدراكـاً، وأنّهم مكلّفون ومسؤولون، ولهم المعرفـة باللغات ويفرقون بين الكلام الخارق للعادة بين الكلام العادى، وبين المعجز وغير والمعجز، ويجدون أنفسهم مكلّفين بإيصال الدعوة إلى قومهم، وأنّهم هم المخاطبون فى القرآن المجيد.

إنّ لهم الحق فى أن يحسبوا هـذا القرآن عجباً، لِلَحنِه العجيب، ولجاذبيـة محتواه، ولتأثيره العجيب، ولمن جاء به والذى لم يكن قد درس شيئاً وقد ظهر من بين الاميين.

لقد تحدثوا لقومهم بحديث آخر تبيّنه السورة فى (۱۲) آية، وكل منها تبدأ ب (أن) وهى دلالة على التأكيد.

فيقول أوّلًا بأنّهم قالوا: «يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَامَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا».

وبعد إظهار الإيمان ونفى الشرك باللَّه تعالى ينتقل كلامهم إلى تبيان صفات اللَّه تعالى:

«وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا».

«جـد»: لها معانٍ كثيرة فى اللغـة، منها: العظمـة، والشـدّة، والجد، والقسـمة، والنصـيب. وأمّا المعنى الحقيقى فهو «القطع»، وتأتى بمعنى «العظمة» إذا كان هناك كائن عظيم منفصل بذاته عن بقية الكائنات.

ثم قالوا: «وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا». أى أنّ سفهاءنا قالوا: إنّ للَّهزوجـة وأطفالًا، واتّخذ لنفسه شريكاً وشبيهاً، وإنّه قد انحرف عن الطريق، وكان يقول شططاً.

واحتمل بعض المفسرين أنّ «السفيه» هنا له معنى انفرادى، والمقصود به هو «ابليس» الذى نسب إلى اللَّه نسب ركيكة، وذلك بعد مخالفته لأمر اللَّه.

ولمّا كان ابليس من الجن، وكان قد بدا منه ذلك، اشمأز منه المؤمنون من الجن واعتبروا ذلك منه شططاً، وإن كان عالماً وعابداً.

«شطط»: على وزن وسط، وتعنى الخروج والإبتعاد عن قول الحق.

ثم قالوا: «وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۲

لعلّ هـذا الكلام اشارة إلى التقليد الأعمى للغير، حيث كانوا يشركون باللَّه وينسبون إليه الزوجة والأولاد، فهم يقولون: لقد كنّا

نصدقهم بحسن ظنّنا بهم ونقول بمقالتهم الخاطئة، وما كنّا نظنهم يتجرؤون على اللَّه بهذه الأكاذيب، ولكنّنا الآن نخطّىء هذا التقليد المزيف لما عرفنا من الحق والإيمان بالقرآن، ونقرّ بما التبس علينا، بانحراف المشركين من الجن. ثم ذكروا إحدى الإنحرافات للجن والإنس وقالوا: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا».

«رهق»: على وزن (شفق) ويعنى غشيان الشىء بالقهر والغلبة، وفُسّر بالضلال والذنب والطغيان والخوف الذى يسيطر على روح الإنسان وقلبه ويغشيه.

فإنّ للآية مفهوماً واسعاً، يشمل جميع أنواع الإلتجاء إلى الجن، والخرافة المذكورة هى مصداق من مصاديقها، وكان فى أوساط العرب كهنة كثيرون يعتقدون أنّ الجن باستطاعتهم حلّ الكثير من المشاكل وإخبارهم بالمستقبل.

يشير سياق الآية إلى استمرار حديث المؤمنين من الجن، وتبيان الدعوة لقومهم، وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً (۷) وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (۸) وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً (۹) وَ أَنَّا لَا نَدْرِى أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (۱۰) ودعوتهم إلى الإسلام بالطرق المختلفة، فيقولون: «وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا».

لذا تبادروا لإنكار القرآن وتكذيب نبوّة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، ولكنّنا عند سماعنا لآيات القرآن أدركنا الحقائق، فلا تكونوا كالإنس وتتخذوا طريق الكفر فتبتلوا بما ابتلوا به.

وهذا تحذير للمشركين ليفيقوا عند سماعهم لكلام الجن وتحكيمهم وليتمسكوا بالقرآن وبالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثم يشيرون إلى علامة صدق قولهم وهو ما يدركه الجن فى عالم الطبيعة، فيقولون: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا» (۱).

---

(۱) «لمسنا»: من لمس، وتعنى هنا الطلب والبحث؛ و «حرس»: على وزن قفص، جمع حارس، وقيل اسم جمع لحارس، وتعنى الشديد الحفاظ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۳

وكنّا فى السابق نسترق السمع من السماء ونحصل على أخبار الغيب ونوصلها إلى أصدقائنا من الإنس ولكنّنا منعنا من ذلك الآن: «وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا». أليس هذا الوضع الجديد دليل على حقيقة التغيير العظيم الحاصل فى العالم عند ظهور الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وكتاب اللَّه السماوى، لماذا كانت لكم القدرة على استراق السمع والآن سلبت منكم هذه القدرة؟ أليس معنى هذا انتهاء عصر الشيطنة والكهانة والخداع، وانتهاء ظلمة الجهل بشروق شمس الوحى والنبوّة.

ثم قالوا: «وَأَنَّا لَانَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِى الْأَرْضِ أم أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا». أى: مع كل هذا فإنّنا لا ندرى أكان هذا المنع من استراق السمع دليل على مكيدة تراد بأهل الأرض، أم أراد اللَّه بذلك المنع أن يهديهم، وبعبارة اخرى أنّنا لا ندرى هل هذا هو مقدمة لنزول البلاء والعذاب من اللَّه، أم مقدمة لهدايتهم، ولكن لا يخفى على مؤمنى الجن أنّ المنع من استراق السمع الذى تزامن مع ظهور نبيّنا الأكرم صلى الله عليه و آله هو مقدمة لهداية البشرية، وانحلال جهاز الكهانة والخرافات الاخرى، وليس هذا إلّاانتهاءً لعصر الظلام، وابتداء عصر النور.

ومع هذا، فإنّ الجن ولعلاقتهم الخاصة بمسألة استراق السمع لم يكونوا يصدقون بما فى ذلك المنع من خير وبركة، وإلّا فمن الواضح أنّ الكهنة فى العصر الجاهلى كانوا يستغلون هذا العمل فى تضليل الناس.

وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً (۱۱) وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (۱۲) وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَ لَا رَهَقاً (۱۳) وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (۱۴)

وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (١۵) فى هذه الآيات يستمر مؤمنو الجن فى حديثهم وهم يبلغون قومهم الضالين فيقولون:

«وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا».

ويحتمل أن يكون المراد من قولهم هذا هو أنّ وجود إبليس فيما بينهم قد أوجد شبهة لبعضهم، بأنّ الجن متطبّع على الشرّ والفساد والشيطنة، ومحال أن يشرق نور الهداية فى قلوبهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢٨۴

ولكن مؤمنى الجن يوضحون فى قولهم هذا أنّهم يملكون الإختيار والحرية، وفيهم الصالح والطالح، وهذا يوفرّ لهم الأرضية للهداية.

ولهذه الآية تأثير فى إصلاح ما اشتبه علينا نحن البشر فى عقائدنا حول الجن، لأنّ كثير من الناس يتصورون أنّ لفظة الجن تعنى الشيطنة والفساد والضلال والإنحراف، وسياق هذه الآية يشير إلى أنّ الجن فصائل مختلفة، صالحون وطالحون.

وفى إدامة حديثهم يحذرون الآخرين فيقولون: «وَأَنَّا ظَنَنَّا أن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ وَلَن نُّعجِزَهُ هَرَبًا». وإذا كنتم تتصورون أنّكم تستطيعون الفرار من الجزاء وتلتجئون إلى زاوية من زوايا الأرض أو نقطة من نقاط السماوات فإنّكم فى غاية الخطأ.

وأضاف مؤمنو الجن فى حديثهم قائلين: «وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ». وإذ ندعوكم لهدى القرآن فإنّنا ممّن عمل بذلك أوّلًا، ولذا نحن لا ندعو الآخرين إلى أمر لم نكن فاعليه.

ثم بيّنوا عاقبة الإيمان فقالوا: «فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا».

إنّ المؤمنين مهما يعملوا من عمل كبيراً كان أو صغيراً فإنّهم يستوفون اجور ذلك بلا نقص أو قلّة.

وفى الآية الاخرى توضيح أكثر حول عاقبة المؤمنين والكافرين فيقولون: «وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا» «١».

«وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا».

والتعبير ب «تَحَرَّوْا رَشَدًا» يشير إلى أنّ المؤمنين إنّما يتوجهون إلى الهدى بالتحقيق والتوجه الصادق، وجزاءهم الأوفى هو نيلهم الحقائق التى بظلها ينالون النعم الإلهية.

وَ أَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (١۶) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً (١٧) وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (١٨) وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (١٩) الفتنة باغداق النعمة: إنّ سياق الآيات السابقة يشير إلى ثواب المؤمنين فى يوم القيامة،

---

(١) «القاسط»: من أصل «قسط» وتعنى التقسيم العادل؛ فإن أتت على وزن (أفعال)، (أقساط) فإنّها تعنى إجراء العدالة، وإذا استعملت بصورة الثّلاثى المجرّد كما فى هذه الآية فإنّها تعطى معنى الظلم والانحراف عن سبيل الحق؛ و «تحروا»: من أصل «تحرى وتعنى توخّاه وقصده.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٢٨۵

وفى هذه الآيات يتحدث عن ثوابهم الدّنيوى فيقول: «وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا».

ننزل عليهم مطر رحمتنا، ونذلل لهم منابع وعيون الماء الذى يهب الحياة وبوجود الماء يوجد كل شىء وعلى هذا فإنّنا نشملهم بأنواع النعم.

القرآن المجيد أكّد ولعدّة مرات على أنّ الإيمان والتقوى ليست فقط منبعاً للبركات المعنوية، بل تودّى إلى زيادة الأرزاق والنعم والعمران، أى (البركة المادية).

الملاحظ حسب هذا البيان أنّ سبب زيادة النعمة هو الإستقامة على الإيمان، وليس أصل الإيمان، لأنّ الإيمان المؤقت لا يستطيع أن

يظهر هذه البركات.

والآية الاخرى إشارة إلى حقيقة اخرى بنفس الشأن، فيضيف: «لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ».

ومن هنا يتّضح أنّ وفور النعمة من إحدى الأسباب المهمة فى الإمتحان الإلهى، وما يُتفق عليه هو أنّ الإختبار بالنعمة أكثر صعوبة وتعقيداً من الإختبار بالعذاب، لأنّ طبيعة ازدياد النعم هو الإنحلال والكسل والغفلة، والغرق فى الملذات والشهوات، وهذا ما يُبعد الإنسان عن اللَّه تعالى ويُهيىء الأجواء لمكائد الشيطان، والذين يستطيعون أن يتخلصوا من شراك النعم الوافرة هم الذاكرون للَّهعلى كل حال، غير الناسين له تعالى.

ولذا يضيف تعقيباً على ذلك: «وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا».

«صعد»: على وزن (سفر) وتعنى الصعود إلى الأعلى، وأحياناً الشِعب المتعرجة فى الجبل، وبما أنّ الصعود من الشعاب المتعرجة عمل شاق، فإنّ هذه اللفظة تستعمل بمعنى الامور الشّاقة.

ولكن، مع أنّ التعبير أعلاه يبيّن كون هذا العذاب شاقّاً شديداً فإنّه يحتمل أن يشير إلى اليوم الطويل، وعلى هذا الأساس فإنّه يبيّن فى الآيات أعلاه رابطة الإيمان والتقوى بكثرة النعم من جهة، ورابطة كثرة النعم بالاختبارات الإلهية من جهة اخرى ورابطة الإعراض عن ذكر اللَّه تعالى بالعذاب الشاق الطويل من جهة ثالثة.

وقال مؤمنو الجن فى الآية الاخرى وهم يدعون إلى التوحيد: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».

المراد بالمساجد هى المواطن التى يُسجد فيها للَّهتعالى كالمسجد الحرام وبقية المساجد، وبشكل أعم هى الأرض التى يصلّى فيها ويسجد عليها، وهو مصداق قول الرسول

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۶

الأكرم صلى الله عليه و آله: «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» «۱». وهذا ردّ لمن اتّخذ الأصنام والأوثان للعبادة فأشرك باللَّه، ومن اتّخذ الكعبة معبداً للأصنام، أو انصرف إلى إحياء الطقوس المسيحية حيث (التثليث) أو عبد الأرباب الثلاثة فى الكنائس واللَّه تعالى يقول: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».

ويضيف فى إدامة الآية بياناً عن التأثير غير العادى للقرآن المجيد وقيام الرسول للدّعاء فيقول: «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا». أى: عندما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقوم للصلاة، فإنّ طائفة من الجن كانوا يجتمعون عليه بشكل متراحم.

«لبد»: على وزن (فِعَل) وتعنى الأشياء المجتمعة المتراكمة، وهذا التعبير بيان لتعجب الجن ممّا يشاهدونه من عبادته وقراءته صلى الله عليه و آله قرآناً لم يسمعوا كلاماً يماثله.

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً (۲۰) قُلْ إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَ لَا رَشَداً (۲۱) قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (۲۲) إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسَالاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً (۲۳) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً (۲۴) فى هذه الآيات يأمر اللَّه تعالى نبيّه أن يقول: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّى وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا».

وذلك لتقوية قواعد التوحيد، ونفى كل أنواع الشرك، كما مرّ فى الآيات السابقة.

ثم يأمره أن: «قُلْ إِنّى لَاأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا».

ثم يضيف: قل لهم بأنّى لو خالفت أمر اللَّه تعالى فسوف يحيق بى العذاب أيضاً ولن يستطيع أحد أن ينصرنى أو يدفع عنّى عذابه: «قُلْ إِنّى لَن يُجِيرَنِى مِّنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا».

وعلى هذا الأساس لا يستطيع أحد أن يجيرنى منه تعالى ولا شىء يمكنه أن يكون لى ملجأ وهذا الخطاب يشير من جهة إلى الإقرار

الكامل بالعبودية للَّه‌تعالى، وإلى نفى كل أنواع الغلو فى شأن النبى صلى الله عليه و آله من جهة اخرى، ويشير من جهة ثالثة إلى أنّ الأصنام ليس

(۱) وسائل الشيعة ۲/ ۹۷۰/ ۳.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۷

فقط لا- تنفع ولا- تحمى، بل إنّ نفس الرسول أيضاً مع ما له من العظمة لا يمكنه أن يكون له ملجأ من عذاب اللَّه، وينهى من جهة الذرائع والآمال للمعاندين الذين كانوا يطلبون من النبى صلى الله عليه و آله أن يريهم المعاجز الإلهية، ويثبت أنّ التوسل والشفاعة أيضاً لا يتحققان إلّاباذنه تعالى.

ويضيف فى الآية الاخرى: «إِلَّا بَلَغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ».

وقد مرّ ما يشابه هذا التعبير مراراً فى آيات القرآن الكريم، كما فى الآية (۹۲) من سورة المائدة: «أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَغُ الْمُبِينُ». وكذا فى الآية (۱۸۸) من سورة الأعراف: «قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

ويحذر فى نهاية الآية فيقول: «وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا».

الواضح أنّ المراد فيها ليس كل العصاة، بل المشركون والكافرون لأنّ مطلق العصاة لا يخلدون فى النار.

ثم يضيف: «حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا».

إنّ سياق هذه الآية يشير إلى أنّ أعداء الإسلام كانوا يتبجّحون بقدرات جيوشهم وكثرة جنودهم أمام المسلمين ويستضعفونهم، لهذا كان القرآن يواسيهم- المسلمين- ويبشرهم بأنّ العاقبة ستكون بانتصارهم وخسران عدوهم.

قُلْ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً (۲۵) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (۲۶) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (۲۷) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً (۲۸) اللَّه عالم الغيب: لقد تبيّن فى الآيات السابقة حقيقة أنّ العصاة يبقون على عنادهم واستهزائهم حتى يأتى وعد اللَّه بالعذاب، وهنا يطرح السؤال، وهو: متى يتحقق وعد اللَّه؟

وقد أجاب القرآن على ذلك فقال: «قُلْ إِن أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۸

هذا العلم يخص ذاته المقدسة تعالى شأنه، وأراد أن يبقى مكتوماً حتى عن عباده المؤمنين، ليتحقق الإختبار الإلهى للبشرية، وإلّا فلن يؤثر الإختبار.

فإنّنا كثيراً ما نواجه مثل هذه المعانى فى آيات القرآن، وعندما يسأل الرسول صلى الله عليه و آله عن يوم القيامة يجيب بأنّه ليس له علم بذلك، وأنّ علمه عند اللَّه. ولما تبدى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال: يا محمّد أخبرنى عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جهْوَرىّ فقال: يا محمّد، متى الساعة؟ قال: «ويحك، إنّها كائنة فما أعددت لها»؟ قال: أمّا إنّى لم اعدّ لها كثير صلاة ولا صيام، ولكنى احبّ اللَّه ورسوله، قال صلى الله عليه و آله: «فأنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث «۱».

ثم يبيّن فى هذا الحديث قاعدة كلية بشأن علم الغيب فيقول: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا».

ثم يضيف مستثنياً: «إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ». أى يبلغه ما يشاء عن طريق الوحى الإلهى: «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا». «رصد»: فى الأصل مصدر، ويراد به الإستعداد للمراقبة من شىء؛ ويراد به هنا الملائكة الذين يبعثهم اللَّه مع الوحى إلى رسول اللَّه

صلى الله عليه و آله ليحيطوه من كل جانب، ويحفظوا الوحى من شرّ شياطين الجن والإنس ووساوسهم ومن كل شيء يخدش أصالة الوحى، ليوصلوا الرسالات إلى العباد، وهذا هو دليل من الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام المحفوظين من الزّلات والخطايا بالإمداد الإلهى والقوّة الغيبية، والملائكة.

فى بحثنا للآية الأخيرة التى تنهى السورة تبيان لدليل وجود الحراس والمراقبين فيقول:

«لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا».

المراد من العلم هنا هو العلم الفعلى، وبعبارة اخرى ليس معنى الآية أنّ اللّه ما كان يعلم عن أنبيائه شيئاً ثم علم، لأنّ العلم الإلهى أزلى وأبدى وغير متناه، بل إنّ المراد هو تحقق العلم الإلهى فى الخارج، ويتخذ لنفسه صورة عينية واضحة، أى ليتحقق إبلاغ الأنبياء ورسالات ربّهم ويتمموا الحجة بذلك.

---

(۱) تفسير المراغى ۲۹/ ۱۰۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۸۹

بحثان

۱- تحقيق موسّع حول علم الغيب: من خلال التمعن فى الآيات المختلفة للقرآن الكريم يتّضح لنا أنّ الآيات المتعلقة بعلم الغيب قسمان:

القسم الأوّل: ما يتعلق بذاته جلّ شأنه ولا يعلمه إلّاهو، كما فى الآية (۵۹) من سورة الأنعام: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ». والآية (۵۰) من سورة الأنعام: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ».

القسم الثانى: يطرح بوضوح إطّلاع أولياء اللّه على الغيب، كما فى الآية (۱۷۹) من سورة آل عمران: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ».

ونقرأ فى معاجز المسيح عليه السلام كما فى الآية (۴۹) من سورة آل عمران: «وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ».

والآية السابقة مورد البحث أيضاً تشير إلى أنّ اللّه تعالى يهب العلم لمن يرتضيه من رسله، ومن جهة اخرى فإنّ الآيات التى تشمل الأخبار الغيبية ليست بقليلة. كالآيات (۲- ۴) من سورة الروم: «غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ».

ومن المعروف أنّ الوحى السماوى الذى يهبط على الرسل هو نوع من الغيب الذى أطلعهم اللّه عليه، فكيف يمكن أن ننفى إطّلاعهم بالغيب فى الوقت الذى يهبط عليهم الوحى.

بالإضافة إلى ذلك كله فإنّ هناك روايات كثيرة تدل على أنّ النبى صلى الله عليه و آله والأئمة المعصومين عليهم السلام مطّلعون على الغيب، ويخبرون به أحياناً.

وكذلك إخباره صلى الله عليه و آله بحوادث معركة مؤتة، واستشهاد جعفر الطيار رضى الله عنه وبعض القادة المسلمين، فى الوقت الذى كان الرسول صلى الله عليه و آله يطلع الناس على ذلك فى المدينة «۱». والأمثلة على ذلك ليست قليلة فى حياة النبى صلى الله عليه و آله.

وورد فى نهج البلاغة أيضاً أخبار كثيرة سابقة لأوانها تشير إلى حوادث مستقبلية، أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام، ممّا يدل على اطّلاعه بأسرار الغيب، كما جاء فى الخطبة (۱۳) فى

---

(۱) الكامل فى التاريخ ۲/ ۱۱۲ (ذكر غزوة مؤتة).

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۰

ذمّه أهل البصرة حيث يقول: «كأنّى بمسجدكم كجؤجؤ لسفينة قد بعث اللَّه عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من فى ضمنها». وما قاله كميل بن زياد للحجاج أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبرنى بأنّك قاتلى «۱».

أمّا كيف نجمع بين هذه الآيات والروايات التى ينفى بعضها علم الغيب لغير اللَّه وإثبات البعض الآخر لغيره تعالى؟ هناك طرق مختلفة للجمع بينها:

۱- أشهر طرق الجمع هو أنّ المراد من اختصاص علم الغيب باللَّه تعالى هو العلم الذاتى والإستقلالى، ولهذا لا يعلم الغيب إلّاهو، وما يعلمونه فهو من اللَّه، وذلك بلطفه وعنايته.

۲- أسرار الغيب قسمان: قسم خاص باللَّه عزّ وجل لا يعلمه إلّاهو كقيام الساعة، وغيرها ممّا يشابه ذلك، والقسم الآخر علّمه الأنبياء والأولياء، كما جاء فى الخطبة (۱۲۸) نهج البلاغة حيث يقول على عليه السلام: «وإنّما علم الغيب علم الساعة، وما عدّده اللَّه سبحانه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»» الآية. ثم أضاف الإمام عليه السلام فى شرح هذا المعنى:

«فيعلم اللَّه سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو انثى وقبيح أو جميل، وسخىّ أو بخيل، وشقىّ أو سعيد، ومن يكون فى النار حطباً، أو فى الجنان للنّبيّين مرافقاً فهذا علم الغيب الّذى لا يعلمه أحد إلّااللَّه وما سوى ذلك فعلم علّمه اللَّه نبيّه فعلّمنيه».

يمكن لبعض الناس أن يعلموا بزمان وضع الحمل أو نزول المطر ومثل ذلك علماً إجمالياً، وأمّا العلم التفصيلي والتعرف على هذه الامور فهو خاص بذات اللَّه تعالى المقدسة وإنّ علمنا بشأن يوم القيامة هو علم إجمالى ونجهل جزئيات وخصوصيات يوم القيامة.

وإذا كان النبى صلى الله عليه و آله أو الأئمة المعصومون عليهم السلام قد أخبروا البعض فى أحاديثهم عمّن يولد أو عمن ينقضى عمره، فذلك يتعلق بالعلم الإجمالى.

۳- والطريق الآخر هو أنّ اللَّه تعالى يعلم بكل أسرار الغيب، وأمّا الأنبياء والأولياء فإنّهم لا يعلمونها كلّها، ولكنّهم إذا ما شاءوا ذلك أعلمهم اللَّه تعالى بها، وبالطبع هذه الإرادة لا تتمّ إلّابإذن اللَّه تعالى.

ومحصلة ذلك أنّ الآيات والروايات التى تقول إنّهم لا يعلمون بالغيب هى إشارة إلى

---

(۱) الإصابة لابن حجر ۵/ ۴۸۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۱

عدم المعرفة الفعلية، والتى تقول إنّهم يعلمون تشير إلى إمكان معرفتهم لها.

۲- تحقيق حول خلق الجن: الجن كما جاء فى المفهوم اللغوى هو نوع من الخلق المستور، وقد ذكرت له مواصفات كثيرة فى القرآن؛ منها:

۱- إنّهم مخلوقون من النار، بعكس الإنسان المخلوق من التراب؛ كما نقرأ فى الآية (۱۵) من سورة الرحمن: «وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَارِجٍ مِّن نَّارٍ».

۲- إنّهم يمتلكون الإدراك والعلم والتمييز بين الحق والباطل والقدرة على المنطق والإستدلال؛ كما هو واضح من آيات سورة (الجن).

۳- إنّهم مكلّفون ومسؤولون؛ كما فى آيات سورة الجن والرحمن.

۴- وفيهم المؤمنون والصالحون والطالحون؛ كما نقرأ فى الآية (۱۱) من سورة الجن: «وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ».

۵- إنّهم يحشرون وينشرون؛ كما نقرأ فى الآية (۱۵) من سورة الجن: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا».

۶- لهم القدرة علی النفوذ فی السماوات وأخذ الأخبار واستراق السمع، ولكنّهم منعوا من ذلك فیما بعد؛ كما نقرأ فی الآیة (۹) من سورة الجن: «وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْأَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا».

۷- كانوا یوجدون ارتباطاً مع بعض الناس لإغوائهم بما لدیهم من العلوم المحدودة التابعة إلی بعض الأسرار الروحیة؛ كما نقرأ فی الآیة (۶) من سورة الجن: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا».

۸- ویوجد فیهم من یتمتع بالقدرة الفائقة، كما هو موجود فی أوساط الإنس؛ كما نقرأ فی الآیة (۳۹) من سورة النمل: «قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ».

۹- لهم القدرة علی قضاء بعض الحوائج التی یحتاجها الإنسان؛ كما نقرأ فی الآیتان (۱۲ و ۱۳) من سورة سبأ: «وَمِنَ الْجِنّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبّهِ يَعْمَلُونَ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ».

۱۰- إنّ خلقهم كان قبل خلق الإنسان؛ كما نقرأ فی الآیة (۲۷) من سورة الحجر:

«وَالْجَانَّ خَلَقْنَهُ مِن قَبْلُ». ولهم خصائص اخری.

إلی هنا كان الحدیث عن امور تستفاد من القرآن المجید حول هذا الخلق المستور والخالیة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۲

من كل الخرافات والمسائل غیر العلمیة، ولكنّنا نعلم أنّ السذج والجهلاء ابتدعوا خرافات كثیرة فیما یخص هذا الكائن بما یتنافی مع العقل والمنطق، منها ما نسب إلیهم الأشكال الغریبة والعجیبة والمرعبة، وأنّهم موجودات سامة وذوات أذناب مؤذیة، ومبغضة، سیئة التصرف والسلوك، وأوهام اخری من هذا القبیل، فی حین أنّ أصل الموضوع إذا تمّ تطهیره من هذه الخرافات یكون قابلًا للقبول.

ومن جهة اخری، لیس هناك دلیل عقلی علی عدم وجود الجن، ولهذا لابدّ من الإعتقاد بهم، وتجنب الأقوال التی لا تلیق بهم كما فی خرافات العوام.

ومما یلاحظ أیضاً أنّ لفظ الجن یطلق أحیاناً علی مفهوم أوسع یشمل أنواعاً من الكائنات المستورة أعم من الكائنات ذوات العقل والإدراك والفاقدة لهما، وحتی مجامیع الحیوانات التی تری بالعین والمختفیة فی الأوكار أیضاً، والدلیل علی ذلك روایات وردت عن النبی صلی الله علیه و آله حیث قال: «خلق اللَّه الجن خمسة أصناف: صنف كالریح فی الهواء، وصنف حیات، وصنف عقارب، وصنف حشرات الأرض، وصنف كبنی آدم علیهم الحساب والعقاب» «۱».

«نهایة تفسیر سورة الجن»

---

(۱) بحار الأنوار ۶۰/ ۲۶۷.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۳

۷۳. سورة المزمل

محتوی السورة: یمكن أن نقسم مباحث السورة فی خمسة أقسام:

۱- الآیات الاولی للسورة والتی تأمر النبی صلی الله علیه و آله بقیام اللیل والصلاة فیه، لیستعد بذلك لنقل ما سیلقی علیه من القول الثقیل.

۲- یأمره صلی الله علیه و آله بالصبر والمقاومة ومداراة المخالفین.

۳- بحوث حول المعاد، وإرسال موسی بن عمران إلی فرعون وذكر عذابه الألیم.

۴- فیه تخفیف لما ورد فی الآیات الاولی من الأوامر الشدیدة عن قیام اللیل، وذلك بسبب محنة المسلمین والشدائد المحیطة بهم.

۵- والقسم الأخیر من السورة یعود لیدعو إلی تلاوة القرآن وإقامة الصلاة وإیتاء الزکاة، والإنفاق فی سبیل اللَّه والإستغفار.

فضیلة تلاوة السورة: فی تفسیر مجمع البیان عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «ومن قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر فی الدنیا والأخرة».

وعن الإمام الصادق علیه السلام قال: «ومن قرأ سورة المزّمل فی العشاء الآخرة، أو فی آخر اللیل کان له اللیل والنهار شاهدین مع السورة، وأحیاه اللَّه حیاة طیبة وأماته میتة طیبة».

ومن الطبیعی أنّ هذه الفضائل لابدّ أن تکون ملازمة مع قیام اللیل وقراءة القرآن والصبر والإستقامة والإیثار والإنفاق العملی، ولیس بالتلاوة الخالیة من العمل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۴

یَا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ (۱) قُمِ اللَّیْلَ إِلَّا قَلِیلًا (۲) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلًا (۳) أَوْ زِدْ عَلَیْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا (۴) إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا (۵)

یشیر سیاق الآیات کما بیّنا إلی دعوة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله للإستقامة والإستعداد لقبول مهمة کبیرة وثقیلة، وهذا لا یتمّ إلّابالبناء المسبق للذات، فیقول: «یَا أَیُّهَا الْمُزَّمّلُ قُمِ الَّیْلَ إِلَّا قَلِیلًا* نّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِیلًا* أَوْ زِدْ عَلَیْهِ وَرَتّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِیلًا» «۱». إنّ هذا لیس زمان التزمل والإنزواء، بل زمان القیام والبناء الذاتی والإستعداد لأداء الرسالة العظیمة.

واختیار اللیل لهذا العمل أوّلًا: لأنّ أعین الأعداء نائمة؛ وثانیاً: تتعطل الأعمال والمکاسب، ولهذا فإنّ الإنسان یستعد للتفکر ولتربیة النفس.

وکذلک اختیار القرآن لأن یکون المادة الاولی فی البرنامج العبادی فی اللیل إنّما هو لإقتباس الدروس اللازمة فی هذا الباب، وهو یعدّ من أفضل الوسائل لتقویة الإیمان والإستقامة والتقوی وتربیة النفوس.

والتعبیر بالترتیل الذی یراد به التنظیم والترتیب الموزون هنا هو القراءة بالتأنی والإنتظام اللازم، والأداء الصحیح للحروف، وتبیین الحروف، والتأمل فی مفاهیم الآیات، والتفکر فی نتائجها. والروایات التی وردت فی تفسیر الترتیل کلّها تشیر إلی ضرورة التمعن فی کلمات القرآن، والتدبّر فیها وتذکر بأنّ القرآن هو خطاب اللَّه تعالی للإنسان.

ولکن وللأسف إنّ الکثیر من المسلمین ابتعدوا عن هذا الواقع، واکتفوا بالتلفظ وغدا همّهم ختمه، من دون الإهتمام بمعرفة سبب نزوله ومحتواه! صحیح أنّ ألفاظ القرآن عظیمة ولقراءتها فضیلة، ولکن لا ینبغی أن ننسی أنّ هذه الألفاظ وتلاوتها هی مقدمة لبیان المحتوی.

فی الکافی عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «إذا مررت بآیة فیها ذکر الجنة فقف عندها وسل اللَّه عزّ وجل الجنة، وإذا مررت بآیة فیها ذکر النار فقف عندها وتعوذ باللَّه من النار».

ثم یبیّن الهدف النهائی لهذا الأمر المهم والشاق فیقول: «إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا».

---

(۱) «مزّمل»: أصلها متزمل، وهی من التزمل، وتعنی لف الثوب علی نفسه، ولهذا جاء لفظ الزمیل، أیالمصاحب والرفیق.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۵

إنّ ثقل القول یراد به القرآن المجید بأبعاده المختلفة ... ثقیل بلحاظ المحتوی ومفاهیم الآیات.

ثقیل بلحاظ حمل القلوب له لما یقوله القرآن: «لَوْ أَنزَلْنَا هذَا الْقُرْءَانَ عَلَی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدّعًا مّنْ خَشْیَةِ اللَّهِ» «۱».

ثقیل بلحاظ التبلیغ ومشاکل طریق الدعوة.

وثقیل فی میزان العمل وفی عرصة القیامة.

ولکن الرسول صلی الله علیه و آله وأصحابه القلائل استطاعوا أن یتغلبوا علی کل تلک هذه المشاکل باستمدادهم من تربیة القرآن،

والإستعانة بصلاة الليل، وبالاستفادة من قربهم من ذات اللَّه المقدسة، واستطاعوا بذلك حمل هذا القول الثقيل والوصول إلى مرادهم.

بحث

فضيلة صلاة الليل: هذه الآيات تبيّن أهمّية إحياء الليل بالعبادة وقراءة القرآن عندما يكون الغافلون نياماً، فإنّ العبادة فى الليل وبالخصوص عند السحر لها الأثر البالغ فى تصفية الروح وتهذيب النفوس والتربية المعنوية للإنسان وطهارة القلب وإيقاظه، وكذا فى تقوية الإيمان والإرادة، وتوكيد أركان التقوى فى الروح والقلب، ويمكن لمس ذلك بمجرّد الاختبار مرّة واحدة، وقد أكّدت الروايات على ذلك بالإضافة إلى ما ذكرته الآيات القرآنية. منها ورد- فى أمالى الطوسى- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ من روح اللَّه تعالى ثلاثة: التهجد بالليل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان».

تأثير الدعاء والمناجاة فى أعماق الليل: تستمر هذه الآيات فى البحث حول عبادة الليل والتعاليم المعنوية الموجودة قراءة القرآن فى الليل، وهى بمنزلة بيان الدليل على ما جاء فى الآيات السالفة، فيقول تعالى: «إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطًا وَأَقْوَمُ قِيلًا».

---

(۱) سورة الحشر/ ۲۱. مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۶

«الناشئة»: من مادة «نشأ» وتعنى الحادثة، وقد ذكر هنا ثلاثة تفاسير لما يراد منها.

الأوّل: المراد به ساعات الليل الحادثة بالتوالى.

والثانى: إنّ المراد هو إحياء الليل بالصلاة والعبادة وقراءة القرآن.

والثالث: الحالات المعنوية والروحية والنشاط والجذوة الملكوتية التى تحصل فى القلب الإنسان وروحه فى هذه الساعات الخاصّة بالليل، والتى تكون آثارها فى روح الإنسان أعمق واستمرارها أكثر، والتّفسيران الثانى والثالث متلازمان، ويمكن جمعها فى ما يراد بمعنى الآية.

والتعبير ب «أَشَدُّ وَطًا»: التأثيرات الثابتة والراسخة الحاصلة من شعاع هذه العبادات فى روح الإنسان.

«أقوم»: من القيام، ويراد بكونها أثبت للقول وأصوب لحضور القلب.

«قيلًا»: تعنى القول، وتشير هنا إلى ذكر اللَّه وقراءة القرآن.

إنّ هذه الآية من الآيات التى تحتوى على أبلغ الأحاديث حول العبادة الليلية، ورمز إظهار المحبة مع المحبوب فى ساعات يختلى فيها الحبيب بحبيبه وأكثر من غيرها.

ويضيف فى الآية الاخرى: «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا».

أى إنّك مشغول بهداية الخلق وإبلاغ الرسالة وحلّ المشاكل المتنوعة، ولا مجال لك بالتوجه التام إلى ربّك والإنقطاع إليه بالذكر، فعليك بالليل والعبادة فيه.

وهناك معنى أدق وتفسير يناسب الآيات السابقة أيضاً هو: أنّك تتحمل فى النهار مشاغل ثقيلة ومساعى كثيرة، فعليك بعبادة الليل لتقوى بها روحك وتستعد للفعاليات والنشاطات الكثيرة فى النهار.

وبعد الإشارة إلى العبادة الليلية، والإشارة الإجمالية إلى الآثارها العميقة يذكّر القرآن بخمسة أوامر اخرى مكملة لتلك فيقول: «وَاذْكُرِ اسْمَ رَبّكَ».

والطبيعى أنّ المراد ليس ذكر الإسم فحسب، بل التوجه إلى المعنى، لأنّ الذكر اللفظى مقدمة للذكر القلبى، والذكر القلبى يبعث على صفاء القلب والروح ويروى منهل المعرفة والتقوى فى القلب.

ويقول فى الأمر الثانى: «وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا».

«التبتل»: من «البتل» على وزن (حتم)، وتعنى فى الأصل الإنقطاع، ولهذا سمّيت «مريم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۷

العذارء عليها السلام» بالبتول، لأنّها لم تتخذ لنفسها زوجاً وسمّيت الزهراء عليها السلام بالبتول لأنّها كانت أفضل نساء عصرها فى السيرة والسلوك، وكانت بالغة درجة الإنقطاع إلى اللَّه تعالى.

فالتبتل هو التوجه القلبى التام إلى اللَّه تعالى، والإنقطاع عن غيره إليه تعالى، والإتيان بالأعمال الخالصة للَّه، وكذا الخلوص له تعالى.

ثم ينتهى إلى الأمر الثالث فيقول: «رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا».

وهنا تأتى مسألة إيداع الامور إلى اللَّه، وذلك بعد مرحلة ذكر اللَّه والإخلاص، إيداع الامور للربّ الذى بيده الحاكمية والربوبية على المشرق والمغرب والمعبود الوحيد المستحق للعبادة، وهذا التعبير فى الحقيقة هو بمنزلة الدليل على موضوع التوكل على اللَّه، فكيف لا يتوكل الإنسان عليه، ولا يودعه أعماله، وليس فى العالم الواسع من حاكم وآمر ومنعم ومولى ومعبود غيره؟

وبالتالى يقول فى الأمر الرابع والخامس: «وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا».

ويأتى هنا مقام الصبر والهجران، لكثرة إتهامات الأعداء وإيذاءهم له فى طريق الدعوة إلى اللَّه، فالفلاح إذا أراد قطف الورود، عليه أن يصبر ويتحمل أذى الأشواك، مضافاً إلى ذلك يلزم الإبتعاد عنهم وهجرانهم أحياناً، وليبقى فى مأمن من شرّهم، ويعطيهم بذلك درساً بالغاً، ولا يعنى ذلك قطع سبل التربية والتبليغ والدعوة إلى اللَّه.

يقول الطبرسى رحمه الله فى تفسير مجمع البيان فى ذيل الآية مورد البحث: وفى هذا دلالة على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين والمعاشرة بأحسن الأخلاق، واستعمال الرفق ليكونوا أقرب إلى الإجابة.

وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (۱۱) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَ جَحِيماً (۱۲) وَ طَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَ عَذَاباً أَلِيماً (۱۳) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلًا (۱۴) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (۱۵) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلًا (۱۶) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً (۱۷) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (۱۸) إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (۱۹)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۸

أشارت الآية الأخيرة من الآيات السابقة إلى أقوال المشركين البذيئة، وعدائهم وإيذائهم للنبى صلى الله عليه و آله، أمّا فى هذه الآيات فإنّ اللَّه تعالى يهددهم بالعذاب الأليم، ويدعوهم إلى ترك ما هم عليه، ويواسى المؤمنين الأوائل، فيقول تعالى شأنه: «وَذَرْنِى وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا». أى دعنى وايّاهم، واترك عقابهم لى ومهلهم قليلًا. لتتمّ الحجة عليهم ولتظهر ماهيتهم الحقيقية، ويُثقلوا ظهورهم بالخطايا فعندها يحلّ عليهم غضبى.

ولم يمض كثير حتى ازدادت شوكة المسلمين، ووجهوا ضرباتهم القوية لأعداء الرسالة، وذلك فى معارك بدر وحنين والأحزاب، وبالتالى كان العذاب الإلهى ينتظرهم فى البرزخ، حتى يخلدوا بعد ذلك فى النار فى يوم القيامة.

ثم يقول مصرّحاً: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا».

«الأنكال»: جمع (نكل)، على وزن (فكر) وهى السلاسل الثقال، وأصلها من نكول الضعف والعجز، أى أنّ الإنسان يفقد الحركة بتقييد أعضائه بالسلاسل.

نعم، لقد تنعموا فى الدنيا وأخذوا حريتهم المطلقة، ولهذا لابدّ لهم من القيود والنار.

وكذا يضيف: «وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا».

هذا مصير من كان يتلذذ بالطعام بعكس ما كان طعامهم فى الدنيا الحرام، حيث العذاب الأليم، ولما تمتع به المغرورون والمستكبرون من الراحة غير المشروعة فى هذه الدنيا، والطعام الموصوف بالغصّة هو بحد ذاته عذاب أليم، ثم يتبع ذلك بذكر العذاب الأليم على إنفراد، وهذا يشير إلى أنّ أبعاد العذاب الاخروى لا يعلم شدّته وعظمته إلّااللَّه تعالى، ولهذا ورد فى حديث أنّ النبى صلى الله عليه و

آله سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق «۱».

ثم يشرح ما يجرى فى ذلك اليوم الذى يظهر فيه هذا العذاب فيقول: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا».

«الكثيب»: يراد به الرمل المتراكم؛ و «المهيل»: من هيل- على وزن كيل- هو صبّ شىء ناعم كالرمل على شىء، ويراد بالمعنى هنا الرمل الناعم وما لا يستقر، والمعنى أنّ الجبال تتلاشى بحيث تظهر بهيئة الرمل الناعم، وإذا ما ديست بالأقدام فإنّها تطمس فيها.

ثم يقارن بين بعثة النبى صلى الله عليه و آله ومخالفة الأشداء العرب، وبين نهوض موسى بن عمران بوجه الفراعنة فيقول تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا».

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۶۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۲۹۹

إنّ هدف النبى صلى الله عليه و آله هدايتكم والإشراف على أعمالكم كما كان هدف موسى عليه السلام هداية فرعون وأتباعه والإشراف على أعمالهم.

لم يكن جيش فرعون مانعاً من العذاب الإلهى، ولم تكن سعة مملكتهم وأموالهم وثراؤهم سبباً لرفع هذا العذاب، ففى النهاية اغرقوا فى أمواج النيل المتلاطمة إذ أنّهم كانوا يتباهون بالنيل، فبماذا تفكرون لأنفسكم وأنتم أقل عدّة وعدداً من فرعون وأتباعه وأضعف؟ وكيف تغترون بأموالكم وأعدادكم القليلة؟!

«الوبيل»: من «الوبل» ويراد به المطر الشديد والثقيل، وكذا يطلق على كل ما هو شديد وثقيل بالخصوص فى العقوبات، والآية تشير إلى شدّة العذاب النازل كالمطر.

ثم وجه الحديث إلى كفار عصر نبى الأكرم صلى الله عليه و آله ويحذرهم بقوله: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا».

فى الآية الاخرى يبيّن وصفاً أدقّ لذلك اليوم المهول فيضيف: «السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا».

فما حيلة الإنسان الضعيف العاجز عندما يرى تفطر السماوات بعظمتها لشدّة ذلك اليوم؟!

وفى النهاية يشير القرآن إلى جميع التحذيرات والإنذارات السابقة فيقول تعالى: «إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ». إنّكم مخيرون فى اختيار السبيل «فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا». ولا فضيلة فى اتّخاذ الطريق إلى اللّه بالإجبار والإكراه، بل الفضيلة أن يختار الإنسان السبيل بنفسه وبمحض إرادته.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۰)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۰

مختصر الامثل ج۵ ۳۳۲

فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن: هذه الآية هى من أطول آيات هذه السورة وتشتمل على مسائل كثيرة، وهى مكملة لمحتوى الآيات السابقة، فيقول تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ الَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

الآية تشير إلى نفس الحكم الذى أمر به الرسول صلى الله عليه و آله فى صدر السورة من قيام الليل والصلاة فيه، وما اضيف فى هذه الآية هو اشتراك المؤمنين فى العبادة مع النبى صلى الله عليه و آله (بصيغة حكم استحبابى أو باحتمال حكم وجوبى)، لأنّ ظروف صدر الإسلام كانت تتجاوب مع بناء ذواتهم والإستعداد للتبليغ والدفاع عنه بالدروس العقائدية المقتبسة من القرآن المجيد، وكذا

بالعمل والأخلاق وقيام الليل، ولكن يستفاد من بعض الروايات أنّ المؤمنين كانوا قد وقعوا فى إشكالات ضبط الوقت للمدة المذكورة (الثلث والنصف والثلثين) ولذا كانوا يحتاطون فى ذلك، وكان ذلك يستدعى إستيقاظهم طول الليل والقيام حتى تتورم أقدامهم، ولذا بُنى هذا الحكم على التخفيف، فقال: «عَلِمَ أن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ».

ثم يبيّن دليلًا آخراً للتخفيف فيضيف تعالى: «عَلِمَ أن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ».

وهذا تخفيف آخر كما قلنا فى الحكم، ولذا يكرر قوله: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».

والواضح أنّ المرض والأسفار والجهاد فى سبيل اللَّه ذكرت بعنوان ثلاثة أمثلة للأعذار الموجهة ولا تعنى الحصر، والمعنى هو أنّ اللَّه يعلم أنّكم سوف تلاقون كثيراً من المحن والمشاكل الحياتية، وبالتالى تؤدّى إلى قطع المنهج الذى امرتم به، فلذا خفف عليكم الحكم.

إنّ وجوب القراءة فى صدر الإسلام لوجود الظروف الخاصة لذلك، واعطى التخفيف بالنسبة للمقدار والحكم، وظهر الإستحباب بالنسبة للمقدار الميسر.

يستفاد من الروايات الإسلامية إنّ فضائل قراءة القرآن فى حسن القراءة والتدبر والتفكر فيها. وفى تفسير مجمع البيان: روى عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده صلى الله عليه و آله قال:

«ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر».

ثم يشير إلى أربعة أحكام اخرى، وبهذه الطريقة يكمل البناء الروحى للإنسان فيقول:

«وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَءَاتُوا الزَّكَوةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۱

والمراد من «الصلاة» هنا الصلوات الخمس المفروضة، والمراد من «الزكاة» الزكاة المفروضة، ومن إقراض اللَّه تعالى هو إقراض الناس، وهذه من أعظم العبارات المتصورة فى هذا الباب، فإنّ مالك الملك يستقرض بمن لا يملك لنفسه شيئاً، ليرغبهم بهذه الطريقة للإنفاق والإيثار واكتساب الفضائل منها وليتربى ويتكامل بهذه الطريقة.

وذكر «الإستغفار» فى آخر هذه الأوامر يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى: وإيّاكم والغرور إذا ما أنجزتم هذه الطاعات، وبأن تتصوروا بأنّ لكم حقّاً على اللَّه، بل اعتبروا أنفسكم مقصرين على الدوام واعتذروا للَّه.

«نهاية تفسير سورة المزّمل»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۳

۷۴. سورة المدثر

محتوى السورة: إنّ سورة العلق هى أوّل سورة نزلت فى صدر البعثة، والمدّثر هى السورة الاولى التى نزلت بعد الدعوة العلنية.

فإنّ سياق السور المكية التى تشير إلى الدعوة وإلى المبدأ والمعاد ومقارعة الشرك وتهديد المخالفين وإنذارهم بالعذاب الإلهى واضح الوضوح فى هذه السورة.

يدور البحث فى هذه السورة حول سبعة محاور، وهى:

۱- يأمر اللَّه تعالى رسوله صلى الله عليه و آله بإعلان الدعوة العلنية، ويأمر أن ينذر المشركين، والتمسك بالصبر والإستقامة فى هذا الطريق والإستعداد الكامل لخوض هذا الطريق.

۲- تشیر إلی المعاد وأوصاف أهل النار الذین واجهوا القرآن بالتکذیب والإعراض عنه.

۳- الإشارة إلی بعض خصوصیات النار مع إنذار الکافرین.

۴- التأکید علی المعاد بالأقسام المکررة.

۵- إرتباط عاقبة الإنسان بعمله، ونفی کل أنواع التفکر غیر المنطقی فی هذا الإطار.

۶- الإشارة إلی قسم من خصوصیات أهل النار وأهل الجنة وعواقبهما.

۷- کیفیة فرار الجهلة والمغرورین من الحق.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۴

فضیلة تلاوة السورة: فی المجمع عن الإمام الباقر علیه السلام قال: «من قرأ فی الفریضة سورة المدّثر کان حقّاً علی اللَّه أن یجعله مع محمّد صلی الله علیه و آله فی درجته، ولایدرکه فی حیاة الدنیا شقاء أبداً».

وبدیهی أنّ هذه النتائج العظیمة لا تتحقق بمجرد قراءة الألفاظ فحسب، بل لابدّ من التمعن فی معانیها وتطبیقها حرفیاً.

یَا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْذِرْ (۲) وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (۳) وَ ثِیَابَکَ فَطَهِّرْ (۴) وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (۵) وَ لَا تَمْنُنْ تَسْتَکْثِرُ (۶) وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ (۷) فَإِذَا نُقِرَ فِی النَّاقُورِ (۸) فَذلِکَ یَوْمَئِذٍ یَوْمٌ عَسِیرٌ (۹) عَلَی الْکَافِرِینَ غَیْرُ یَسِیرٍ (۱۰)

سبب النّزول

إنّ النفر الذین آذوا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وهم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفیان والولید بن المغیرة والنضر بن الحرث وامیة بن خلف والعاص بن وائل اجتمعوا وقالوا: إنّ وفود العرب یجتمعون فی أیّام الحج ویسألوننا عن أمر محمّد، فکل واحد منّا یجیب بجواب آخر، فواحد یقول مجنون، وآخر یقول کاهن، وآخر یقول شاعر، فالعرب یستدلون باختلاف الأجوبة علی کون هذه الأجوبة باطلة، فتعالوا نجتمع علی تسمیة محمّد باسم واحد، فقال واحد إنّه شاعر، فقال الولید: سمعت کلام عبید بن الأبرص وکلام امیة بن أبی الصلت، وکلامه ما یشبه کلامهما، وقال آخر کاهن، قال الولید ومن الکاهن؟ قالوا الّذی یصدق تارة ویکذب اخری، قال الولید ما کذب محمّد قط، فقال آخر إنّه مجنون، قال الولید ومن یکون المجنون؟

قالوا مخیف الناس، فقال الولید ما أخیف بمحمّد أحد قط، ثم قام الولید وانصرف إلی بیته، فقال الناس صبأ الولید بن المغیرة، فدخل علیه أبو جهل، وقال ما لک یا أبا عبد الشمس؟

هذه قریش تجمع لک شیئاً، زعموا أنّک احتججت وصبأت، فقال الولید: ما لی إلیه حاجة ولکنی فکرت فی محمّد، فقلت إنّه ساحر، لأنّ الساحر هو الّذی یفرق بین الأب وابنه وبین الأخوین، وبین المرأة وزوجها، ثم إنّهم اجتمعوا علی تلقیب محمّد صلی الله علیه و آله بهذا اللقب، ثم إنّهم خرجوا فصرخوا بمکة والناس مجتمعون، فقالوا: إنّ محمّداً لساحر، فوقعت الضجة فی الناس أنّ محمّداً ساحر، فلما سمع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ذلک اشتد علیه، ورجع إلی بیته محزوناً فتدثر بثوبه،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۵

فأنزل اللَّه تعالی «یَا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ» «۱».

التّفسیر

قم وانذر الناس: لا شک من أنّ المخاطب فی هذه الآیات هو النبی صلی الله علیه و آله وإن لم یصرح باسمه، ولکن القرائن تشیر إلی ذلک، فیقول أوّلًا: «یَا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ». فلقد ولی زمن النوم والإستراحة، وحان زمن النهوض والتبلیغ.

ثم یعطی للنبی صلی الله علیه و آله خمسة أوامر مهمة بعد الدعوة إلی القیام والإنذار، تعتبر منهاجاً یحتذی به الآخرون، والأمر الأوّل هو فی التوحید، فیقول: «وَرَبَّکَ فَکَبِّرْ».

ذکر کلمة (ربّ) وتقدیمها علی (کبّر) الذی هو یدل علی الحصر، فلیس المراد من جملة «فکبّر» هو (اللَّه أکبر) فقط، مع أنّ هذا القول

هو من مصاديق التكبير كما ورد فى الروايات، بل المراد منه أنسب ربّك إلى الكبرياء والعظمة اعتقاداً وعملًا، قولًا فعلًا وهو تنزيهه تعالى من كل نقص وعيب، ووصفه بأوصاف الجمال، بل هو أكبر من أن يوصف، ولذا ورد فى الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فى معنى اللَّه أكبر: «اللَّه أكبر من أن يوصف».

ثم صدر الأمر الثانى بعد مسألة التوحيد، ويدور حول الطهارة من الدنس فيضيف:

«وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ». التعبير بالثوب قد يكون كناية عن عمل الإنسان، لأنّ عمل الإنسان بمنزلة لباسه، وظاهره مبين لباطنه.

ويمكن أن يكون المعنى هو اللباس الظاهر، لأنّ نظافة اللباس دليل على حسن التربية والثقافة، خصوصاً فى عصر الجاهلية حيث كان الإجتناب من النجاسة قليلًا وإنّ ملابسهم وسخة غالباً، وكان الشائع عندهم تطويل أطراف الملابس بحيث كان يُسحل على الأرض، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام فى معنى أنّه: «ثيابك فقصر» «۲»، ناظر إلى هذا المعنى.

والحقيقة أنّ الآية تشير إلى أنّ القادة الإلهيين يمكنهم إبلاغ الرسالة عند طهارة جوانبهم من الأدران وسلامة تقواهم، ولذا يستتبع أمر إبلاغ الرسالة والقيام بها أمر آخر، هو النقاء والطهارة.

ويبيّن تعالى الأمر الثالث بقوله: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ».

---

(۱) التفسير الكبير ۳۰/ ۱۸۹.

(۲) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۷۵. مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۶

والأصل أنّ معنى «الرجز» يطلق على الإضطراب والتزلزل، وفى القرآن الكريم غالباً ما استعمل لفظ «الرجز» بمعنى العذاب.

فإنّ للآية مفهوماً جامعاً، وهو الإنحراف والعمل السيء، وتشمل الأعمال التى لا ترضى اللَّه عزّ وجل، والباعثة على سخط اللَّه فى الدنيا والآخرة، ومن المؤكّد أنّ النبى صلى الله عليه و آله قد هجر واتقى ذلك حتى قبل البعثة، وقد جاء هذا الأمر هنا ليكون العنوان الأساس فى مسير الدعوة إلى اللَّه، وليكون للناس اسوة حسنة.

ويقول تعالى فى الأمر الرابع: «وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ».

هنا المتعلق محذوف أيضاً، ويدل على سعة المفهوم وكلّيته، ويشمل المنّة على اللَّه والخلائق، أى فلا تمنن على اللَّه بسعيك واجتهادك.

وبعبارة اخرى: لا تمنن على اللَّه بقيامك بالإنذار ودعوتك إلى التوحيد وتعظيمك للَّه وتطهيرك ثيابك وهجرك الرجز، ولا تستعظم كل ذلك، بل أعلم أنّه لو قدمت خدمة للناس سواءاً فى الجوانب المعنوية كالإرشاد والهداية، أم فى الجوانب المادية كالإنفاق والعطاء فلا ينبغى أن تقدمها مقابل منّة، أو توقع عوض أكبر ممّا أعطيت، لأنّ المنّة تحبط الأعمال الصالحة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى «۱»».

ويشير فى الآية الاخرى إلى الأمر الأخير فى هذا المجال فيقول: «وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ».

أى: اصبر فى طريق أداء الرسالة، واصبر على أذى المشركين الجهلاء، واستقم فى طريق عبودية اللَّه وطاعته، واصبر فى جهاد النفس وميدان الحرب مع الأعداء.

والمعروف أنّ الصبر هو الثروة الحقيقية لطريق الإبلاغ والهداية.

ثم إنّ الآيات الشريفة وفى تعقيب لأمر ورد فىالآيات السابقة فى إطار القيام وإنذار المشركين، تؤكّد مرّة اخرى على الإنذار والتحذير، فيقول تعالى: «فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ* عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ».

ذَرْنِى وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (۱۱) وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُوداً (۱۲) وَ بَنِينَ شُهُوداً (۱۳) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (۱۴) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (۱۵) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (۱۶) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (۱۷)

(۱) سورة البقرة/ ۲۶۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۷

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان: نزلت الآيات فى الوليد بن المغيرة المخزومى، وذلك أنّ قريشاً اجتمعت فى دارالندوة، فقال لهم الوليد: إنّكم ذوو أحساب، وذوو أحلام، وإنّ العرب يأتونكم فينطلون من عندكم، على أمر مختلف. فاجمعوا أمركم على شيء واحد ما تقولون فى هذا الرجل؟ قالوا: نقول إنّه شاعر. فعبس عندها وقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر.

فقالوا: نقول إنّه كاهن. قال: إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة. قالوا: نقول إنّه لمجنون. فقال: إذا تأتونه فلا تجدونه مجنوناً. قالوا: نقول إنّه ساحر. قال: وما الساحر؟ فقالوا:

بشر يحببون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين. قال: فهو ساحر، فخرجوا. فكان لا يلقى أحد منهم النبى صلى الله عليه و آله إلّاقال: يا ساحر، يا ساحر. واشتدّ عليه ذلك فأنزل اللّه تعالى «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» إلى قوله «إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ».

التّفسير

الوليد بن المغيرة ... الثرى المغرور: تواصل هذه الآيات انذار الكفار والمشركين كما فى الآيات السابقة مع فارق، وهو أنّ الآيات السابقة كانت تنذر الكافرين بشكل عام، وهذه تنذر أفراداً معينين بتعابير قوية وبليغة بأشدّ الإنذارات، فيقول تعالى: «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا». والآيات الآتية نزلت فى الوليد بن المغيرة كما قلنا.

ثم يضيف تعالى: «وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا».

وقيل: إنّ أمواله بلغت حدّاً من الكثرة بحيث ملك الإبل والخيول والأراضى الشاسعة ما بين مكة والطائف، وقيل إنّه يملك ضياع ومزارع دائمة الحصاد، وله مائة ألف دينار ذهب، وكل هذه المعانى تجتمع فى كلمة «الممدود».

ثم أشار تعالى إلى قوّته فى قوله: «وَبَنِينَ شُهُودًا».

إذ كانوا يعينونه على حياته، وحضورهم انس وراحة له، إذ كان له عشرة بنين، كما فى الروايات.

ثم يستطرد بذكر النعم التى وهبها له. يقول تعالى: «وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا».

ولم يهبه ما ينفع من المال والأولاد فحسب، بل أغدق عليه ما يريد من جاه وقوّة.

«التمهيد»: من «المهد» وهو ما يستخدم لنوم الطفل، ويطلق على ما يتهيأ من وسائل الراحة والمقام وانتظام الامور.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۸

ولكنّه كفر بما أنعم اللّه عليه وهو بذلك يريد المزيد: «ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ». وليس هذا منحصراً بالوليد، بل إنّ عبيد الدنيا على هذه الشاكلة أيضاً، فلن يروى عطشهم مطلقاً، ولو أعطوا الأقاليم السبعة لما اكتفوا بذلك.

والآية الاخرى تردع الوليد بشدّة، يقول تعالى: «كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيَاتِنَا عَنِيدًا».

ومع أنّه كان يعلم أنّ هذا القرآن ليس من كلام الجن أو الإنس، بل متجذر فى الفطرة، وله جاذبية خاصة وأغصان مثمرة، فكان يعاند ويعتبر ذلك سحراً ومظهره ساحراً.

«العنيد»: من «العناد» وقيل هو المخالفة والعناد مع المعرفة، أى أنّه يعلم بأحقّية الشيء ثم يخالفه عناداً، والوليد مصداق واضح لهذا المعنى.

وأشار فى آخر آية إلى مصيره المؤلم، فيقول تعالى: «سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا».

«سارهقه»: من «الإرهاق» وهو غشيان الشيء بالعنف، وتعنى أيضاً فرض العقوبات الصعبة، جاء بمعنى الإبتلاء بأنواع العذاب، والصعود،

إشارة إلى ما سيناله من سوء العذاب، ويستعمل فى العمل الشاق.

ويحتمل أن يراد به العذاب الدنيوى للوليد بن المغيرة. قال مقاتل: ما زال الوليد بعد نزول الآية فى نقص من ماله وولد حتى هلك «۱».

إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (۱۸) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (۱۹) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (۲۰) ثُمَّ نَظَرَ (۲۱) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (۲۲) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (۲۳) فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (۲۵) «فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ»: فى هذه الآيات توضيحات كثيرة عمّن أعطاه اللّه المال والبنين وخالف بذلك رسول اللّه صلى الله عليه و آله. أى الوليد بن المغيرة. يقول تعالى: «إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ».

«قدّر»: من التقدير، وهو التهيؤ لنظم أمر فى الذهن والتصميم على تطبيقه.

ثم يضيف فى مذمته: «فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ».

بعدئذ يؤكّد ذلك فيضيف: «ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ». وهذا إشارة لما قيل فى سبب النّزول حيث كان يرى توحيد الأقوال فيما يقذف به الرسول صلى الله عليه و آله.

فإنّ تكرار المعنى فى الآيتين دليل على دهاء الوليد فى تفكره الشيطانى، ولذا كانت شدّة تفكره سبباً للتعجب.

---

(۱) تفسير المراغى ۲۹/ ۱۳۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۰۹

بعدئذ يضيف اللّه تعالى: «ثُمَّ نَظَرَ». أى نظر بعد التفكر والتقدير نظرة من يريد أن يقضى فى أمر مهمّ ليطمئن من استحكامه وانسجامه: «ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ* فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ* إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ».

بهذه الأقوال يظهر عداءه للقرآن المجيد، وذلك بعد تفكره الشيطانى، وبقوله هذا صار يمدح القرآن من حيث لا يدرى، إذ أشار إلى جاذبية القرآن الخارقة وتسخيره للقلوب.

على كل حال هو إقرار ضمنى بإعجاز القرآن. وليس للقرآن أى علاقة وتشبيه بأعمال السحرة، فهو كلام رصين عميق المعانى وجذاب لا نظير له كما يقول الوليد، فإنّه ليس من كلام البشر، وإن كان كذلك لكانوا قد أتوا بمثله، وهذا ما دعا إليه القرآن كراراً.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (۲۶) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (۲۷) لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ (۲۸) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (۲۹) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (۳۰) المصير المشؤوم: فى هذه الآيات بيان للعقوبات المؤلمة لمن أنكر القرآن والرسالة، وكذب النبى صلى الله عليه و آله وهو ما أشارت إليه الآيات السابقة فيقول اللّه تعالى: «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ».

«سقر»: فى الأصل من «سقر» على وزن فقر، بمعنى التغير والذوبان من أثر حرارة الشمس، هو من أحد أسماء جهنم، كثير ما ذكر فى القرآن.

ثم يبيّن عظمة وشدّة عذاب النار فيقول: «وَمَا أَدْرَيكَ مَا سَقَرُ». أى إنّ العذاب يكون شديداً إلى حدّ يخرج عن دائرة التصور، ولا يخطر على بال أحدٍ، كما هو الحال فى عدم إدراك عظمة النعم الإلهية فى الجنان.

«لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ». قد تكون هذه الآية إشارة إلى أنّ نار جهنم بخلاف نار الدنيا التى ربّما تركت بعض ما ألقى فيها ولم تحرقه، وإذا نالت إنساناً مثلًا نالت جسمه وصفاته الجسمية وتبقى روحه وصفاته الروحية فى أمان منها، وأمّا «سقر» فلا تدع أحداً ممن ألقى فيها إلّا نالته واحتوته بجميع وجوده، فهى نار شاملة تستوعب جميع من القى فيها.

ثم ينتقل إلى بيان وصف آخر للنار المحرقة فيضيف: «لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ».

إنّها تجعل الوجه مظلماً أسود أشد سواداً من الليل.

«بشر»: جمع بشرة، وتعنى الجلد الظاهر للجسد.

«لوّاحة»: من مادة «لوح» وتعنى أحياناً الظاهر، وأحياناً بمعنى التغيير، ويكون المعنى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۰

بمقتضى التّفسير الأوّل: (أنّ جهنم ظاهرة للعيان). كما جاء فى الآية (۳۶) من سورة النازعات: «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى . وبمقتضى التفسير الثانى يكون المعنى: أنّها تغير لون الجلود.

وفى آخر آية من آيات مورد البحث يقول تعالى: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ».

إنّهم ليسوا مأمورين بالرحمة والشفقة، بل إنّهم مأمورين بالعذاب والغلظة، وأمّا الآية الاخرى التى تليها فإنّها تشير إلى أنّ هذا العدد هم ملائكة العذاب.

ومن هنا يتّضح ضعف وعجز أفكار اناس من قبيل أبى جهل. فى تفسير مجمع البيان:

قالوا: ولما نزلت هذه الآية قال أبوجهل لقريش: ثكلتكم امهاتكم أتسمعون ابن أبى كبشة يخبركم أنّ خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدّهم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فقال أبو الأسد الجمحى: أنا أكفيكم سبعة عشر: عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى فاكفونى أنتم اثنين.

وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَ لَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (۳۱) لِمَ هذا العدد من أصحاب النار: ذكر اللّه سبحانه وتعالى كما قرأنا فى الآيات السابقة عدد خزنة جهنم ومأموريها وهم تسعة عشر نفراً (أو مجموعة)، وكذا قرأنا أنّ ذكر هذا العدد صار سبباً للحديث بين أوساط المشركين والكفار، واتّخذ بعضهم ذلك سخرية، وظنّ القليل منهم أنّ الغلبة على اولئك ليس أمراً صعباً، الآية أعلاه والتى هى أطول آيات هذه السورة تجيب عليهم وتوضح حقائق كثيرة فى هذا الصدد. فيقول تعالى أوّلًا: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَكَةً» «۱». ملائكة أقوياء مقتدرون وكما يعبّر القرآن غلاظ، شداد، قساة، فى مقابل المذنبين بجمعهم الغفير وهم ضعفاء عاجزون.

---

(۱) أصحاب النار: ذكرت هذه العبارة فى كثير من آيات القرآن وكلّها تعنى الجهنميين، إلّافى هذا الموضع فإنّهابمعنى خزنة جهنم، وذكر هذه العبارة يشير إلى أنّ كلمة «سقر» فى الآيات السابقة تعنى جهنم بكاملها وليس قسماً خاصّاً منها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۱

ثم يضيف تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا».

وهذا الإختبار من وجهين:

الأوّل: لأنّهم كانوا يستهزئون بالعدد تسعة عشر، ويتساءلون عن سبب اختيار هذا العدد، فى حين لو وضع عدد آخر لكانوا قد سألوا السؤال نفسه.

والوجه الثانى: أنّهم كانوا يستقلون هذا العدد ويسخرون من ذلك بقولهم: لكل واحد منهم عشرة منّا، لتكسر شوكتهم.

فى حين أنّ ملائكة اللّه وصفوا فى القرآن بأنّ نفراً منهم يؤمرون بإهلاك قوم لوط عليه السلام ويقلبون عليهم مدينتهم.

ثم يضيف تعالى أيضاً: «لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ».

وسكوت هؤلاء اليهود وعدم اعتراضهم على هذا الجواب يدلّ على أنّه موافق لما هو مذكور فى كتبهم، وهذا مدعاة لإزدياد يقينهم بنبوّة النبى صلى الله عليه و آله، وصار قبولهم هذا سبباً فى تمسك المؤمنين بإيمانهم وعقائدهم. لذا تضيف الآية فى الفقرة الاخرى: «وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا».

ثم تعود مباشرة بعد ذكر هذه الآية إلى التأكيد على تلك الأهداف الثلاثة، إذ يعتمد مجدداً على إيمان أهل الكتاب، ثم المؤمنين، ثم

على اختبار الكفار والمشركين، فيقول: «وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهذَا مَثَلًا».

عبارة: «الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ» اطلقت على جميع الكفار والمعاندين والمحاربين لآيات الحق.

ثم يضيف حول كيفية استفادة المؤمنين والكفار والذين فى قلوبهم مرض من كلام اللَّه تعالى؛ فيقول تعالى: «كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ».

إنّ الجمل السابقة تشير بوضوح إلى أنّ المشيئة والإرادة الإلهية لهداية البعض واضلال البعض الأخر ليس اعتباطاً، فإنّ المعاندين والذين فى قلوبهم مرض لا يستحقون إلّا الضلال، والمؤمنون والمسلّمون لأمر اللَّه هم المستحقون للهدى

ويقول فى نهاية الآية: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ».

فالحديث عن التسعة عشر من خزنة النار، ليس لتحديد ملائكة اللَّه تعالى، بل إنّهم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۲

كثيرون جدّاً أنّ الروايات تصفهم أنّهم يملؤون السماوات والأرض. أوّل خطبة فى نهج البلاغة للإمام على عليه السلام حول هذا الموضوع حيث يقول: «ثم فتق ما بين السماوات العلا، فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة، لا يتوهمون ربّهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدّونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر».

كَلَّا وَ الْقَمَرِ (۳۲) وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (۳۳) وَ الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (۳۴) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (۳۵) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (۳۶) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (۳۷) استمراراً للبحث مع المنكرين لنبوّة الرسول صلى الله عليه و آله واليوم الآخر تؤكّد الآيات التالية فى أقسام عديدة على مسألة القيامة والجحيم وعذابها، فيقول تعالى: «كَلَّا وَالْقَمَرِ».

وأقسم بالقمر لأنّه إحدى الآيات الإلهية الكبرى، لما فيه من الخلقة والدوران المعظم والنور والجمال والتغييرات التدريجية الحاصلة فيه لتعيين الأيام باعتباره تقويماً حيّاً كذلك.

ثم يضيف: «وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ». «وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ» «۱».

والليل وإن كان باعثاً على الهدوء والظلام وعنده سرّ عشاق الليل، ولكن الليل المظلم يكون جميلًا عندما يدبر ويتجه العالم نحو الصبح المضيء وآخر السحر، وطلوع الصبح المنهى للّيل المظلم أصفى وأجمل من كل شيء حيث يثير فى الإنسان النشاط ويجعله غارقاً فى النور والصفاء.

هذه الأقسام الثلاثة تتناسب ضمنياً مع نور الهداية (القرآن) واستدبار الظلمات

---

(۱) «أسفر»: من مادة «سفر» على وزن (قفر) ويعنى انجلاء الملابس وانكشاف الحجاب، ولذا يقال للنساء المتبرجات (سافرات) وهذا التعبير يشمل تشبيهاً جميلًا لطلوع الشمس.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۳

الصباح (التوحيد)، ثم ينتهى إلى تبيان ما أقسم من أجله فيقول تعالى: «إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ».

ثم يضيف تعالى: «نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ». لينذر الجميع ويحذرهم من العذاب الموحش الذى ينتظر الكفار والمذنبين وأعداء الحق.

وفى النهاية يؤكّد مضيفاً أنّ هذا العذاب لا يخص جماعة دون جماعة، بل: «لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ». فهنيئاً لمن يتقدم، وتعساً وترحاً لمن يتأخر.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (۳۸) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (۳۹) فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (۴۰) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (۴۱) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (۴۲) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (۴۳) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (۴۴) وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (۴۵) وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (۴۶) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (۴۷) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (۴۸) لِم صرتم من أصحاب الجحيم: إكمالًا للبحث الذى ورد حول النار وأهلها فى الآيات السابقة، يضيف تعالى فى هذه الآيات: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ».

«رهينة»: من مادة «رهن» وهى وثيقة تعطى عادة مقابل القرض، وكأن نفس الإنسان محبوسة حتى تؤدّى وظائفها وتكاليفها، فإن أدت ما عليها فكت وأطلقت، وإلّا فهى باقية رهينة ومحبوسة دائماً. لذا يضيف مباشرة: «إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ».

إنّهم حطموا أغلال وسلاسل الحبس بشعاع الإيمان والعمل الصالح ويدخلون الجنة بدون حساب.

وأصحاب اليمين هم الذين يحملون كتبهم بيمينهم، فهم ذوو إيمان وعمل صالح، وإذا كانت لهم ذنوب صغيرة فإنّها تمحى بالحسنات وذلك بحكم: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» «۱».

فحينئذ تغطّى حسناتهم سيئاتهم أو يدخلون الجنة بلا حساب، وإذا وقفوا للحساب فسيخفف عليهم ذلك ويسهل، كما جاء فى الآية (۷ و ۸) من سورة الإنشقاق: «فَأَمَّا مَنْ

---

(۱) سورة هود/ ۱۱۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۴

أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا».

فى تفسير القرطبى: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «نحن وشيعتنا أصحاب اليمين، وكل من أبغضنا أهل البيت فهم المرتهنون». ثم يضيف مبيّناً جانباً من أصحاب اليمين والجماعة المقابلة لهم: «فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ».

يستفاد من هذه الآيات أنّ الرابطة غير منقطعة بين أهل الجنان وأهل النار، فيمكنهم مشاهدة أحوال أهل النار والتحدث معهم، ولكن ماذا سيجيب المجرومون عن سؤال أصحاب اليمين؟ إنّهم يعترفون بأربع خطايا كبيرة كانوا قد ارتكبوها:

الاولى: «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ». لو كنّا مصلّين لذكّرتنا الصلاة باللّه تعالى، ونهتنا عن الفحشاء والمنكر ودعتنا إلى صراط اللّه المستقيم.

والثانية: «وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ». وهذه الجملة وإن كانت تعطى معنى إطعام المحتاجين، ولكن الظاهر أنّه يراد بها المساعدة والإعانة الضرورية للمحتاجين عموماً بما ترتفع بها حوائجهم كالمأكل والملبس والمسكن وغير ذلك.

وصرّح المفسرون أنّ المراد بها الزكاة المفروضة، لأنّ ترك الإنفاق المستحب لا يكون سبباً فى دخول النار.

والثالثة: «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ». «نخوض»: من مادة «خوض» على وزن (حوض)، وتعنى فى الأصل الغور والحركة فى الماء، ويطلق على الدخول والتلوث بالامور، والقرآن غالباً ما يستعمل هذه اللفظة فى الإشتغال بالباطل والغور فيه.

(الخوض فى الباطل) له معان واسعة فهو يشمل الدخول فى المجالس التى تتعرض فيها آيات اللّه للإستهزاء أو ما تروج فيها البدع، أو المزاح الوقح، أو التحدث عن المحارم المرتكبة بعنوان الإفتخار والتلذذ بذكرها، وكذلك المشاركة فى مجالس الغيبة والإتهام واللهو واللعب وأمثال ذلك، ولكن المعنى الذى انصرفت إليه الآية هو الخوض فى مجالس الإستهزاء بالدين والمقدسات وتضعيفها وترويج الكفر والشرك.

وأخيراً يضيف: «وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَنَا الْيَقِينُ».

من الواضـح أنّ إنكار المعاد ويوم الحساب والجزاء يزلزل جميع القيم الإلهية والأخلاقية، ويشـجع الإنسان على ارتكاب المحارم. على كل حال فإنّ ما يستفاد من هذه الآيات أنّ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۵

الكفـار هم مكلّفون بفروع الـدين، كمـا هم مكلّفون بالاـصول، وكـذلك تشير إلى أنّ الأركـان الأربعـة، أى الصـلاة والزكـاة وترك مجـالس أهـل الباطـل، والإيمـان بالقيامـة لهـا الأثر البالغ فى تربيـة وهدايـة الإنسان، وبهـذا لا يمكن أن يكون الجحيم مكاناً للمصـلين الواقعيين، والمؤتين الزكاة، والتاركين الباطل والمؤمنين بالقيامة.

وفى الآيـة الأخيرة محل البحث إشارة إلى العاقبـة السـيئة لهذه الجماعة فيقول تعالى: «فَمَا تَنفَعُهُمْ شَـفَاعَةُ الشَّافِعِينَ». فلا تنفعهم شـفاعة الأنبياء ورسل اللّه والائمـة، ولا الملائكـة والصـديقين والشـهداء والصالحين، ولأنّها تحتاج إلى عوامل مساعـدة وهؤلاء أبادوا كل هذه العوامل، فالشفاعة كالماء الزلال الذى تسقى به النبتة الفتية، وبديهى إذا ماتت النبتة الفتية، لا يمكن للماء الزلال أن يحييها.

وهذه الآية تؤكّد مرّةً اخرى مسألة الشـفاعة وتنوع وتعدد الشـفعاء عند اللّه، وهى جواب قاطع لمن ينكر الشـفاعة، وكذلك تؤكّد على أنّ للشـفاعة شـروطاً وأنّها لا تعنى اعطاء الضوء الأخضـر لإرتكاب الذنوب، بل هى عامل مساعد لتربية الإنسان وايصاله على الأقل إلى مرحلة تكون له القابلية على التشفع، بحيث لا تنقطع وشائج العلاقة بينه وبين اللّه تعالى والأولياء.

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِـينَ (۴۹) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (۵۰) فَرَّتْ مِنْ قَسْـوَرَةٍ (۵۱) بَلْ يُرِيـدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُـحُفاً مُنَشَّرَةً (۵۲) كَلَّا بَـلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (۵۳) كَلَّا إِنَّهُ تَـذْكِرَةٌ (۵۴) فَمَنْ شَـاءَ ذَكَرَهُ (۵۵) وَ مَـا يَـذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (۵۶) يفرّون من الحق كما تفرّ الحمر من الأسـد: تتابع هذه الآيات ما ورد فى الآيات السابقة من البحث حول مصير المجرمين وأهل النار، وتعكس أوضـح تصوير فى خوف هـذه الجماعـة المعاندة ورعبها من سـماع حديث الحق والحقيقة. فيقول اللّه تعالى أوّلًا: «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ». «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ* فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ».

«حمر»: جمع (حمار) والمراد هنا الحمار الوحشى.

«قسورة»: من مادة «قسر» أى القهر والغلبة، وهى أحد أسماء الأسد.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۶

فإنّ هذه الآية تعبير بالغ عن خوف المشركين وفرارهم من الآيات القرآنية المربية للروح، فشبههم بالحمار الوحشى لأنّهم عديمو العقل والشعور، وكذلك لتوحشّهم من كل شىء، فى حين أنّه ليس مقابلهم سوى التذكرة.

«بَلْ يُرِيـدُ كُلُّ امْرِيٍ مِّنْهُمْ أن يُؤْتَى صُـحُفًا مُّنَشَّرَةً». وذلـك لتكبرهم وغرورهم الفارغ بحيث يتوقعون من اللّه تعالى أن ينزل على كل واحد منهم كتاباً.

وهذا نظير ما جاء فى الآية (۹۳) من سورة الإسراء: «وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ».

ولـذا يضـيف فى الآيـة الاـخرى: «كَلَّا». ليس كمـا يقولون ويزعمون، فإنّ طلب نزول مثل هـذا الكتاب وغيره هى من الحجـج الواهيـة، والحقيقة: «بَل لَّايَخَافُونَ الْأَخِرَةَ».

والحق يقال إنّ الإيمان بعالم البعث والجزاء وعذاب القيامة يهب للإنسان شخصـية جديدة يمكنه أن يغير إنساناً متكبراً ومغروراً وظالماً إلى إنسان مؤمن متواضع ومتقٍ عادل.

ثم يؤكّد القرآن على أنّ ما يفكرون به فيما يخصّ القرآن هو تفكّر خاطىء: «كَلَّا إِنَّهُتَذْكِرَةٌ* فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ».

وفى الوقت نفسه لا يمكن ذلك إلّابتوفيق من اللّه وبمشـيئته تعالى: «وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ». يعنى أنّ الإنسان لا يمكنه الحصول على طريق الهداية إلّابالتوسل باللّه تعالى وطلب الموفقية منه.

وفى النهايـة يقول: «هُوَ أَهْـلُ التَّقْوَى وَأَهْـلُ الْمَغْفِرَةِ». فهو أهـل لأن يخافوا من عقابه وأن يتقوا فى اتّخاذهم شـريكاً له تعالى شأنه، وأن

يأملوا مغفرته، وفى الحقيقة، أنّ هذه الآية إشارة إلى الخوف والرجاء والعذاب والمغفرة الإلهية، وهى تعليل لما جاء فى الآية السابقة.

وهناك احتمالًا آخر، وهو أن تؤخذ التقوى بمعناها الفاعلى، أى أنّ اللَّه أهل للتقوى من كل أنواع الظلم والقبح ومن كل ما يخالف الحكمة، وما عند العباد من التقوى هو قبس ضعيف من ما عند اللَّه.

إنّ الآية قد بدأت بالإنذار والتكليف، وانتهت بالدعوة إلى التقوى والوعد بالمغفرة.

«نهاية تفسير سوره المدّثّر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۷

۷۵. سورة القيامة

محتوى السورة: كما هو واضح من اسم السورة فإنّ مباحثها تدور حول مسائل ترتبط بالمعاد ويوم القيامة إلّابعض الآيات التى تتحدث حول القرآن والمكذبين، وأمّا الآيات المرتبطة بيوم القيامة فإنّها تجتمع فى أربعة محاور:

۱- المسائل المرتبطة بأشراط الساعة.

۲- المسائل المتعلقة بأحوال الصالحين والطالحين فى ذلك اليوم.

۳- المسائل المتعلقة باللحظات العسيرة للموت والإنتقال إلى العالم الآخر.

۴- الأبحاث المتعلقة بالهدف من خلق الإنسان ورابطة ذلك بمسألة المعاد.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبريل له يوم القيامة أنّه كان مؤمناً بيوم القيامة، وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أدمن قراءة لا اقسم وكان يعمل بها، بعثها اللَّه يوم القيامة معه فى قبره، فى أحسن صورة تبشر وتضحك فى وجهه حتى يجوز الصراط والميزان».

والجدير بالملاحظة أنّ ما كنّا نستوحيه من الروايات الواردة فى فضائل تلاوة السور القرآنية قد صرّح بها الإمام هنا فى هذه الرواية حيث يقول: «من أدمن قراءة لا اقسم وكان يعمل بها»، ولذا فإنّ كل ذلك هو مقدمة لتطبيق المضمون.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۸

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (۱) وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (۲) أ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (۳) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (۴) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (۵) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (۶) قسماً بيوم القيامة والنفس اللوامة: تبدأ هذه السورة بقَسمين غزيرين بالمعانى، فيقول تعالى: «لَاأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيمَةِ* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ».

وفى العلاقة والرابطة الموجودة بين القسمين؛ الحقيقة أنّ أحد دلائل وجود «المعاد» هو وجود «محكمة الوجدان» الموجودة فى أعماق الإنسان، والتى تنشط وتسر عند الإقدام لإنجاز عمل صالح، وبهذه الطريقة تثيب صاحبها وتكافئه، وعند إرتكاب الأعمال السيئة والرذيلة فإنّها سوف تقوم بتقريع صاحبها وتأنّبه وتعذبه إلى حدّ أنّه قد يقدم على الإنتحار للتخلص ممّا يمرّ فيه من عذاب الضمير.

عندما يكون (العالم الصغير) أى وجود الإنسان محكمة فى قلبه، فكيف يمكن للعالم الكبير أن لا يملك محكمة عدل عظمى

فمن هنا نفهم وجود البعث والقيامة بواسطة وجود الضمير الأخلاقى، ومن هنا تتّضح الرابطة الظريفة بين القَسَمين. وبعبارة اخرى: فإنّ القسم الثانى هو دليل على القسم الأوّل.

ثم يستفهم تعالى فى الآية الاخرى للتوبيخ فيضيف: «أَيَحْسَبُ الْإِنسنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوّىَ بَنَانَهُ».

ويمكن أن يكون ذلك إشارة لطيفة إلى الخطوط الموجودة فى أطراف الأصابع والتى نادراً ما تتساوى هذه الخطوط عند شخصين.

وفى الآية الاخرى إشارة إلى أحد العلل الحقيقة لإنكار المعاد فيقول: «بَلْ يُرِيدُ الْإِنسنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ». إنّهم يريدون أن يكذبوا بالبعث

وينكروا المعاد، ليتسنى لهم الظلم وارتكاب المحارم والتنصل عن المسؤولية أمام الخلق.

ثم يضيف بعد ذلك: «يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيمَةِ».

أجل، إنّه يستفهم مستنكراً عن وقوع يوم القيامة ويهرب ممّا كُلّف به لكى يفسح لنفسه طريق الفجور أمامه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۱۹

بحث

محكمة الضمير أو القيامة الصغرى نستفيد من آيات القرآن المجيد أنّ للنفس الإنسانية ثلاث مراحل:

۱- النفس الأمارة: وهى النفس العاصية التى تدعو الإنسان إلى الرذائل والقبائح باستمرار، وتزيّن له الشهوات.

۲- النفس اللوامة: وهى ما اشير إليها فى الآيات التى ورد البحث فيها، وهى نفس يقظة وواعية نسبياً، فهى تزل أحياناً لعدم حصولها على حصانة كافية مقابل الذنوب، وتقع فى شبك الآثام إلّاأنّها تستيقظ بعد فترة لتتوب وترجع إلى مسير السعادة.

وهذا هو ما يذكرونه تحت عنوان (الضمير الأخلاقى) ويكون هذا قوياً جدّاً عند بعض الأفراد، وضعيفاً وعاجزاً عند آخرين، ولكن النفس اللوامة لا تموت بكثرة الذنوب عند أى إنسان.

۳- النفس المطمئنة: وهى النفس المتكاملة المنتهية إلى مرحلة الإطمئنان والطاعة والمنتهية إلى مقام التقوى والإحساس بالمسؤولية وليس من السهل انحرافها.

إنّ النفس اللوامة هى كالقيامة الصغرى فى داخل الروح والتى تقوم بمحاسبة الإنسان، ولذا تحس أحياناً بالهدوء والإستقرار بعد القيام بالأعمال الصالحة وتمتلىء بالسرور والفرح والنشاط.

هذه المحكمة الداخلية العجيبة لها شبه عجيب بمحكمة القيامة.

أ) إنّ القاضى والشاهد والمنفذ للأحكام واحد، كما فى يوم القيامة: «عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ» «۱».

ب) إنّ هذه المحكمة ترفض كل توصية ورشوة وواسطة، كما هو الحال فى محكمة يوم القيامة، فيقول تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّاتَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» «۲».

ج) إنّ محكمة الضمير تحقق وتدقق فى الملفات المهمّة بأقصر مدّة وتصدر الحكم بأسرع وقت، وهذا هو ما نقرأهُ أيضاً فى محكمة البعث: «وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَامُعَقّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» «۳».

---

(۱) سورة الزمر/ ۴۶.

(۲) سورة البقرة/ ۴۸.

(۳) سورة الرعد/ ۴۱. مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۰

د) مجازاتها وعقوباتها ليست كعقوبات المحاكم الرسمية العالمية، فإنّ شرر النيران تتقد فى الوهلة الاولى فى أعماق القلب والروح، ثم تسرى إلى الخارج، فتعذب روح الإنسان أوّلًا، ثم تظهر آثارها فى الجسم وملامح الوجه وطبيعة النوم والأكل، فيعبّر تعالى عن ذلك فى قوله:

«نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» «۱».

ه) عدم إحتياج هذه المحكمة إلى شهود، بل إنّ المعلومات التى يعطيها الإنسان المتهم بنفسه والذى يكون شاهداً على نفسه هى التى تقبل منه، نافعة كانت له أم ضارة؛ كما تشهد ذرات وجود الإنسان حتى يداه وجلده على أعماله فى محكمة البعث، فيقول تعالى:

«حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم» «۲».

وهذا التشبيه العجيب بين المحكمتين دليل آخر على فطرية الإعتقاد بالمعاد، لأنّه كيف يمكن أن يكون فى الإنسان الذى يعتبر قطرة

صغيرة في محيط الوجود العظيم هكـذا حسـاب ومحـاكم مليئـة بـالرموز والأسـرار في حين لاـ يوجـد حساب ومحاكم في هـذا العالم الكبير؟ فهذا ما لا يصدق.

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١۴) وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١۵) أنهت الآيات السابقـة بسؤال كان قـد وجهه المنكرون للبعث يوم القيامـة، وهو يوم القيامـة متى يأتى ذلك اليوم؟ وهـذه الآيات هى التى تجيب عن هذه السؤال.

فتشير أوّلًا إلى الحوادث السابقـة للبعث، أى إلى التحول العظيم وإنعـدام القوانين فى الأنظمـة الكونية فيقول تعالى: «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ».

بمعنى اضطراب العين ودورانها من شدّة الخوف والرعب: «وَخَسَفَ الْقَمَرُ* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ».

وفى ما يراد بالجمع بين الشـمس والقمر، فيحتمل أن ينجـذب القمر تـدريجياً بواسـطة الشـمس باتجاهها ثم اجتماعهما معاً بعـد ذلك، وينتهى بالتالى ضياؤهما.

---

(١) سورة الهمزة/ ۶ و ٧.

(٢) سورة فصّلت/ ٢٠.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٣٢١

فيقـول تعـالى فى سـورة التكوير: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». أى إذا أظلمت الشـمس، ونعلم أنّ ضوء القمر من الشـمس، وعنـدما يزول نور الشمس يزول بذلك نور القمر، وبالتالى تدخل الكرة الأرضية فى ظلام دامس وعتمة مرعبة.

وبهـذه الطريقـة والتحول العظيم ينتهى العالم، ثم يبـدأ بعث البشـرية بتحول عظيم آخر (بنفخـة الصور الثانيـة والتى تعتبر نفخة الحياة)، فيقول الإنسان فى ذلك اليوم: «يَقُولُ الْإِنسنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ».

أجل، الكفرة والمـذنبون الـذين كـذبوا بيوم الدين يبحثون عن ملجأ فى ذلك اليوم لشدّة خجلهم، ويطلبون سـبل الفرار لثقل خطاياهم وخوفهم من العذاب.

ولكن سرعان ما يقال لهم: «كَلَّا لَاوَزَرَ» «١».

فلا ملجأ إلّاإلى اللَّه تعالى: «إِلَى رَبّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ».

عندئذٍ يضيف فى إدامة هذا الحديث: «يُنَبَّؤُا الْإِنسنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ».

والمراد من هـاتين العبـارتين هو ما قـدم من الأعمال فى حياته، أو الآثار الباقيـة منه بعـد موته، ممّا ترك بين الناس من السـنن الصالحة والسيئة والتى يعملون ويسـيرون بها ووصول حسـناتها وسـيئاتها إليه، أو الكتب والمؤلفات والأبنيـة القائمة على الخير والشـرّ، والأولاد الصالحين والطالحين التى تصل آثارهم إليه.

فى تفسير على بن إبراهيم: فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى قوله «يُنَبَّؤُا الْإِنسنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ» قال: «بما قدم من خير وشـرّ وما أخر مما سن من سـنّة ليسـتنّ بها من بعده فإن كان شرّاً كان عليه مثل وزرهم، ولا ينقص من وزرهم شىء، وإن كان خيراً كان له مثل اجورهم، ولا ينقص من اجورهم شىء».

ثم يضـيف فى الآيـة الاـخرى ويقول: إنّ اللَّه وملائكته يطلعون العباد على أعمالهم، وإن كان لا يحتاج إلى ذلك، لأنّ نفسه وأعضاءه هم الشهود عليه فى ذلك اليوم، فيقول تعالى: «بَلِ الْإِنسنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ».

سياق هذه الآيات هو نفس سياق الآيات التى تشير إلى شهادة الأعضاء على أعمال الإنسان، كالآية (٢٠) من سورة فصّلت، حيث يقول اللَّه تعالى: «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

(۱) «وزر»: تعنى فى الأصل الملاجىء الجبلية وأمثالها، وتعنى فى هذه الآية كل نوع من الملجأ والمخبأ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۲

وعلى هذا فإنّ أفضل شاهد على الإنسان فى تلك المحكمة الإلهية للقيامة هو نفسه، لأنّه أعرف بنفسه من غيره. «معاذير»: جمع (معذرة) وتعنى فى الأصل البحث عمّا تمحى به آثار الذنوب، وقد تكون أحياناً أعذاراً واقعية، واخرى صورية وظاهرية.

إنّ الآيات مفهومها واسع، ولذا فإنّها تشمل عالم الدنيا، وتعلم الناس بأحوال أنفسهم وإنّه كان فيهم من يكتم ويغطى وجهه الحقيقى بالكذب والإحتيال والتظاهر والمراء.

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (۱۹) إنّ علينا جمعه وقرآنه: هذه الآيات بمثابة الجملة الإعتراضية التى تتداخل أحياناً فى كلام المتحدث، حيث يترك اللّه تعالى الحديث عن القيامة وأحوال المؤمنين والكفرة مؤقتاً، ليعطى تذكرة مختصرة للنبى صلى الله عليه و آله حول القرآن فيقول: «لَاتُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ».

فى تفسير هذه الآية نقل عن ابن عباس أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان إذا نزل عليه الوحى ليقرأ عليه القرآن، تعجّل بقراءته ليحفظه وذلك لحبّه الشديد للقرآن، فنهاه اللّه عن ذلك وقال: «إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ».

ثم يضيف: «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ».

وبالتالى لا تقلق على جمع القرآن، نحن نجمعه ونتلوه عليك بواسطة الوحى.

ثم يقول تعالى: «فَإِذَا قَرَأْنهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ». ثم يضيف: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ».

فيكون جمع القرآن وقراءته لك وتبيينه وتفصيل معانيه بعهدتنا، فلا تقلق على شيء، فالذى أنزل الوحى هو الذى يحفظه.

وهذه الآيات تبيّن ضمنياً أصالة القرآن، وحفظه من أى تغيير وتحريف، لأنّ اللّه تعالى تعهد بجمعه وقراءته وتبيينه.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (۲۰) وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (۲۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (۲۲) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (۲۳) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (۲۴) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (۲۵) ترجع هذه الآيات مرّة اخرى لتكمل البحوث المتعلقة بالمعاد، وخصوصيات اخرى من

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۳

القيامة، وكذلك تبيّن علل إنكار المعاد فيقول تعالى: «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ». فليس الأمر كما يتصور من أنّ دلائل المعاد خفيّة ولا يمكنكم الاطّلاع عليها، بل إنّكم عشقتم الدنيا. ولهذا السبب تركتم الآخرة: «وَتَذَرُونَ الْأَخِرَةَ».

إنّ الشك فى قدرة اللّه تعالى وجمع العظام وهى رميم ليس هو الدافع لإنكار المعاد، بل إنّ حبّكم الشديد للدنيا والشهوات والميول المغرية هى التى تدفعكم إلى رفع الموانع عن طريق ملذاتكم، وبما أنّ المعاد والشريعة الإلهية توجد موانع وحدوداً كثيرة على هذا الطريق، لذا تتمسكون بإنكار أصل الموضوع، وتتركون الآخرة بتمامها.

وهاتان الآيتان تؤكّدان ما ورد فى الآيات السابقة والتى قال فيها تعالى شأنه: «بَلْ يُرِيدُ الْإِنسنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ». وقال أيضاً: «يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيمَةِ».

ثم ينتهى إلى تبيان أحوال المؤمنين الصالحين والكفار المسيئين فى ذلك اليوم، فيقول تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ».

«ناضرة»: من مادة «نضرة» وتعنى البهجة الخاصة التى يحصل عليها الإنسان عند وفور النعمة والرفاه، ووفورها يلازم السرور والجمال والنورانية.

هذا من ناحية العطايا المادية، وأمّا عن العطايا الروحية فيقول تعالى: «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ». نظرة بعين القلب وعن طريق شهود الباطن، نظرة تجذبهم إلى الذات الفريدة وإلى ذلك الكمال والجمال المطلقين، وتهبهم اللذة الروحانية والحال الذى لا يوصف.

فى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «إذا دخل أهل الجنة، الجنة قال اللّه تبارك وتعالى: تريدون شيئاً

أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟

قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزّ وجل».

وفى النقطة المقابلة لهذه الجماعة المؤمنة، هناك جماعة تكون وجوههم مقطبة. «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ».

فعندما ينظر الكافرون إلى علامات العذاب وصحائف أعمالهم الخالية من الحسنات والمملوءة بالسيئات، يصيبهم الندم والحسرة والحزن ويعبسون وجوههم لذلك. «تَظُنُّ أن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ».

إنّ هذا التعبير كناية للعقوبات الثقيلة والتى تنتظر هذه الجماعة فى جهنم، لكن إنّ الجماعة السابقة منتظرون لرحمة اللّه تعالى ومستعدون للقاء المحبوب. هؤلاء لهم أسوأ العذاب.

وأولئك لهم أسمى النِعم الجسمانية والمواهب واللذات الروحانية.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۴

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (۲۶) وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ (۲۷) وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (۲۸) وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (۲۹) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (۳۰)

إتماماً للأبحاث المرتبطة بالعالم الآخر ومصير المؤمنين والكفار يأتى الحديث فى هذه الآيات عن لحظة الموت المؤلمة والتى تعتبر باباً إلى العالم الآخر فيقول تعالى: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ». أى كلّا إنّه لا يؤمن حتى تصل روحه التراقى.

هو ذلك اليوم الذى تنفتح فيه عينه البرزخية، وتزال عنها الحجب، ويرى فيها علامات العذاب والجزاء، ويوقف على أعماله، ففى تلك اللحظة يقرّ بالإيمان ولكن إيمانه لا ينفعهُ ولا يفيد حاله أبداً.

«تراقى»: جمع «ترقوة»، وهى العظام المكتنفة للنحر عن يمين وشمال، وبلوغ الروح إلى التراقى كناية عن اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان.

وفى هذه الفترة يسعى أهله وأصدقائه مستعجلين قلقين لانقاذه. يقول تعالى: «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ». أى هل هناك من منقذ يأتى لإنقاذ هذا المريض؟

ويقولون هذا الحديث عن وجه العجز واليأس، والحال أنّهم يعلمون أنّه قد فات الآوان ولا ينفع معه طبيب.

«راق»: من مادة «رقى» على وزن (نهى) و (رقيه) على وزن (خفيه) وهو الصعود، ولفظة (رقيه) تطلق على الأوراد والأدعية التى تبعث على نجاة المريض.

وفى الآية التالية إشارة إلى اليأس الكامل للمحتضر فيقول تعالى: «وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ».

أى: فى هذه الحالة يصاب باليأس من الحياة واليقين بالفراق. ثم: «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ».

وهذا الإلتفاف إمّا لشدّة الأذى لخروج الروح، أو لتوقف عمل اليدين والرجلين وتعطيل الروح منها.

ثم يقول تعالى فى آخر آية من آيات البحث: «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ». أجل، إلى اللّه تعالى المرجع حيث يحضر الخلائق عند محكمة العدل الإلهية، وهكذا ينتهى المطاف إليه، وهذه الآية أيضاً تأكيد على مسألة المعاد والبعث الشامل للعباد، ويمكن أن تكون إشارة إلى الحركة التكاملية للخلائق وهى متجهة نحو الذات المقدسة واللامتناهية.

لحظة الموت المؤلمة: يستفاد من القرآن أنّ لحظة الموت لحظة صعبة ومؤلمة، والمستفاد

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۵

من الروايات أنّ هذه اللحظة سهلة على المؤمنين، وصعبة ومؤلمة على فاقدى الإيمان.

فى عيون أخبار الرضا عليه السلام عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «قيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت. فقال: للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعى ولدغ العقارب أو أشدّ».

فَلَا صَدَّقَ وَ لَا صَلَّى (۳۱) وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (۳۲) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (۳۳) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (۳۴) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (۳۵)

أ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (۳۶) أ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (۳۷) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى (۳۹) أ لَيسَ ذلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (۴۰) استمراراً للبحوث المتعلقة (بالموت) الذى يعتبر الخطوة الأولى فى السفر إلى الآخرة يتحدث القرآن فى هذه الآيات عن خواء أيدى الكفار من الزاد لهذا السفر. فيقول أوّلًا:

«فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى . أى إنّ هذا الإنسان المنكر للمعاد لم يؤمن اطلاقاً ولم يصدّق بآيات اللَّه ولم يصلّ له.

وقال تعالى: «وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى .

المراد من جملة «فَلَا صَدَّقَ» عدم التصديق بالقيامة والحساب والجزاء والآيات الإلهية والتوحيد ونبوّة النبى صلى الله عليه و آله.

ويضيف تعالى فى الآية الاخرى: «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى .

إنّه يظنّ بعدم اهتمامه للنّبى صلى الله عليه و آله وتكذيبه إيّاه وللآيات الإلهية قد حقق نصراً باهراً، إنّه كان ثملًا من خمرة الغرور، واتجه إلى أهله لينقل لهم كالعادة ما كان قد حدث وليفتخر بما صدر منه، وكان سيره وحركته تشيران إلى الكبر والغرور.

«يتمطى : من مادة «مطا» وأصله الظهر، و (تمطى مدّ الظهر عن غرور ولا مبالاة، أو عن كسل، والمراد هنا هو المعنى الأوّل.

ثم يخاطب القرآن أفراداً كهؤلاء ويهددهم فيقول تعالى: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى .

فى المجمع: وجاء الرواية أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أخذ بيد أبى جهل ثم قال له: «أولى لك فأولى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۶

ثم أولى لك فأولى . فقال أبو جهل: بأى شىء تهددنى لا تستطيع أنت ولا ربّك أن تفعلا بى شيئاً، وإنّى أعزّ أهل هذا الوادى، فأنزل اللَّه سبحانه كما قال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ثم ينتهى القرآن فى هذا البحث إلى استدلالين لطيفين حول المعاد وأحدهما عن طريق (الحكمة الإلهية وهدف الخلقة)، والآخر عن طريق بيان قدرة اللَّه فى تحول وتكامل نطفة الإنسان فى المراحل المختلفة لعالم الجنين، فيقول تعالى عن المرحلة الاولى: «أَيَحْسَبُ الْإِنسنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى». «سدى : على وزن (هدى وهو المهمل الذى لا هدف له.

والمراد من (الإنسان) فى هذه الآية هو المنكر للمعاد والبعث، فيكون معنى الآية: كيف يخلق اللَّه هذا العالم العظيم للإنسان ولا يكون له هدف ما؟ كيف يمكن ذلك والحال أنّ كل عضو من أعضاء الإنسان خلق لهدف خاص. ولكن يحسب أن لا هدف فى خلق كل ذلك.

ثم إنتهى إلى تبيان الدليل الثانى، فيضيف تعالى: «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مَّنِىّ يُمْنَى . وبعد هذه المرحلة واستقرار المنى فى الرحم يتحول إلى قطعة متخثرة من الدم، وهى العلقة، ثم إنّ اللَّه تعالى يخلقها بشكل جديد ومتناسب وموزون: «ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى .

ولم يتوقف على ذلك: «فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى .

أليس من يخلق النطفة الصغيرة القذرة فى ظلمة رحم الام ويجعله خلقاً جديداً كل يوم، ويلبسه من الحياة لباساً جديداً ويهبه شكلًا مستحدثاً ليكون بعد ذلك إنساناً كاملًا ذكراً أو انثى ثم يولد من امّه، بقادر على إعادته: «أَلَيْسَ ذلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِىَ الْمَوْتَى .

وهذا البيان فى الواقع هو لمن ينكر المعاد الجسمانى ويعده محالًا، وينفى العودة إلى الحياة بعد الموت والدفن، ولإثبات ذلك أخذ القرآن بيد الإنسان ليرجعه إلى التفكر ببداية خلقه، والمراحل العجيبة للجنين ليريه تطورات هذه المراحل، وليعلم أنّ اللَّه قادر على كل شىء.

«نهاية تفسير سورة القيامة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۷

۷۶. سورة الإنسان

محتوى السورة: يمكن تقسيم مباحث السورة إلى خمسة أقسام:

۱- يتحدث عن إيجاد الإنسان وخلقه من نطفة أمشاج (مختلطة)، وكذلك عن هدايته وحرية إرادته.

۲- يدور الحديث فيه عن جزاء الأبرار والصالحين، وسبب النزول الخاص بأهل البيت عليهم السلام.

۳- تكرار الحديث عن دلائل استحقاق الصالحين لذلك الثواب في عبارات مؤثرة.

۴- يشير إلى أهمّية القرآن وسبيل إجراء أحكامه ومنهج تربية النفس الشاق.

۵- جاء الحديث فيه عن حاكمية المشيئة الإلهية (مع حاكمية الإنسان).

ولهذه السورة أسماء عديدة؛ أشهرها: (الإنسان) و (الدهر) و (هل أتى ، وهذه الكلمات وردت في أوائل السورة، وإن كانت الروايات الواردة في فضيلتها والتي سوف يأتي ذكرها، قد ذكرت اسم (هل أتى لهذه السورة.

فضيلة تلاوة السورة: في تفسير مجمع البيان عن النبي صلى الله عليه و آله قال: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على اللَّه جنّة وحريراً».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من قرأ سورة هل أتى في كل غداة خميس زوّجه اللَّه من الحور العين مائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وكان مع محمّد صلى الله عليه و آله».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۸

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (۱) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (۲) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (۳) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَ أَغْلَالًا وَ سَعِيراً (۴) تتحدث الآيات الاولى عن خلق الإنسان، بالرغم من أنّ أكثر بحوث هذه السورة هي حول القيامة ونعم الجنان، فتحدثت في البدء عن خلق الإنسان، لأنّ التوجه والإلتفات إلى هذا الخلق يهيىء الأرضية للتوجه إلى القيامة والبعث كما شرحنا ذلك سابقاً في تفسير سورة القيامة. فيقول تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسنِ حِينٌ مّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيًا مَّذْكُورًا».

والمراد من الإنسان هنا هو نوع الإنسان، ويشمل بذلك عموم البشر.

ثم يأتي خلق الإنسان بعد هذه المرحلة، واعتبار ذكره، فيقول تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنهُ سَمِيعًا بَصِيرًا».

ولعلّ ذكر خلق الإنسان من النطفة المختلطة إشارة إلى اختلاط ماء الذكور والإناث، وقد اشير إلى ذلك في روايات المعصومين عليهم السلام بصورة إجمالية؛ أو أنّها إشارة إلى القابليات المختلفة الموجودة داخل النطفة من ناحية العوامل الوراثية عن طريق الجينات؛ أو أنّها إشارة إلى اختلاط المواد التركيبية المختلفة للنطفة، لأنّها تتركب من عشرات المواد المختلفة، أو اختلاط جميع ذلك مع بعضها البعض، والمعنى الأخير أجمع وأوجه.

«نبتليه»: إشارة إلى وصول الإنسان إلى مقام التكليف والتعهد وتحمل المسؤولية والإختبار والإمتحان.

وبما أنّ الإختبار والتكليف لا يتمّ إلّابعد الحصول على المعرفة والعلم فقد أشار في آخر الآية إلى وسائل المعرفة، العين والاذن التي أودعها سبحانه وتعالى في الإنسان وسخرها له.

إنّ اختبار الإنسان بحاجة إلى عاملين آخرين، هما: «الهداية» و «الإختبار» بالإضافة إلى المعرفة ووسائلها، فقد أشارت الآية التالية إلى ذلك: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا». إنّ للهداية هنا معنى واسعاً، فهي تشمل «الهداية التكوينية» و «الهداية الفطرية» وكذلك «الهداية التشريعية» وإن كان سياق الآية يؤكّد على الهداية التشريعية.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۲۹

وأشارت الآية الأخيرة من آيات البحث إلى الذين سلكوا طريق الكفر والكفران فتقول:

«إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلسِلَا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا».

«سلاسل»: جمع (سلسلة)، وهی القید الذی یقاد به المجرم؛ و «الأغلال»: جمع (غل)، وهی الحلقة التی توضع حول العنق أو الیدین وبعد ذلک یُقفل بالقید.

إنّ ذکر الأغلال والسلاسل ولهیب النیران المحرقة تبیان للعقوبات التی یعاقب بها المجرمون، وهو ما اشیر إلیه فی کثیر من آیات القرآن ویشمل ذلک العذاب والذل.

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (۵) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (۶) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (۷) وَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (۸) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُوراً (۹) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (۱۰) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً (۱۱)

سبب النزول

البرهان العظیم علی فضیلة أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله: قال ابن عباس: إنّ الحسن والحسین مرضا فعادهما الرسول صلی الله علیه و آله فی ناس معه، فقالوا: یا أبا الحسن لو نذرت علی ولدیک، فنذر علی وفاطمة وفضة جاریة لهما إن برئا مما بهما أن یصوموا ثلاثة أیام فشفیا وما کان معهم شیء، فاستقرض علی علیه السلام من شمعون الخیبری الیهودی ثلاث أصواع من شعیر، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص علی عددهم، فوضعوها بین أیدیهم لیفطروا فوقف علیهم سائل، فقال: السلام علیکم، أهل بیت محمّد، مسکین من مساکین المسلمین، أطعمونی أطعمکم اللَّه من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم یذوقوا إلّاالماء وأصبحوا صیاماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بین أیدیهم وقف علیهم یتیم فآثروه، ووقف علیهم أسیر فی الثالثة عند الغروب، ففعلوا مثل ذلک، فلمّا أصبحوا أخذ علی بید الحسن والحسین وأقبلوا إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فلمّا أبصرهم وهم یرتعشون کالفراخ من شدّة الجوع، قال: «ما أشدّ ما یسوؤنی ما أری بکم». وقام فانطلق معهم، فرأی فاطمة فی محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عیناها، فساءه ذلک، فنزل جبرئیل وقال: خذها یا محمد، هنّأک اللَّه فی أهل بیتک فأقرأه السورة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۰

وقیل: إنّ الذی نزل من الآیات یبدأ من: «إِنَّ الْأَبْرَارَ» حتی «كَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا» ومجموعها (۱۸) آیة.

ما أوردنا هو نص الحدیث الذی جاء فی کتاب «الغدیر» بشیء من الإختصار کقدر مشترک وهذا الحدیث من بین أحادیث کثیرة نقلت فی هذا الباب، وذکر فی الغدیر أنّ الروایة المذکورة قد نقلت عن طریق (۳۴) عالماً من علماء أهل السنّة المشهورین.

وعلی هذا، فإنّ الروایة مشهورة، بل متواترة عند أهل السنة «۱».

واتفق علماء الشیعة علی أنّ السورة أو ثمان عشرة آیة من السورة قد نزلت فی حق علی وفاطمة علیهما السلام، وأوردوا هذه الروایة فی کتبهم العدیدة واعتبروها من مفاخر الروایات الحاکیة عن فضائل أمیر المؤمنین وفاطمة والحسن والحسین علیهم السلام.

التّفسیر

جزاء الأبرار العظیم: أشارت الآیات السابقة إلی العقوبات التی تنتظر الکافرین بعد تقسیمهم إلی جماعتین وهی «الشکور» و «الکفور»، والآیات فی هذا المقطع تتحدث المکافآت التی أنعم اللَّه بها علی الأبرار وتذکّر بامور ظریفة فی هذا الباب. فیقول تعالی: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يُشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا».

«الأبرار»: جمع (بر) وأصله الإتّساع، واطلق البر علی الصحراء لاتساع مساحتها، وتطلق هذه المفردة علی الصالحین الذین تکون نتائج أعمالهم واسعة فی المجتمع.

«کافور»: له معان متعددة فی اللغة، وأحد معانیها المعروفة الرائحة الطیبة کالنبتة الطیبة الرائحة.

فإنّ الآیة تشیر إلی أنّ هذا الشراب الطهور معطّر جدّاً فیلتذ به الإنسان من حیث الذوق والشم.

ثم یشیر إلی العین التی یملؤون منها کؤوسهم من الشراب الطهور فیقول: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا».

هـذه العين من الشـراب الطهور وضـعها اللّه تعالى تحت تصـرفهم، فهى تجرى أينما شاءوا، والظريف هو ما نقل- فى أمالى الصدوق- عن أبى جعفر الباقر عليه السلام إذ قال فى وصفها: «هى

---

(۱) نقلت هـذه الروايهٔ فى كتاب الغدير ۳/ ۱۰۷- ۱۱۱؛ وفى كتـاب إحقاق الحق ۳/ ۱۵۷- ۱۷۱ عن (۳۶) نفر من علماء أهل السنّهٔ مع ذكر المأخذ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۱

عين فى دار النبى تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين».

نعم، فكمـا تتفجر عيون العلم والرحمـهٔ من بيت النبى صـلى الله عليه و آله وتجرى إلى قلوب عبـاد اللّه الصـالحين، كـذلك فى الآخرهٔ حيث التجسّم العظيم لهذا المعنى تتفجر عين الشراب الطهور الإلهى من بيت الوحى، وتنحدر فروعها، إلى بيوت المؤمنين!

ثم تتناول الآيات الاخرى ذكر أعمال «الأبرار» و «عباد اللّه» مع ذكر خمسـهٔ صـفات توضّـح سـبب اسـتحقاقهم لكل هـذه النعم الفريدهٔ فيقول تعالى: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا».

جملهٔ (يوفون) و (يخافون) والجمل التى تليها جاءت بصيغهٔ الفعل المضارع وهذا يشير إلى استمراريهٔ وديمومهٔ منهجهم.

وخوفهم من شرّ ذلك اليوم، وآثار هذا الإيمان ظاهرهٔ فى أعمالهم بصورهٔ كاملهٔ.

ثّم يتناول الصفهٔ الثالثهٔ لهم فيقول: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا».

لم يكن مجرد اطعـام، بل اطعام مقرون بالإيثار العظيم عنـد الحاجـهٔ الماسّـهٔ للغـذاء، ومن جهـهٔ اخرى فهو إطعام فى دائرهٔ واسـعهٔ حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين واليتيم والأسير، ولهذا كانت رحمتهم عامّهٔ وخدمتهم واسعهٔ.

فإنّ ما يسـتفاد من الآيهٔ أنّ أفضل الأعمال إطعام المحرومين والمعوزين، ولا يقتصـر على اطعام الفقراء من المسلمين فحسب بل يشمل حتى الأسرى المشركين أيضاً وقد اعتبر إطعامهم من الخصال الحميدهٔ للأبرار.

والخصلهٔ الرابعهٔ للأبرار هى الإخلاص، فيقول: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَانُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا».

إنّ هـذا المنهـج ليس منحصـراً بالإطعام، إذ إنّ جميع أعمالهم خالصهٔ لوجه اللّه تعالى، ولا يتوقعون من الناس شـكراً وتقديراً. وأساسـاً فإنّ قيمهٔ العمل فى الإسلام بخلوص النيهٔ وإلّا فإنّ العمل إذا كان بدوافع غير الهيهٔ، فليس لذلك ثمن معنوى وإلهى.

ويقول فى الوصف الأـخير للأـبرار: «إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا». (أى الشديـد) من المحتمل أن يكون هـذا الحـديث لسان حال الأبرار، أو قولهم بألسنتهم.

وجاء التعبير عن يوم القيامهٔ بالعبوس والشديد للإستعارهٔ، إذ أنّها تستعمل فى وصف

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۲

الإنسان الـذى يقبض وجهه وشـكله ليؤكـد على هول ذلك اليوم، أى أنّ حوادث ذلك اليوم تكون شديـدهٔ إلى درجـهٔ أنّ الإنسان لا يكون فيه عبوساً فحسب، بل حتى ذلك اليوم يكون عبوساً أيضاً. وأشارت الآيـهٔ الأخيرهٔ فى هذا البحث إلى النتيجهٔ الإجماليهٔ للأعمال الصالحهٔ والنيّات الطاهرهٔ للأبرار فيقول: «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا».

«نضـرهٔ»: بمعنى البهجـهٔ وحسن اللون والسـرور الخـاص الـذى يظهر عنـد وفور النعمـهٔ والرفاه على الإنسـان. وبمـا أنّهم كـانوا يحسّون بالمسؤوليهٔ ويخافون من ذلك اليوم الرهيب، فإنّ اللّه تعالى سوف يعوضهم بالسرور وبالبهجهٔ.

وَ جَزَاهُمْ بِمَـا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً (۱۲) مُتَّكِئِينَ فِيهَـا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَـمْساً وَ لَا زَمْهَرِيراً (۱۳) وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (۱۴) وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (۱۵) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (۱۶) وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (۱۷) عَيْناً فِيهَا تُسَـمَّى سَلْسَبِيلًا (۱۸) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْـدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِـبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (۱۹) وَ إِذَا

رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (۲۰) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (۲۱) إِنَّ هـذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (۲۲) مكافئات الجنان العظيمـة: بعـد الإشارة الإجماليـة فى الآيات السابقـة إلى نجاة الأبرار من العـذاب الأليم يوم القيامـة، ووصولهم إلى لقاء المحبوب والغرق بالسـرور والبهجـة، تتناول هذه الآيات شـرح هذه المواهب الإلهية فى الجنان، وعددها فى هذه على الأقل خمسة عشرة نعمة، فتتحدث فى البدء عن المسكن والملبس فتقول: «وَجَزَيهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا».

وليس فقط فى هذه الآية، بل صرح بهذه الحقيقة فى آيات اخرى من القرآن، وهو أنّ مكآفات القيامة إنّما تعطى للإنسان لصبره (صبر فى الطاعة، وصبر عن المعصـية، وصبر عند المصائب). فنجد سـلام الملائكة لأهل الجنان فى الآية (۲۴) من سورة الرعد: «سَلَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ».

مختصر الامثل ج۵ ۳۶۹

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۳

ثم يضيف سبحانه فى الآية التالية: «مُّتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَايَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا».

ولا يعنى هذا انعدام الشمس والقمر فى الجنان، بل بسبب ظلال أشجار الجنان لا تكون أشعة الشمس مؤذية.

«زمهرير»: من مادة «زمهر» وهو البرد الشديد، أو شدّة الغضب أو احمرار العين من أثر الغضب، والمراد هنا هو المعنى الأوّل.

«أرائك»: جمع «أريكة»، وتطلق فى الأصل على الأسرّة التى توضع فى غرفة العروس، والمراد هنا الأسرّة الجميلة والفاخرة.

عن ابن عباس: بينا أهل الجنة فى الجنة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشـمس، وقد أشـرقت الجنان به فيقول أهل الجنة يا رضوان ما هذا؟ وقد قال ربّنا «لَايَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا»، فيقول لهم رضوان: ليس هذا بشـمس، ولا قمر، ولكن على وفاطمة ضـحكا، فأشـرقت الجنان من نور ثغريهما «۱».

وتضيف الآية الاخرى متمّمة لهذه النعم: «وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا».

ليست هنا من مشكلة لقطف الثمار، ولا شوكة لتدخل فى اليد، ولا تحتاج ذلك إلى مشقّة أو حركة.

ثم توضـح الآيـة الاخرى كيفيـة اسـتضافة أصـحاب الجنان، وأدوات الضـيافة، والمسـتقبلين لهم، فيقول: «وَيُطَافُ عَلَيْهِم بَانِيَةٍ مّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا* قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا».

تحتوى هـذه الآنيـة على أنواع الأغذيـة والأشـربة المتعـددة الأصـناف واللذيـذة والباعثـة على النشاط، بالقـدر الـذى يشاؤونه ويحبّونه، والولدان المخلدون يطوفون عليهم ليعرضوا عليهم الآنية والأكواب المليئة بما وعدهم اللَّه بها.

ثم يضيف تعالى: «وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا».

صرح الكثير من المفسرين بأنّ عرب الجاهلية كانوا يتلذذون بالشراب الممزوج بالزنجبيل، لأنّه كان يعطى قوّة خاصة للشراب.

---

(۱) روح المعانى ۲۹/ ۱۵۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۴

ويتحـدث القرآن هنـا عن الشـراب الطهور الممزوج بالزنجبيل، ومن البـديهى أنّ الفرق بين هـذا الشـراب وذلك الشـراب كالفرق بين الدنيا والآخرة.

ثم يضيف تعالى: «عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا».

«سلسبيلا»: هو الشراب الهنىء واللذيذ جدّاً الذى ينحدر بسهولة فى الحلق.

ثم يتحـدث عن المسـتقبلين فى هـذا الحفل البهيج المقام بجوار اللَّه فى النعيم الأعلى فيقول تعالى: «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا

رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا».

إنّهم مخلدون فی الجنان، وطراوة شبابهم ونشاطهم خالد أیضاً، وکذا استقبالهم للأبرار، لأنّ عبارة (مخلدون) وعبارة (یطوف علیهم) من جهة اخری تبیان لهذه الحقیقة.

«لؤلؤاً منثوراً»: یراد به الإشارة إلی جمالهم وصفائهم وإشراق وجوههم وکذلک حضورهم فی کل مکان من المحفل الإلهی والروحانی.

وبما أنّ من المحال وصف النعم والمواهب للعالم الآخر مهما بلغ الکلام من البیان والبلاغة، ولذا یقول تعالی فی الآیة الاخری کلاماً مطلقاً: «وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا».

إلی هنا اشیر إلی قسم من نعم الجنان، وحان الآن دور زینة أهل الجنان فیقول تعالی:

«عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ».

«سندس»: ثوب رقیق من الحریر؛ و «الإستبرق»: ثوب غلیظ من الحریر.

ثم أضاف تعالی: «وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ».

وهی الفضة الشفافة اللامعة کالبلور وأجمل من الیاقوت والدر واللؤلؤ.

«اساور»: جمع «أسورة» وهی بدورها جمع (سوار) علی وزن (غبار)، أو «سوار» علی وزن (حوار) وأخذ فی الأصل من الکلمة الفارسیة، (دستوار) وعند انتقالها إلی العربیة تغیّرت واختصرت وجاءت بصورة (سوار).

ثم یقول تعالی فی نهایة الآیة مشیراً إلی آخر نعمة وأهمّها من سلسلة النعم: «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا».

فی المجمع عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «یطهرهم عن کل شیء سوی اللّه».

وفی روضة الکافی روی عن النبی صلی الله علیه و آله حول عین مطهرة مزکیة المستقرة علی باب الجنة، قال: «فیسقون منها شربة فیطهر اللّه بها قلوبهم من الحسد، ویسقط من أبشارهم الشعر وذلک قول اللّه عزّ وجل: «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا»».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۵

وفی آخر آیة من آیات البحث یتحدث حدیثاً أخیراً فی هذا الإطار فیقول: إنّه یقال لهم من قبل ربّ العزّة بأنّ هذه النعم العظیمة ما هی إلّاجزاء أعمالکم فی الدنیا: «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا». لئلا یتصور أحد أنّ هذا الجزاء وهذه المواهب العظیمة تعطی من دون مقابل، إنّ کل ذلک جزاء السعی والعمل، وثمرة الریاضات وجهاد النفس وبناء الذات وترک المعاصی.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (۲۳) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (۲۴) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (۲۵) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (۲۶) خمسة مبادیء مهمة فی تنفید حکم اللّه: شرعت السورة منذ البدایة وحتی هذه الآیة فی تبیان خلق الإنسان ثم المعاد والبعث، وفی هذه الآیات مورد البحث یتوجه الخطاب إلی الرسول صلی الله علیه و آله باصدار أوامر مؤکّدة لهدایة الناس والصبر والثبات فی هذا الطریق، وفی الواقع إنّ هذه الآیات تشیر إلی أنّ نیل کل تلک النعم والمواهب الاخرویة لا یتمّ إلّابالتمسک بالقرآن وإتباع النبی واطاعة أوامره. یقول فی البدء: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا».

ثم یأمر النبی صلی الله علیه و آله بأمور خمسة، أوّلها الدعوة إلی الصبر والإستقامة فیقول: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ». أی لا تخف من المشاکل ومن موانع الطریق وکثرة الأعداء وعنادهم واستقم فی سیرک علی الصراط المستقیم.

والأمر الثانی الموجّه للنبی صلی الله علیه و آله هو تحذیره من أی توافق مع المنحرفین، فیقول تعالی:

«وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا».

فی الحقیقة أنّ هذا الحکم هو تأکید ثان علی الحکم الأوّل، لأنّ جموع الأعداء کانوا یسعون بطرق مختلفة للتوافق مع النبی وجرّه إلی طریق الباطل، کما نقل أنّ عتبة بن ربیعة والولید بن المغیرة قالا لرسول اللّه: إن ترکت دعوتک، فإنّنا سنغنیک حتی ترضی، ونزوّجک

أجمل بنات العرب، وعروض اخرى من هذا القبيل، فما كان على الرسول صلى الله عليه و آله هنا باعتباره المرشد الحقيقى والعظيم إلّاأن يقف أمام هذه الوساوس الشيطانية والتهديدات التى صدرت منهم بعد ذلك، ولا يستسلم للترغيب أو الترهيب.

ولكن بما أنّ الصبر والإستقامة فى مقابل هذه المشكلات العظيمة ليس بالأمر اليسير،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۶

كان من الضرورى لسلوك هذا الطريق التزّود بنوعين من الزاد، لذا يضيف القرآن فى الآية الاخرى: «وَاذْكُرِ اسْمَ رَبّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا». أى فى كل صباح ومساء. ويقول تعالى أيضاً: «وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا». لتتوفر لديك فى ظل ذلك الذكر وهذا السجود والتسبيح قوّة كافية وقدرة معنوية لمواجهة مشاكل هذا الطريق.

فإنّ هاتين الآيتين تأكيد لضرورة التوجه الدائم والمستمر لذات اللَّه المقدسة.

ويجب هنا الإلتفات إلى أنّ الأوامر الخمسة المذكورة فى الآيات أعلاه وإن ذكرت بصورة منهج للنّبى صلى الله عليه و آله، فهى فى الحقيقة دستوراً يحتذى به كل من يخطو فى مسير قيادة المجتمع البشرى، إنّهم يجب أن يعلموا بعد الإيمان الكامل بأهدافهم ورسالتهم بضرورة احتراف الصبر والإستقامة، وأن لا يستوحشوا من كثرة مشاكل الطريق، لأنّ هداية المجتمع من المشاكل العظيمة.

وفى المرحلة الاخرى يجب الثبات التام أمام الوساوس الشيطانية والتى تعتبر مصداقاً للآثم والكفور، والثبات أمام سعيهم فى حرف القادة والأئمة بأنواع الحيل والمكائد، وأن لا ينخدعوا بالتطميع ولا يتأثروا بالتهديد، ويذكروا اللَّه تعالى فى كل المراحل لاكتساب القدرة الروحية وقوّة الإرادة والعزم الراسخ، والاستمداد من العبادات الليلية، والمناجات مع اللَّه، فإذا ما روعيت هذه الامور فالنصر حتمى، وحتى لو عرضت مصيبة أو هزيمة فإنّه يمكن إصلاحها من خلال هذه الاصول، ومنهج الرسول صلى الله عليه و آله وسلوكه فى دعوته نموذج مؤثر لجميع السالكين فى هذا الطريق.

إِنَّ هؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا (۲۷) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (۲۸) إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (۲۹) وَ مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (۳۰) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (۳۱) تحذير مع بيان السبيل: رأينا فى الآيات السابقة تحذيراً للنبى صلى الله عليه و آله لكى لا يقع تحت تأثير كل آثم أو كفور من المجرمين. الآيات اعلاه عرّفت الأعداء بشكل أكثر وقالت: «إِنَّ هؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۷

لا تتعدى افق أفكارهم دائرة الطعام والنوم والشهوة، وتمثل هذه اللذائذ المادية الرخيصة أسمى غاية لهم فى الحياة. والعجيب أنّهم قاسوا روح النبى العظيمة بهذا المقياس.

الآية التالية تحذرهم من الاغترار بقوّتهم وقدرتهم، إذ إنّ اللَّه الذى أعطاهم إيّاها قادر على أن يستردها بسرعة متى شاء، فيقول تعالى: «نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا».

هنا يشير القرآن إلى نقطة حساسة، وهى جهاز الأعصاب الصغيرة والكبيرة التى تشدّ العضلات فيما بينها كالحبال الحديدية وتربط بعضها بالبعض الآخر، وحتى المفاصل والعضلات المختلفة وقطع العظام الصغيرة والكبيرة وأعضاء الإنسان بحيث يتكون من مجموع ذلك إنسان كامل الخلقة مهيأ للقيام بأية فعالية، وعلى كل حال فهذه الجملة كناية عن القدرة والقوّة.

وتوضّح هذه الآية ضمناً استغناء ذات اللَّه المقدسة، عنهم، وعن طاعتهم وإيمانهم، ليعلموا أنّ الإصرار على دعوتهم للايمان فى الحقيقة هو من رحمة اللَّه بهم.

ثم أشار تعالى إلى جميع البحوث الواردة فى هذه السورة والتى تشكل بمجموعها برنامجاً متكاملًا للحياة السعيدة، فيقول تعالى: «إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا».

إنّ علينا إيضاح الطريق، لا اجبار كم على اختيار الطريق، وعليكم تمييز الحق من الباطل بما لـديكم من العقل والإدراك، واتخاذ القرار بإرادتكم واختياركم، وهذا تأكيداً على ما جاء فى صدر السورة فى قوله: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا».

وقـد يتوهّم بعض السـذّج من العبـارة أعلاه أنّهـا تعنى التفويض المطلق للعباد، فجاءت الآيـة التاليـة لتنفى هـذا التصور وتضـيف: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا».

وهـذا فى الحقيقـة إثبات لأصل مشـهور هو (الأمر بين الأمرين)، إذ يقول من جهـة: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ». فعليكم أن تختاروا ما تريدون، ويضـيف من جهـة اخرى: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ». أى ليس لكم الإسـتقلال الكامل، بل إنّ قـدرتكم واستطاعتكم وحريتكم لا تخرج عن دائرة المشيئة الإلهية، وهو قادر على أن يسلب هذه القدرة والحرية متى شاء.

من هذا يتّضح أنّه لا جبر ولا تفويض فى الأوامر، بل إنّها حقيقة دقيقة وظريفة بين

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۸

الأمرين. أو بعبارة اخرى: إنّها نوع من الحرية المرتبطة بالمشـيئة الإلهية، إذ يمكن سـلبها متى يشاء ليتسـنى للعباد تحمل ثقل المسؤولية الذى يعتبر رمزاً للتكامل من جهة، ومن جهة اخرى أن لا يتوهموا استغنائهم عن اللَّه تعالى.

ولعلّ آخر الآيـة: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا». يشـير حكمه إلى هـذا المعنى، لأنّ حكمة اللَّه تسـتوجب إعطاء الحرية للعباد فى سـلوك طريق التكامـل، وإلّـا فـإنّ التكامـل الإجبـارى لا يعـدّ تكاملًا، بالإضافـة إلى أنّ حكمـة اللَّه لا تتفق مع فرض الأعمال الخيرة على اناس وفرض الأعمال الشريرة على اناس آخرين، ثم إنّه يثيب الجماعة الاولى ويعاقب الثانية.

ثم تشـير الآية الاخرى بعد ذلك إلى مصـير الصالحين والطالحين، إذ تقول الآية: «يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

والظريف أنّ صدر الآية يقول: «يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ»، ويقول ذيلها:

«وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»، وهذا يشـير إلى أنّ مشـيئته تعالى بعقوبة الإنسان تتبع مشيئة الإنسان للظلم والمعاصى، وبقرينة المقابلة يتّضـح أنّ مشـيئته تعالى فى الرحمـة تتبع إرادة الإنسان فى الإيمان والعمل الصالـح وإقامة العدل، ولا يمكن أن يكون هذا الأمر إلّامن حكيم.

«نهاية تفسير سورة الإنسان»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۳۹

۷۷. سورة المرسلات

محتوى السورة: إنّ أكثر محتويـات هـذه السورة تـدور حول المسائـل المرتبطـة بالقيامـة وتهديـد وإنـذار المشـركين والمنكرين، ومن خصائص هـذه السورة تكرار الآيـة: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ» عشـر مرّات بعـد كل موضوع جديد، وتنبىء السورة بعد ذكر الأقسام عن القيامة والحوادث الصعبة للبعث، ثم تذكر عقب ذلك هذه الآية: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ».

وتتحدث السورة أوّلًا عن الوقائع المؤسفة للأقوام المذنبين الأوائل.

ثم تتحدث ثانياً عن جانب من خصوصيات خلق الإنسان.

وفى المرحلة الثالثة عن بعض المواهب الإلهية فى الأرض.

وفى الرابعـة تشـرح السورة جانباً من عذاب المكذبين، وفى كل من هذه المراحل إشارة إلى مواضـيع موقظة ومحركة، ثم تأكيد تلك الآيـة بعـد ذكر كـل موضوع من هـذه المواضـيع، وحتى أنّه أشـار فى قسم من ذلـك إلى نعم الجنـان للمتقين ليمزج الإنـذار بالبشـارة والترهيب بالترغيب.

فإنّ هـذا التكرار يـذكر بتكرار بعض الآيات فى سورة الرحمن باختلاف أنّ الكلام هناك يدور عن النعم، أمّا فى هذه السورة فغالباً ما تتحدث عن عذاب المكذبين.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۰

اختيار اسم (المرسلات) لهذه السورة، هو لتناسبه مع الآية الاولى لهذه السورة.

فضـيلة تلاوة السورة: فى تفسـير مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السـلام قال: «من قرأها عرّف اللّه بينه وبين محمّد صلى الله عليه و آله».

لا شك أنّ الثواب والفضيلة تكون لمن يقرؤها ويتفكر ويعمل بها.

فى الخصـال للصـدوق عن ابن عبـاس قـال: قـال أبو بكر: يـا رسول اللّه! أسـرع إليك الشـيب؟ قال صـلى الله عليه و آله: «شـيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون».

والملاحظ أنّ جميع هـذه السور تعكس أحوال القيامـة والمسائل المهولة لتلك المحكمة العظيمة، وهذه هى التى تركـت أثراً فى روح النبى المقدسة.

من البديهى أنّ القراءة بدون تدبّر وتصميم على العمل لا يمكن أن تترك مثل هذا الأثر.

وَ الْمُرْسَـلَاتِ عُرْفاً (١) فَالْعَاصِـفَاتِ عَصْفاً (٢) وَ النَّاشِـرَاتِ نَشْـراً (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً (۴) فَالْمُلْقِيَـاتِ ذِكْراً (۵) عُـذْراً أَوْ نُـذْراً (۶) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْـلِ (١٣) وَ مَـا أَدْرَاكَ مَـا يَوْمُ الْفَصْلِ (١۴) وَيْلٌ يَوْمَئِـذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١۵) ذكرت فى صـدر السورة ابتـداءً خمسةُ أقسام، وذلك فى خمس آيات. وهناك كلام كثير فى تفسير معانيها. يقول تعالى: «وَالْمُرْسَلتِ عُرْفًا» «١». أى قسماً بالتى تُرسل تباعاً.

«فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا» التى تُسرع فى حركتها كالعاصفة.

«وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا» ... التى توسّع وتنشر ما وكّلت به.

«فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا» ... التى تفرق وتفصل.

«فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا» التى تلقى بالآيات الموقظة والمذكرّة.

«عُذْرًا أَوْ نُذْرًا» إمّا لاتمام الحجة أو للانذار.

القسم الأوّل والثانى ناظر إلى الرياح والأعاصير، والقسم الثالث والرابع والخامس

---

(١) «عرفاً»: بمعنى متتابعاً، وأصله بمعنى (عرف الفرس) المتساقط بعضها على البعض الآخر، وفُسر أحياناً بالعمل الحسن والمعروف.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۱

يتعلق بنشـر آيات الحق بواسـطة الملائكـة، ثم فصل الحق عن الباطل، وبعد ذلك إلقاء الذكر والأوامر الإلهية على الأنبياء بقصد إتمام الحجّة والإنذار.

والآن لابدّ أن نرى الغرض من هذه الأيمان، الآية التالية ترفع الستار عن هذا المعنى، فتقول: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ».

إنّ البعث والنشور، والثواب والعقاب والحساب والجزاء كلّها حق لا ريب فيه.

ثم ينتهى إلى تبيـان علامـات ذلك اليـوم الموعـود، فيقـول: إذا تحقق ذلـك اليوم الموعود فـإنّ النجوم سوف تنطفىء وتمحى «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ». «وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ» أى انشقت.

«وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ». أى زالت وانقلعت من مكانها.

«طمست»: من مادة «طمس» وهو محو وزوال آثار الشىء؛ وهنا إشارة إلى محو نور النجوم.

«نسفت»: من مادة «نسف»- على وزن حذف- وفى الأصل، بمعنى وضع حبوب الغذاء فى الغربال وتحريكه لعزل القشور عن الحبوب، ويعنى هنا تفتيت الجبال ثم نسفها فى الريح، ونستوحى من بعض آيات القرآن المجيد أنّ انقراض العالم يلازم وقوع حوادث مهولة بحيث يتلاشى نظام العالم بكامله، وحلول نظام الآخرة الجديد مكان ذلك النظام.

ثم أشار القرآن بعد ذلك إلى ما يجرى فى البعث، فيضيف: وفى ذلك الوقت يتمّ تعيين وقت للأنبياء والرسل ليأتوا إلى ساحة المحشر ويدلوا بشهادتهم: «وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ» «۱».

وهو كقوله: «فَلَنَسَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» «۲».

ثم يضيف تعالى: «لِأَىّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ». أى لماذا تمّ تأخير هذه الشهادة ولأى وقت؟

ثم يقول: «لِيَوْمِ الْفَصْلِ». يوم فصل الحق عن الباطل، فصل صفوف المؤمنين عن الكافرين، والأبرار عن الأشرار، ويوم حكم اللّه المطلق على الجميع.

ثم يبيّن عظمة ذلك اليوم أيضاً، فيقول تعالى: «وَمَا أَدْرَيكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ».

إنّ الرسول صلى الله عليه و آله بعلمه الواسع وبنظره الحاد الذى كان يرى من خلاله أسرار الغيب لم يكن مطلعاً بصورة كاملة على أبعاد عظمة ذلك اليوم، فكيف بسائر الناس.

---

(۱) «اقّتت» أصلها «وقّتت» من مادة «وقت»، ويعنى توقيت الوقت لرسل اللّه تعالى.

(۲) سورة الأعراف/ ۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۲

وفى آخر آية من آيات بحثنا هدد اللّه تعالى المكذبين بيوم القيامة تهديداً شديداً وقال:

«وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ».

«ويل»: قيل هو الهلاك، وقيل المراد به العذاب المتنوع، وقيل هو وادٍ فى جهنم مليء بالعذاب؛ وتستخدم هذه الكلمة عادة فيما يخص الحوادث المؤسفة، وهنا تحكى الآية عن مصير المكذبين المؤلم فى ذلك اليوم.

المراد بالمكذّبين هنا هم المكذبون بيوم القيامة.

أ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (۱۶) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (۱۷) كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (۱۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۹) أ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (۲۰) فَجَعَلْنَاهُ فِى قَرَارٍ مَكِينٍ (۲۱) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُوم (۲۲) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (۲۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۲۴) أ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً (۲۵) أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتاً (۲۶) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ شَامِخَاتٍ وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً (۲۷) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۲۸) هذه الآيات أيضاً تحذّر وبطرق مختلفة المنكرين للبعث، وتوقظهم ببيانات مختلفة من نوم الغفلة العميق؛ فتأخذ بأيديهم أوّلًا إلى ما مضى من التاريخ لتريهم الأراضى المترامية الأطراف التى كانت ملكاً للأقوام السابقين، فيقول تعالى: «أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ».

إنّ آثارهم واضحة على صفحات البسيطة. وليس على صفحات التاريخ فحسب.

«ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْأَخِرِينَ». لأنّها سنّة مستمرة لا تبعيض فيها ولا استثناء، وهل يمكن أن يعاقب جماعة لجرم ما، ويقبل ذلك الجرم من آخرين؟!

ولذا يضيف تعالى فى الآية الاخرى: «كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ».

هذه الآية هى بمنزلة بيان الدليل على هلاك الامم الاولى ويستتبعه هلاك الامم الاخرى، لأنّ العذاب الإلهى ليس فيه جانب الثأر ولا الإنتقام الشخصى. بل إنّه تابع لأصل الإستحقاق ومقتضى الحكمة.

ثم يضيف مستنتجاً: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ».

«یومئذ»: إشارة إلی یوم البعث الذی یعاقب فیه المکذبون بالعقوبات الشدیدة، والتکرار هو لتأکید المطلب.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۳

ثم یمسک القرآن بأیدیهم لیأخذهم إلی عالم الجنین ویریهم عظمة اللّه وقدرته وکثرة مواهبه فی هذا العالم الملیء بالأسرار، لیفهموا قدرة اللّه تعالی علی المعاد والبعث من جهة وأنّهم غارقون فی نعمه اللامتناهیة من جهة اخری، فیقول تعالی: «أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِینٍ». أی تافه وحقیر: «فَجَعَلْنهُ فِی قَرَارٍ مَّکِینٍ».

مقرّ فیه ضمان لجمیع ظروف الحیاة والتربیة والنمو والمحافظة علی نطفة الإنسان، فهو عجیب وظریف وموزون بحیث یثیر إعجاب کل إنسان.

ثم یضیف تعالی: إنّ بقاء النطفة فی ذلک المکان المکین والمحفوظ إنّما هو لمدة معینة: «إِلَی قَدَرٍ مَّعْلُومٍ».

مدة لا یعلمها إلّااللّه تعالی، مدة مملوءة بالتغیرات والتحولات الکثیرة بحیث ترتدی النطفة فی کل یوم لباساً جدیداً من الحیاة یؤدّی به إلی التکامل فی داخل ذلک المخبأ.

ثم یستنتج من قدرته تعالی علی خلق الإنسان الکامل والشریف من نطفة حقیرة بأنّ اللّه تعالی نعم القادر: «فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ».

وهذا الدلیل اعتمده القرآن مرات عدیدة لإثبات مسألة المعاد منها قوله تعالی فی أوّل سورة الحج: «یَا أَیُّهَا النَّاسُ إِن کُنتُمْ فِی رَیْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاکُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَیِّنَ لَکُمْ وَنُقِرُّ فِی الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَی أَجَلٍ مُّسَمًّی ثُمَّ نُخْرِجُکُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ یُحْیِ الْمَوْتَی وَأَنَّهُ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ».

ثم یعود فی النهایة لیکرر تلک الآیة وهو قوله: «وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِّلْمُکَذِّبِینَ». الویل لُاولئک الذین یرون آثار قدرة اللّه تعالی ثم ینکرونها.

ثم یقول تعالی: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفَاتًا* أَحْیَاءً وَأَمْوَاتًا».

«کفات»: علی وزن (کتاب)، و «کفت» علی وزن (کشف) هو جمع وضم الشیء للآخر، ویقال أیضاً لسرعة طیران الطیور «کفات» لجمعه لأجنحته حال الطیران السریع حتی یتمکن من شق الهواء والتقدم أسرع.

والمراد هو أنّ الأرض مقر لجمیع البشر، إذ تجمع الأحیاء علی ظهرها وتهییء لهم جمیع ما یحتاجونه، وتضم أمواتهم فی بطنها، فلو أنّ الأرض لم تکن مهیئة لدفن الأموات لسببت العفونة والأمراض الناتجة منها فاجعة لجمیع الأحیاء.

ثم یشیر تعالی إلی إحدی النعم الإلهیة العظیمة فی الأرض، فیضیف: «وَجَعَلْنَا فِیهَا

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۴

رَوَاسِیَ شَامِخَاتٍ» «۱». هذه الجبال التی قاربت بارتفاعها السماء، واتصلت اصولها بالبعض الآخر قد لزمت الأرض کالدرع من جهة لحفظها من الضغط الداخلی والضغوط الناتجة من الجزر والمد الخارجی، ومن جهة اخری تمنع اصطکاک الریاح مع الأرض حیث تمدّ قبضتها فی الهواء لتحرکه حول نفسها وکذلک تنظم حرکة الأعاصیر والریاح من جهة ثالثة، ولهذا تکون الجبال باعثة علی إستقرار أهل الأرض.

وفی آخر الآیة إشارة إلی إحدی البرکات الاخری للجبال فیضیف تعالی: «وَأَسْقَیْنَاکُم مَّاءً فُرَاتًا». ماءاً سائغاً وباعثاً للحیاة، لکم ولحیواناتکم ولبساتینکم.

فإنّ کثیراً من العیون والقنوات هی من الجبال، ومصدر الأنهار العظیمة هو من الجلید المتراکم علی قمم الجبال، حیث تعتبر من الذخائر المائیة المهمّة للإنسان.

ثم یقول فی نهایة هذا القسم: «وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِّلْمُکَذِّبِینَ».

اولئک الذین ینکرون کل هذه الآیات وعلامات قدرة اللّه التی یرونها بأعینهم، وکذلک یشاهدون النعم الإلهیة التی غرقوا فیها، ثم ینکرون البعث ومحکمة القیامة التی هی مظهر العدل والحکمة الإلهیة.

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۲۹) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِی ثَلَاثِ شُعَبٍ (۳۰) لَا ظَلِیلٍ وَ لَا یُغْنِی مِنَ اللَّهَبِ (۳۱) إِنَّهَا تَرْمِی بِشَرَرٍ کَالْقَصْرِ (۳۲) کَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (۳۳) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۳۴) هذَا یَوْمُ لَا یَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لَا یُؤْذَنُ لَهُمْ فَیَعْتَذِرُونَ (۳۶) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۳۷) هذَا یَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاکُمْ وَ الْأَوَّلِینَ (۳۸) فَإِنْ کَانَ لَکُمْ کَیْدٌ فَکِیدُونِ (۳۹) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۴۰) فی هذه الآيات تبيان لمصير المكذبين بيوم القيامة، والمنكرين لتلك المحكمة الإلهية العادلة، تبيان يدخل الرعب والرهبة فی قلب الإنسان، ويوضح أبعاد الفاجعة. يقول تعالى:

«انطَلِقُوا إِلَى مَا کُنتُم بِهِ تُکَذّبُونَ». انطلقوا إلى جهنم التی طالما كنتم تستهزئون بها، توجهوا

---

(۱) «رواسی»: جمع راسية، وهی الثابتات؛ و «شامخات»: جمع شامخ، أی عال، وتأتی بعض العبارات كالقول (شمخ بأنفه) كناية عن التكبر (مفردات الراغب).

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۵

إلى أنواع العذاب التی هيئتموها بأعمالكم السيئة.

ثم يعمد إلى مزيد من التوضيح حول هذا العذاب، فيقول سبحانه: «انطَلِقُوا إِلَى ظِلّ ذِی ثَلثِ شُعَبٍ». توجهوا نحو ظلّ من دخان خانق له ثلاث شعب: شعبة من الأعلى، وشعبة من الجهة اليمنى، وشعبة من الجهة اليسرى، وعلى هذا الأساس فإنّ دخان النار المميت هذا يحيط بهم من كل جانب ويحاصرهم.

ثم يقول تعالى: «لَّاظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ». فليس فی هذا الظل راحة، ولا يمنع من الإحتراق بالنار لأنّه نابع من النار.

ثم يضيف وصفاً آخر لتلك النار المحرقة: «إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ». ليس كشرر نار هذه الدنيا التی لا تكون أحياناً إلّابمقدار رأس الإبرة.

ثم ينتهی فی الآية الاخرى إلى وصف آخر من أوصاف هذه النار المحرقة، فيقول تعالى:

«كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ».

وإذا كان الشرر هكذا، فكيف بالنار المحرقة نفسها، وما جعل من العذاب الأليم فی تلك النار؟!

ويعود مرة اخرى فی آخر قسم من الآيات لينبّه بذلك التنبيه المكرر، فيقول: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذّبِينَ».

ثم يبدأ فصلًا آخر من علامات ذلك اليوم المهول، فيضيف تعالى: «هذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ».

نعم، إنّ اللَّه يختم فی ذلك اليوم على أفواه المجرمين والمذنبين كقوله فی الآية (۶۵) من سورة يس: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ».

ثم يضيف تعالى فی القول: «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ». ليس لهم الرخصة فی الكلام، ولا فی الإعتذار والدفاع عن أنفسهم، لأنّ الحقائق واضحة هناك، وليس لديهم ما يقولوه، نعم يجب أن يعاقب هذا اللسان الذی أساء الإستفادة من الحرية وسعى فی تكذيب الأنبياء، والإستهزاء بالأولياء، وإبطال الحق وإحقاق الباطل .. يجب أن يعاقب على أعماله بالإقفال والختم، لإبطال مفعوله، وهذا عذاب شديد وأليم بحدّ ذاته أن لا يتمكن الإنسان هناك من الدفاع عن نفسه أو الإعتذار.

فی روضة الكافی عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبداللَّه عليه السلام يقول فی قول اللَّه تبارك

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۶

وتعالى «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»: «اللَّه أجل وأعدل وأعظم من أن يكون لعبده عذر لا يدعه يعتذر به، لكنه فلج فلم يكن له عذر». ثم يكرر تعالى فی نهاية هذا المقطع قوله: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذّبِينَ».

فی المقطع الآخر يوجه الخطاب إلى المجرمين ليحكى عما يجرى فی ذلك اليوم فيقول تعالى: «هذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ».

جمعنا فی هذا اليوم جميع البشر من دون استثناء للحساب، وفصل الخصام فی هذه العرصة والمحكمة العظمى.

ويقول: والآن إذا كان لكم قدرة على الفرار من العقاب فاعملوا ما بدا لكم: «فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ».

هل تستطيعون دفع الفدية لتتحرروا؟

أو هل يمكنكم الهرب من دائرة نفوذ حكومتي؟

أو أنّ لكم القدرة على أن تخدعوا الملائكة الموكّلين بكم وبحسابكم؟

اعملوا ما بدا لكم ولكن اعلموا أنّكم لا تستطيعون!

ثم أنّه تعالى أعاد تلك الجملة المهددة والمتبهة مرّة اخرى، وقال: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ».

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (۴۱) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (۴۲) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (۴۴) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۵) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (۴۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۷) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (۴۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۹) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (۵۰) من المعلوم فى منهج القرآن أنه يمزج الإنذار بالبشارة، والتهديد بالترغيب، وكذلك يذكر مصير المؤمنين فى مقابل مصير المجرمين لفهم المسائل بصورة أكثر بقرينة المقابلة، وعلى أساس هذه السنّة المتّبعة فى القرآن، فإنّ هذه الآيات وبعد بيان العقوبات المختلفة للمجرمين فى القيامة، أشارت إلى وضع المتقين فى ذلك اليوم فيقول تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلٍ وَعُيُونٍ». ثم يضيف: «وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ».

والظريف أنّهم فى هذا المضيف الإلهى يستضافون بأحسن الوجوه، كما هو الحال فى الآية

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۷

التالية إذ يقول لهم: «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيًا بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ».

عبارة «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» إشارة إلى أنّ هذه المواهب لا تعطى لأىّ كان من دون عمل، ولا يمكن حصولها بالإدّعاء والتخيل والتصوّر، وإنّما يمكن نيلها والحصول عليها بالأعمال الصالحة فقط.

«هنىء»: على وزن (صبيح) هو كل شىء ليست فيه مشقة ولا يستتبعه قلق.

وهذا إشارة إلى أنّ فواكه الجنة وأغذيتها وأشربتها ليست كأغذية الدنيا وأشربتها التى تترك أحياناً آثاراً سيئة فى البدن، أو تترك أعراضاً غير مُرْضية.

ثم تؤكد الآية الاخرى على مسألة النعم وأنّها لا تمنح اعتباطاً فيضيف: «إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ».

وفى نهاية هذا المقطع يعيد تلك الآية: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ». الويل لمن يُحْرَم من كل هذه النعم والألطاف، إذ إنّ عذاب حسرات هذا الحرمان ليس بأقل من نيران الجحيم المحرقة!

وبما أنّ إحدى عوامل إنكار المعاد الإهتمام بلذّات الدنيا الزائلة والميل إلى الحرية المطلقة للإنتفاع بهذه اللذّات، يتوجه بالحديث فى الآية التالية إلى المجرمين بلحن تهديدى فيقول:

كلوا وتمتعوا بالملذات الدنيوية فى هذه الأيّام القلائل، ولكن اعلموا أنّ العذاب الإلهى ينتظركم، لأنّكم مجرمون: «كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ».

عبارة «إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ» تشير إلى أنّ مصدر العذاب الإلهى هو عمل الإنسان وذنبه، الناشىء من عدم الإيمان أو الأسر فى قبضة الشهوات.

ثم يكرر التهديد بجملة: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ». هم اولئك الذين غُرّروا وخدعوا بزخارف الدنيا ولذاتها وشهواتها واشتروا عذاب اللّه.

وأشار فى الآية الاخرى إلى عامل آخر من عوامل الانحراف والتعاسة والتلوث، وقال:

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَايَرْكَعُونَ».

إنّهم لم يأبوا الركوع والسجود فحسب، بل إنّ روح الغرور والكِبَر هذه كانت منعكسة على جميع أفكارهم وحياتهم، فما كانوا يسلّمون للّه، ولا لأوامر النبى صلى الله عليه و آله، ولا يقرّون بحقوق الناس، ولا يتواضعون للّه‌تعالى وللناس.

ثم يعيد هذه الآية للمرّة العاشرة والأخيرة إذ يقول: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۸

وفى آخر آية من آيات البحث- وهى آخر آية من السورة- يأتى السياق ممزوجاً بالعتاب ومليئاً بالملائمة، فجاءت الآية بصيغة الاستفهام التعجبى، إذ يقول «فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ». إنّ من لم يؤمن بالقرآن الذى لو انزل على الجبال لتصدعت وارتجفت، فسوف لن يسلم ولن يؤمن بأى كتاب سماوى، ولا يقبل بأى منطق عقلائى، وهذا يدّل على روح العناد والتعصب.

«نهاية تفسير سورة المرسلات»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۴۹

۷۸. سورة النبأ

محتوى السورة: تمتاز أغلب السور القرآنية فى الجزء الأخير من القرآن بأنّها نزلت فى مكة، وتؤكّد فى مواضيعها على مسألة: المبدأ، المعاد، البشارة والإنذار.

ويمكننا تلخيص محتوى السورة بما يلى:

۱- السؤال عن «النبإ العظيم» وهو يوم القيامة كحدث بالغ الخطورة.

۲- الإستدلال على أمكانية المعاد والقيامة، من خلال الإستدلال بمظاهر القدرة الإلهية فى: السماء، الأرض، الحياة الإنسانية والنعم الربانية.

۳- بيان بعض علامات بدء البعث.

۴- تصوير جوانب من عذاب الطغاة الأليم.

۵- التشويق للجنة، بوصف أجوائها الفياضة بالنعم.

۶- وتختم السورة بالإنذار الشديد من عذاب قريب، بالإضافة لتصوير حال الذين كفروا.

واشتق اسم السورة من الآية (۲)، ويطلق عليها أيضاً اسم سورة (عمّ) نسبة إلى أوّل كلمة وردت فى السورة بعد البسملة.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة عمّ يتسائلون سقاه اللّه برد الشراب يوم القيامة».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۰

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ عمّ يتسائلون لم يخرج سنته إذا كان يدمنها فى كل يوم حتى يزور البيت الحرام».

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (۱) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (۲) الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (۳) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (۴) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (۵) خبر هام: تأتى الآية الاولى لتستفهم بتعجب: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ». ودون انتظار للجواب، تجيب الآية الثانية ما سُئل عنه فى الآية الاولى: «عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ». ذلك الخبر: «الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ».

أورد المفسرون آراءً متباينة فى المقصود من «النبإ العظيم»، فمنهم من اعتبره إشارة إلى يوم القيامة، ومنهم من قال بأنّه إشارة إلى القرآن الكريم، ومنهم من اعتبره إشارة إلى اصول الدين من التوحيد حتى المعاد.

بنظرة دقيقة إلى مجموع آيات السورة وسياق طرحها، وما ذكرته الآيات اللاحقة من ملامح القدرة الإلهية بعرض بعض مصاديقها فى السماء والأرض، وبعد هذا العرض تؤكّد إحدى الآيات: «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا». ثم مخالفة وعدم تقبل المشركين لمبدأ «المعاد»،

كل ذلك يدعم التّفسير الأوّل القائل: بأنّ النبإ العظيم هو يوم القيامة.

«النبإ العظيم» كمفهوم قرآنى- مثل سائر المفاهيم القرآنية- له من السعة ما يشمل كل ما ذكر من معان، وإذا كانت قرائن السورة تدلّ على أنّ المقصود منه «المعاد»، فهذا لا يمنع من أن تكون له مصاديق اخرى.

ولذا نجد فى روايات أهل البيت عليهم السلام وفى بعض روايات أهل السنّة أنّ «النبإ العظيم» بمعنى إمامة أمير المؤمنين على عليه السلام، حيث كانت مثار جدال ونقاش بين جمع من المسلمين، وهناك من فسّر «النبإ العظيم» بالولاية بشكل عام.

ويضيف القرآن قائلًا: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ». فليس الأمر كما يقولون أو يظنون.

ويجدد التأكيد: «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ».

فسيعلمون فى ذلك اليوم الواقع حتماً: «أن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۱

جَنبِ اللَّهِ» «۱». يوم ينهال العذاب الإلهى على الكافرين فيقولون بصرخات مستغيثة: «هَلْ إِلى مَرَدّ مِّن سَبِيلٍ» «۲».

بل وإنّ طلب العودة إلى الحياة لجبران خطيئاتهم سيطرح فى اولى لحظات الموت، حين تزال الحجب عن عين الإنسان فيرى بام عينيه حقيقة عالم الآخرة، فيستيقن حياة البرزخ والمعاد، ولا يبقى عنده إلّاأن يقول: «رَبّ ارْجِعُونِ لَعَلّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» «۳».

أ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً (۶) وَ الْجِبالَ أَوْتاداً (۷) وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً (۸) وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً (۹) وَ جَعَلْنا اللَّيْلَ لِباساً (۱۰) وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً (۱۱) وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً (۱۲) وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً (۱۳) وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً (۱۴) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَ نَباتاً (۱۵) وَ جَنَّاتٍ أَلْفافاً (۱۶) كل شيء بأمرك يا ربّ ...: تجيب الآيات المذكورة على أسئلة منكرى المعاد والمختلفين فى هذا «النبإ العظيم» لأنّها تستعرض جوانب معينة من نظام الكون وعالم الوجود الموزون، مع تبيانها لبعض النعم الإلهية الواسعة ذات التأثير الفعال فى حياة الإنسان، وذلك من جهة دليل على قدرة البارى عزّ وجل المطلقة، ومنها قدرته على إعادة الحياة إلى الإنسان بعد موته.

ومن جهة اخرى إشارة إلى أنّ الكون وما فيه من دقّة تنظيم، لا يمكن أن يُخلق لمجرد العبث واللهو، بل لابدّ من وجود حكمة بالغة لهذا الخلق. فى حين أنّه لو كان الموت يعنى نهاية كل شيء، فمعنى ذلك أنّ وجود العالم عبث وخالٍ من أيّة حكمة.

وبهذا فقد استدل القرآن الكريم على حقيقة «المعاد» بطريقين:

۱- برهان القدرة.

۲- برهان الحكمة.

وقد عرضت الآيات الإحدى عشر، اثنتى عشر نعمة إلهية، باسلوب ملؤه اللطف والمحبّة، مصحوباً بالاستدلال.

---

(۱) سورة الزمر/ ۵۶.

(۲) سورة الشورى ۴۴.

(۳) سورة المؤمنون/ ۹۹ و ۱۰۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۲

وتشرع الآيات بالإشارة إلى نعمة الأرض، فتقول: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا».

«المهاد»: المكان الممهّد الموطأ؛ واختيار هذا الوصف للأرض ينم عن مغزىً عميق ..

فمن جهة: نجد فى قسم واسع من الأرض الإستواء والسهولة، فتكون مهيئة لبناء المساكن والزراعة.

ومن جهة ثانية: اودع فيها كل ما يحتاجه الإنسان لحياته من المواد الأوّلية إلى المعادن الثمينة، سواء كان ذلك على سطحها أم فى باطنها.

ومن جهة ثالثة: تحلل الأجساد الميتة التى تودع فيها، وتبيد كل الجراثيم الناشئة عن هذه العملية بما أودع فيها البارى من قدرة على ذلك.

ومن جهة رابعة: ما لحركتها السريعة المنظمة ولدورانها حول الشمس وحول نفسها من أثر على حياة البشرية خاصة، بما ينجم عنها الليل والنهار والفصول الأربعة.

وبما أنّ نعمة استواء الأرض وسهولتها قد تهمش نعمة الجبال، فقد جاءت الآية التالية لتبيّن أهمية الجبال ودورها المهم فى حياة الإنسان: «وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا».

تشكل الجبال آيةً ربانية زاخرة بالعطاء، وتؤدى وظائف كثيرة، منها أنّها تحفظ القشرة الأرضية من الإنهيار أمام الضغط الحاصل من المواد المذابة داخلها، وذلك لعمق تجذرها المترابط داخل الأرض ... وتحافظ عليها من تأثيرات جاذبية القمر فى عملية المد والجزر ...

وتشكل جدران الجبال سداً منيعاً للتقليل من آثار الرياح الشديدة والعواصف المدمرة ...

وتقوم بخزن المياه وادخار أنواع المعادن الثمينة فى باطنها ..

بالإضافة لكل ما ذكر، فتوزيع الجبال على الأرض بالشكل الموجود وتعاملًا مع حركة الأرض يعمل على تنظيم حركة الهواء المحيط بالكرة الأرضية بالشكل الذى يؤثر إيجابياً على الحياة فوق الأرض. وفى هذا المجال، يقول العلماء: لو كان سطح الكرة الأرضية مستوياً كلّه، لتولدت عواصف شديدة لا يمكن السيطرة عليها جراء حركة الأرض وسكون الغلاف الجوى، ولفقدت الأرض صلاحيتها بتوفير مستلزمات السكن للإنسان، لأنّ استمرار الإحتكاك الحاصل من حركة الأرض الدائمة وسكون الغلاف الجوى سيؤدّى بلا شك إلى زيادة حرارة القشرة الأرضية مما يجعل الأرض غير صالحة لسكنى الإنسان.

وبعد أن بيّن القرآن هذين النموذجين من النعم الإلهية والآيات الآفاقية، عرج إلى ذكر ما أنعم البارى على الإنسان من النعم والآيات الأنفسية فقال: «وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۳

«الأزواج»: جمع زوج، المتشكل من الذكر والانثى ويخرج الإنسان إلى حياة الوجود من هذين الجنسين، ويستمر وجوده فى الحياة من خلال عملية التناسل التى تساهم فى استقرار الإنسان من الناحيتين الجسمية ولنفسية، كما تشير إلى هذا الآية (۲۱) من سورة الروم: «وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً».

ويشير بعد ذلك إلى نعمة النوم، فيقول: «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا».

«السبات»: من السبت، بمعنى القطع، ثم استعملت بمعنى (تعطيل العمل) لأجل الإستراحة.

وبالرغم من أنّ النوم يشكّل ثلث حياة الإنسان، ولكن الإنسان لا زال يجهل الكثير من خفاياه، بل ولا زال الإنسان (منذ القديم وحتى الآن) لا يعرف سبب تعطيل بعض فعاليات الدماغ فى مدّة معينة وتغمض العين أجفانها وتسكن جميع أعضاء البدن.

ومع أنّ ذكر النوم فى الآية قد جاء باعتباره إحدى النعم الإلهية، إلّاأنّ الآية المباركة قد تشير بذلك إلى الموت، لما للنوم من شبه بالموت، والإستيقاظ بالبعث.

وبعد الإنتهاء من ذكر نعمة النوم، ينتقل القرآن الكريم لذكر نعمة الليل، فيقول:

«وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا».

وتضيف الآية التالية مباشرة: «وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا».

وشبّهت الآية الليل باللباس والغطاء الذى يُلقى على الأرض ليشمل كل من على الأرض، وليجبر فعاليات الموجودات الحيّة المتعبة على الأرض بالتعطل عن الحركة وممارسة النشاطات، ويخيم الظلام والسكون ليضفى على الأرض الهدوء ليستريح الناس من رحلة العمل

والمعاناة خلال النهار، وليتمكنوا من مواصلة نشاطهم لليوم التالى لأنّ النوم المريح لا يتيسر للانسان إلّافى أجواء مظلمة.

وبالإضافة لكل ما ذكر، فحلول الليل يعنى زوال نور الشمس وإلّا لانعدمت الحياة واحترقت جميع النباتات والحيوانات فى حال استمرار شروق الشمس.

وخاتمة المقال: إنّ تعاقب الليل والنهار وما فيهما من نظام دقيق آية بيّنة من آيات خلقه سبحانه وتعالى، إضافة إلى أنّه تقويم طبيعى لتفصيل الزمن فى حياة الإنسانية على مرّ التاريخ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۴

وتأتى الآية التالية لتنقلنا من عالم الأرض إلى عالم السماء حين تقول: «وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا».

قد يراد من العدد المذكور بالآية «الكثرة»، للإشارة إلى كثرة الأجرام السماوية والمنظومات الشمسية والمجرات والعوالم الواسعة لهذا الوجود، والتى تتمتع بخلق محكم وبناء رصين لا- خلل فيه ... ويمكن أن يراد منه العدد، للإشارة إلى أنّ الكواكب وما يبدو لنا منها إنّما تعود إلى السماء الاولى، كما أشارت الآية (۶) من سورة الصّافات إلى ذلك: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ». وثمّة سماوات ستة وعوالم اخرى وراء السماء الاولى «الدنيا» خارجة عن حدود معرفتنا.

وبعد أن أشار القرآن إجمالًا إلى السماوات، يشير إلى نعمة الشمس، فيقول: «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا».

«الوهّاج»: من الوهج، بمعنى النور والحرارة التى تصدر من النار.

وإطلاق هذه الصفة على الشمس، للإشارة إلى نعمتين كبيرتين وهما: (النور) و (الحرارة) ويتفرع عنهما نعم وعطايا كثيرة يزخر بها عالمنا.

ولا تتحدد فوائد نور الشمس بإضاءة الدنيا للإنسان، بل لها أثر كبير فى نمو سائر الكائنات الحيّة.

وإضافة لكل ما تقدم، فلحرارة الشمس أثر أساس فى: تكوّن الغيوم، حركة الهواء، نزول الأمطار، وسقى الأراضى اليابسة.

ولأشعة الشمس كذلك الأثر البالغ فى مكافحة الجراثيم، لاحتوائها على الأشعة ما وراء الحمراء التى تقتل الجراثيم.

وأشعة الشمس فى واقعها: نور صحى مجانى دائمى، يصلنا بكيفية لا هى بالشديدة المحرقة، ولا هى بالقليلة العديمة التأثير.

وبعد ذكر نعمة النور والحرارة يتناول القرآن نعمة حياتية اخرى لها إرتباط بأشعة الشمس، ويقول: «وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا».

«المعصرات»: جمع «معصر»، من العصر بمعنى الضغط .. والكلمة تشير إلى أنّ الغيوم تقوم بعملية وكأنّها تعصر نفسها عصراً لكى ينهمر منها الماء على شكل أمطار.

«الثجاج»: من الثج، بمعنى سيلان الماء بكمية كبيرة، و «ثجاج» صيغة مبالغة، ويراد بها هنا غزارة الأمطار المنهمرة نتيجة العصر الحاصل للغيوم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۵

وبالإضافة لكون المطر منبعاً لكثير من مصادر الخير والبركة، فهو: ملطف للجو، مزيل للتلوثات الموجودة فى الجو، مخفض للحرارة ومعدل للبرودة، مقلل لأسباب الأمراض، يمنح الإنسان روحاً متجددة ونشاطاً، ومع كل ذلك .. فقد ذكر القرآن ثلاث فوائد اخرى له: «لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا». «وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا». «ألفافاً»: أى إلتفّ بعضها ببعض لكثرة الشجر.

والآيتان تشيران إلى ما يستفيد منه الإنسان والحيوان من المواد الغذائية التى تخرج من الأرض، فالحبوب الغذائية تشكل قسماً مهمّاً من المواد الغذائية (حبّاً)، والخضر تشكل القسم الآخر (ونباتاً)، وتأتى الفاكهة لتشكل القسم الثالث (وجنّات).

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً (۱۷) يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً (۱۸) وَ فُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً (۱۹) وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً (۲۰) سيأتى اليوم الموعود: الآية الاولى من الآيات أعلاه بمثابة نتيجة لما تعرضت له الآيات السابقة ... «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا».

والتعبير ب «يوم الفصل» يحمل بين ثناياه إشارات كثيرة، فسيحدث فى ذلك اليوم:

فصل الحق عن الباطل.

فصل المؤمنين الصالحين عن المجرمين.

فصل الوالدين عن أولادهم، والأخ عن أخيه ...

و «الميقات»: من الوقت، الميعاد من الوعد، بمعنى الوقت المعين والمقرر، وإنّما سـمّيت الأماكن التى يحرم منها حجاج بيت اللَّه الحرام ب «المواقيت» لأنّ الاجتماع فيها يكون فى وقت معين.

ويتناول القرآن الكريم بعض خصائص ذلك اليوم العظيم، فيقول: «يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا».

ويستفاد من آيات القرآن أنّ ثمّة نفختان عظيمتان ستحدثان باسم (نفخ الصور) .. ففى النفخة الاولى سينهار كل عالم الوجود، ويخرّ ميتاً كل من فى السماوات والأرض، وفى النفخة الثانية يتجدّد عالم الوجود وتعود الحياة إلى الأموات مرّة اخرى، ليقوم بعدها يوم القيامة وأمّا ما ورد فى الآية فيختص بنفخة الصور الثانية.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۶

وتأتى الآية الاخرى لتقول: «وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا». فاتصل به عالم الإنسان بعالم الملائكة «۱».

وتأتى الآية الأخيرة لتخبرنا عن حال الجبال فى ذلك اليوم الحق: «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا».

بملاحظة ما جاء فى القرآن الكريم بخصوص مصير الجبال ليوم القيامة تظهر لنا أنّ الجبال ستطويها مراحل متعاقبة، تبدأ حركتها من: «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» «۲».

ثم تُحمل وتُدك: «وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» «۳».

فتكون تلالًا من الرمال المتراكمة: «وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا» «۴».

فتصبح كأصواف منفوشة: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ» «۵».

فتتحول غباراً متناثراً فى الفضاء: «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا* فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا» «۶».

ولا يبقى منها أخيراً إلّاالأثر، كما أشارت لذلك الآية المبحوثة.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (۲۱) لِلطَّاغِينَ مَآباً (۲۲) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً (۲۳) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَ لَا شَرَاباً (۲۴) إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً (۲۵) جَزَاءً وِفَاقاً (۲۶) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً (۲۷) وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً (۲۸) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً (۲۹) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً (۳۰) جهنم ... المرصاد الرهيب: بعد أن بيّن القرآن الكريم فى الآيات السابقة بعض أدلة المعاد وتناول قسماً من حوادث يوم القيامة، يذكر فى هذه الآيات ما يؤول إليه حال المجرمين، فيقول: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا». وهى: «لِّلطَّاغِينَ مَابًا». وأنّهم: «لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا».

«المرصاد»: اسم مكان يختفى فيه للمراقبة؛ و «المآب»: هو محل الرجوع، ويأتى أحياناً بمعنى المنزل والمقر، وهو المقصود فى هذه الآية.

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۲۰/ ۱۶۶ ذيل الآية مورد البحث.

(۲) سورة طور/ ۱۰.

(۳) سورة الحاقّة/ ۱۴.

(۴) سورة المزمّل/ ۱۴.

(۵) سورة القارعة/ ۵.

(۶) سورة الواقعة/ ۵ و ۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۷

و «الأحقاب»: جمع (حقب) على وزن (قفل)، بمعنى برهة زمانية غير معينة.

وتشير الآيات- بعد ذلك- إلى جانب صغير من عذاب جهنم الأليم، بالقول: «لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا». «إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا»، إلّاظلّ من الدخان الغليظ الخانق كما أشارت إلى ذلك الآية (۴۳) من سورة الواقعة: «وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ». «الحميم»: هو الماء الحار جدّاً؛ و «الغسّاق»:

هو ما يقطر من جلود أهل النار من الصديد والقيح.

فى حين أنّ أهل الجنة يسقيهم ربّهم جلّ شأنه بالأشربة الطاهرة، كما جاء فى الآية (۲۱) من سورة الإنسان: «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا».

ولكن، لِمَ هذا العذاب الأليم؟ فتأتى الآية التالية: إنّما هو: «جَزَاءً وِفَاقًا».

ولِمَ لا يكون كذلك .. وقد أحرقوا فى دنياهم قلوب المظلومين، وتجاوزوا بتسلطهم وظلمهم وشرّهم على رقاب الناس دون أن يعرفوا للرحمة معنى، فجزائهم يناسب ما اقترفوا من ذنوب عظام.

ويذكر القرآن سبب الجزاء فيقول: «إِنَّهُمْ كَانُوا لَايَرْجُونَ حِسَابًا».

وبعبارة اخرى: إنّ عدم الإيمان بالحساب سبب للطغيان، فيكون الطغيان سبباً لذلك الجزاء الأليم.

لأنّهم تناسوا حساب يوم القيامة بالكلية: ولم يفرزوا له مكاناً فى كل حياتهم.

ومباشرة يضيف القرآن القول: «وَكَذَّبُوا بَايَاتِنَا كِذَّابًا».

فقد أحكمت الأهواء النفسانية قبضتها عليهم حتى جعلتهم يكذبون بآيات اللّه تكذيباً شديداً، وأنكروها إنكاراً قاطعاً ليواصلوا أمانيهم الإجرامية باتباعهم المفرط لأهوائهم النفسانية ونوازعهم الدنيوية.

ينبه القرآن الطغاة على وجود الموازنة بين الجرم والعقاب فى العدل الإلهى، فيقول:

«وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنٰهُ كِتَابًا».

فلا تظنوا أنّ شيئاً من أعمالكم سيبقى بلا حساب أو عقاب، ولا تساوركم الشكوك بعدم عدالة العقوبات المقررة لكم.

وفى هذا المجال، يقول القرآن: «وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ* وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۵۸

مُّسْتَطَرٌ» «۱» .. وفى موضع آخر يقول: «وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ» «۲». ولذلك يصرخ المجرمون بالقول: «يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لَايُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» «۳».

حينما يستلمون كتابهم الحاوى على كل ما فعلوه فى الحياة الدنيا. وممّا لا شك فيه، أنّ إدراك حقيقة الآيات الربانية بكامل القلب، سوف يدفع الإنسان لأن يكون دقيقاً فى جميع أعماله، وسيكون اعتقاده الجازم بمثابة السدّ المنيع بينه وبين ارتكاب الذنوب، ومن العوامل المهمّة والمؤثرة فى العملية التربوية.

ويتغيّر لحن الخطاب فى الآية الأخيرة من الآيات المبحوثة، فينتقل من التكلم عن الغائب إلى مخاطبة الحاضر: ويهدد القرآن بنبرات غاضبة اولئك المجرمين، ويقول: «فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا».

وهذا هو جزاء اولئك الذين يواجهون دعوات الأنبياء الداعية إلى اللّه والإيمان والتقوى، بقولهم: «سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ» «۴».

حتى روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: «هذه الآية أشدّ ما فى القرآن على أهل النار» «۵».

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (٣١) حَدَائِقَ وَ أَعْنَاباً (٣٢) وَ كَوَاعِبَ أَتْرَاباً (٣٣) وَ كَأْساً دِهَاقاً (٣۴) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَ لَا كِذَّاباً (٣۵) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (٣۶) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً (٣٧) ممّا وعد اللَّه المتقين: كان الحديث فى الآيات السابقة منصباً حول خاتمة المجرمين والطغاة وما يلاقونه من أليم العذاب وموجباته، وينتقل الحديث فى الآيات أعلاه لتفصيل

---

(١) سورة القمر/ ۵٢ و ۵٣.

(٢) سورة يس/ ١٢.

(٣) سورة الكهف/ ۴٩.

(۴) سورة الشعراء/ ١٣۶.

(۵) تفسير الكشاف ۴/ ٢١٠؛ وتفسير الصافى ۵/ ٢٧۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٣۵٩

بعض ما وعد اللَّه المؤمنين والمتقين من النعم الخالدة والثواب الجزيل، عسى أن يرعوى الإنسان ويتبع طريق الحق من خلال مقايسته لما يعيشه كل من الفريقين، على ضوء تفكيره بمصيره الأبدى. فيقول مبتدءً الحديث: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا».

ومن مفردات الفوز والسعادة: «حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا».

وقد روى عن النبى صلى الله عليه و آله فى خصوص العنب أنّه قال: «خير فواكهكم العنب».

ويتطرق القرآن إلى نعمة اخرى ممّا وعد اللَّه به المتقين فى الجنة، فيقول: «وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا».

«الكواعب»: جمع «كاعب»، وهى البنت حديثة الثدى، للإشارة إلى شباب زوجات المتقين فى الجنة؛ و «الأتراب»: جمع «ترب»، ويطلق على مجموعة الأفراد المتساوين فى العمر. قيل: إنّها من «الترائب» وهى: اضلاع الصدر، وذلك لما بينهما من شبه من حيث التساوى والتماثل.

وتأتى النعمة الرابعة: «وَكَأْسًا دِهَاقًا».

وهو مُذكٍ للعقل، منشط للروح ومنعش للقلب.

ودفعاً لما يتبادر إلى الأذهان من تبعات شراب الدنيا الشيطانى، يقول القرآن: «لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا».

فالجنة خالية من: الأكاذيب، الهذيان، التهم، الإفتراءات، تبرير الباطل، بل وكل ما كان يؤذى قلوب المتقين فى الحياة الدنيا .. إنّها الجنة! وخير تصوير لها ما جاء فى الآية (۶٢) من سورة مريم: «لَّايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلمًا».

وفى آخر المطاف يذكر القرآن الكريم تلك النعمة المعنوية التى تفوق كل النعم علوّاً:

«جَزَاءً مِن رَبّكَ عَطَاءً حِسَابًا».

وأيّة بشارة ونعمة أسمى وأجل، من أن أكون وأنا العبد الضعيف، موضع ألطاف وإكرام اللَّه جلّ وعلا.

وفى آخر آية من الآيات المبحوثة، يضيف: «رَّبّ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ».

وبما أنّ صفة «الرحمن» تشمل رحمة اللَّه العامّة لكل خلقه، فيمكن حمل إشارة الآية إلى أنّ اللَّه تبارك وتعالى يشمل برحمته أهل السماوات والأرض فى الحياة الدنيا، إضافة لما وعد به المؤمنين من عطاء دائم فى الجنة.

وذيل الآية يقول: «لَايَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٣۶٠

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قَالَ صَوَاباً (٣٨) ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً

(۳۹) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَاباً (۴۰) رأينا فى الآيات السابقة أنّها تحدثت عن بعض عقوبات الظالمين والطواغيت، وبعض المواهب والنعم المتعلقة بالصالحين فى يوم القيامة، وتتناول الآيات أعلاه بعض صفات وحوادث يوم القيامة، وتشرع بالقول ب «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلِكَةُ صَفًّا لَّايَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَابًا».

وبلا شك فإنّ قيام الروح والملائكة صفّاً يوم القيامة، وعدم تكلمهم إلّابإذنه سبحانه، إنّما هو مثولًا للأوامر الإلهية وطاعة، كما هو حالهم قبل قيام القيامة، فهم بأمره يعملون ولكن فى يوم القيامة سيتجلّى أمتثالهم للّهأكثر وبشكل أوضح.

والمراد من «الروح» فى الآية المبحوثة هو كونه أحد ملائكة اللّه العظام، والذى يبدو من بعض الآيات أنّه أعظم من جبرائيل وبدلالة ما روى على بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل».

وعلى أيّة حال، فسواء كان «الروح» من الملائكة أو من غيرهم، فإنّه سيقف يوم القيامة مع الملائكة صفّاً بانتظار أوامر الخالق سبحانه، وسيكون هول المحشر بشكل بحيث لا يقوى أىّ من الخلق للتحدث معه.

فى تفسير مجمع البيان: روى معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام قال سئل عن هذه الآية، فقال: «نحن واللّه المأذون لهم يوم القيامة والقائلون».

قال: جعلت فداك ما تقولون؟

قال: «نُمجّد ربّنا، ونصلّى على نبيّنا صلى الله عليه و آله ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربّنا».

ونستفيد من هذه الرواية: أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام سيقفون صفّاً يوم القيامة مع الملائكة والروح، وسيكونون من المأذون لهم فى الكلام والشفاعة، وسيكون حديثهم منصباً حول الذكر والثناء والتسبيح للبارى عزّ وجل.

ويشير القرآن واصفاً ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس والملائكة أجمعون يوم الفصل،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۱

يوم عقاب العاصين وثواب المتقين، يشير بقوله: «ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ».

«الحق»: هو الأمر الثابت واقعاً، والذى تحققه قطعى. وهذا المعنى ينطبق تماماً على يوم القيامة، لأنّه سيعطى كل إنسان حقّه، إرجاع حقوق المظلومين من الظالمين، وتتكشف كل الحقائق التى كانت مخفية على الآخرين .. فإنّه بحق: يوم الحق، وبكل ما تحمل الكلمة من معنى.

وإذا ما التفت الإنسان إلى هذه الحقيقة (حقيقة يوم القيامة) فسيتحرك بدافع قوى نحو اللّه عزّ وجل للحصول على رضوانه سبحانه بإمتثال أوامره تعالى .. ولهذا يقول القرآن مباشرة: «فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَابًا».

فجميع مستلزمات التوجه والحركة نحو اللّه متوفرة بعد أن بيّن طريق الحق وأشار إلى معالم سبل الشيطان، بلغ اللّه أوامره بواسطة الأنبياء والرسل وبالقدر الكافى، أودع فى الإنسان العقل (النبى الباطن)، رغّب المتقين بالمفاز، أنذر المجرمين عذاباً أليماً، عيّن يوماً لمحكمة العدل الإلهى بيّن اسلوب المحاكمة، ولم يبق للإنسان سوى اختيار ما يتخذه إلى ربّه مآباً، وبمحض إرادته.

ثم يؤكّد القرآن على مسألة عقاب المجرمين الذين يتوهمون أنّه يوم بعيد أو نسيئة، يقول القرآن ... إنّ عقاب المجرمين لواقع، ويوم القيامة لقريب: «إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا».

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام فى الخطبة (۱۰۳) نهج البلاغة: «كل آت قريب دان».

ولِمَ لا يكون قريباً ما دام الأساس فى العذاب الإلهى هو نفس أعمال الإنسان والتى هى معه على الدوام: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» «۱».

وبعد أن وجّه الإنذار للناس، يشير القرآن إلى حسرة الظالمين والمذنبين فى يوم القيامة، حين لا ينفع ندم ولا حسرة، إلّامن أتى اللّه بقلب سليم: «يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا».

وأساساً فإنّ تجسّم الأعمال ومرافقتها للإنسان من أفضل المكافآت للمطيعين وأشدّ عقوبة للعاصين.

نعم، فقد يصل الأمر بالإنسان، وعلى الرغم من كونه أشرف المخلوقات، لأنّ يتمنى أن يكون والجمادات بدرجة واحدة، لما بدر منه من كفر وذنوب.

---

(۱) سورة العنكبوت/ ۵۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۲

وتصور لنا الآيات القرآنية أحوال الكافرين والمجرمين، وشدّة تأثرهم وتأسفهم وندمهم على ما فعلوا فى دنياهم، يوم الفزع الأكبر، فتقول الآية (۵۶) من سورة الزمر: «يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ».

وتقول الآية (۱۲) من سورة السّجدة: «فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا».

أو ما يقوله كل فرد منهم- كما جاء فى الآية المبحوثة-: «يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا».

«نهاية تفسير سورة النبأ»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۳

۷۹. سورة النازعات

محتوى السورة: تتلخص مواضيع هذه السورة بستة أقسام:

۱- التأكيد مراراً على مسألة المعاد وتحققه الحتمى.

۲- الإشارة إلى أهوال يوم القيامة.

۳- عرض سريع لقصة موسى عليه السلام مع الطاغى فرعون، تسلية للنبى صلى الله عليه و آله والمؤمنين، وإنذاراً للمشركين الطغاة، وإشارة إلى ما يترتب على إنكار المعاد من سقوط فى مستنقع الرذيلة.

۴- طرح بعض النماذج والمظاهر لقدرة البارى سبحانه فى السماء والأرض، للاستدلال على إمكان المعاد والحياة بعد الموت.

۵- تعود الآيات مرّة اخرى، لتعرض بعض حوادث اليوم الرهيب، وما سيصيب الطغاة من عقاب وما سينال الصالحون من ثواب.

۶- وفى النهاية، يأتى على خفاء تاريخ وقوع يوم القيامة، والتأكيد على حتمية وقوعه وقربه.

سميت السورة ب (النازعات) لورود هذه الكلمة فى أوّل آية منها.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع: ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۴

والنازعات لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلّاكقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة».

وليس غريباً أن ينال الإنسان بكل ما ذكر جزاءً من عند اللَّه، إذا ما أمعن فى محتوى السورة وتدبّر إشاراتها الموقظة للنفوس الغافلة، والمعرّفة بوظائف الإنسان فى حياته، فمن لم يكتف بترديد ألفاظ السورة، وعمل بها بعد الإمعان والتدبر فحرى أن يجزى بما وعد الحق.

وَ النَّازِعَاتِ غَرْقاً (۱) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطاً (۲) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحاً (۳) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً (۴) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً (۵) القسم بالملائكة: جاء القَسم القرآنى بخمسة أشياء مهمة، لتبيان حقيقة وحتمية تحقق يوم القيامة (المعاد)، فيقول: «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ...».

«النازعات»: من «النزع»، ونزع الشيء جذبه من مقرّه.

«الغَرق»: هو الرسوب فى الماء، ويأتى كذلك فيمن غمره البلاء؛ والمقصود فى هذه الآية ليس الغرق فى الماء، بل هو القيام بعمل ما

إلى أقصى حدّ ممكن.

«النّاشطات»: من «النشط»، هى العُقد التى يسهل حلها، فيكون المعنى عموماً: هو التحرك بسهولة.

«السابحات»: من «السبح»، وهو الحركة السريعة فى الماء أو الهواء.

«السابقات»: من «السبق»، وهو التقدم فى السير.

«المدبرات»: من «التدبير»، وهو التفكير فى عاقبة الامور، وأرادت الآية القيام بالأعمال على أحسن وجه.

وبعد هذه التعريفات الموجزة نشرع بالتفسير:

إنّ القسم المذكور يتعلق بالملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار والمجرمين، ولكون تلك الأرواح قد رفضت التسليم للحق، فيكون فصلها عن أجسادها بشدّة.

ويتعلق كذلك، بالملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين برفق ويُسر، وسرعة فى إتمام الأمر.

والملائكة التى تسرع فى تنفيذ الأوامر الإلهية.

ثم الملائكة التى تتسابق فى تنفيذ الأوامر الإلهية.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۵

وأخيراً، يتعلق القسم بالملائكة التى تدبّر شؤون العالم بأمره سبحانه وتعالى.

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (۶) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (۷) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (۸) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (۹) يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (۱۰) أَ إِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً (۱۱) قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (۱۲) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (۱۳) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (۱۴) صيحة الموت المرعبة: بعد أن أكّد القرآن الكريم على حقيقة القيامة وحتمية وقوعها فى الآيات السابقة، تتعرض الآيات أعلاه لبعض ما يصاحب يوم القيامة من علامات وأحداث، فتقول: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ». أى: يوم تحدث الزلزلة العظيمة المهولة.

ثم: «تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ».

«الراجفة»: من «الرجف»، بمعنى الإضطراب والتزلزل.

«الرادفة»: من «الردف»، وهو الشخص أو الشيء الذى يأتى بعد نظيره تتابعاً.

إنّ «الراجفة» هى الصيحة ونفخة الصور الاولى التى تعلن عن موت جميع الخلائق، و «الرادفة» هى الصيحة ونفخة الصور الثانية التى يبعث فيها الخلق مرّة اخرى ليعيشوا يوم القيامة.

وتأتى الآية الاخرى لتقول: «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ».

فقلوب العاصين شديدة الإضطراب خوفاً من الحساب والجزاء.

ويكون التزلزل الداخلى من الشدّة بحيث يظهر على وجوه كل المذنبين، ولذا يقول القرآن: «أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ».

فيبدو الإضطراب والخوف ظاهراً على أعين المذنبين، وتتوقف حركتها وكأنّها قد فقدت حاسة النظر لما أصابها من خوف شديد.

وفى الآية التالية ينتقل الحديث من أخبار يوم القيامة إلى الحياة الدنيا: «يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ».

«الحافرة»: من «الحفر» بمعنى شقّ الأرض، وما ينتج من ذلك يسمى (حفرة).

و «الحافرة»: كناية لمن يُرد من حيث جاء، كما لو سار إنسان على أرض، فيترك فيها حفراً لتحمل آثار قدمه، ثم يعود إلى نفس تلك الحفر، فالحافرة: تعنى الحالة الاولى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۶

وتستمر الآية فى سرد كلامهم: «أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً». فهكذا هو حال ودأب منكرى المعاد وعلى الدوام باستفسارهم الدائم حول المعاد، وبقولهم المعروف: كيف للعظام البالية النخرة والتى تحولت إلى ذرات تراب أن تعود مرّة اخرى جسماً كاملًا، والأكثر من هذا

.. أن تسرى فيه الحياة؟ ولكنّهم لم يفقهوا إلى أنّهم خلقوا من ذلك التراب، فكيف أصبحوا بهذه الهيئة الحيّة بعد أن لم يكونوا شيئاً؟

ولا يكتفى منكرو المعاد بحال الإعتراض على ما وعدهم به البارى سبحانه، بل وتحولوا إلى حال الإستهزاء بأحد اصول دين اللَّه: «قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ».

وفى آخر آيـة من الآيـات المبحوثـة يعود القرآن الكريم إلى مسألـة القيامـة، وبلسـان قـاطع، يقوق: «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ* فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ».

فالأمر ليس بمستصعب على الخالق القادر، فما أن يصدر الأمر الإلهى لنفخـة الصور الثانيـة حتى تعود الحياة ثانية إلى جميع الخلائق، نعم .. فتشرع كل تلك العظام النخرة وما صار منها تراباً للتجمع على الهيئة الاولى، وليخرج الناس من قبورهم بعد أن تسرى فيهم روح الحياة.

«الزجرة»: بمعنى صيحة بشدّة وانتهار، ويراد بها: نفخة الصور الثانية.

«الساهرة»: من «السهر»، وهو الأرق، وقيل: لأرض القيامة «الساهرة» لذهاب النوم عن العيون لما سيصابون به من أهوال مرعبة.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (۱۵) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (۱۶) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (۱۷) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (۱۸) وَ أَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (۱۹) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (۲۰) فَكَذَّبَ وَ عَصَى (۲۱) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (۲۲) فَحَشَرَ فَنَادَى (۲۳) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (۲۴) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى (۲۵) إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (۲۶) يشير القرآن الكريم بهـذه المقاطع البيانيـة إلى بعض مشاهد قصة موسى عليه السـلام وفرعون، والتى تتناول عاقبة الطغاة عبر التاريخ، وما حدى بفرعون من مصير أسود، ليستذكر مشركو قريش وطغاتهم تلك الواقعة، وليعلموا أن من كان أقوى منهم لم يتمكن من مقاومة العذاب الإلهى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۷

ويشير البيـان القرآنى كـذلك، إلى المؤمنين بـأن لاـ يخافوا من قوّة الأعـداء الظاهريـة، لأنّ دمارهم وهلاكهم على اللَّه أسـهل من أن يتصور .. فهذا البيان القرآنى إذاً، تسلية لقلوب المؤمنين وترطيباً لخواطرهم.

فيتوجه الحديث إلى النبى صلى الله عليه و آله بصيغة الإستفهام: «هَلْ أَتَيكَ حَدِيثُ مُوسَى . ليشوق السامع ويهيئه لاستماع القصة ذات العبر.

ثم يقول: «إِذْ نَادَيهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى».

«طوى»: يمكن أن يكون اسـماً لأرض مقدّسـة، تقع فى الشام بين (مـدين) و (مصـر)، وهو الوادى الذى كلّم اللَّه تعالى فيه موسـى عليه السلام أوّل مرّة.

ثم أشار القرآن إلى تعليمات اللَّه عزّ وجل إلى موسى عليه السلام فى الواد المقدس: «اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى . وبعـد التزكيـة وتطهير الـذات تصـبح لائقاً للقاء اللَّه، وسوف أهديك إليه عسـى أن تخشع وتترك ما أنت عليه من المنكرات: «وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى .

ولمّا كانت كل دعوة تحتاج إلى دليل صحتها، يضيف القرآن القول: «فَأَرَيهُ الْأَيَةَ الْكُبْرَى .

ولكن، ما الآيـة الكبرى؟ هل هى عصا موسـى عليه السـلام التى تحولت إلى أفعى عظيمـة، أو إخراج يده بيضاء، أم كليهما؟ وعلى أيّة حال، فالمهم فى المسألة إنّ موسى عليه السلام استند فى بدء دعوته على معجزة «الآية الكبرى».

وتبيّن لنا هذه الملاحظة: إنّ من جملة الأهداف المهمّة فى حركة الأنبياء هى هداية الطغاة أو مجاهدتهم.

لكن فرعون المتجبّر قابـل كـل تلك المحبـة، اللطف، الـدعوة بالحسـنى والآيـة الكبرى، قابل كل ذلك بالتجبّر الأعمى والغرور الأبله: «فَكَذَّبَ وَعَصَى .

وكما يظهر من الآية المباركة فإنّ التكذيب مقدمة العصيان ومرحلة سابقة له، كما هو حال التصديق والإيمان باعتباره مقدمة للطاعات.

وازداد فرعون عتوّاً: «ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى .

وقـد هـددت معجزة موسـى عليه السـلام كل وجود فرعون الطاغوتى، مما دعاه لأن يبـذل كل ما يملك من قدرة لأجل إبطال مفعول المعجزة، فتراه وقد أمر أتباعه وجنوده لجمع كل سحرة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۸

البلاد- على كثرتهم فى تلك الحقبة الزمنية- ونودى فى الناس بأمره ليشاهدوا مشـهد إبطال المعجزة من قبل السـحرة، وليظهروا مثلها: «فَحَشَرَ فَنَادَى . ولم يكتف فرعون بكذبه وعصـيانه، ومقاومته لدعوة الحق والوقوف أمامها، بل وتعدى حدود المخلوق بصورة مفرطة جدّاً، وافترى على اللَّه وعلى نفسه بأقبح ادعاء، حينما ادعى لنفسه الربوبية على شعبه وأمرهم بطاعته: «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى .

فادّعاءه بأنّه (الربّ الأعلى) قد سرى حكمه حتى على آلهته لتكون من عبيده! .. نعم، فهكذا هو هذيان الطواغيت.

وعلى أيّة حال، فقـد حلّ بفرعون منتهى التكبر والطغيان، فأخذه جبّار السـماوات والأرض سـبحانه أخذ عزيز مقتدر: «فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخِرَةِ وَالْأُولَى .

«النكال»: لغةً: العجز والضعف. ويقال لمن يتخلف عن دفع ما استحق عليه (نكل).

و (النِكل)- على وزن فكر- القيد الشديد الذى يعجز معه الإنسان على عمل أىّ شىء.

و «نكال»: فى الآية يقال للعذاب الإلهى الذى يؤدّى إلى عجز الإنسان، ويُخيف الآخرين، فيعجزهم عن ارتكاب الذنب.

«نكال الآخرة»: عذاب جهنم الذى سـينال فرعون وأصحابه ومَن سار على خطوه؛ و «عذاب الاولى»: إشارة إلى إغراق فرعون وأصحابه فى نهر النيل.

وتقديم «نكال الآخرة» على عذاب الدنيا، لأهميته وشدّة بطشه.

وقيل: «الاولى»: تشير إلى كلمة فرعون الاولى فى مسير طغيانه حين ادّعى (الالوهية)، كما جاء فى الآية (۳۸) من سورة القصص.

و «الآخرة»: إشارة إلى آخر كلمة نطق بها فرعون حين ادّعى (الربوبية العليا)، فعذّبه اللَّه بالغرق فى الحياة الدنيا نتيجة ادّعائيه الباطلين.

ويوافق هذا المعنى صـيغة الفعل الماضى الواردة فى الآية «أخذ» والذى يفهم منه تنفيذ كل العقاب فى الدنيا، وتعضده الآية التالية التى تَعِدّ العذاب عبرةً للآخرين.

ويستخلص القرآن نتيجة القصة: «إِنَّ فِى ذلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى .

فتبيّن الآيـة إنّ وسائط سـلك طريق الإعتبار مهيئـة لمن سـرى فى قلبه الخوف والخشـية من اللَّه، واعترته مشاعر الإحساس بالمسؤوليـة، ومَن رأى العبرة بعين معتبرة اعتبر.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۶۹

أَ أَنْتُمْ أَشَـدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (۲۷) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (۲۸) وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (۲۹) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحَاهَا (۳۰) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (۳۱) وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (۳۲) مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (۳۳) اللمسات الربانيـة فى عالم الطبيعـة ونظام الكون: ينتقـل البيـان القرآنى مرّة اخرى إلى عـالم القيامـة، بعـد ذكر تلك اللمحات البلاغيـة فى قصـة موسـى عليه السـلام مع فرعون. وابتـدأ الخطاب باستفهام توبيخى (لمنكرى المعاد) هل أنّ خلقكم (وإعادتكم إلى الحياة بعـد الموت) أصـعب من خلق السـماء: «ءَأَنتُمْ أَشَـدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا».

والآية فى واقعها جوابٌ لما ذكر من قولهم فى الآيات السابقة: «أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ»- أى هل يمكن أن نعود إلى حالتنا الاولى- فكـل إنسان ومهما بلغت مـداركه ومشاعره من مسـتوى، ليعلم أنّ خلق السـماء وما يسـبح فيها من نجوم وكواكب ومجرّات، لهو أعقد وأعظم من خلق الإنسان ... وإذاً فمن له القدرة على خلق السماء وما فيها من حقائق، أيعقل أن يكون عاجزاً عن إعادة الحياة مرّة اخرى إلى الناس؟!

ويضيف القرآن فى بيان خلق السماء، فيقول شارحاً بتفصيل: «رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّيهَا».

وقيل: إنّ الآية تشير إلى ارتفاع السماء والأجرام السماوية وبعدها الشاسع عن الأرض، بالإضافة لإشارتها للسقف المحفوظ، والغلاف الجوى الذى حفّ وأحاط بالكرة الأرضية.

ثم تنتقل بنا الآية التالية إلى إحدى الأنظمة الحاكمة فى هذا العالم الكبير، (نظام النور والظلمة): «وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحهَا».

فلكلّ من النور والظلمة دور أساس ومهم جدّاً فى حياة الإنسان وسائر الأحياء من حيوان ونبات، فلا يتمكن الإنسان من الحياة دون النور، لما له من إرتباط وثيق فى حركة وإحساس ورزق وأعمال الإنسان، وكذا لا يتمكن من تكملة مشوار حياته من غير الظلمة، والتى تعتبر رمز الهدوء والسكينة.

«أغطش»: من «الغطش»، بمعنى الظلام.

«الضحى»: إنبساط الشمس وإمتداد النهار.

وتنتقل بنا الآية الاخرى من السماء إلى الأرض، فتقول: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحهَا».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۰

مختصر الامثل ج۵ ۳۹۹

«دحاها»: من «الدحو» بمعنى الإنبساط، وفسّرها بعضهم بتحريك الشيء و نقله من مكانه. وللمعنيين أصل واحد، لوجود التلازم بينهما. ويقصد بدحو الأرض، إنّها كانت فى البداية مغطاة بمياه الأمطار الغزيرة التى انهمرت عليها من مدّة طويلة، ثم استقرت تلك المياه تدريجياً فى منخفظات الأرض، فشكلت البحار والمحيطات، فيما علت اليابسة على أطرافها، وتوسعت تدريجياً، حتى وصلت لما هى عليه الآن من شكل، (وحدث ذلك بعد خلق السماء والأرض).

وبعد دحو الأرض، وإتمام صلاحيتها لسكنى وحياة الإنسان، يأتى الحديث فى الآية التالية عن الماء والنبات معاً: «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعهَا».

ويظهر من التعبير القرآنى، إنّ الماء قد نفذ إلى داخل الأرض بادىء ذى بدء، ثم خرج على شكل عيون وأنهار، حتى تشكلت منهما البحيرات والبحار والمحيطات.

«المرعى»: اسم مكان من (الرعى)، وهو حفظ ومراقبة امور الحيوان من حيث التغذية وما شابهها. ولهذا، تستعمل كلمة (المراعاة) بمعنى المحافظة والمراقبة وتدبير الامور.

ثم ينتقل البيان القرآنى إلى «الجبال»، حيث ثمّة عوامل تلعب الدور المؤثر فى استقرار وسكون الأرض، مثل: الفيضانات، العواصف العاتية، المدّ والجزر، والزلازل .. فكل هذه العوامل تعمل على خلخلة استقرار الأرض، فجعل اللّه عزّ وجل «الجبال» تثبيتاً للأرض، ولهذا تقول الآية: «وَالْجِبَالَ أَرْسهَا».

«أرسى»: من «رسو»، بمعنى الثبات، وأرسى: فعل متعد؛ أى، ثبّت الجبال فى مواقعها.

وتلخص الآية التالية ما جاء فى الآيات السابقة: «مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ».

كل ذلك، ليغرف الإنسان من نِعم اللّه.

وما جاء فى الآيات يبرز قدرته سبحانه على المعاد من جهة، ويدلل من جهة اخرى على وجود اللّه تعالى وعظمة شأنه، ليدفع المخلوق إلى الإذعان بسلامة سلك طريق معرفة اللّه وتوحيده.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (۳۴) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (۳۵) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (۳۶) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (۳۷) وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (۳۸) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (۳۹) وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (۴۰) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (۴۱)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۱

التنزّه عن الهوى: وتتجه عدسة آيات القرآن الكريم لتعرض لنا جوانباً من صور عالم القيامة، وتبدأ بتصوير تلك الداهية المذهلة التى تصيب مَن عبد أهواءه فى الحياة الدنيا:

«فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى .

«الطامة»: من «الطم» وهو فى الأصل بمعنى ملء الفراغ والحفر، ويطلق بالطامة على كل شىء بلغ حدّه الأعلى، ولهذا فقد اطلقت على الحوادث المرّة والصعاب الكبار، وهى فى الآية تشير إلى يوم القيامة لما فيها من دواهى تغطى بهولها كل هول، واتبعت ب «الكبرى» زيادة فى التأكيد على أهمية وخطورة يوم القيامة.

ويضيف: حال حلول الحدث ... سيستيقظ الجميع من غفلتهم، ويتذكروا ما زرعوا لحياتهم: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسنُ مَا سَعَى .

وأنى للتذكر بعد فوات الأوان!

وإذا طلبوا الرجوع إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدوا ويتداركوا الأمر، فسيقرعون ب «كَلَّا».

وإذا ما اعتذروا تائبين، فلا محيص عن ردّهم، بعد أن أوصدت أبواب التوبة بأمر الجبّار الحكيم.

نعم، وقد ازيلت الحجب عن قلبه وروحه، سيرى الحقائق بعينها شاخصة أمامه، ولا ينسى حينها ما اكتسبت يداه من أعمال.

وتتحرك الآية التالية لوصف ما سيقع: «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى .

فالجحيم موجودة، كما تشير إلى ذلك الآية (۵۴) من سورة العنكبوت: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ». ولكن حجب الدنيا تمنعنا من رؤيتها، وأمّا فى يوم الفصل، يوم البروز، فسيبرز كل شىء ولا يستثنى من ذلك جهنم.

وفى الآيات الثلاثة التالية، يشير القرآن إلى حال المجرمين والطغاة يوم القيامة: «فَأَمَّا مَن طَغَى وَءَاثَرَ الْحَيوةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَى .

والآية الاولى تشير إلى فساد عقائد الطغاة، لأنّ الطغيان ينشأ من الغرور، والغرور من نتائج عدم معرفة البارى جّل شأنه.

وبمعرفة عظمة وجلال اللّه يتصاغر الإنسان حتى يكاد لا يرى لنفسه أثراً، وعندها سوف لن تزل قدمه عن جادة العبودية الحقة، مادام سلوكه يصب فى رافد معرفة اللّه.

والآية الثانية تشير إلى فسادهم العملى، لأنّ الطغيان يوقع الإنسان فى شراك اللذائذ الوقتية الفانية ذروة الطموح ومنتهى الأمل، فينساق واهماً لأن يجعلها فوق كل شىء.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۲

والأمران فى واقعهما كالعلّة والمعلول، فالطغيان وفساد العقيدة مفتاح فساد العمل وحبّ الدنيا المفرط، ولا يجران إلّاإلى سوء عقبى الدار، نار جهنم خالدين فيها أبداً.

ويأتى الدور فى الآيتين التاليتين لوصف أهل الجنة: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَى .

فالشرط الأوّل للحصول على نعم الجنة والإستقرار بها هو الخوف من اللّه من خلال معرفته (معرفة اللّه والخوف من التمرد والعصيان على أوامره)، والشرط الثانى هو ثمرة ونتيجة الشرط الأوّل أى الخوف والمعرفة ويتمثل فى السيطرة على هوى النفس وكبح جماحها، فهوى النفس من أقبح الأصنام المعبودة من دون اللّه.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (۴۲) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (۴۳) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (۴۴) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (۴۵) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (۴۶) تتعرض الآيات أعلاه لإجابة المشركين ومنكرى المعاد حول سؤالهم الدائم عن وقت قيام الساعة (يوم القيامة)، فتقول أوّلًا: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسهَا».

والقرآن فى مقام الجواب يسعى إلى إفهامهم بأنّه لا أحد يعلم بوقت وقوع القيامة، ويوجه البارى خطابه إلى حبيبه الأكرم صلى الله عليه و آله، بأنّك لا تعلم وقت وقوعها، ويقول: «فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَيهَا».

فما خفى عليك (يا محمّد)، فمن باب أولى أن يَخفى على الآخرين، والعلم بوقت قيام القيامة من الغيب الذى اختصه اللَّه لنفسه، ولا سبيل لمعرفة ذلك سواه إطلاقاً.

وتقول الآية التالية: «إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا».

ويؤكّد القرآن هذا المعنى فى الآية (٣۴) من سورة لقمان: «إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ».

وفى الآية (١٨٧) من سورة الأعراف: «قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبّى».

وتسهم الآية التالية فى التوضيح: «إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَهَا».

إنّما تكليفك هو دعوة الناس إلى الدين الحق، وإنذار من يأبى بعقاب اخروى أليم، وما عليك تعيين وقت قيام الساعة.

وتأتى آخر آية من السورة لتبيّن أنّ ما تبقى من الوقت لحلول الوعد الحق ليس بالكثير:

«كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحهَا».

«نهاية تفسير سورة النّازعات»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٣٧٣

٨٠. سورة عبس

محتوى السورة: يمكن ادراج محتويات السورة فى خمسة مواضيع أساسية:

١- عتاب إلهى شديد لمن واجه الأعمى الباحث عن الحق باسلوب غير لائق.

٢- أهمية القرآن الكريم.

٣- كفران الإنسان بالنعم والمواهب الإلهية.

۴- بيان جانب من النعم الإلهية فى مجال تغذية الإنسان والحيوان لاثارة حس الشكر فى الإنسان.

۵- الإشارة إلى بعض الحوادث الرهيبة ومصير المؤمنين والكفار فى ذلك اليوم العظيم.

وتسمية السورة ب (عبس) لورود هذه الكلمة فى أوّل آية منها.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر».

عَبَسَ وَ تَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (۴) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (۵) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (۶) وَ مَا عَلَيْكَ أَنْ يَزَّكَّى (٧) وَ أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَ هُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ٣٧۴

سبب النّزول

تبيّن الآيات المباركة عتاب اللَّه تعالى بشكل إجمالى، لشخص قدّم المال والمكانة الإجتماعية على طلب الحق ... أمّا مَن هو المعاتَب؟ فقد اختلف فيه المفسرون، لكن المشهور بين عامّة المفسرين وخاصتهم، ما يلى:

إنّها نزلت فى عبد اللَّه بن ام مكتوم، وذلك أنّه أتى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو يناجى عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وابيّاً واميّة إبنى خلف، يدعوهم إلى اللَّه، ويرجو إسلامهم. فقال: يا رسول اللَّه! أقرئنى وعلمنى ممّا علمك اللَّه، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدرى أنّه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لقطعه كلامه، وقال فى نفسه: يقول هؤلاء الصناديد، إنّما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآيات. وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعد ذلك يكرمه «١».

والآية لم تدل صراحة على أنّ المخاطب هو شخص النبى الكريم صلى الله عليه و آله، وعلى فرض صحة شأن النزول آنفة الذكر، فإنّ فعل النبى صلى الله عليه و آله والحال هذه لا يخرج من كونه (تركاً للأولى)، وهذا ما لا ينافى العصمة.

التّفسير

عتاب ربّانى: بعد أن تحدثنا حول شأن نزول الآيات، ننتقل إلى تفسيرها:

يقول القرآن أوّلًا: «عَبَسَ وَتَوَلَّى .

لماذا؟: «أن جَاءَهُ الْأَعْمَى . «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، ويطلب الإيمان والتقوى والتزكية.

«أوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذّكْرَى ، فإن لم يحصل على التقوى، فلا أقل من أن يتذكر ويستيقظ من الغفلة، فينفعه ذلك.

ويستمر العتاب ...: «أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ، مَن اعتبر نفسه غنياً ولا يحتاج لأحد.

«فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ، تتوجّه إليه، وتسعى فى هدايته، فى حين أنّه مغرور لما أصابه من الثروة، والغرور يولّد الطغيان والتكبر.

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۲۶۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۵

«وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى . أى فى حين لو لم يسلك سبيل التقوى والإيمان، فليس عليك شىء.

فوظيفتك البلاغ، سواء آمن السامع أم لم يؤمن، وليس لك أن تهمل الأعمى الذى يطلب الحق، وإن كان هدفك أوسع ويشمل هداية كل اولئك الأغنياء المترفين أيضاً.

ويأتى العتاب مرّة اخرى تأكيداً: «وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ، فى طلب الهداية ...

«وَهُوَ يَخْشَى . فخشيته من اللَّه هى التى دفعته للوصول إليك، كى يستمع إلى الحقائق ليزكّى نفسه فيها، ويعمل على مقتضاها.

«فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى «۱».

فالعتاب سواء كان موجه إلى النبىّ صلى الله عليه و آله أو إلى غيره، فقد جاء ليكشف عن اهتمام الإسلام أو القرآن بطالبى الحق، والمستضعفين منهم بالذات.

وعلى العكس من ذلك حدّة وصرامة موقف الإسلام والقرآن من الأثرياء المغرورين إلى درجة أنّ اللَّه لا يرضى بإيذاء رجل مؤمن مستضعف لغرض هدايتهم.

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (۱۱) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (۱۲) فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (۱۳) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (۱۴) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (۱۵) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (۱۶) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (۲۲) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (۲۳) تأتى هذه الآيات المباركة لتشير إلى أهمية القرآن وطهارته وتأثيره فى النفوس، بعد أن تناولت الآيات التى سبقتها موضوع (الإعراض عن الأعمى الذى جاء لطلب الحق)، فتقول: «كَلَّا». فلا ينبغى لك أن تعيد الكرّة ثانية.

«إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ». إنّما الآيات القرآنية تذكرة للعباد، فلا ينبغى الإعراض عن المستضعفين من ذوى القلوب النقية الصافية والتوجه إلى المستكبرين، اولئك الذين ملأ الغرور نفوسهم المريضة.

ويحتمل أيضاً، كون الآيات «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ» جواب لجميع التهم الموجهة ضد القرآن من قبل المشركين وأعداء الإسلام.

---

(۱) «التلهى»: من «اللهو» ويأتى هنا بمعنى الغفلة عنه والإستغفال بغيره، ليقف فى قبال «التصّدى».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۶

تقول الآية: إنّ الأباطيل والتهم الزائفة التى افتريتم بها على القرآن من كونه شعر أو سحر أو نوع من الكهانة، لا يمتلك من الصحة

شيئاً، وإنّما الآيات القرآنية آيات تذكرة وإيمان، ودليلها فيها.

وتشير الآية التالية إلى اختيارية الهداية والتذكّر: «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ».

نعم، فلا إجبار ولا إكراه فى تقبل الهدى الربانى، فالآيات القرآنية مطروحة وأسمعت كل الآذان، وما على الإنسان إلّاأن يستفيد منها أو لا يستفيد.

ثم يضيف: أنّ هذه الكلمات الإلهية الشريفة مكتوبة فى صحف (ألواح وأوراق): «فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ».

إنّ تعبير «الصحف» يوضّح لنا أنّ القرآن قد كُتب على ألواح من قبل أن يُنزّل على النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ووصلت إليه بطريق ملائكة الوحى، والألواح بطبيعتها جليلة القدر وعظيمة الشأن.

وهذه الصحف المكرمة: «مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ». فهى مرفوعة القدر عند اللّه، وأجلّ من أن تمتد إليها أيدى العابثين وممارسات المحرّفين، ولكونها خالية من قذارة الباطل، فهى أطهر من أن تجد فيها أثراً لأىّ تناقض أو تضاد أو شك أو شبهة.

وهى كذلك: «بِأَيْدِى سَفَرَةٍ»، سفراء من الملائكة.

وهؤلاء السفراء: «كِرَامٍ بَرَرَةٍ».

«سفرة»: جمع (سَافِرْ) من (سَفَر)، ولغةً: بمعنى كشف الغطاء عن الشىء، ولذا يطلق على الرسول ما بين الأقوام (السفير) لأنّه يزيل ويكشف الوحشة فيما بينهم، ويطلق على الكاتب اسم (السافر)، وعلى الكتاب (سِفر) لما يقوم به من كشف موضوع ما ... فالسفرة هنا، بمعنى:

الملائكة الموكلين بإيصال الوحى الإلهى إلى النبى، أو الكاتبين لآياته.

فى تفسير مجمع البيان: روى فضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة».

يجعل الحافظين للقرآن العاملين به فى درجة السفرة الكرام البررة، فليسوا هم السفرة بل فى مصافهم، لأنّ جلالة مقام حفظهم وعملهم، يماثل ما يؤديه حملة الوحى الإلهى.

«كرام»: جمع «كريم»، بمعنى العزيز المحترم، وتشير كلمة «كرام» فى الآية إلى عظمة ملائكة الوحى عند اللّه وعلوّ منزلتهم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۷

«بررة»: جمع «بار»، من «البَرّ»، بمعنى التوسع، ولذا يطلق على الصحراء الواسعة اسم (البَرْ)، كما يطلق على الفرد الصالح اسم (البار) لوسعة خيره وشمول بركاته على الآخرين.

و «البررة»: فى الآية، بمعنى إطاعة الأمر الإلهى، والطهارة من الذنوب.

وعلى الرغم من توفير مختلف وسائل الهداية إلى اللّه، ومنها ما فى الصحف المكرمة من تذكير وتوجيه .. ولكن الإنسان يبقى عنيداً متمرداً: «قُتِلَ الْإِنسنُ مَا أَكْفَرَهُ».

«الكفر»: فى هذا الموضع قد يحتمل على ثلاثة معان ... عدم الإيمان، الكفران وعدم الشكر ... جحود الحق وستره بأىّ غطاء كان وعلى كل المستويات.

«قُتِلَ الْإِنسنُ»: كناية عن شدّة غضب البارى جلّ وعلا، وزجره لمن يكفر بآياته.

ثم يتعرض البيان القرآنى إلى غرور الإنسان الواهى، والذى غالباً ما يوقع صاحبه فى هاوية الكفر والجحود السحيقة: «مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ».

لقد خلقه من نطفة قذرة حقيرة، ثم صنع منه مخلوقاً موزوناً مستوياً قدّر فيه جميع اموره فى مختلف مراحل حياته: «مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ».

فالنظرة الفاحصة الممعنة فى خلق الإنسان من نطفة قذرة وتحويله إلى هيئته التامّة المقدرة من كافة الجهات، ومع ما منحه اللّه من

مواهب وإستعدادات ... لأفضل دليل يقودنا بيسر إلى معرفته جلّ اسمه.

«قدّره»: من «التقدير»، وهو الحساب في الشيء.

والتقدير بمعنى إيجاد القدرة في هذه النطفة المتناهية في الصغر.

فما أجلّ الإله الذي جعل في موجود ضعيف كل هذه القدرة والإستطاعة، فترى النطفة بعد أن تتحول إلى الإنسان تسير وتتحرك بين أقطار السماوات والأرض، وتغوص في أعماق البحار وقد سخرت لها كل ما يحيط بها من قوى

ويستمر القرآن في مشوار المقال: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» ... يسّر له طريق تكامله حينما كان جنيناً في بطن امّه، يسّر له سبيل خروجه إلى الحياة من ذلك العالم المظلم.

ومن عجيب خلق الإنسان أنّه قبل خروجه من بطن امّه يكون على الهيئة التالية: رأسه إلى الأعلى ورجليه إلى الأسفل، ووجهه متجهاً صوب ظهر امّه، وما أن تحين ساعة الولادة حتى تنقلب هيئته فيصبح رأسه إلى الأسفل كي تسهل وتتيسّر ولادته.

وبعد ولادته يمرّ الإنسان في مرحلة الطفولة التي تتميز بنموه الجسمي، ثم مرحلة نمو

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۸

الغرائز، فالرشد في مسير الهداية الإيمانية والروحية، ويساهم العقل ودعوة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في تركيز معالم شخصية وبناء الإنسان روحياً وإيمانياً. وتشير الآية التالية إلى الأمر الحتمي الذي به تطوى آخر صفحات مشوار الحياة الدنيا:

«ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ».

وحكم دفن الأموات (بعد الغسل والتكفين والصلاة)، يبيّن لنا ... أنّه ينبغي على الإنسان أن يكون طاهراً محترماً في موته، فكيف به يا تُرى وهو حيّ؟!

وينتقل البيان القرآني إلى يوم القيامة: «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ».

«أنشره»: من «النشر»، بمعنى الإنبساط بعد الجمع، فالكلمة تشير باسلوب بلاغي رائع إلى جمع كل حياة الإنسان عند الموت لتنشر في محيط أكبر وأعلى (يوم القيامة).

وتأتي الآية الأخيرة من الآيات المبحوثة لتبيّن لنا ما يؤول إليه الإنسان من ضياع في حال عدم اعتباره بكلّ ما أعطاه اللَّه من المواهب، فبالرغم من حتمية تسلسل حياة الإنسان من نطفة حقيرة، مروراً بما يطويه من صفحات الزمن العابرة، حتى يموت ويقبر، لكنّه .. «كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ».

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (۲۴) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً (۲۵) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (۲۶) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (۲۷) وَ عِنَباً وَ قَضْباً (۲۸) وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلًا (۲۹) وَ حَدَائِقَ غُلْباً (۳۰) وَ فَاكِهَةً وَ أَبّاً (۳۱) مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (۳۲) فلينظر الإنسان إلى طعامه: تحدثت الآيات السابقة حول مسألة المعاد، والآيات القادمة تتناول نفس الموضوع بشكل أوضح، ويبدو أنّ الآيات المبحوثة- وانسياقاً مع ما قبلها وما بعدها- تتطرق لذات البحث وتبيّن مفردات قدرة الباري جلّ شأنه على كل شيء كدليل على إمكان تحقق المعاد، فما يقرّب إمكانية القيامة إلى الأذهان هو إحياء الأراضي الميتة بإنزال المطر عليها، العملية تمثل إحياء بعد موت مختصة بعالم النبات.

ثم إن البيان القرآني في الآيات أعلاه قد طرح بعض مفردات الأغذية التي جعلها اللَّه تحت تصرف الإنسان والحيوان، لتثير عند الإنسان الإحساس بضرورة شكر المنعم الواهب، وهذا الإحساس بدوره سيدفع الإنسان ليتقرب في معرفة بارئه ومصوّره.

وشرعت الآيات بقولها: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنسنُ إِلَى طَعَامِهِ»، كيف خلقه اللَّه تعالى؟!

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۷۹

الغذاء من أقرب الإشياء الخارجية من الإنسان وأحد العوامل الرئيسية في بناء بدنه، ولولاه لتقطّعت أنفاس الإنسان وأسدلت ستارة نصيبه من الحياة، ولذلك جاء التأكيد القرآني على الغذاء وبالذات النباتي منه دون بقية العوامل المسخّرة لخدمة هذا المخلوق الصغير

فى حجمه.

ومن الجلى أنّ «النظر» المأمور به فى الآية جاء بصيغة المجاز، واريد به التأمل والتفكير فى بناء هذه المواد الغذائية، وما تحويه من تركيبات حياتية، وما لها من تأثيرات مهمّة وفاعلة فى وجود الإنسان، وصولًا إلى حال التأمل فى أمر خالقها جلّ وعلا.

وهكذا النظر إلى كيفية حصوله ... فهل كان من حلال أم من حرام؟ هل هو مشروع أم غير مشروع؟ أى ينظر إلى طعامه من جانبيه الأخلاقى والتشريعى.

وقد ذُكر فى بعض روايات أهل البيت عليهم السلام إنّ المراد ب «الطعام» فى الآية هو (العلم) لأنّه غذاء الروح الإنسانية.

فى الكافى: زيد الشحام عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى قول اللّه عزّ وجل «فَلْيَنْظُرِ الْإِنسنُ إِلَى طَعَامِهِ» قال: قلت ما طعامه؟ قال: «علمه الذى يأخذه عمن يأخذه».

نعم ... ينبغى على الإنسان أن يكون دقيقاً فى متابعة مصدر ومنبع علمه ليطمئن لغذائه الروحى، وليأمن بالنتيجة من مدلهمات الخطوب التى تؤدّى لمرض الروح أو هلاكها.

ثم يدخل القرآن فى شرح تفصيلى لماهية الغذاء ومصدر تشكيله، فيقول «أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا».

«الصب»: إراقة الماء من أعلى، وجاء هنا بمعنى هطول المطر. نعم .. فالماء مصدر رئيسى للحياة، وهو على الدوام ينزل من السماء وبغزارة ليجسد لطف اللّه تعالى على خلقه.

كيف لا، وكل العيون والآبار والقنوات والأنهار قد استمدت أساس وجودها من الأمطار.

وبعد ذكر نعمة الماء وما له من أثر حيوى ومهم فى نمو النباتات، ينتقل البيان القرآنى إلى الأرض، فيقول: «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا».

إنّ الآية تشير إلى عملية شقّ الأرض بواسطة النباتات التى تبدأ بالظهور على سطح الأرض بعد عملية بذر الحبوب، والعلمية بحدّ ذاتها مدعاة للتأمل، إذ كيف يمكن لهذا العشب الصغير الناعم أن يفتت سطح التربة مع ما لها من صلابة وخشونة، بل ونرى فى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۰

المناطق الجبلية أنّ سويقات نباتاتها قد ظهرت من بين حافات صخورها الصلدة. وثمة تفسير اخرى يقول: إنّ شقّ الأرض فى الآية إشارة إلى تفتت الصخور التى كانت على سطح الأرض.

فالآية تمثل إحدى مفردات الإعجاز العلمى للقرآن، لأنّها تناولت موضوع الأمطار وتشقق الأرض لتضحى قابلة للزراعة، بشكل علمى دقيق، والآية لم تتحدث عن شىء قد حدث، بل حدث ولا زال. يبدو أنّ هذا التفسير ينسجم مع ما تطرحه الآية التالية بخصوص عملية الإنبات.

وبعد ذكر ركنين أساسيين فى عملية الإنبات- أى الماء والتراب- ينتقل القرآن بالإشارة إلى ثمانية مصادر لغذاء الإنسان أو الحيوان: «فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا».

تعتبر الحبوب من الأغذية الرئيسية للإنسان والحيوان معاً، وتتوضح أهميتها فيما لو عمّ الجفاف- على سبيل المثال- فمدّة عام واحد، حيث يعمّ القحط وتنتشر المجاعة فى كل مكان.

ثم يضيف: «وَعِنَبًا وَقَضْبًا».

وقد اختارت الآية العنب دون البقية لما اودع فيه من مواد غذائية غنية بالمقويات، حتى قيل عنه بأنّه غذاء كامل.

ومع أنّ «العنب» يطلق على الشجرة والثمرة، وبالرغم من ورود كلا الإستعمالين فى الآيات القرآنية، لكن المناسب هنا الثمرة دون الشجرة.

«قضباً»: هو الخضراوت التى تؤكل طرية والنباتات الزاحفة وكذا الأرضية.

ثم يضيف: «وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا».

ومن الواضح أنّ ذكر هاتين الفاكهتين لما لهما من الأهمية الغذائية للإنسان، حيث يعتبر الزيتون والتمر من أهم الأغذية المقوية والصحية والمفيدة للإنسان.

وتأتى المرحلة التالية: «وَحَدَائِقَ غُلْبًا».

«الحدائق»: جمع (حديقة)، وهى الأرض المزروعة والمحاطة بسور يحفظها، وهى فى الأصل بمعنى: قطعة الأرض التى تحتوى على الماء، وسمّيت حديقة تشبيهاً بحدقة العين من حيث الهيئة وحصول الماء فيها.

ويحتمل إشارة الآية إلى أنواع الفواكه، باعتبار أنّ الحدائق غالباً ما تزرع بأشجار الفاكهة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۱

«غلب»: على وزن (قفل)، جمع (أغلب) و (غلباء)، بمعنى غليظ الرقبة، فلآية إذن ترمز إلى الأشجار الشاهقة المتينة.

ثم يضيف: «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا».

«الأبّ»: (بتشديد الباء)، هو المرعى المُهيأ للرعى والحصد، وهو فى الأصل بمعنى «التهيؤ»، اطلق على المرعى لما فيه من أعشاب يكون بها مهيئاً لاستفادة الحيوانات منه.

ويواجهنا سؤال: إذا كانت الآيات السابقة ذكرت بعض أنواع الفاكهة، والآية المبحوثة تناولت الفاكهة بشكل عام، هذا بالإضافة إلى ذكر ال «حدائق» فى الآية السابقة والتى قيل أنّ ظاهرها يشير إلى الفاكهة ... فلِم هذا التكرار؟

الجواب: إنّ تخصيص ذكر العنب والزيتون والتمر (بقرينة ذكر النخل)، إنّما جاء ذكرها لأهميتها المميزة على بقية الفاكهة.

أمّا لماذا ذكرت الحدائق بشكل منفصل عن الفاكهة؟ فيمكن حمله على ما للحدائق من منافع خاصة بها، ولا تشترك الفاكهة فيها، كجمالية منظرها وعذوبة نسيمها وما شابه ذلك، بالإضافة إلى استعمال أوراق الأشجار وجذورها وقشور جذوعها كمواد غذائية (كالشاى والزنجبيل وأمثالها)، أمّا بالنسبة للحيوانات، فأوراق الأشجار المختلفة من أفضل أغذيتها عموماً ... فالآيات إذن كانت فى صدد الحديث عن غذاء الإنسان والحيوان.

ولذلك ... جاءت الآية التالية لتوضيح هذا المعنى: «مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ».

و «المتاع»: هو كل ما يستفيد منه الإنسان ويتمتع به.

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (۳۳) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (۳۴) وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ (۳۵) وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (۳۶) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (۳۷) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (۳۸) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (۳۹) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (۴۰) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (۴۱) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (۴۲)

صيحة البعث ...: وينتقل الحديث فى هذه الآيات إلى يوم القيامة وتصوير حوادثه، وما سيؤول إليه أحوال المؤمنين الكافرين، كل بما كسبت يداه وقدّم.

فمتاع الحياة الدنيا وإن طال فهو قليل جدّاً فى حساب حقيقة الزمن، وأنّ خالق كل شىء لعظيم فى خلقه وشأنه، وأنّ المعاد حق ولابدّ من حتمية وقوعه.

ويقول القرآن الكريم: «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۲

«الصّاخة»: من «صخّ» وهو الصوت الشديد الذى يكاد يأخذ بسمع الإنسان، ويشير فى الآية إلى نفخة الصور الثانية، وهى الصيحة الرهيبة التى تعيد الحياة إلى الموجودات بعد موتها جميعاً ليبدأ منها يوم الحشر.

ولذا تأتى الآية التالية، ولتقول مباشرة: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ».

ذلك الأخ الذى ما كان يفارقه وقد ارتبط به بوشائج الاخوة الحقة!

وكذلك: «وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ».

حتى: «وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ».

فوحشة ورهبة يوم القيامة لا تُنسى الأخ والام والأب والزوجة والأولاد فحسب، بل وتتعدى إلى الفرار منهم، وعندما ستتقطع كل روابط وعلاقات الإنسان الفرد مع الآخرين.

ولكن ... لِم الفرار؟ ... «لِكُلِّ امْرِىٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ».

«يغنيه»: كناية لطيفة عن شدّة انشغال الإنسان بنفسه فى ذلك اليوم، ولما سيرى من حادث مذهلة، تأخذه كاملًا، فكراً وقلباً.

عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال له بعض أهله: يا رسول اللَّه! هل يذكر الرجل يوم القيامة حميمه؟ فقال صلى الله عليه و آله: «ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخفّ، وعند الصراط حتى ينظر أيجوزه أم لا، وعند الصحف حتى ينظر بيمينه يأخذ الصحف أم بشماله، فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا حبيبه ولا قريبه ولا صديقه، ولا بنيه ولا والديه، وذلك قول اللَّه تعالى: «لِكُلِّ امْرِىٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»» «۱».

وينتقل البيان القرآنى ليصور لنا حال العباد بقسميهم فى ذلك اليوم، فتقول:

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ». أى مشرقة وصبيحة.

«ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ». «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ». «تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ». أى تغطيها ظلمات ودخان.

«أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ».

«مسفرة»: من «الأسفار»، بمعنى الظهور بياض الصبح بعد ظلام الليل.

---

(۱) البرهان فى تفسير القرآن ۵/ ۵۸۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۳

«غبرة»: على وزن (غَلَبَة)، من «الغبار».

«قترة»: من «القتار»، وهو شبه دخان يغشى من الكذب.

«الكفرة»: جمع (كافر)، والوصف يشير إلى فاسدى العقيدة.

«الفجر»: جمع (فاجر)، والوصف يشير إلى فاسدى العمل.

ونستخلص من كل ما تقدّم، أنّ آثار فساد العقيدة لدى الإنسان وأعماله السيئة ستظهر على وجهه يوم القيامة.

وقد اختير الوجه، لأنّه أكثر أجزاء الإنسان تعبيراً عمّا يخالجه من حالات الغبطة والسرور أو الحزن والكآبة.

«نهاية تفسير سورة عبس»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۵

۸۱. سورة التكوير

محتوى السورة: هذه السورة تدور حول محورين أساسيين:

الأوّل: هو ما شرعت به السورة من تبيان علائم يوم القيامة، وما يواجه العالم من تغييرات قبيل يوم القيامة.

الثانى: الحديث عن عظمة القرآن ومن جاء به، وأثره على النفس الإنسانية، بالإضافة إلى تكرار اليمين والقسم فى آيات عدّة لإيقاظ الإنسان من غفلته.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان: ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة إذا الشّمس كوّرت أعاده اللَّه تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته».

وروى أبو بكر قال: قلت لرسول اللَّه: يا رسول اللَّه! أسرع إليك الشيب؟ قال: «شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتسائلون وإذا الشّمس كوّرت».

وتلاوة القرآن المقصودة فى الحديث أعلاه، ينبغى أن يكون بشروطها من: التأمل، الإيمان والعمل.

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (۴) وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (۶) وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَ إِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۶

يوم تطوى الكائنات فيه: نواجه فى بداية السورة إشارات قصيرة، مثيرة ومرعبة لما سيجرى لنهاية العالم المذهلة، فقد تحدثت هذه الآيات عن ثمانية علائم من ويوم القيامة.

وأوّل مشهد عرضته عدسة العرض القرآنى، هو: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

«كوّرت»: من «التكوير» بمعنى الطى والجمع واللّف (مثل لف العمامة على الرأس).

فالمقصود هو: خمود نور الشمس وذهابه، وتغيّر نظام تكوينها.

وكما بات معلوماً ... فالشمس فى وضعها الحالى، عبارة عن كرة مشتعلة، على هيئة غازية ملتهبة، وتتفجر الغازات على سطحها بصورة شعلات هائلة محرقة، قد يصل إرتفاعها إلى مئات الآلاف من الكيلو مترات.

ولو قُدّر وضع الكرة الأرضية وسط شعلة منها، فإنّها تستحيل فوراً إلى رماد وكتلة من الغازات.

ولكن ... عند حلول وقت نهاية العالم، والإقتراب من يوم القيامة، سيخمد ذلك اللهب المروع، وستجمع تلك الشعلات، فيطفأ نور الشمس، ويصغر حجمها ... وهو ما اشير إليه بالتكوير.

وقد أيّد العلم الحديث هذه الحقيقة، من خلال اعتقاده وبعد دراسات علمية كثيرة، بأنّ الشمس تسير تدريجياً نحو الظلام والإنطفاء.

ويأتى المشهد الثانى: «وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ».

«انكدرت»: من «الإنكدار»، بمعنى السقوط والتناثر، واشتق من (الكدورة)، وهى السواد والظلام.

ويمكن جمع المعنيين فى الآية، لأنّ النجوم فى يوم القيامة ستفقد إشعاعها وتتناثر وتسقط فى هاوية الفناء.

والمشهد الثالث: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ».

وقد ذكرنا مراحل فناء الجبال، ابتداءً من السير والحركة وانتهاءً بتحولها إلى غبار متناثر (فراجع تفسير الآية ٢٠ من سورة النبأ).

وثم يأتى دور المشهد الرابع: «وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ».

«العشار»: جمع (عشراء)، وهى الناقة التى مرّ على حملها عشرة أشهر، فأضحت على أبواب الولادة، بعدما امتلأت أثداؤها باللبن.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۷

وهى من أحبّ وأثمن النوق لدى العرب زمن نزول الآية المباركة.

«عطلت»: تركت لا راعى لها. فهول ووحشة القيامة، سينسى الإنسان أحبّ وأثمن ما يمتلكه.

وينتقل المشهد الخامس إلى الوحوش: «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ».

فالحيوانات الوحشية التى تراها فى الحالات العادية تبتعد الواحدة عن الاخرى خوفاً من الإفتراس والبطش، ستراها وقد جمعت فى محفل واحد، وكل منها لا يلتفت إلى ما حوله لما سيصاب به من رهبة وأهوال ذلك اليوم الخطير، وكأنّها تقصد من اجتماعها هذا التخفيف عن شدّة خوفها وفزعها.

ونقول: إذا اضمحلت كل خصائص الوحشية للحيوانات غير الأليفة نتيجة لأهوال يوم القيامة، فما سيكون مصير الإنسان حينئذ؟!

وتُصوّر البحار فى المشهد السادس: «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ».

«سجّرت»: من «التسجیر»، بمعنی إضرام النار.

وإذا خالج القدماء التعجب والإستغراب لهذا الوصف القرآنی، فقد بات الیوم من البدیهیات الکسبیة، لما یترکب منه الماء من عنصری الأوکسجین والهیدروجین، القابلات للإشتعال بسرعة، ولا یستبعد أن یوضع الماء- فی إرهاصات یوم القیامة- تحت ضغط شدید ممّا یؤدّی إلی تجزئة وتفکیک عناصره، وعندها سیتحول إلی کتلة ملتهبة من النار.

ویأتی درو المشهد السابع: «وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ».

فتبدأ المآلفة بخلاف حال الدنیا ... فالصالحون مع الصالحین، والمسیؤون مع المسیئین، وأصحاب الیمین مع أصحاب الیمین، وأصحاب الشمال مع أصحاب الشمال، فإذا ما جاور المؤمن مشرکاً، أو تزوج الصالح من غیر الصالحة فی الحیاة الدنیا، فتصنیف یوم لقیامة غیر ذلک، فهو یوم الفصل الحق.

ونصل إلی المشهد الثامن: «وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سِلَتْ بِأَیّ ذَنبٍ قُتِلَتْ».

«الموءودة»: من «الوأد» علی وزن (وعد)، بمعنی دفن البنت حیّة بعد ولادتها.

وأطلق الأئمة الأطهار علیهم السلام مفهوم الوأد، لیشمل کل قطع رحم وقطع مودّة ... حینما سئل

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۸

الإمام الباقر علیه السلام عن معنی الآیة، قال: «هو من قتل فی مودّتنا وولایتنا» «۱». ولا شک أنّ التفسیر الأوّل ینسجم مع ظاهر الآیة، ولکن المفهوم والملاک قابلان للتوسع والشمول.

وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (۱۰) وَ إِذَا السَّمَاءُ کُشِطَتْ (۱۱) وَ إِذَا الْجَحِیمُ سُعِّرَتْ (۱۲) وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (۱۳) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (۱۴) یوم یری الإنسان ما قدّم: فبعد مرحلة الفناء العام، تأتی مرحلة الظهور الجدید للعالم، لتقام محکمة العدل الإلهی، ومن معالم هذه المرحلة: «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ».

فستنشر الصحف التی دوّنت فیها أعمال الناس من قبل الملائکة وکل سیعرف جزاءه بعد الإطّلاع علی صحیفة أعماله، کما تشیر إلی ذلک الآیة (۱۴) من سورة الإسراء: «اقْرَأْ کِتَابَکَ کَفَی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیبًا».

وسیکون نشر الصحف أمام الملأ العام لتقرّ عیون المحسنین سروراً، ویقاسی المسیؤون العذاب النفسی.

ثم یضیف: «وَإِذَا السَّمَاءُ کُشِطَتْ».

«کشطت»: من «الکشط» علی وزن (کشف)، بمعنی قلع جلد الناقة.

وما یراد من «کشطت» فی الآیة، هو: رفع الحجب الفاصلة بین العالمین الدنیوی والعلوی، التی تمنع رؤیة الناس للملائکه أو الجنة والنار، فیری الإنسان حینها عالم الوجود شاخصاً أمام ناظریه شخوصاً حقیقیاً.

فالآیة قد تحدثت عن المرحلة الثانیة للقیامة؛ مرحلة ما بعد البعث.

ویتأکد ذلک بوضوح من خلال الآیة: «وَإِذَا الْجَحِیمُ سُعِّرَتْ».

فجهنّم موجودة فی کل الأوقات، ولکن حجب الدنیا هی المانعة من رؤیتها، فالآیة علی سیاق الآیة (۴۹) من سورة التوبة: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکَافِرِینَ». وکما أنّ جهنم

(۱) تفسیر علی بن إبراهیم ۲/ ۴۰۷.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۸۹

موجودة فالجنة کذلک بدلالة آیات قرآنیة کثیرة.

ویبیّن البیان القرآنی بذات السیاق السابق: «وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ».

وهذا المعنى هو تكرار لما جاء فى الآية (۹۰) من سورة الشعراء: «وَأَزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ».

«ازلفت»: من «زلف» على وزن (حرف) .. و «زلفى : على وزن (كُبرى ، بمعنى القرب، فيمكن أن يكون المراد هو: القرب المكانى، أو القرب الزمانى، أو القرب من حيث الأسباب والمقدمات، ويمكن أيضاً أن تحمل الكلمة جميع ما ذكر من معانٍ.

وتأتى الآيـة الأخيرة- من الآيات المبحوثة- لتتم ما جاء قبلها من جمل، حيث تمثل جزاء الشـرط للجمل السابقة والتى وردت فى (۱۲) آية: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ».

فستحضر أعمال الإنسان كاملة، ولا من محيص من العلم والإطّلاع بها فى عالم الشهود والمشاهدة.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة مرات عديدة فى آيات مباركات، منها: الآية (۴۹) من سورة الكهف: «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا»، والآيتان (۷ و ۸) من سورة الزلزلة: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ».

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (۱۶) وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (۱۷) وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (۱۸) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۱۹) ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ (۲۰) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (۲۱) وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (۲۲) وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (۲۳) وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (۲۴) وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (۲۵) بعـد أن تناولت الآيات السابقـة مواضيع: المعاد، مقـدمات يوم القيامة، وحوادث يوم القيامة ... تأتى الآيات أعلاه لتتحـدث عن أحقيـة القرآن وصـدق نبوّة محمّـد صلى الله عليه و آله، والآيات فى حقيقتها تأكيد على ما جاء فى الآيات السابقة لموضوع «المعاد»، إضافة لذكرها صور بيانية منبهة على هذه الحقيقة.

وتشرع الآيات ب: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ».

«الخنّس»: جمع (خانس)، من (خنس) وهو الإنقباض والإختفاء، ويقال للشيطان:

«الخنّاس»، لأنّه إذا ذُكر اللَّه تعالى يخنس، وكما ورد فى الحديث الشريف: «الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللَّه خَنَس».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۰

«الجوار»: جمع (جارية)، وهى الشئ الذى يتحرك بسرعة.

«الكنّس»: جمع (كانس)، من (كنس)، وهو الإختفاء، و «كناس» الطير والوحش: بيت يتخذه.

والمقصود بهـذا القَسم كمـا روى عن أمير المؤمنين على عليه السـلام أنّه قـال فى تفسـير الآيات المـذكورة: «هى خمسـة أنجم: زحل، والمشترى، والمريخ، والزهرة، وعطارد» «۱». والتى يمكن رؤيتها بالعين المجردة.

ونقول توضيحاً: لو تأمّلنـا السـماء عـدّة ليـال، لرأينا أنّ نجوم السـماء أو القبـة السـماوية تظهر وتغيب بشـكل جماعى من دون أن تتغير الفواصل والمسافات فيما بينها، وكأنّها لئالىء خيطت على قطعة قماش داكن اللون، وهذه القطعة تتحرك من المشرق إلى المغرب، إلّا خمسـة كواكب قد خرجت عن هذه القاعدة، فنراها تتحرك وليس بينها وبين بقيّة النجوم فواصل ثابتة، وكأنّها لئالىء قد وضـعت على تلك القطعة وضعاً، من دون أن تخيّط بها.

وهـذه الكواكب الخمس هى المقصودة فى هـذا التفسـير، ومـا نلاحظه من حركتها إنّما تكون لقربها منّا ولا نتمكن من تمييز حركات بقية النجوم لعظم المسافة فيما بيننا وبينها.

ومن جهـة اخرى: ينبغى التنويه إلى أنّ علماء الفلك يطلقون على هذه الكواكب اسم (الكواكب المتحيرة)، لأنّها لا تتحرك على خط مستقيم ثـابت، فنراهـا تسير باتجاه معين من الزمن ثم تعود قليلًا ومن ثم تتابع مسيرها الأوّل وهكـذا ... ولهؤلاء العلماء بحوث علمية كثيرة فى تحليل هذه الظاهرة.

وعليه ... يمكن حمـل إشـارة الآيات إلى الكواكـب السيارة «الجوار»، التى فى سيرها لها رجوع «الخنس»، ثم تختفى عنـد طلوع الفجر وشـروق الشـمس ... فهى تشبه غزالًا يتصيد طعامه فى الليل وما أن يحّل النهار حتى يختفى عن أنظار الصيادين والحيوانات المفترسة فيذهب إلى «كناسه»، ولذا وصفت الكواكب ب «الكنّس».

فكأنّ القرآن الكريم يريد بهذا القسم الملىء بالمعانى الممتزجة بنوع من الإبهام، كأنّه يريد إثارة الفكر الإنسانى، وتوجيهه صوب الكواكب السيارة ذات الوضع الخاص على القبة السماوية، ليتأمل أمرها وقدرة وعظمة خالقها سبحانه وتعالى.

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۲۸۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۱

ويعرض لنا القرآن لوحة اخرى: «وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ».

«عسعس»: من «العسعسة»، وهى رقة الظلام فى طرفى الليل (أوّله وآخره). وبالرغم من اطلاق هذه المفردة على معنيين متفاوتين، ولكن المراد منها فى هذه الآية هو آخر الليل فقط بقرينة الآية التالية لها، وهو ما يشابه القسم الوارد فى الآية (۳۳) من سورة المدّثّر:

«وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ».

ويأتى القَسم الثالث والأخير من الآيات: «وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ».

ويأتى هذا الوصف فى سياق ما ورد فى سورة المدّثّر، فبعد القسم بإدبار الليل، قال:

«وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ»، فكأنّ الليل ستارة سوداء قد غطت وجه الصبح، فما أن أدبر الليل حتى رفعت تلك الستارة فبان وجه الصبح مشرقاً، وأسفر للحياة من جديد.

وتجسّد الآية التالية جواب القسم للآيات السابقة: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ».

فالجواب موجّه لمن اتّهم النّبى صلى الله عليه و آله باختلاق القرآن ونسبته إلى البارى جلّ شأنه.

وقد تناولت هذه الآية وما بعدها خمسة أوصاف لأمين وحى اللَّه جبرائيل عليه السلام، وهى الأوصاف التى ينبغى توفرها فى كل رسول جامع لشرائط الرسالة ...

فالصفة الاولى: إنّه «كريم»: إشارة إلى علوّ مرتبته وجلالة شأنه.

ومن صفاته أيضاً: «ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ».

«ذى العرش»: ذات اللَّه المقدسة.

مع أنّ اللَّه مالك كل عالم الوجود، فقد وصف «بذى العرش» لما للعرش من أهمّية بالغة على غيره (سواء كان العرش بمعنى عالم ما وراء الطبيعة، أو بمعنى مقام العلم المكنون).

أمّا وصفه ب «ذى قوّة» (أى: صاحب قدرة)، لما للقدرة العظيمة والقوّة الفائقة من دور مهم وفعّال فى عملية حمل وإبلاغ الرسالة.

«مكين»: صاحب منزلة ومكانة.

والتعبير ب «عند» هو الحضور المقامى والقرب المعنوى.

وتتناول الآية التالية الصفة الرابعة والخامسة: «مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ».

ويستفاد من الروايات: إنّ جبرائيل ينزل أحياناً وبصحبته جمع كبير من الملائكة فى حال ابلاغه للآيات القرآنية المباركة، وهو ما يوحى بأنّه مطاع بينهم، وهو ما ينبغى أن يكون فى كل امّة تتبع رسولًا، فلابدّ من إطاعتها له.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۲

فى تفسير مجمع البيان: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لجبرائيل عليه السلام: «ما أحسن ما أثنى عليك ربّك! ذى قوّة عند العرش مكين، مطاع ثّم أمين، فما كانت قوّتك وما كانت أمانتك؟ فقال: أمّا قوّتى فإنّى بعثت إلى مدائن لوط، وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرارى، فحملتهن من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج، ونباح الكلاب، ثم هويت بهنّ فقلبتهن. وأمّا أمانتى، فإنّى لم اؤمر بشىء فعدوته إلى غيره».

وينفى القرآن ما نُسب إلى النبى: «وَمَا صَاحِبُكَم بِمَجْنُونٍ».

«الصاحب»: هو الملازم والرفيق والجليس؛ والوصف هذا مضافاً إلى أنّه يحكى عن تواضع النبى صلى الله عليه و آله مع جميع الناس ... فلم يرغب يوماً فى الإستعلاء على أحد منكم، فإنّه قد عاش بينكم حقبة طويلة، وجالسكم، فلمستم عن قرب رجاحة عقله وحسن درايته وأمانته، فكيف تنسبون له الجنون؟!

ويؤكّد القرآن على الإرتباط الوثيق ما بين النبى صلى الله عليه و آله وجبرائيل: «وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ». وهو «الأفق الأعلى» الذى تظهر فيه الملائكة، حيث شاهد رسول اللّه جبرائيل.

وتأتى الصفة الخامسة: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ».

«ضنين»: من «ضنّة» على وزن (مِنّة)، أى: البخل بالأشياء الثمينة والنفيسة، فالأنبياء عليهم السلام منزّهون عن ذلك، وإذا ما بخل الآخرون بما صار فى حوزتهم من علم محدود، فالنّبى فوق ذلك وأنزه مع ما له من منبع علم إلهى.

وتقول آخر الآيات المبحوثة: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ».

فالآيات القرآنية ليست كحديث الكهنة الذى يأخذوه من الشياطين، ودليلها معها، حيث إنّ حديث الكهنة محشو بالأكاذيب والتناقضات، ويدور حول محور ميولهم ورغباتهم، فى حين لا يشاهد ذلك فى الآيات القرآنية إطلاقاً.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (۲۶) إنْ هُوَ إلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (۲۷) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ (۲۸) وَ مَا تَشَاءُونَ إلَّا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (۲۹) إلى أين ... أيّها الغافلون: أكّدت الآيات السابقة ببيان جلى حقيقة كون القرآن كلام اللّه ... فمحتواه ينطق عن كونه كلاماً رحمانياً وليس شيطانياً، وقد نزل به رسول كريم مقتدر وأمين، وقام بتبليغه النبى الصادق الأمين صلى الله عليه و آله الذى لم يبخل فى البلاغ فى شيء، وما تهاون عن تعليم الناس فيما ارسل به.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۳

فيما توبخ الآيات أعلاه اولئك الذين عادوا القرآن وانحرفوا عن خطّ سير الرسالة الربّانية الهادية، فتقول لهم بصيغة الإستفهام التوبيخى: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ».

وتأتى الآية الثانية لتقول: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ».

فالآية تتحدث بلسان الوعظ والتذكير، عسى أن يستيقظ مَن تملّكه نوم غفلته.

لا يمكن للهداية والتربية أن تؤدّى فعلها بوجود المرشد الناجح فقط، بل لابدّ من توفر عنصر الإستعداد وتقبل الهداية من قبل الطرف الآخر، ولذلك ... فبعد الوعظ والتذكير جاءت الآية التالية لتبيّن هذه الحقيقة: «لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ».

فالآية الاولى قد ذكرت عمومية الفيض الإلهى فى القرآن الكريم، فيما خصصت الآية التالية عملية الإستفادة من هذا الفيض الجزيل وحددته بشرط الإستقامة.

وهذه القاعدة جارية فى جميع النعم والمواهب الإلهية فى العالم، فإنّها عامة التمكين، خاصة الإستفادة، فمن لا ـ يملك الإرادة والتصميم على ضوء الهدى القرآنى لا يستحق فيض رحمة اللّه ونعمه.

ولكى لا يتصور بأنّ مشيئة وإرادة الإنسان مطلقة فى سيره على الطريق المستقيم، ولكى يربط الإنسان مشيئته بمشيئة وتوفيق اللّه عزّ وجل، جاءت الآية التالية لتقول: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

والآيتان السابقتان تبيّنان فلسفة «أمر بين الأمرين» التى أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام؛ فمن جهة، إنّ الإرادة والقرار بيدكم، ومن جهة اخرى، يلزم تلك الإرادة وذلك القرار ما يشاء اللّه ربّ العالمين ... وإنّ خلقتم أحراراً مختارين، فالحرية والإختيار منه جلّ اسمه، ولولا إرادته ذلك لما كان.

فالإنسان ليس بمجبور على أعماله مطلقاً، ولا هو بمختار بكلّ معنى الإختيار، ولكن ...

كما روى عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين». فكل ما للإنسان من: عقل، فهم، قدرة بدنية، وقدرة على اتخاذ القرار، كل ذلك من اللَّه عزّ وجل، فهو من جهة فى حالة الحاجة الدائمة للإتصال به جلّ شأنه، ولو شاء اللَّه لتوقف كل شيء وانتهى، وهو من جهة اخرى مسؤول عن أعماله لما له من حرية واختيار على تنفيذها.

«نهاية تفسير سورة التّكوير»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۵

۸۲. سورة الإنفطار

محتوى السورة: لا- تشذ السورة عن سياق سور الجزء الأخير من القرآن الكريم، وتدور حول محور المسائل المتعلقة بيوم القيامة. تتضمن مجموع آياتها المواضيع التالية:

۱- أشراط الساعة، وهى الحوادث الهائلة التى سيشهدها العالم أواخر لحظات عمره وعند قيام الساعة.

۲- التذكير بالنعم الإلهية الداخلة فى كل وجود الإنسان، وكسر حالة غرور الإنسان، وتهيئته للمعاد.

۳- الإشارة إلى ملائكة تسجيل أعمال الإنسان.

۴- بيان عاقبة المحسنين والمسيئين فى يوم القيامة.

۵- لمحات سريعة عما سيجرى فى ذلك اليوم العظيم.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ومن قرأ هاتين السورتين: إذا السماء انفطرت؛ وإذا السماء انشقت، وجعلهما نصب عينه فى صلاة الفريضة والنافلة، لم يحجبه من اللَّه حجاب، ولم يحجزه من اللَّه حاجز، ولم يزل ينظر إلى اللَّه وينظر اللَّه إليه حتى يفرغ من حساب الناس».

ولا- شك أنّ حصول ثواب السورتين إنّما يتمّ لمن وضعهما فى أعماق روحه، وبنى على أساسهما شخصيته وعمله، وليس لمن يلوكهما فى لسانه ولا غير.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۶

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (۱) وَ إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (۲) وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (۳) وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (۴) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (۵)

عندما يحلّ الحدث المروع: تقدم لنا الآيات- مرّة اخرى- مشاهداً مروعة من يوم القيامة، فتخبر عن تفطّر السماء من هول الكارثة: «إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ».

ثم تنتقل إلى ما سيصيب الكواكب ونظامها: «وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ».

فسينهدم العالم العلوى، وستحدث الإنفجارات العظيمة المهيبة فى كل النجوم السماوية، وسيتخلخل نظام المنظومات الشمسية، فتخرج النجوم من مساراتها لتصطدم الواحدة بالاخرى وتتلاشى فينتهى عمر العالم ويتناثر كل شيء ليُبنى على أنقاضه عالم جديد آخر.

«انفطرت»: من «الإنفطار»، بمعنى الإنشقاق.

«انتثرت»: من «النثر» على وزن (نصر)، بمعنى نشر الشيء وتفريقه، و «الإنتثار»: هو الإنتشار والتفرق. وباعتبار أنّ انتشار النجوم يؤدى إلى تفرقها فى السماء (كحبات العقد المنفرط) فقد فسّرها الكثير من المفسرين ب (سقوط النجوم)، وهو من لوازم معنى الإنتثار.

«الكواكب»: جمع (كوكب)، وله معان كثيرة ولكن أنّ المعنى الحقيقى هو (النجم المتلألىء)، وما دون ذلك معان مجازية استعملت لعلاقة المشابهة.

إنّ هذه الامور تهدف إلى تعريف الإنسان بما سيحدث بالمستقبل الآت، وتدعوه لخلاص نفسه من أهوالها، وهو الكائن الضعيف وسط تلك الحوادث الجسام.

وينتقل البيان القرآنى من السماء إلى الأرض، فيقول: «وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ». أى اتصلت.

مع أنّ البحار متصلة فيما بينها قبل حلول ذلك اليوم (ما عدا البحيرات)، لكن اتصالها سيكون بشكل آخر، حيث ستفيض جميعها وتتمزق حدودها وتصير بحراً واحداً لتشمل كل الأرض، بسبب الزلازل المرعبة وتحطم الجبال وسقوطها فى البحار ... هذا أحد تفاسير الآية (۶) من سورة التكوير (الآنفة الذكر): «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ».

وتتناول الآية التالية عرضاً لمرحلة القيامة الثانية، مرحلة تجديد الحياة وإحياء الموتى، فتقول: «وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ» ... واخرج الموتى للحساب.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۷

وبعد ذكر كل تلك العلائم لما قبل البعث ولما بعده، تأتى النتيجة القاطعة: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ».

نعم، فستتجلى حقائق الوجود، وسيصير كل شىء بارز إنّه «يوم البروز» وسيرى الإنسان كل أعماله محضرة بخيرها وشرّها، لأنّه يوم إزالة الحجب، ورفع مبررات الغرور والغفلة، وعندها ... سيعلم الإنسان ما قدّم لآخرته، وما ترك بعده من آثار حسنها وسيئها، مثل: الصدقة الجارية، فعل الخير، عمارة الأبنية، الكتب التى ألفها، ما سنّ من السنن ... فإن كان ما خلّفه خالصاً للّهفسينال حسناته، وإن كانت نيّتة فى أفعاله غير خالصة للّه، فسيلاقى لتبعات أعماله.

وهذه نماذج من الأعمال التى ستصل نتائجها إلى الإنسان بعد الموت، وهو: المراد من «وأخّرت».

فى الكافى عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّاثلاث خصال: صدقة أجراها فى حياته، فهى تجرى بعد موته، وسنّة هدى سنّها، فهى يعمل بها بعد موته، أوولد صالح يدعو له».

وفى أمالى الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ستّ خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته:

ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ منه، وقليب [بئر] يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنّة حسنة يؤخذ بها بعده».

فتعكس هذه الآيات والروايات أبعاد مسؤولية الإنسان أمام أعماله، وتبيّن عظم المسؤولية، فآثار فعل الخيرات أو المنكرات يصل إليه وإن امتدت آلاف السنين بعد موته.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (۶) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (۷) فِى أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (۸) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (۹) وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (۱۰) كِرَاماً كَاتِبِينَ (۱۱) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (۱۲) لا داعى للغرور: تنتقل الآيات أعلاه من المعاد إلى الإنسان، ببيان إيقاظى عسى أن ينتبه الإنسان من غفلة ما فى عنقه من حق وما على عاتقه من مسؤوليات جسام أمام خالقه سبحانه وتعالى، فتخاطب الآية الاولى الإنسان باستفهام توبيخى محاط بالحنان والرأفة الربانية: «يَا أَيُّهَا الْإِنسنُ مَا غَرَّكَ بِرَبّكَ الْكَرِيمِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۸

فبمقتضى ربوبيته هو الحامى والمدبّر لأمر تربية وتكامل الإنسان، وبمقتضى كرمه أجلس الإنسان على مائدة رحمته، ورعاه بما أنعم عليه مادياً ومعنوياً ودون أن يطلب منه أىّ مقابل، بل ويعفو عن كثير من ذنوب الإنسان بفضل كرمه ...

وفى المجمع: أنّ النبى صلى الله عليه و آله لما تلا هذه الآية قال: «غرّه جهله».

ومن هنا يتقرّب لنا هدف الآية، فهى تدعو الإنسان لكسر حاجز غروره وتجاوز حالة الغفلة، وذلك بالاستناد على مسألة الربوبية والكرم الإلهى.

وتعرض لنا الآية التالية جانباً من كرم اللّه ولطفه على الإنسان: «الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَيكَ فَعَدَلَكَ فِى أىّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ».

فالآيات المبحوثة، إضافة لآيات اخر كثيرة تهدف وبشكلّ دقيق إلى تعريف الإنسان المغرور بحقيقته، منذ كان نطفة قذرة، مروراً بتصويره وتكامله فى رحم امّه، حتى فى أتمّ حالات نموه وتكامله، وتؤكّد على أنّ حياة الإنسان فى حقيقتها مرهونة بنعم اللّه، وكل حيّ يفعم برحمة اللّه فى كل لحظات حياته، ولابدّ لكل حى ذى لبّ وبصيرة من أن يترجل من مطية غروره وغفلته، ويضع طوق

عبودیة المعبود الأحد فی رقبته، وإلّا فالهلاک الحتمی.

وتتناول الآیة التالیة منشأ الغرور والغفلة: «کَلَّا بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ».

فالکرم الإلهی، ولطف الباری ونعمه لیست بمحفز لغرورکم، ولکنّکم آلیتم علی عدم إیمانکم بالقیامة، فوقعتم بتلک الهاویة المظلمة.

وتأتی الآیات التالیة لتوضح أنّ حرکات وسکنات الإنسان کلّها مراقبة ومحسوبة ولابدّ من الإیمان بالمعاد وإزالة عوامل الغفلة والغرور، فتقول: «وَإِنَّ عَلَیْکُمْ لَحَافِظِینَ».

وهؤلاء الحفظة لهم مقام کریم عند اللَّه تعالی ودائبین علی کتابة أعمالکم: «کِرَامًا کَاتِبِینَ». «یَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ».

و «الحافظین»: هم الملائکة المکلفون بحفظ وتسجیل أعمال الإنسان من خیر أو شرّ، کما سمّتهم الآیة (۱۸) من سورة (ق) بالرقیب العتید: «مَّا یَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ».

کما وذکرتهم الآیة (۱۷) من نفس السورة: «إِذْ یَتَلَقَّی الْمُتَلَقِّیَانِ عَنِ الْیَمِینِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِیدٌ».

وفی الإحتجاج للشیخ الطبرسی عن الصادق علیه السلام حدیث طویل وفیه یقول السائل: فما

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۳۹۹

علة الملائکة الموکلین بعباده یکتبون علیهم ولهم واللَّه عالم السر وما هو أخفی؟

قال: «استعبدهم بذلک، وجعلهم شهوداً علی خلقه، لیکون العباد لملازمتهم إیّاهم أشدّ علی طاعة اللَّه مواظبة، وعن معصیته أشدّ انقباضاً، وکم من عبد یهم بمعصیة فذکر مکانهما فارعوی وکفّ، فیقول ربّی یرانی، وحفظتی علیّ بذلک تشهد، وأنّ اللَّه برأفته ولطفه أیضاً وکّلهم بعباده، یذبّون عنهم مردة الشیطان، وهوام الأرض، وآفات کثیرة من حیث لا یرون بإذن اللَّه، إلی أن یجیء أمر اللَّه».

ویستفاد من هذه الروایة أنّ للملائکة وظائف اخری إضافة لتسجیلهم لأعمال الإنسان کحفظ الإنسان من الحوادث والآفات ووساوس الشیطان.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِی نَعِیمٍ (۱۳) وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ (۱۴) یَصْلَوْنَهَا یَوْمَ الدِّینِ (۱۵) وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِینَ (۱۶) وَ مَا أَدْرَاکَ مَا یَوْمُ الدِّینِ (۱۷) ثُمَّ مَا أَدْرَاکَ مَا یَوْمُ الدِّینِ (۱۸) یَوْمَ لَا تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (۱۹) بعد ذکر الآیات السابقة لتسجیل أعمال الإنسان من قبل الملائکة، تأتی الآیات أعلاه لتتطرق إلی نتائج تلک الرقابة، وما سیصل إلیه کل من المحسن والمسیء من عاقبة، فتقول الآیة الاولی: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِی نَعِیمٍ».

والثانیة: «وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ».

«الأبرار»: جمع (بار) و «برّ» علی وزن (حق)، بمعنی: المحسن؛ و «البِرّ» بکسر الباء- کل عمل صالح ... والآیة ترید العقائد السلیمة، والنیات والأعمال الصالحة.

«نعیم»: وهی مفرد بمعنی النعمة، ویراد به هنا «الجنة».

«الفجّار»: جمع (فاجر) من (فجر)، وهو الشقّ الواسع، و «الفجور»: شقّ ستر الدیانة والعفة، والسیر فی طریق الذنوب.

«جحیم»: من «الجحمة»، وهی تأجج النار، وتطلق الآیات القرآنیة (الجحیم) علی جهنم عادة.

ویمکن أن یراد بقوله تعالی: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِی نَعِیمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ». الحال الحاضر، أیّ: إنّ الأبرار یعیشون فی نعیم الجنة حالیّاً، وإنّ الفجّار قابعون فی أودیة النار، کما

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۰

مختصر الامثل ج۵ ۴۴۰

یفهم من إشارة الآیة (۵۴) من سورة العنکبوت: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکَافِرِینَ».

وتدخل الآية التالية فى تفصيل أكثر لمصير الفجّار: «يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدّين».

فإذا كانت الآية السابقة تشير إلى أنّ الفجّار هم فى جهنم حالياً، فسيكون إشارة هذه الآية، إلى أنّ دخولهم جهنم سيتعمق، وسيحسون بعذاب نارها، بشكل أشدّ.

«يصلون»: من «صلى» على وزن (سعى)، و «صلى النار»: دخل فيها.

ولزيادة التفصيل، تقول الآية التالية: «وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ».

اعتبر كثير من المفسرين كون الآية دليلًا على خلود الفجّار فى العذاب، وخلصوا إلى أنّ المراد ب «الفجّار» هم «الكفار»، لكون الخلود فى العذاب يختص بهم دون غيرهم.

ف «الفجّار»: إذن: هم الـذين يشـقون ستر التقوى والعفة بعدم إيمانهم وتكذيبهم بيوم الدين، ولا يقصد بهم- فى هذه الآيات- اولئك الذى يشقّون الستر المذكور بغلبة هوى النفس مع وجود حالة الإيمان عندهم.

وتبيّن الآية أيضاً: إنّ عذاب أهل جهنم عذاب دائم ليس له انقطاع، ولا يغيب عنهم ولو للحظة واحدة.

ولأهمية خطب ذلك اليوم العظيم، تقول الآية التالية: «وَمَا أَدْرَيکَ مَا يَوْمُ الدّينِ». «ثُمَّ مَا أَدْرَيکَ مَا يَوْمُ الدّينِ».

فـإذا كـانت وحشـة وأهوال ذلك اليوم قـد اخفيت عن النبى صـلى الله عليه و آله- وهو المخاطب فى الآيـة- مع كل ما له من علم ب: القيامة، المبدأ، المعاد .. فكيف يا تُرى حال الآخرين.

وينتقل البيان القرآنى للتعبير عن إحدى خصائص ذلك اليوم، وبجملة وجيزة، لكنّها متضـمنة لحقائق ومعان كثيرة: «يَوْمَ لَاتَمْلِکُ نَفْسٌ لّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لّلَّهِ».

فستتجلّى حقيقة أنّ كل شـىء فى هذا العالم هو بيد اللّه العزيز القهار، وسـتبان حقيقة حاكمية اللّه المطلقة ومالكيته على كل من تنكر لهـذه الحقيقـة الحقـة، وسـتنعدم تلـك التصورات الساذجـة التى حكمت أذهان المغفلين بكون فلان أميراً ورئيساً أو حاكماً، وسـينهار اولئك البسطاء الذين اعتبروا أنّ قدراتهم مستقلة بعد أن أكل الغرور نفوسهم وتكالب التكبر على تصرفاتهم فى الحياة الدنيا الفانية.

«نهاية تفسير سورة الإنفطار»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۱

۸۳. سورة المطففين

محتوى السورة: بحوث هذه السورة تدور حول محاور خمس، هى:

۱- تحذير وإنذار شديد للمطفّفين.

۲- الإشارة إلى أنّ منشأ الذنوب الكبيرة إنّما يأتى من عدم رسوخ الإيمان بالبعث والمعاد.

۳- عرض لجوانب من عاقبة «الفجّار» فى ذلك اليوم العظيم.

۴- عرض لجوانب ما ينتظر المحسنين فى الجنة من نعم إلهية وعطاء ربانى جزيل.

۵- الإشارة لآثار استهزاء الكفار بالمؤمنين فى الحياة الدنيا، وانعكاس الحال فى يوم القيامة.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع: ابى بن كعب قال: قال النبى صلى الله عليه و آله: «ومن قرأها سقاه اللّه من الرحيق المختوم».

وفى ثواب الأعمال روى صـفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ فى الفريضة ويل للمطفّفين، أعطاه اللّه الأمن يوم القيامة من النار، ولم تره، ولا يراها ولم يمر على جسر جهنم ولا يحاسب يوم القيامة».

إنّ كل هذا الفضيلة والبركة، سينالها من جعل قراءتها مقدمة للعمل على هديها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۲

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (۱) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (۲) وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (۳) أَ لَا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (۴) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (۵) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (۶)

سبب النّزول

قال ابن عباس: لمّا قدم نبى اللَّه المدينة، كانوا من أبخس الناس كيلًا، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية، فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة، فنزلت هذه الآية، فخرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقرأها عليهم وقال: «خمس بخمس». قيل يا رسول اللَّه، وما خمس بخمس؟

قال: «ما نقض قوم العهد إلّاسلط اللَّه عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل اللَّه إلّافشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلّافشا فيهم الموت، ولا طفّفوا الكيل إلّامنعوا النبات واخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلّاحبس عنهم المطر» «۱».

التّفسير

ويل للمطففين: بدأ الحديث فى هذه السورة بتهديد شديد للمطففين: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ».

وتمثل الآية فى حقيقة توجيهها، إعلان حرب من اللَّه عزّ وجل على هؤلاء الظالمين، الذين يأكلون حق الناس بهذه الطريقة القذرة.

«المطفّفين»: من «التطفيف» وأصله من «الطف»، وهو جوانب الشىء وأطرافه، و «الطفيف»: الشىء النزر، و «التطفيف»: البخس فى الكيل والوزن، ونقص المكيال، وهو أن لا تملأه إلى أصباره.

«ويل»: تأتى بمعانى: حلول الشرّ، الحزن، الهلاك، المشقّة من العذاب، وادٍ مهيب فى نار جهنم، وتستعمل عادة فى اللعن وبيان قبح الشىء، ورغم صغر الكلمة إلّاأنّها تستبطن

---

(۱) التفسير الكبير ۳۱/ ۸۸.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۳

مفاهيم كثيرة.

وفى الكافى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً. قال اللَّه عزّ وجل: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ»».

وما نستفيده من هذه الرواية هو: إنّ التطفيف فيه وجه من الكفر.

وتتطرق الآيتين التاليتين إلى طريقة عمل المطففين، فتقول الآية الاولى: «الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ».

وتقول الآية الثانية: «وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ».

وممّا ينبغى الإلتفات إليه ... أنّ الآيات وإن تحدثت عن التطفيف فى الكيل والوزن، ولكن لا ينبغى حصر مفهومها بهما، فالتطفيف يشمل حتى العدد، وليس من البعيد أن تكون الآيات قد أشارت إلى إنقاص ما يؤدّى من خدمة مقابل أجر، كما لو سرق العامل أو الموظف من وقت عمله، فإنّه والحال هذه سيكون فى حظيرة «المطففين» المذمومين بشدّة فى الآيات المباركة المذكورة.

ولا تخلوا من مناسبة أن يجعل أىّ تجاوز لحدود اللَّه، وأىّ إنقاص أو اخلال فى الروابط الإجتماعية أو إنحلال فى الضوابط الأخلاقية، إنّما هو مفردات ومصاديق لهذا المفهوم.

ويهدد القرآن الكريم المطففين، باستفهام توبيخى: «أَلَا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ». «لِيَوْمٍ عَظِيمٍ».

يوم عظيم فى: عذابه، حسابه وأهواله.

«يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». أى: إنّهم لو كانوا يعتقدون بالبعث والحساب: وأنّ أعمالهم مسجلة وستعرض كاملة فى محكمة العدل الإلهى بخيرها وشرّها، وكبيرها وحقيرها، لو كانوا يعتقدون ذلك، لما ظلموا أحداً، ولأعطوا الناس حقوقهم كاملة.

وفى الكافى عن جابر عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدى كل يوم بكرة من القصر، فيطوف فى أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدّرة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تسمى السبيبة فيقف على أهل كل سوق، فينادى: يا معشر التجّار اتّقوا اللَّه عزّ وجل، فإذا سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم، وأرعوا إليه بقلوبهم، وسمعوا بآذانهم، فيقول عليه السلام: قدموا الإستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين، فيطوف عليه السلام

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۴

فى جميع أسواق الكوفة ثم يرجع فيقعد للناس».

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (۷) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (۸) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (۹) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۰) وما أدراك ما سجّين: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن المطففين، وعن إرتباط الذنوب بعدم الإيمان الراسخ بالمعاد ويوم القيامة، تشير الآيات أعلاه إلى ما ستؤول إليه عاقبة المسيئين والفجار يوم حلول اليوم المحتوم، فتقول: «كَلَّا» فليس الأمر كما يظن هؤلاء عن المعاد وأنّه ليس هنا حساب وكتاب، بل «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ». «وَمَا أَدْرَيكَ مَا سِجِّينٌ». «كِتَابٌ مَّرْقُومٌ».

وتوجد نظرتان فى تفسير الآية أعلاه:

الاولى: المراد من «كتاب»: هو صحيفة الأعمال، التى لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، من أفعال الإنسان إلّاوأحصتها.

والمراد ب «سجّين»: هو الكتاب الجامع لكل صحائف أعمال الإنسان عموماً.

و «سجّين»: من «السجن»، وهو (الحبس). وأطلق عليه هذا الإسم باعتبار أنّ ما فيه يؤدّى إلى حبس أصحابه فى جهنم، أو أنّ هذا الديوان موجود فى قعر جهنم.

على عكس كتاب الأبرار فإنّه فى أعلى علّيين .. فى الجنة.

الثانية: إنّ «سجّين» هى «جهنم» ... وهى سجن كبير لجميع المذنبين، أو هى محل شديد من جهنم.

و «كتاب» الفجّار، أى: ما قرر لهم من عاقبة ومصير.

فيكون التقدير على ضوء هذا التّفسير: إنّ جهنم هى المصير المقرر للمسيئين.

فلا مانع من الجمع بين التّفسيرين، لأنّ «سجّين» حسب التّفسير الأوّل بمعنى الديوان الجامع لكل أعمال المسيئين، وحسب التّفسير الثانى بمعنى: «جهنم» أو قعرها، فالأمران على صورة علّة ومعلول، فإذا كانت صحيفة أعمال الإنسان السيئة فى ذلك الديوان الجامع، فإنّ مقام الديوان هو قعر جهنم.

وتأتى الآية التالية لتقول: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۵

التكذيب الذى يوقع الإنسان فى ألوان من الذنوب، ومنها التطفيف والظلم.

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (۱۱) وَ مَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (۱۲) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۱۳) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (۱۴) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (۱۵) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (۱۶) ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۱۷) بعدما ذكرت آخر آية من الآيات السابقة مصير المكذّبين، تأتى الآيات أعلاه لتشرح حالهم، فتقول: «الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدّينِ»، وهو يوم القيامة.

وتقول أيضاً: «وَمَا يُكَذّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ».

فإنكار القيامة لا يستند على المنطق السليم والتفكير الصائب والإستدلال العقلى، بل هو نابع من حبّ الإعتداء وارتكاب الذنوب والآثام

(الصفة المشبهة «أثيم» تدل على استمرار الشخص فى ارتكاب الذنوب).

وتشير الآية التالية للصفة الثالثة لمنكرى المعاد، فتقول: «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

فبالاضافة لكون منكر المعاد معتدٍ وأثيم، فهو من الساخرين والمستهزئين بآيات اللّه، ويصفها بالخرافات البالية، وما ذلك إلّامبرر واهٍ لتغطية تهربه من مسؤولية آيات اللّه عليه.

ولم تختص الآية المذكورة بذكر المبررات الواهية لُاولئك الضالّين المجرمين فراراً من الإستجابة لنداء الدعوة الربانية، بل ثمّة آيات اخرى تناولت ذلك؛ منها الآية (۵) من سورة الفرقان: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا».

ويعرّى القرآن مرّة اخرى جذر طغيانهم وعنادهم، بالقول: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

فازيل عنها ما جعل اللّه فيها من نور الفطرة الاولى وذهب صفائها، ولذا .. فلا يمكن لتلك القلوب التعسة من أن تتقبل نفوذ أنوار الوحى الإلهى إلى دواخلها.

«ران»: من «الرين» على وزن (عين)، وهو: الصدأ يعلو الشيء الجليل.

وفى الدر المنثور عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «إنّ العبد إذا أذنب ذنباً نكتت فى قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذى ذكر اللّه فى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۶

القرآن: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ»». ويستمر البيان القرآنى: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ».

وهو أشدّ ما سيعاقبون به، مثلما منزلة اللقاء باللّه ودرجة القرب منه هى من أعظم نعم الأبرار والصالحين وأكثرها لذةً واستئناساً.

و: «ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ».

فدخولهم جهنم نتيجة طبيعية لاحتجابهم عن اللّه تعالى وأثر لازم له، ومما لا شك فيه إنّ لهيب الحرمان من لقاء اللّه أشدّ إيلاماً وإحراقاً من نار جهنم.

وتقول الآية التالية: «ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ».

يقال لهم ذلك توبيخاً ولوماً لزيادة تعذيبهم روحياً، وهو ما ينتظر كل من عاند الحق وتخبط فى متاهات الضلال.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (۱۸) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (۱۹) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (۲۰) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (۲۱) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (۲۲) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (۲۳) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (۲۴) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (۲۵) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِى ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (۲۶) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (۲۷) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (۲۸) علّيون فى انتظار الأبرار: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن الفجّار وكتابهم وعاقبة أمرهم، ينتقل الحديث فى هذه الآيات للطرف المقابل لهؤلاء، فتتحدث عن الأبرار الصالحين وما سيؤلون إليه من حسن مآب، ويبدأ الحديث بالقول: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ».

«علّيين»: جمع (عليّ) على وزن (ملّى)، وهو المكان المرتفع، أو الشخص الجالس فى مكان مرتفع، ويطلق أيضاً على ساكنى قمم الجبال.

فما عرضناه بخصوص تفسير «سجّين» يصدق على «علّيين» أيضاً، بقولين:

الأوّل: أنّ المقصود من «كتاب الأبرار» هو صحيفة أعمال الصالحين والمؤمنين، فجميع الأعمال تجمع فى هذا الديوان العام، وهو ديوان عالى المقام وشريف القدر.

الثانى: أنّ صحيفة أعمال الأبرار تكون فى أشرف مكان، أو فى أعلى مكان فى الجنة،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۷

وهذا يكشف عن علو شأنهم ورفعة كرامتهم عند اللّه عزّ وجل.

وذهب قسم من المفسرين إلى أنّ ال «كتاب» هنا يرمز لمعنى (المصير)، أو (الحكم القطعى الإلهى) بخصوص نيل الصالحين درجات الجنة العُلى.

ولا يضرّ من الجمع بين التّفسيرين، فأعمال الأبرار مجموعة فى ديوان عام، ومحل ذلك الديوان فى أعلى نقطة من السماء، ويكون الحكم والقضاء الإلهى كذلك مبنىّ على كونهم فى أعلى درجات الجنة.

ولأهمية وعظمة شأن «علييّن» .. تأتى الآية التالية لتقول: «وَمَا أَدْرَيكَ مَا عِلِّيُّونَ»؛ إنّه مقام من المكانة بحيث يتجاوز حدود التصور والخيال والقياس والظن، بل وحتى أنّ النبى صلى الله عليه و آله وعلى ما له من علو شأن ومرتبة مرموقة، فلا يستطيع من تصور حجم أبعاد عظمته.

ويبدأ البيان القرآنى بتقريب أل «علّيين» إلى الأذهان: «كتاب مرقوم».

وهذا على ضوء تفسير «علّيين» بالديوان العام لأعمال الأبرار، أمّا على ضوء التفسير الآخر فسيكون معنى الآية: إنّه المصير الحتمى الذى قرره اللَّه وسجّله لهم، بأن يكون محلهم فى أعلى درجات الجنة.

وكذلك: «يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ». أى يشاهدونه، أو عليه يشهدون عليه.

والآيات التالية تظهر بوضوح بأنّ المقربين، هم نخبة عالية من المؤمنين لهم مقام مرموق، وبامكانهم مشاهدة صحيفة أعمال الأبرار والصالحين.

فبين الأبرار والمقربين عموم وخصوص مطلق، حيث كل المقربين أبرار، وليس كل الأبرار مقربين.

وينتقل الحديث إلى عرض بعض جوانب جزاء الأبرار: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ».

وينقلنا البيان القرآنى لجوانب من نعيم الأبرار: «عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ».

ثم يضيف: «تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ».

إشارة إلى أنّ ما يبدى على وجوههم من علائم النشاط والسرور والغبطة، إن هو إلّا إنعكاس لسعادتهم الحقّة.

وبعد ذكر نِعَم: «الأرائك»، «النظر»، «الإطمئنان والسعادة» .. تذكر الآية التالية نعمة شراب الجنة، فتقول: «يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۸

إنّه ليس كشراب أهل الدنيا الشيطانى، بما يحمل من خبث دافع إلى المعاصى والجنون، بل هو شراب طاهر يذكى العقول ويدب النشاط والصفاء فى شاربه. و «الرحيق» هو الشراب الخالص الذى لا يشوبه أىّ غش أو تلوث؛ و «مختوم»: إشارة إلى أنّه أصلى ويحمل كل صفاته المميزة عن غيره من الأشربة ولا يجاريه شراب قطّ، وهذا بحدّ ذاته تأكيد آخر على خلوص الشراب وطهارته.

وتقول الآية التالية: «خِتَامُهُ مِسْكٌ».

هو شراب طاهر مختوم، وإذا ما فتح ختمه فتفوح رائحة المسك منه.

«وَفِى ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ». «التنافس»: تمنّى كل واحد من النفسين مثل الشىء النفيس الذى للنفس الاخرى أن يكون له.

وجاء مضمون الآية فى الآية (۲۱) من سورة الحديد: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

ونصل لآخر وصف شراب الأبرار فى الجنة: «وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ». أى: أنّه ممزوج بالتسنيم: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ».

ومن خلال الآيتين أعلاه، يتّضح لنا بأنّ «التسنيم» هو أشرف شراب فى الجنة، وموجود فى الطبقات العليا من الجنة .. ويجرى فى الهواء فينصب فى أوانى أهل الجنة و «المقرّبون» يشربون منه بشكل خالص، فيما يشربه «الأبرار» ممزوجاً بالرحيق المختوم.

وتؤكّد الأحاديث والروايات على أنّ تلك الأشربة خالصة لمن تنزّه عن الولوغ فى خمور الدنيا الخبيثة.

ففى وصية النبى صلى الله عليه و آله لأمير المؤمنين عليه السلام: «ومن ترك الخمر للَّهسقاه اللَّه من الرحيق المختوم» «۱».

وروى عن على بن الحسين عليه السلام قال: «من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه اللَّه من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه اللَّه

من الرحيق المختوم» «۲».

وجاء فی حديث آخر: «من صام للّهفی يوم صائف، سقاه اللّه علی الظمأ من الرحيق

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۲۹۷.

(۲) الكافی ۲/ ۲۰۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۰۹

المختوم» «۱».

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (۲۹) وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (۳۰) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (۳۱) وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (۳۲) وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (۳۳) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (۳۴) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (۳۵) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶)

سبب النّزول

ذكر المفسرون سببين لنزول هذه الآيات: الأوّل: روی أنّ علياً عليه السلام كرم اللّه تعالی وجهه وجمعاً من المؤمنين معه مروا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم فنزلت الآية «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» قبل أن يصل علی عليه السلام كرم اللّه تعالی وجهه إلی النبی صلی الله عليه و آله.

الثانی: إنّها حكاية لبعض قبائح مشركی قريش؛ أبی جهل والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل وأشياعهم، كانوا يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من الفقراء «۲».

التّفسير

بالأمس كانوا يضحكون من المؤمنين ... أمّا: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن النعم التی تنتظر الأبرار والصالحين فی الحياة الآخرة، تبدأ الآيات أعلاه بتبيان جوانب ممّا يعانوه من مصائب ومشاكل فی الحياة الدنيا بسبب إيمانهم وتقواهم ...

فالآيات تنقل لنا أساليب الكفار القذرة التی كانوا يتعاملون بها مع المؤمنين البررة، وقد صنّفتها فی أربعة أساليب:

الاسلوب الأوّل: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ».

فأصل الطغيان والتكبر والغرور والغفلة الذی زُرع فی نفوسهم، يدفعهم للضحك علی المؤمنين والإستهزاء بهم والنظر إليهم بسخرية واحتقار.

والاسلوب الثانی: «وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ». فحينما يمرّ المشركون علی مجموعة من

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۲۹۷.

(۲) روح المعانی ۳۰/ ۷۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۰

المؤمنين يغمزون بأعينهم ويشيرون إليهم بالقول:

انظروا إلی هؤلاء الفقراء المعدمين ... إنّهم أصبحوا مقربين عند اللّه.

انظروا إلی هؤلاء الحفاة العراة ... إنّهم يدّعون نزول الوحی الإلهی لهم.

انظروا إليهم ... فإنّهم يعتقدون بأنّ العظام البالية ستعود إلی الحياة مرّة اخری! وما شابه ذلك، من الكلمات الرخيصة والموهنة ...

ويبدو أنّ ممارسة الضحك من قبل المشركين يكون حينما يمرّ المؤمنون من أمامهم وهم متجمعون، فی حين يمارسون الاسلوب

الثانی وهو الإشارات الساخرة والغمز واللمز حین مرورهم أمام جمع من المؤمنین، لعدم تمکنهم من الضحک العلنی أمام جمع المؤمنین.

«یتغامزون»: من «الغمز» وهو الإشارة بالجفن أو الید مع قصد ما فی الطرف الآخر من عیوب، وعبّرت الآیة بهذا اللفظ «التغامز» للإشارة إلی اشتراکهم جمیعاً فی ذلک الفعل.

ولکنّهم لم یکتفوا بالنیل من المؤمنین فی حضورهم من خلال الضحک والتغامز، بل تعدوا إلی حال غیابهم أیضاً، حیث تنقل لنا الآیة التالیة، الاسلوب الثالث بقولها: «وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَی أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَکِهِینَ».

وکأنّهم فی ضحکهم وتغامزهم قد نالوا فتحاً کبیراً! فتأخذهم نشوة تصور الغفلة والجهل لأن یتباهوا فیما قاموا به من فعل قبیح، ویبقون علی حالة السخریة والإستهزاء بالمؤمنین رغم غیاب المؤمنین عنهم ...

«فکهین»: جمع (فکه)، وهی صفة مشبهة من (الفکاهة) بمعنی التمازح والضحک، مأخوذة من (الفاکهة)، وکأنّ لذة الخوض فی هکذا حدیث وسخریة کلذّة أکل الفاکهة، کما ویطلق علی حدیث مفرح اسم (فکاهة).

والاسلوب الرابع: «وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هؤُلَاءِ لَضَالُّونَ».

لماذا؟ لأنّهم ترکوا ما کان شائعاً من عبادة الأصنام، والخرافات التی یعتبرونها هدایة! واتجهوا نحو الإیمان باللّه والتوحید الخالص.

ولأنّهم باعوا لذّة الدنیا الحاضرة بنعیم الآخرة الغائبة ...

وغالباً ما لا یکون المؤمنون من أثریاء أو وجهاء القوم، ولذلک یُنظر إلیهم باحتقار ویهزأ بدینهم وإیمانهم، فی مجتمع یسوده التمایز الطبقی بشکل راسخ وظاهر. فیقول القرآن الکریم فی الآیة التالیة: «وَمَا أُرْسِلُوا عَلَیْهِمْ حَافِظِینَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۱

فجواب نوح علیه السلام عام یشمل حتی اولئک المغرورین فی صدر الإسلام ... فما شأنکم وهؤلاء؟! وعلیکم أن تنظروا إلی هذا الدین، وإلی النبی الذی جاء بهذا الدین، ولا تنظروا إلی من آمن به واتبعه ...

وتبقی أسالیب الذین یعادون الحق محدودة فی إطار الحیاة الدنیا، ولکن إذا کان یوم القیامة، فستختلف الحال تماماً: «فَالْیَوْمَ الَّذِینَ ءَامَنُوا مِنَ الْکُفَّارِ یَضْحَکُونَ».

فیوم القیامة، یوم مجازات الأعمال وإجراء العدالة الإلهیة، والعدالة تقتضی بأن یستهزأ المؤمنون بالکافرین المعاندین للحق، والإستهزاء فی ذلک الیوم أحد ألوان عذاب الآخرة الألیم الذی ینتظر اولئک المغرورین والمستکبرین.

فی الدرّ المنثور عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «إنّ المستهزئین بالنّاس فی الدنیا یرفع لأحدهم یوم القیامة باب من أبواب الجنة، فیقال: هلم هلم، فیجیء بکربه وغمّه، فإذا أتاه أغلق دونه، ثم یفتح له باب آخر، فیقال: هلم هلم، فیجیء بکربه وغمّه، فإذا أتاه أغلق دونه، فما یزال کذلک حتی أنّه لیفتح له الباب فیقول: هلم هلم، فلا یأتیه من أیاسه». [وهنا یضحک المؤمنون الذین یطلعون علیه وعلی بقیة الکفار من جنّتهم .

وتقول الآیة التالیة: «عَلَی الْأَرَائِکِ یَنظُرُونَ».

ماذا ینظرون؟ إنّهم ینظرون إلی: نعم اللّه التی لا توصف ولا تنفد فی الجنة، وإلی کل ما فازوا به من الألطاف الإلهیة والکرامة، وإلی ما أصاب الکفار والمجرمین من العذاب الألیم خاسئین ...

وفی آخر آیة السورة یقول القرآن مستفهماً (بإستفهام تقریری): «هَلْ ثُوِّبَ الْکُفَّارُ مَا کَانُوا یَفْعَلُونَ».

فهذا القول سواء صدر من اللّه، أو من الملائکة، أو من المؤمنین، فهو فی کل الحالات یمثل طعناً واستهزاءاً بأفکار وادعاءات اولئک المغرورون، الذین کانوا یتصورون أنّ اللّه سیثیبهم علی أعمالهم القبیحة، ویأتیهم النداء ردّاً علی خطل تفکیرهم.

«نهایة تفسیر سورة المطفّفین»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۳

۸۴. سورة الانشقاق

محتوى السورة: لاـ تخرج السورة عن الإطار العام لسور الجزء الأخير من القرآن الكريم، فتبدأ بوصف علامات أشراط القيامة وما سيحدث من أحداث مروعة فى نهاية العالم وبداية يوم القيامة، ثم تتحدث ثانياً عن القيامة والحساب وما ستؤول إليه عاقبة كل من الصالحين والمجرمين، ثم تعطف السورة فى المرحلة الثالثة لتوضيح ماهية الأعمال والعقائد التى تجر الإنسان إلى سخط اللَّه وخلوده بالعذاب مهاناً، وفى الرابعة تنتقل السورة لعرض مراحل سير الإنسان فى حياتيه (الدنيا والأخرة)، وفى آخر مطاف السورة يدور الحديث خامساً عن جزاء الأعمال الحسنة والسيئة.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع: ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ سورة انشقت، أعاذه اللَّه أن يعطيه كتابه وراء ظهره».

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (۱) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ (۲) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ (۴) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ (۵) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ (۶) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (۷) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً (۸) وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۹)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۴

تبدأ السورة فى ذكرها لأحداث نهاية العالم المهولة بالإشارة إلى السماء فتقول: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ». (فتلاشت نجومها وأجرامها واختل نظام الكواكب فيها)، كإشارة الآيتين (۱ و ۲) من سورة الإنفطار التى أعلنت عن نهاية العالم بخرابه وفنائه: «إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ».

وفى الدر المنثور أخرج ابن أبى حاتم عن على عليه السلام قال: «تنشق السماء من المجرّة». فإنّ النجوم التى نراها فى السماء اليوم، ستنفصل عن المجرة، وبها تنشق السماء.

وتحكى الآية التالية حال السماء: «وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ».

فلا يتوهم أنّ السماء بتلك العظمة بامكانها اظهار أدنى مقاومة لأمر اللَّه .. بل ستستجيب لأمر اللَّه خاضعة طائعة، لأنّ إرادته سبحانه فى خلقه هى الحاكمة، ولا يحق لأىمخلوق أن يعصى أمره جلّ وعلا.

«أذنت»: من «الاذن» على وزن (افق)، وهى آلة السمع وتستعار لمن كثر استماعه، وفى الآية: كناية عن طاعة أمر الآمر والتسليم له.

«حقّت»: من «الحق»، أى: وحق لها أن تنقاد لأمر ربّها.

وكيف لها لا تسلّم لأمره عزّ وجل، وكل وجودها وفى كل لحظة من فيض لطفه، ولو انقطع عنها بأقل من رمشة عين لتلاشت.

وفى المرحلة التالية تمتد الكارثة لتشمل الأرض أيضاً: «وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ».

فالجبال- كما تقول آيات قرآنية اخرى- ستندك وتتلاشى وستستوى الأرض فى كافة بقاعها، لتلمّ جميع العباد فى عرصتها، كما أشارت الآيات (۱۰۵- ۱۰۷) من سورة طه إلى ذلك: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا* لَّاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا».

وفى ثالث مرحلة تقول الآية التالية: «وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ».

والمعروف بين المفسرين أنّ الآية تشير إلى إلقاء الأرض بما فيها من موتى فيخرجون من باطن القبور إلى ظاهر الأرض، مرتدين لباس الحياة من جديد.

وقال بعض المفسرين: إنّ المعادن والكنوز المودعة فى الأرض ستخرج مع الأموات أيضاً.

وثمّة احتمال آخر فى تفسير الآية، يقول: إنّ المواد المذابة التى فى باطن الأرض ستخرج

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۵

نتيجة الزلازل الرهيبة التى تقذفها إلى الخارج، فتملأ الحفر والمنخفضات الموجودة على سطح الأرض، وستهدأ الأرض بعد أن يخلو باطنها من هذه المواد.

و ...: «وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ».

فتسليم الموجودات لما سيحدث من كوارث كونية مدمرة ينم عن جملة امور، فمن جهة:

إنّ الفناء سيعم الدنيا بكاملها بأرضها وسمائها وإنسانها وكل شيء آخر، ومن جهة اخرى:

فالفناء المذكور يمثل انعطافة حادّة فى مسير عالم الخليقة، ومقدمة للدخول فى مرحلة وجود جديدة، ومن جهة ثالثة، فكل ما سيجرى ينبئ بعظمة قدرة الخالق المطلقة، وخصوصاً فى مسألة المعاد.

نعم، فسيرضخ الإنسان، بعد أن يرى بام عينيه وقوع تلك الحوادث العظام، وسيرى حصيلة أعماله الحسنة والسيئة.

وتبيّن الآية التالية معالم طريق الحياة للإنسان مخاطبة له: «يَا أَيُّهَا الْإِنسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَقِيهِ».

«الكدح»: السعى والعناء الذى يخلق أثراً على الجسم والروح.

والآية تشير إلى أصل أساسى فى الحياة البشرية، فالحياة دوماً ممزوجة بالتعب والعناء، وإن كان الهدف منها الوصول إلى متاع الدنيا، فكيف والحال إذا كان الهدف منها هو الوصول إلى رضوان اللّه ونيل حسن مآب الآخرة؟!

فالحياة الدنيا قد جبلت على المشقة والتعب والألم، حتى لمن يرفل بأعلى درجات الرفاه المادى.

وما ذكر «لقاء اللّه» فى الآية إلّالتبيان أنّ حالة التعب والعناء والكدح حالة مستمرة إلى اليوم الموعود، ولا يتوقف إلّابانتهاء عجلة الحياة الدنيا، ولا فرق فى توجيه معنى «اللقاء» سواء كان لقاء يوم القيامة والوصول إلى عرصة حاكمية اللّه المطلقة، أو بمعنى لقاء جزاء اللّه من عقاب أو ثواب، أو بمعنى لقاء ذاته المقدسة عن طريق الشهود الباطنى.

نعم، فراحة الدنيا لا تخلو من تعب، والراحة الحقة .. هناك، حيث ينعم الإنسان بين فيافى جنان الخلد.

واستعمال كلمة «ربّ» فيه إشارة إلى ثمّة إرتباط ما بين سعى وكدح الإنسان من جهة، وذلك البرنامج التربوى الذى أعدّه الخالق لمخلوقه فى عملية توجيه الإنسان نحو الكمال المطلق من جهة اخرى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۶

وإلى ذلك المطاف، ستنفصل البشرية إلى فريقين: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا».

فالذين ساروا على هدى المخطط الربانى لحركة الإنسان على الأرض، وكان كل عملهم وسعيهم للّهدائماً، وكدحوا فى السير للوصول إلى رضوانه سبحانه، فسيعطون صحيفة أعمالهم بيمينهم، للدلالة على صحة إيمانهم وقبول أعمالهم والنجاة من وحشة ذلك اليوم الرهيب، وهو مدعاة للتفاخر والإعتزاز أمام أهل المحشر.

أمّا ما المراد من «الحساب اليسير»؟ فذهب بعض إلى أنّه العفو عن السيئات والثواب على الحسنات وعدم المداقة فى كتاب الأعمال.

وفى المجمع: «ثلاث من كنّ فيه حاسبه اللّه حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته». قالوا: وما هى يا رسول اللّه؟ قال: «تعطى من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك».

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً (١١) وَ يَصْلَى سَعِيراً (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١۴) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً (١۵) الذين يستلمون كتابهم من وراء ظهرهم: بعد أن عرضت الآيات السابقة أحوال فريق أصحاب اليمين، تأتى الآيات أعلاه لتعرض لنا أحوال الفريق الآخر، وتوصف لنا كيفية إعطاء كتاب كل منهم مشرعة لتقديم المشاهد الاخرى:

«وَأَمَّا مَنْ أَوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» ... فيصرخ وينادى الويل لى لقد هلكت: «فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا». «وَيَصْلَى سَعِيرًا».

وسيأخذ أصحاب اليمين كتبهم بافتخار ومباهاة فى يدهم اليمنى، وكل منهم يقول:

«هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ» «۱». ولكن المجرمين سيأخذون كتبهم بأيـديهم اليسرى وبسرعة ويضعونها وراء ظهورهم خجلًا وذلًا، ولكى لا يطّلع أحد على ما فيها، ولكن، هيهات ..

فكل شىء حينئذ بارز، كيف لا وهو «يوم البروز» ...

وتبيّن الآية التالية علة تلك العاقبة المخزية: «إِنَّهُ كَانَ فِى أَهْلِهِ مَسْرُورًا».

سروراً ممتزجاً بالغرور، وغروراً احتوشته الغفلة والجهل بربّ الأرباب سبحانه

---

(۱) سورة الحاقّة/ ۱۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۷

وتعالى، فالسرور المقصود فى الآية، هو ذلك السرور المرتبط بشدّة بالدنيا والمنسى لذكر الآخرة.

ويتقرب لنا المعنى من خلال الآية التالية: «إِنَّهُ ظَنَّ أن لَّن يَحُورَ».

فاعتقاده الفاسـد وظنّه الباطل الـدائر على نفى المعاد، مصدر سروره وغروره وهو ما سيوصـله إلى الشـقاء الأبدى، لأنّه ابتعد عن ساحة رضوانه سبحانه وتعالى بعـد أن أوقعته شـهواته فى هاوية الإسـتهزاء بدعوة الأنبياء عليهم السـلام الربانية، حتى أوصـلته حالته المرضـية تلك لأن يستمر فى استهزاءه وسـخريته حتى فى حال عودته إلى أهله، كما أشارت الآية (۳۱) من سـورة المطففين: «وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ».

ولنفى العقائد الضالة، تقول الآية: «بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا».

فكلّ أعمال الإنسان تسجل وتحصى عليه لتعرض يوم الحساب فى صحيفته.

والآية تشارك الآية السابقة: «يَا أَيُّهَا الْإِنسنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبّكَ كَدْحًا فَمُلقِيهِ». فى كونها دليلًا على المعاد أيضاً. فتأكيد الآيتين على كلمة «ربّ» يدل على أنّ الإنسان فى سيرة التكاملى صوب ربّه لا ينتهى بالموت، وأنّ الحياة الدنيا لا يمكنها أن تكون هدفاً وغاية لهذا الخلق العظيم وهذا المسار التكاملى ...

وكذلك كون اللَّه «بصيراً» بأعمال الإنسان وتسجيلها لابدّ من اعتباره مقدمةً للحساب والجزاء وإلّا لكان عبثاً، وهذا ما لا يكون.

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (۱۷) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (۲۱) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (۲۲) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (۲۳) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (۲۴) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۲۵) لمزيـد من إيضـاح ما ورد فى الآيات السابقـة بخصوص سـير الإنسان التكاملى نحو خالقه سبحانه وتعالى .. تأتى الآيات لتقول: «فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ». «وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ». أى: وما جمع.

«وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ». أى: إذا اكتمل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۸

«لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ».

«الشفق»: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس. ف «الشفق» هو وقت الغروب.

فقـد جاء القسم بالشـفق للفت الأنظار إلى ما فى هـذه الظاهرة السـماوية الجميلـة من معان، فمنه تُعلن حالة التحول العام من النهار إلى الليل، إضافة لما يتمتع به من بهاء وجمال، وكونه وقت صلاة المغرب.

وأمّا القسم بالليل، فلما فيه من آثار كثيرة وأسرار عظيمة (وقد تناولنا ذلك مفصلًا).

«ما وسق»: إشارة إلى عودة الإنسان والحيوانات والطيور إلى مساكنها عند حلول الليل (بلحاظ كون الوسق بمعنى جمع المتفرق)، فيكون عندها سكناً عاماً للكائنات الحية، وهو من أسرار وآثار الليل المهمة.

وينبغى الإلتفات إلى الصلة الموجودة فيما أقسمت الآيات بهن: (الشفق، الليل، ما اجتمع فيه، والقمر فى حالة البدر) وجميعها موضوعات مترابطة ويكمل بعضها البعض الآخر، وتشكل بمجموعها لوحة فنية طبيعية رائعة، وتحرّك عند الإنسان التأمل والتفكير فى عظمة ودقّة وقدرة الخالق فى خلقه، ويمكن للإنسان العاقل بتأمّل هذه التحولات السريعة من التوجّه إلى قدرته جلّ شأنه على المعاد ما يحمل بين طياته من تغيّرات فى عالم الوجود.

ثم يأتى جواب القسم الوارد فى الآيات أعلاه: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ».

إشارة إلى المراحل والتحوّلات التى يمرّ بها الإنسان فى حياته؛ منها:

تلك الحالات المختلفة التى يمرّ بها الإنسان فى كدحه وسيره المضنى نحو اللّه جلّ وعلا، فيبدأ بحالة الدنيا، ثم ينتقل إلى عالم البرزخ ومنه إلى القيامة والآخرة.

ومن كل ما سبق .. يخرج القرآن الكريم بنتيجة: «فَمَا لَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ».

فمع وضوح أدلة الحق؛ مثل أدلة: التوحيد، معرفة اللّه، المعاد، بالإضافة إلى ما من الآفاق فى آيات، وكذلك الآيات التى فىنفس الإنسان.

وينتقل بنا العرض القرآنى من كتاب (التكوين) إلى كتاب (التدوين)، فيقول: «وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَايَسْجُدُونَ».

القرآن تتلألأ ـ أنوار الإعجاز من بين جنباته، ويشهد محتواه على أنّه من الوحى الإلهى وكل منصف يدرك جيداً لدى قراءته له أنّه فوق نتاجات عقول البشر ولا يمكن أن يصدر من إنسان مهما كان عالماً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۱۹

وتأتى الآية التالية لتقول: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ».

والتعبير عن ممارسة تكذيب الكافرين فى الآية بصيغة المضارع المستمر، للإشارة إلى تكذيبهم المتعنت المستمر واصرارهم ولجاجتهم وليس تكذيبهم بسبب ضعف أدلة الحق.

وببيان جدّى وتهديد جدّى، تقول الآية التالية: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ».

فاللّه تعالى أعلم بدافع ونيّة وهدف ذلك التكذيب، ومهما تستروا على ما فعلوا فلا يجزون إلّابما كسبت أيديهم.

ثم ...: «فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

عادةً ما تستعمل «البشارة» للأخبار السارة، وجاءت هنا لتنم عن نوع من الطعن والتوبيخ.

والحال، إنّ البشارة الحقّة للمؤمنين خالصة بما ينتظرهم من نعيم، وما للكاذبين إلّاالغرق فى بحر من الحسرة والندم، وما هم إلّافى عذاب جهنم يخلدون.

ويستثنى المؤمنون من تلك البشرى المخزية: «إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ».

«ممنون»: من «المنّ» وهو القطع والنقصان، (ومنه «المنون» بمعنى الموت).

وإذا ما جمعنا كل هذه المعانى، فستكون النعم الاخروية على عكس الدنيوية الناقصة والمنقطعة والمقترنة بمنّة هذا وذاك، حيث إنّها لا تنقطع ولا تنقص وليس فيها منّة.

أمّا الإستثناء الذى ورد فى الآية السابقة، ففيه بحث: هل أنّه «متصل» أو «منقطع»؟

والأقرب لسياق الآيات أن يكون الإستثناء متصلًا، وفى هذه الحال يكون هدفه فتح الطريق أمام الكفار للعودة وتشجيعهم على ذلك، لأنّ الآية تقول: إنّ العذاب الأليم المذكور فى الآية السابقة سوف لا يصيب مَن يؤمن منهم ويعمل صالحاً وعلاوة على ذلك، سيكون

له أجر غير ممنون.

«نهاية تفسير سورة الإنشقاق»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۱

۸۵. سورة البروج

محتوى السورة: بملاحظة كون السورة مكية، فيظهر إنّها نزلت لتقوية معنويات المؤمنين لمواجهة تلك الظروف الصعبة، ولترغيبهم على الصمود أمام الصعاب والثبات على الإيمان وترسيخه في القلوب.

وتناولت السورة قصة أصحاب الاخدود، الذين حفروا خندقاً وسجّروه بالنيران، وهددوا المؤمنين بإلقائهم في تلك النار إن لم يعودوا إلى كفرهم! وأحرقوا مجموعة منهم بالنار وهم أحياء، ومع ذلك لم يرجعوا عن دينهم ..

وتَعِدُ السورة في بعض آياتها بعذاب جهنم الأليم لُاولئك الذين يؤذون المؤمنين ويعذبونهم على إيمانهم، وتذمهم ذماً شديداً، في حين تبشر المؤمنين الصابرين بالجنة والفوز بنعيمها.

وفي جانب آخر من السورة، تُعرض لنا مقتطفات من قصّتي فرعون وثمود وقوميهما الجناة الطغاة، وما آلوا إليه من ذُلّ وهلاك، كل ذلك تذكيراً لكفار مكة الذين هم أضعف قوّة وأقل جنداً من اولئك، فعسى أن يرعووا عمّا هم فيه من جهة، وتسلية لقلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه و آله ومن كان معه من المؤمنين من جهة اخرى.

وتختم السورة في آخر مقاطعها بالإشارة إلى عظمة القرآن الكريم، وإلى الأهمية البالغة لهذا الوحي الإلهي.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۲

وسمّيت بسورة «البروج» بلحاظ ذكر الكلمة في أوّل آية من السورة بعد ذكر البسملة.

فضيلة تلاوة السورة: في تفسير البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنّه قال: «من قرأ هذه السورة أعطاه اللَّه من الأجر بعدد كل من اجتمع في جمعة وكل من اجتمع يوم عرفة عشر حسنات، وقراءتها تنجّي من المخاوف والشدائد».

وبملاحظة أنّ أحد تفاسير «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ»- من آيات السورة- هو يومي الجمعة وعرفة من جهة، وأنّ السورة حكاية مقاومة وبسالة المؤمنين السابقين أمام الشدائد والضغوط من جهة اخرى، وبملاحظة ذلك سيتّضح لنا التناسب الموجود ما بين هذا الثواب الجزيل لمن يقرءها وبين محتوى السورة، وأنّ الأجر والثواب إنّما يحصل لمن قرأها بتأمل معانيها، وعمل على ضوء هديها.

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (۱) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (۲) وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (۳) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (۴) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (۵) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (۶) وَ هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (۷) وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (۸) الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۹) ابتدأت السورة ب: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ».

والأبراج السماوية: إمّا أن يكون المراد منها النجوم الزاهرة والكواكب المنيرة في السماء، أو المجموعات من النجوم تتخذ مع بعضها شكل شيء معروف في الأرض، وتسمى ب «الصور الفلكية» وهي إثنا عشر برجاً، وفي كل شهر تحاذي الشمس أحد هذه البروج، (طبيعي أنّ الشمس لا- تتحرك تلك الحركة، وإنّما الأرض تدور حول الشمس فيبدو لنا تغيّر موضع الشمس بالنسبة إلى الصور الفلكية أو الأبراج).

وتقول الآية الثانية: «وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ».

اليوم الذي وعد به جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والذي تحدثت عنه مئات الآيات القرآنية المباركة.

وفي القسم الثالث والرابع يقول: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۳

وقد تعرض المفسرون للآية بمعان متباينة، وصلت إلى ثلاثين معنى وأدناه أهم ما ذُكر منها:

۱- إنّ «الشاهد»: محمّد صلى الله عليه و آله؛ و «المشهود»: يوم القيامة.

۲- «الشاهد»: ما سيشهد على أعمال الناس، كأعضاء بدنه؛ و «المشهود»: الناس وأعمالهم.

۳- «الشاهد»: يوم الجمعة؛ و «المشهود»: يوم عرفة.

۴- «الشاهد»: عيد الأضحى؛ و «المشهود»: يوم عرفة.

۵- «الشاهد»: الأيام والليالي؛ و «المشهود»: بنو آدم، حيث تشهد على أعمالهم.

۶- «الشاهد»: الملائكة؛ و «المشهود»: القرآن.

۷- «الشاهد»: الحجر الأسود؛ و «المشهود»: الحاج.

۸- «الشاهد»: الخلق؛ و «المشهود»: الحق.

۹- «الشاهد»: هذه الامّة؛ و «المشهود»: سائر الامم.

۱۰- «الشاهد»: الأنبياء عليهم السلام؛ و «المشهود»: محمّد صلى الله عليه و آله.

۱۱- «الشاهد»: النبى صلى الله عليه و آله؛ و «المشهود»: أمير المؤمنين عليه السلام.

وإذا ما أدخلنا الآية فى سياق الآيات السابقة لها، فسنصل إلى أنّ «الشاهد» هو كل من سيقوم بالشهادة يوم القيامة؛ كشهادة: النبى صلى الله عليه و آله وكل نبىّ على امّته، الملائكة، بالإضافة إلى شهادة: أعضاء بدن الإنسان، الليل والنهار ... إلخ؛ و «المشهود»: الناس أو أعمالهم.

وبهذا يُدغم الكثير من التفاسير المذكورة مع بعضها لتشكل مفهوماً واسعاً للآية المباركة، لأنّ «الشاهد» ينطبق على كل من وما يشهد، وكذا «المشهود» ينطبق على كل من وما يشهد عليه، وما ورودهما بصيغة النكرة إلّالتعظيمهما.

فالسماء وما فيها من بروج تحكى عن نظام وحساب دقيق، و «اليوم الموعود» يوم حساب وكتاب دقيق أيضاً، و «شاهد ومشهود» أيضاً وسيلة للحساب الدقيق على أعمال الإنسان، وكل ذلك لتذكير الظالمين الذين يعذّبون المؤمنين، عسى أن يكّفوا عن فعلتهم السيئة، ولإعلامهم بأنّ كل ما يفعله الإنسان يسجل عليه وبحساب دقيق جدّاً وسيواجه بها فى اليوم الموعود بين عتبات ساحة العدل الإلهى.

وبعد هذه الأقسام الأربع، تقول الآية التالية: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۴

والمقصود هم الظالمين لا من القى فى النار، فالجملة إنشائية والمراد هو اللعن والدعاء عليهم.

والاخدود ملىء بالنار الملتهبة: «النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ».

وكان الظالمون جالسون على حافة الاخدود يشاهدون المعذبين فيها: «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ». «وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ».

«الاخدود»: شقّ فى الأرض مستطيل غائص، والجمع أخاديد، وأصل ذلك من «خدّ» الإنسان، وهو تقعر بسيط يكتنف الأنف من اليمين والشمال (وعند البكاء تسيل الدموع من خلاله) ثم اطلق مجازاً على الخنادق والحفر فى الأرض، ثم صار معنى حقيقياً لها.

أمّا من هم الذين عذّبوا المؤمنين؟ ومتى؟ إنّهم حفروا خندقاً عظيماً ووجّروه بالنيران، وأوقفوا المؤمنين على حافة الخندق وطلبوا منهم واحداً واحداً بترك إيمانهم والرجوع إلى الكفر، ومن رفض القى بين ألسنة النيران حياً ليذهب إلى ربّه صابراً محتسباً!

«الوقود»: ما يجعل للإشتعال، و «ذات الوقود»: إشارة إلى كثرة ما فيها من الوقود، وشدّة اشتعالها، فالنار لا تخلو من وقود، ولعل ما قيل من أنّ «ذات الوقود» بمعنى ذات اللهب الشديد، يعود للسبب المذكور.

والآيتان: «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ* وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ»، تشيران إلى ذلك الجمع من الناس الذين حضروا الواقعة، وهم ينظرون إلى ما يحدث بكل تلذذ وبرود وفى منتهى قساوة القلب (ساديّة).

وتقول الآية التالية: «وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ».

وذكر «العزيز الحميد» جواب لما اقترفوا من جريمة بشعة، واحتجاج على اولئك الكفرة، إذ كيف يكون الإيمان باللَّه جرم وذنب؟! وهو أيضاً تهديد لهم بأن يأخذهم اللَّه العزيز الحميد جزاء ما فعلوا، أخذ عزيز مقتدر.

وتأتى الآية الاخرى لتبيّن صفتين اخرتين للعزيز الحميد: «الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ».

فالصفات الأربعة المذكورة، تمثل رمز معبوديته جلّ وعلا، فالعزيز والحميد .. ذو الكمال المطلق، ومالك السماوات والأرض والشهيد على كل شىء .. أحقّ أن يُعبد وحده دون غيره، لا شريك له.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۵

إضافة إلى كونها بشارة للمؤمنين، بحضور اللَّه سبحانه وتعالى ورؤيته لصبرهم وثباتهم على الإيمان، فيدفع فيهم الحيوية والنشاط والقوة.

ومن جهة اخرى تهديد للكفار، وإفهامهم بأنّ عدم منع إرتكاب مثل هذه الجرائم الخبيثة، ليس لعجز أو ضعف منه جلّ شأنه، وإنّما ترك العباد يفعلون ما يرونه هم، امتحاناً لهم، وسيريهم فى عاقبة أمرهم جزاء ما فعلوا، وما للظالمين إلّاالعذاب المهين.

بحث

من هم أصحاب الاخدود؟ إنّ «الاخدود» هو الشق العظيم فى الأرض، أو الخندق .. وهو فى الآية إشارة إلى تلك الخنادق التى ملأها الكفار ناراً ليردعوا فيها المؤمنين بالتنازل عن إيمانهم والرجوع إلى ما كانوا عليه من كفر وضلال.

وكان سببهم أنّ الّذى هيج الحبشة على غزوة اليمن ذونواس وهو آخر من ملك من حِمير «۱» تهوّد، واجتمعت معه حمير على اليهودية، وسمّى نفسه يوسف، وأقام على ذلك حيناً من الدهر، ثم اخبر أنّ بنجران [شمال اليمن بقايا قوم على دين النصرانية، وكانوا على دين عيسى عليه السلام وعلى حكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبداللَّه بن بريا فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية، ويدخلهم فيها، فسار حتى قدم نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانية، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها، فأبوا عليه، فجادلهم وعرض عليهم وحرص الحرص كله، فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها، واختاروا القتل، فخد لهم اخدوداً جمع فيه الحطب، وأشعل فيه النار، فمنهم من احرق بالنار، ومنهم من قُتل بالسيف، ومُثّل بهم كل مثلة. فبلغ عدد من قُتل واحرق بالنار عشرين ألفاً «۲».

وأضاف بعض آخر: إنّ رجلًا من نصارى نجران تمكّن من الهرب، فالتحق بالروم وشكا ما فعل (ذو نواس) إلى قيصر.

فقال قيصر: إنّ أرضكم بعيدة، ولكنّى سأكتب كتاباً إلى ملك الحبشة النصرانى وأطلب منه مساعدتكم.

ثم كتب رسالته إلى ملك الحبشة، وطلب منه الإنتقام لدماء المسيحيين التى اريقت فى

---

(۱) حمير: إحدى قبائل اليمن المعروفة.

(۲) تفسير على بن ابراهيم القمى ۲/ ۴۱۳.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۶

نجران، فلما قرأ الرسالة تأثّر جدّاً، وعقد العزم على الإنتقام لدماء شهداء نجران.

فأرسل كتائبه إلى اليمن والتقت بجيش (ذو نواس)، فهزمته بعد معركة طاحنة، وأصبحت اليمن ولاية من ولايات الحبشة «۱».

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (۱۰) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (۱۱) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (۱۲) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ (۱۳) وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (۱۴) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (۱۵) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (۱۶) العذاب الإلهى للمجرمين: بعد ذكر عظم جريمة أصحاب الاخدود التى ارتكبت ضد

المؤمنين بحرقهم وهم أحياء، يشير القرآن الكريم فى هذه الآيات إلى ما ينتظر اولئك الجناة من عذاب إلهى شديد، ويشير أيضاً إلى ما اعدّ للمؤمنين من ثواب ونعيم جراء صبرهم وثباتهم على إيمانهم باللّه. فتقول الآية الاولى: «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ».

«فتنوا»: من مادة «فتن» وهو إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، وقد استعملت «الفتنة» بمعنى (الإختبار)، وبمعنى (العذاب والبلاء)، وبمعنى (الضلال والشرك) أيضاً؛ وهى فى الآية بمعنى (العذاب).

«ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا»: تدلّ على أنّ باب التوبة مفتوح حتى لُاولئك الجناة المجرمين، وتدلّ أيضاً على مدى لطف البارى جلّ وعلا على الإنسان حتى وإن كان مذنباً، وفى الجملة تنبيه لأهل مكة ليسارعوا فى ترك تعذيب المؤمنين ويتوبوا إلى اللّه توبة نصوح.

وقد ورد فى الآية لونين من العذاب الإلهى: «عَذَابُ جَهَنَّمَ» و «عَذَابُ الْحَرِيقِ»، للإشارة إلى أنّ لعذاب جهنم ألوان عديدة، منها (عذاب النار)، وتعيين «عذاب الحريق»، للإشارة أيضاً إلى أنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار، سوف يجازون بذات أساليبهم، ولكن أين هذه النار من تلك؟!

---

(۱) قصص القرآن، للبلاغى / ۲۸۸.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۷

وتعرض لنا الآية التالية ما سيناله المؤمنون من ثواب: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ».

وأىّ فوز أرقى وأسمى من الوصول إلى جوار اللّه، والتمتع فى نعيمه الذى لا يوصف! نعم، فمفتاح ذلك الفوز العظيم هو (الإيمان والعمل الصالح)، وما عداه فروع لهذا الأصل.

ويعود القرآن مرّة اخرى لتهديد الكفار الذين يفتنون المؤمنين، فيقول: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ».

ولا تظنوا بأنّ القيامة أمر خيالى، أو إنّ المعاد من الامور التى يشك فى صحة تحققها، بل:

«إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ».

«البطش»: تناول الشىء بصولة وقهر، وباعتباره مقدمة للعقاب، فقد استعمل بمعنى العقاب والمجازاة؛ «ربّك»: تسلية للنبىّ صلى الله عليه و آله، وتأكيد دعم اللّه اللامحدود له.

ثم يعرض لنا القرآن الكريم خمسة أوصاف للبارى جلّ شأنه: «وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ».

الذى يغفر للتائبين ويحب المؤمنين.

«ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ». صاحب الحكومة المقتدرة على عالم الوجود وذو المجد والعظيمة.

«فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ».

فذكر هذه الأوصاف بعد ما تضمّنته الآيات السابقة من تهديد ووعيد، يبيّن أنّ طريق العودة إلى اللّه سالك وأنّ باب التوبة مفتوح لكل من ولغ فى الذنوب، فالبارى جلّت عظمته فى الوقت الذى هو شديد العقاب فهو الغفور الرحيم أيضاً.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (۱۷) فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ (۱۸) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ (۱۹) وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (۲۰) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (۲۱) فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (۲۲) ألم تر ما حلّ بجيش فرعون وثمود: فيما تعرضت الآيات السابقة لقدرة اللّه المطلقة وحاكميته، ولتهديد الكفار الذين يفتنون المؤمنين .. تتعرض الآيات أعلاه لما يؤكّد هذا التهديد، فتخاطب النبى صلى الله عليه و آله قائلة: «هَلْ أَتَيكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ». تلك الكتائب الجرارة التى وقفت بوجه أنبياء اللّه بتصورها الساذج بأنّها ستقف أمام قدرة اللّه عزّ وجل.

وتشير إلى نموذجين واضحين، أحدهما من غابر الزمان، والآخر فى زمن قريب من صدر دعوة الإسلام: «فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۸

فأحدهما ملك الشرق والغرب، والآخر وصلت مدنيته لأن يحفر الجبال لبناء البيوت والقصور الفخمة، ولهما من الجبروت ما لم يستطع أحد من الوقوف بوجههم، ولكن العزيز الجبار أهلكهم بالماء والهواء، مع ما لهاتين المادتين من الوسائل المهمة المستلزمة لأساسيات حياة الإنسان.

وتقول الآية التالية: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ».

فآيات ودلائل الحق ليست بخافية على أحد، ولكن العناد واللجاجة هما اللذان يحجبان عن رؤية طريق الحق والإيمان.

وكأنّ «بل» تشير إلى أنّ عناد وتكذيب أهل مكة أشدّ وأكثر من قوم فرعون وثمود وهم مشغولون دائماً بتكذيب الحق وانكاره ويستخدمون كل وسيلة فى هذا الطريق.

وعليهم أن يعلموا بقدرة اللّه: «وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ».

فلا يدل الإمهال على الضعف أو العجز، ولا يعنى عدم تعجيل إنزال العقوبة الإلهية بأنّهم قد خرجوا عن قدرته جلّ شأنه.

وتقول الآية التالية: «بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ». ذو مكانة سامية ومقام عظيم.

«فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ». لا تصل إليه يد العبث، والشيطنة، ولا يصيبه أىّ تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقصان.

فلا تبتئس يا محمّد بما ينسبونه إليك افتراءً، كأن يتهموك بالشعر، السحر، الكهانة والجنون ... فاصولك ثابتة، وطريقك نيّر، والقادر المتعال معك.

«لَوح»: هو الصفحة العريضة التى يكتب عليها، ويراد هنا: الصفحة التى كتب فيها القرآن، لكنّها ليست كالألواح المتعارفة عندنا، بل (وعلى قول ابن عباس): إنّ اللوح المحفوظ طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب.

ويبدو أنّ اللوح المحفوظ، هو «علم اللّه» الذى يملاء الشرق والغرب، ومصان من أىّ اختلاق أو تحريف.

«نهاية تفسير سورة البروج»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۲۹

۸۶. سورة الطارق

محتوى السورة: تدور مواضيع السورة حول محورين:

۱- المعاد والقيامة.

۲- القرآن الكريم وأهميته القيمة.

تبتدأ السورة بجملة أقسام تبعث على التأمل والتفكير، ثم تشير إلى المراقبين الإلهيين على الإنسان.

وتنتقل السورة لإثبات إمكانية المعاد من خلال الإشارة إلى كيفية خلق الإنسان من نطفة. فالقادر على خلق الإنسان من نطفة نتنة لقادر على إعادة حياته بعد موته.

وتعرض لنا السورة بعد ذلك معالم المرحلة التالية من خلال تبيان بعض ملامح يوم القيامة، ثم تذكر جملة أقسام اخرى للتأكيد على أهمية القرآن، ومن ثم نختم بإنذار الكفار بالعذاب الإلهى.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان: ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها أعطاه اللّه بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات».

إنّ التأمل بمحتوى السورة والعمل على ضوئها هو الذى يضمن حصول ثوابها، وحركة اللسان الفارغة عن كل محتوى وتطبيق، لا تغنى عن الحق شيئاً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۰

وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ (۱) وَ مَا أَدْرَاکَ مَا الطَّارِقُ (۲) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (۳) إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَیْهَا حَافِظٌ (۴) فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ (۷) إِنَّهُ عَلَی رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (۸) یَوْمَ تُبْلَی السَّرَائِرُ (۹) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ (۱۰)

تبتدأ السورة- کمثیلاتها من سور الجزء الأخیر من القرآن الکریم- بعدّة أقسام بلیغة تبعث علی التأمل، وهی مقدمة لبیان أمر مهم.

«وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ» .. «وَمَا أَدْرَیکَ مَا الطَّارِقُ» .. «النَّجْمُ الثَّاقِبُ».

«الطارق»: من (الطرق) وهو الضرب، ولهذا قیل (الطریق) لما تطرقه أرض المشاة.

ویفسّر القرآن الکریم «الطارق» بقوله: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ». النجم اللامع الذی مع علوّه الشاهق وکأنّه یرید أن یثقب سقف السماء، وکأنّ نوره المتشعشع یرید أن یثقب ستار اللیل الحالک، فیجلب الأنظار بمیزته هذه.

ولنری لأیشیء کان هذا القسم: «إِن کُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَیْهَا حَافِظٌ».

یحفظ علیه أعماله، وتسجل کل أفعاله، لیوم الحساب.

فلا تظنوا بأنّکم بعیدون عن الأنظار، بل أینما تکونوا فثمّة علیکم ملائکة مأمورین یسجلون کل ما یبدر منکم .. وهذا ما له الأثر البالغ فی عملیة إصلاح وتربیة الإنسان.

ثم یستدل القرآن الکریم علی المعاد فی مقابل من یقول باستحالة المعاد: «فَلْیَنظُرِ الْإِنسنُ مِمَّ خُلِقَ».

وبهذا ... أخذ القرآن الکریم بأیدی الجمیع وأرجعهم إلی أوّل خلقهم، مستفهماً عمّا خلق منه الإنسان.

وبدون أن ینتظر الجواب من أحد یجیب القرآن علی استفهامه: «خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ».

وهو ماء الرجل الذی تسبح فیه الحیامن، ویخرج بدفق.

ویستمر فی تقریب المراد: «یَخْرُجُ مِن بَیْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ».

«الصلب»: الظهر؛ و «الترائب»: جمع (تریبة)، وهی عظام الصدر العلیا وضلوعه.

فالآیات تشیر إلی ماء الرجل دون المرأة، بقرینة «ماء دافق»، وهذا لا یصدق إلّاعلی

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۱

الرجل، وعلیه یعود الضمیر فی «یخرج».

و «الصلب والترائب» هما ظهر الرجل وقسمه الأمامی، لأنّ ماء الرجل إنّما یخرج من هاتین المنطقتین.

وهذا التفسیر واضح، ینسجم مع ما ورد فی کتب اللغة بخصوص المصطلحین.

کما ویمکن أن تکون الآیة قد أشارت إلی حقیقة علمیة مهمة لم یتوصل إلی اکتشافها بعد، وربّما المستقبل سیکشف ما لم یکن بالحسبان.

ونصل مع القرآن إلی نتیجة ما تقدم من الذکر الحکیم: «إِنَّهُ عَلَی رَجْعِهِ لَقَادِرٌ».

فالإنسان تراباً قبل أن یکون نطفة، ثم مرّ بمراحل عدیدة مدهشة حتی أصبح إنساناً کاملًا، ولیس من الصعوبة بحال علی الخالق أن یعید حیاة الإنسان بعد أن نخرت عظامه وصار تراباً، فالذی خلقه من التراب أوّل مرّة قادر علی إعادته مرّة اخری.

وتصف لنا الآیة التالیة ذلک الیوم الذی سیرجع فیه الإنسان: «یَوْمَ تُبْلَی السَّرَائِرُ».

«تبلی»: من «البلوی»، بمعنی الإختبار والإمتحان، وهو هنا الظهور والبروز، لأنّ الإمتحان یکشف عن حقیقة الأشیاء ویظهرها.

«السرائر»: جمع (سریرة)، وهی صفات ونوایا الإنسان الداخلیة.

نعم، فأسرار الإنسان الدفینة ستظهر فی ذلک الیوم، یوم البروز ویوم الظهور، فسیظهر علی الطبیعة کل من: الإیمان، الکفر، النفاق، نیّة الخیر، نیّة الشر، الإخلاص، الریاء ...

وسيكون ذلك الظهور مدعاة فخر ومزيد نعمة للمؤمنين، ومدعاة ذلّة ومهانة وحسرة للمجرمين ...

وما أشد ما سيلاقى من قضى وطراً من عمره بين الناس بظاهر حسن ونوايا خبيثة. وما أتعسه حينما تهتك أقنعته المزيفة فيظهر على حقيقته أمام كل الخلائق.

ولكن أشدّ صعاب ذلك اليوم على الإنسان: «فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ».

فلا يملك تلك القوّة التى تخفى أعماله ونيّاته، وليس له ذلك الظهير الذى يعينه عن الخلاص من عذاب اللَّه سبحانه وتعالى.

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١٥) وَ أَكِيدُ كَيْداً (١۶) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (١٧)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۲

بعد أن تضمّنت الآيات السابقة استدلالًا على المعاد، بطريق توجيه الإنسان إلى بداية خلقه، تعود هذه الآيات إلى المعاد مرّة اخرى، لتشير إلى بعض الأدلة الاخرى عليه فتقول:

«وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ» ... «وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ» ... «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ» ... «وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ».

«الرجع»: من «الرجوع» بمعنى العود، ويطلق على الأمطار اسم (الرجع) لأنّها تبدأ من مياه الأرض والبحار، ثم تعود إليها تارة اخرى عن طريق الغيوم.

فالقسمان يشيران إلى إحياء الأراضى الميتة بالأمطار، وهذا ما تكرر ذكره فى القرآن الكريم كدليل على إمكانية المعاد، كما فى قوله تعالى فى الآية (١١) من سورة «ق»:

«وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذلِكَ الْخُرُوجُ».

وتسلّى الآيات التالية قلب النبى صلى الله عليه و آله والمؤمنين من جهة، وتتوعد أعداء الإسلام من جهة اخرى: «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا». فالكفار يخططون من جهة، وأنا أخطط لإحباط تلك الخطط من جهة اخرى .. «وَأَكِيدُ كَيدًا». «فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا»، حتى يروا عاقبتهم.

نعم، إنّهم دوماً يكيدون فى حربك والحرب ضد دينك.

فتارة بالإستهزاء ...

واخرى بالحصار الإقتصادى ...

ومرّة بتعذيب المؤمنين ...

ويقولون عنك: ساحراً، كاهناً، مجنوناً ...

ويقولون لك: أبعد الفقراء والمستضعفين عنك حتى نتّبعك

ومراد الآية هو كيد الأعداء، وقد تعرضنا لبعض نماذجه أعلاه.

والمقصود بالكيد الإلهى إنّه تلك الألطاف الإلهية التى غمرت النبى صلى الله عليه و آله ومن معه من المؤمنين، وما كان يصيب أعداء الإسلام من فشل مخططاتهم وخيبة مساعيهم.

هذه الآية درس للمسلمين فى الكيفية التى ينبغى العمل بها عند مواجهة أعداءهم، وخصوصاً ماإذا كانوا أعداءً أقوياء، فلابدّ من الصبر والتأنّى والدقّة فى حساب خطوات المواجهة، وينبغى عدم التسرع فى العمل، وكذا عدم تنفيذ القرارات غير المدروسة.

«نهاية تفسير سورة الطّارق»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۳

٨٧. سورة الأعلى

محتوى السورة: تحتوى السورة على قسمين من المواضيع:

۱- يحوى خطاباً إلى النبى صلى الله عليه و آله، يأمره البارى سبحانه فيه بالتسبيح وأداء الرسالة، ثم ذكر سبعاً من صفات اللّه عزّ وجل، لها صلة ربط بالأمر الربانى إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

۲- يتحدث عن المؤمنين الخاشعين، والكافرين الأشقياء، ويتناول باختصار العوامل التى تؤدى إلى كل من السعادة والشقاء الحق.

وفى آخر السورة، يأتى التأكيد على أنّ ما جاء فى هذه السورة ليس هو حديث القرآن الكريم فقط، بل وتناولته كتب وصحف الأوّلين أيضاً، كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان ابى بن كعب قال: قال النبى صلى الله عليه و آله: «من قرأها أعطاه اللّه من الأجر عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله اللّه على إبراهيم وموسى ومحمّد عليهم السلام».

وعن أبى بصير عن الصادق عليه السلام قال: «من قرأ سبّح اسم ربّك الأعلى فى فريضة أو نافلة قيل له يوم القيامة: ادخل الجنة من أىّ أبواب الجنة شئت».

فيبدو أنّ السورة من الأهمية بحيث روى عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: «كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يحب هذه السورة «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۴

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى (۱) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى (۲) وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى (۳) وَ الَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى (۴) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (۵) تسبيح اللّه: تبدأ السورة بخلاصة دعوة الأنبياء عليهم السلام، حيث التسبيح والتقديس أبداً للّه الواحد الأحد، فتخاطب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله بالقول: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى».

فمراد الآية أن لا يوضع اسمه جلّ شأنه فى مصاف أسماء الأصنام، ويجب تنزيه ذاته المقدسة من كل عيب ونقص، ومن كل صفات المخلوق وعوارض الجسم، أى أن لا يحد.

«الْأَعْلَى»: أى الأعلى من كل: أحد، تصوّر، تخيّل، قياس، ظن، وهم، ومن أى شرک بشقيه الجلى والخفى.

«رَبِّکَ»: إشارة إلى أنّه غير ذلک الرب الذى يعتقد به عبدة الأصنام.

وبعد ذكر هاتين الصفتين (الربّ والأعلى)، تذكر الآيات التالية خمس صفات تبيّن ربوبية اللّه العليا ...: «الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى .

فنظام عالم الخليقة، بدءاً من أبسط الأشياء، كبصمات الأصابع التى أشارت إليها الآية (۴) من سورة القيامة: «بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ». وانتهاءً بأكبر منظومة سماوية كلّها شواهد ناطقة على ربوبية اللّه سبحانه وتعالى، وأدلة إثبات قاطعة على وجوده عزّ وجل.

وبعد ذكر موضوعى الخلق والتنظيم، تنتقل بنا الآية التالية إلى حركة الموجودات نحو الكمال: «وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى .

والمراد ب (قدّر)، هو: وضع البرامج، وتقدير مقادير الامور اللازمة للحركة باتجاه الأهداف المرسومة التى ما خلقت الموجودات إلّالأجلها.

والمراد ب (هدى هنا، هو: الهداية الكونية، على شكل غرائز وسنن طبيعية حاكمة على كل موجود (ولا فرق فى الغرائز والدوافع سواء كانت داخلية أم خارجية).

فمثلًا، إنّ اللّه خلق ثدى المرأة وجعل فيه اللبن لتغذية الطفل، وفى ذات الوقت جعل عاطفة الامومة شديدة عند المرأة، ومن الطرف الآخر جعل فى الطفل ميلًا غريزياً نحو ثدى امّه، فكلّ هذه الإستعدادات والدوافع وشدّة العلاقة الموجودة بين الام والإبن والثدى

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۵

مقدّر بشكل دقيق، كى تكون عملية السير نحو الهدف المطلوب طبيعية وصحيحة.

وهذا التقدیر الحکیم ما نشاهده بوضوح فی جمیع الکائنات.

وقد اختص الإنسان بهدایة تشریعیة إضافة للهدایة التکوینیة یتلقاها عن طریق الوحی وإرسال الأنبیاء علیهم السلام لتکتمل أمامه معالم الطریق من کافة جوانبه.

وتشیر الآیة التالیة إلی النباتات، وما یخصّ غذاء الحیوانات منها: «وَالَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعَی .

ثم: «فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَی .

«الغثاء»: هو ما یطفح ویتفرق من النبات الیابس علی سطح الماء الجاری، ویطلق أیضاً علی ما یطفح علی سطح القدر عند الطبخ، ویستعمل کنایة عن: کل ضائع ومفقود، وجاء فی الآیة بمعنی: النبات الیابس المتراکم.

«أحوی»: من (الحوة)- علی زنة قوّة- وهی شدّة الخضرة، أو شدّة السواد.

فللغثاء الأحوی منافع کثیرة .. فهو یشیر بشکل غیر مباشر إلی فناء الدنیا، وکذا غذاء جید للحیوانات فی الشتاء، ویستعمل کسماد طبیعی للأرض، وکذا یستعمله الإنسان کوقود.

سَنُقْرِئُکَ فَلَا تَنْسَی (۶) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا یَخْفَی (۷) وَ نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْرَی (۸) فَذَکِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّکْرَی (۹) سَیَذَّکَّرُ مَنْ یَخْشَی (۱۰) وَ یَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَی (۱۱) الَّذِی یَصْلَی النَّارَ الْکُبْرَی (۱۲) ثُمَّ لَا یَمُوتُ فِیهَا وَ لَا یَحْیَی (۱۳) فیما کان الحدیث فی الآیات السابقة عن ربوبیة اللَّه وتوحیده جلّ شأنه، والهدایة العامة للموجودات، وکذا عن تسبیح الرب الأعلی .. تأتی الآیات أعلاه لتتحدث عن: القرآن والنّبوّة، وهدایة الإنسان، وکذا البیان القرآنی للتسبیح. فتقول الآیة الاولی مخاطبة النبی صلی الله علیه و آله: «سَنُقْرِئُکَ فَلَا تَنسَی . فلا تتعجل نزول القرآن، ولا تخف من نسیان آیاته، فالذی أرسلک بهذه الآیات لهدایة البشریة کفیل بحفظها، وبخطها علی قلبک الطاهر بما لا یمکن لآفة النسیان من قرض ولو حرف واحد منها أبداً.

وتدخل الآیة فی سیاق الآیة (۱۱۴) من سورة طه: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أن

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۶

یُقْضَی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَقُل رَّبّ زِدْنِی عِلْمًا». وکذا الآیة (۱۶ و ۱۷) من سورة القیامة: «لَاتُحَرِّکُ بِهِ لِسَانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ» تدخل فی سیاقهما.

ولإثبات قدرته سبحانه وتعالی، وأنّ کل خیر منه، تقول الآیة: «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا یَخْفَی . ولا یعنی هذا الإستثناء بأنّ النسیان قد أخذ من النبی صلی الله علیه و آله وطراً، وإنّما هو لبیان أنّ قدرة حفظ الآیات هی موهبة منه سبحانه وتعالی، ومشیئته هی الغالبة أبداً، وإلّا لتزعزعت الثقة بقول النبی صلی الله علیه و آله.

فمن معاجز النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، قابلیته علی حفظ الآیات والسور الطوال بعد تلاوة واحدة من جبرائیل علیه السلام، دون أن ینسی منها شیئاً أبداً.

وتخاطب الآیة التالیة النبی الکریم صلی الله علیه و آله مسلیة له: «وَنُیَسّرُکَ لِلْیُسْرَی . أی: إخبار النبیّ بصعوبة الطریق فی کافة محطاته، من تلقی الوحی وحفظه حتی البلاغ والنشر والتعلیم والعمل به، وتطمئنه بالرعایة والعنایة الربانیة، بتذلیل صعابه من خلال تیسیرها له صلی الله علیه و آله.

وبعد أن تبیّن الآیات العنایة الربانیة للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله، تنتقل إلی بیان مهمته الرئیسیة:

«فَذَکّرْ إِن نَّفَعَتِ الذّکْرَی .

قیل: الإشارة هنا إلی أنّ التذکیر بحدّ ذاته نافع، وقلیل اولئک الذین لا ینتفعون به، والحد الأدنی للتذکیر هو إتمام الحجة علی المنکرین، وهذا بنفسه نفع عظیم.

وتقسم الآیات التالیة الناس إلی قسمین، من خلال مواقفهم تجاه الوعظ والإنذار الذی مارسه النبی صلی الله علیه و آله ...: «سَیَذَّکَّرُ مَن

يَخْشَى .

نعم، فإذا ما فقد الإنسان روح «الخشية» والخوف ممّا ينبغى أن يخاف منه، وإذا لم تكن فيه روحية طلب الحق- والتى هى من مراتب التقوى- فسوف لا تنفع معه المواعظ الإلهية، ولا حتى تذكيرات الأنبياء ستنفعه، على هذا الأساس كان القرآن «هدًى للمتّقين».

وتذكر الآية التالية القسم الثانى، بقولها: «وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى».

ويعرض لنا القرآن عاقبة القسم الثانى: «الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى .. «ثُمَّ لَايَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى . أى، لا يموت ليخلص من العذاب، ولا يعيش حياةً خالية من العذاب، فهو أبداً يتقلقل بالعذاب بين الموت والحياة.

إنّ وصف نار جهنم ب «الكبرى» مقابل (النار الصغرى) فى الحياة الدنيا.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۷

فى تفسير على بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ ناركم هذه جزءاً من سبعين جزء من نار جهنم، وقد اطفئت سبعين مرّة بالماء ثم التهبت ولولا ذلك ما استطاع آدمى أن يطفيها».

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١۴) وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١۵) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١۶) وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (١٧) إِنَّ هذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى (١٩) بعد أن عرضت الآيات السابقة صورة العذاب ومعاناة أهله، يأتى الحديث عن الذين نفعتهم الذكرى، ممن استمعوا إلى دعوة الهدى فطهروا أنفسهم من المعاصى والآثام، وخشعت قلوبهم لذكر اللّه .. ويقول القرآن: «قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . «وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى .

فأساس الفلاح بالنجاة من العذاب والفوز بالنعيم الخالد، يعتمد على ثلاثة أركان رئيسية: «التزكية»، «ذكر اسم اللّه» و «الصلاة».

إنّ «التزكية» ذات مداليل واسعة تشمل: تطهير الروح من الشرك، تطهير القلب من الرذائل الأخلاقية، تطهير الأعمال من المحرمات والرياء، تطهير الأموال والأبدان بإعطاء الزكاة والصدقات فى سبيل اللّه: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكّيهِم بِهَا».

ويشير البيان القرآنى إلى العامل الأساس فى عملية الإنحراف عن جادة الفلاح: «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا» .. «وَالْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

فى عوالى اللئالى عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة».

وعليه ... فلا سبيل لقطع جذور المعاصى إلّاباخراج حبّ الدنيا وعشقها من القلب.

ينبغى علينا أن ننظر إلى الدنيا بواقعية وعقلائية، فالدنيا ليست أكثر من مرحلة إنتقالية أو معبر أو مزرعة الآخرة.

وتختم السورة ب: «إِنَّ هذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَى .. «صُحُفِ إِبْرهِيمَ وَمُوسَى .

و «الصحف الاولى»: مقابل «الصحف الأخيرة» التى انزلت على المسيح عليه السلام وعلى النبىالأكرم صلى الله عليه و آله.

ونستدل بالآية الأخيرة بأنّ لإبراهيم وموسى عليهما السلام كتباً سماوية.

وفى تفسير مجمع البيان عن أبى ذر أنّه قال: قلت يا رسول اللّه! كم الأنبياء؟ فقال: «مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألفاً». قلت: يا رسول اللّه! كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۸

وثلاثة عشر، وبقيتهم أنبياء». قلت: كان آدم عليه السلام نبيّاً؟ قال: «نعم، كلّمه اللّه وخلقه بيده. يا أباذر! أربعة من الأنبياء عرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك». قلت: يا رسول اللّه! كم أنزل اللّه من كتاب؟ قال: «مائة واربعة كتب، أنزل اللّه منها على آدم عليه السلام عشر صحف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثين صحيفة، وهو أوّل من خط بالقلم، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

«نهاية تفسير سورة الأعلى»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۳۹

۸۸. سورة الغاشیة

محتوى السورة: تدور محتويات السورة على ثلاثة محاور:

۱- بحث «المعاد»، وبيان حال المجرمين بما فيه من شقاء وتعاسة، ووصف حال المؤمنين وهم يرفلون بنعيم لا ينضب.

۲- بحث «التوحيد»، ويتناول موضوع خلق السماء والجبال والأرض، ونظر الإنسان إليها.

۳- بحث «النبوّة»، مع عرض لبعض وظائف النبى صلى الله عليه و آله.

وعموماً، فالسورة تسير على منهج السور المكية فى تقوية اسس الإيمان والإعتقاد.

فضيلة السورة: فى تفسير مجمع البيان ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها حاسبه اللَّه حساباً يسيراً».

وأبو بصير عن الصادق عليه السلام قال: «من أدمن قراءة هل أتاك حديث الغاشية فى فرائضه أو نوافله، غشاه اللَّه برحمته فى الدنيا والآخرة، وأعطاه الأمن يوم القيامة من عذاب النار».

وبديهى أنّ الثواب المذكور لا يحصل إلّالمن تلاها بتأمل وعمل.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۰

هَلْ أَتَاکَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (۲) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (۳) تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (۴) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (۵) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (۶) لَا يُسْمِنُ وَ لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (۷) المتعبون ... الأخسرون: تبتدأ السورة بذكر اسم جديد ليوم القيامة: «هَلْ أَتَيكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ». «الغاشية»: من «الغشاوة» وهى التغطية، وسمّيت القيامة بذلك لأنّ حوادثها الرهيبة ستغطى فجاءة كل شيء.

وتصف الآيات التالية، حال المجرمين فى يوم القيامة، فتقول أوّلًا: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ».

لا شك أنّ الوضع النفسى والروحى، تنعكس آثاره على وجه صاحبه، لذا فسترى تلك الوجوه وقد علتها علائم الخسران والخشوع لما أصابها من ذلّ وخوف ووحشة وهم بانتظار ما سيحل بهم من عذاب مهين أليم.

وتصف حال تلك الوجوه ثانياً: «عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ».

فكل ما سعوا وكدوا فيه فى الحياة الدنيا سوف لا يجنون منه إلّاالتعب والنصب، وذلك:

لأنّ أعمالهم غير مقبولة عند اللَّه، وما جمعوه من أموال وثروات قد ذهبت لغيرهم، ولا يملكون من ذكر صالح يعقبهم فى الدنيا ولا ولد صالح يدعو ويستغفر اللَّه لهم.

وخاتمة مطاف تلك الوجوه التعبة الذليلة أن: «تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً».

ولن يقف عذابهم عند هذا الحد، بل أنّهم وبسبب حرارة النيران يصيبهم العطش الشديد وحينئذٍ: «تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ».

«آنية»: مؤنث آنى من «الأنى» وهو التأخير، ويستعمل لما يقرب وقته، وجاء فى الآية بمعنى: الماء الحارق الذى بلغ أقصى درجة حرارته؛ وجاء فى الآية (۲۹) من سورة الكهف:

«وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا».

وتحكى لنا الآية التالية عن طعام المجرمين: «لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ».

جاء فى الحديث النبوى الشريف: «الضريع شيء يكون فى النار يشبه الشوك، أشدّ مرارة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۱

مختصر الامثل ج۵ ۴۹۰

من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأحر من النار، سمّاه اللَّه ضريعاً».

وتصف لنا الآية التالية ذلك الطعام: «لَّايُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ».

فالـذين شـرهوا فى تناول ألـذ المأكولات فى دنياهم، على حساب ظلم الناس والتجاوز على حقوقهم، ومنعوا لقمة العيش عن كثير من المحرومين، فليس فى طعام آخرتهم سوى العذاب الأليم.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١۴) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١۵) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١۶) صور من نعيم الجنـة: بعـد ذكر ما سـيتعرض له أهل النار، تنتقل عدسة السورة لتنقل لنا مشاهد رائعة لنعيم أهل الجنة .. ليتوضح لنا الفرق ما بين القهر الإلهى والرحمة الإلهية، وما بين الوعيد والبشارة.

فتقول الآية الاولى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ». على عكس وجوه المذنبين المكسوة بعلائم الذلة والخوف.

«ناعمة»: من «النعمة» وتشير هنا إلى الوجوه الغارقة فى نعمة اللّه، وجوه طرية، مسرورة ونورانية كما فى الآية (٢۴) من سورة المطففين: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ».

وترى الوجوه: «لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ».

على عكس أهل جهنم، فوجوههم «عاملة ناصبة»، أمّا أهل الجنة، فقد حان وقت حصادهم لما زرعوا فى دنياهم، وحصـلوا عى أحسن ما يتمنون، فتراهم فى غاية الرضى والسرور.

وما زرعوا سـيتضاعف ناتجه بإذن اللّه ولطفه أضـعافاً مضاعفـة، فتارة عشـرة أضـعاف، واخرى سـبعمائة ضـعف، وثالثة يجازون على ما عملوا بغير حساب، كما أشارت الآية (١٠) من سورة الزمر إلى ذلك بقولها: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ».

ويدخل البيان القرآنى فى التفصيل أكثر: «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ».

وكذا ...: «لَّاتَسْمَعُ فِيهَا لغِيَةً».

فهل يوجد مكان أهدأ وأجمل من ذلك؟!

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۲

ولو تأملنـا حقيقـة مشاكلنـا فيمـا بيننـا، لرأينا أنّ الغالب منها ما كان ناشـئاً عن سـماع هكـذا أحاديث، والتى تؤدى إلى عـدم الإسـتقرار النفسـى، وإلى تهـديم أركـان الترابط الاجتماعى فينهار النظام وتشـتعل نيران الفتن لتأكل الأخضـر واليابس معاً. وبعـد ذكر القرآن لما يتمتع به أهل الجنة من نعمة روحية، يبيّن بعض النعم المادية فى الجنة: «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ».

تلك الأنهار أنّها تجرى حسب رغبة أهل الجنة فلا داعى معها لشقّ أرض أو وضع سد.

وينهل أهل الجنة أشربة طاهرة ومتنوعة، فتلك العيون وعلى ما لها من رونق وروعة، فلكلّ منها شراب معين له مواصفاته الخاصة به.

وينتقل الوصف إلى أسـرّة الجنـة: «فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ». «سـرر»: جمع (سـرير)، وهو من (السـرور)، بمعنى المقاعد التى يجلس عليها فى مجالس الانس والسرور.

وجعلت تلك الأسرّة من الإرتفاع بحيث يتمكن أهل الجنة من رؤية كل ما يحيط بها والتمتع بذلك.

ولمّا كان شرب الشراب يستلزم ما يشرب به، فقد قالت الآية التالية: «وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ».

ومتى ما أرادوا الشـرب ارتفعت تلك الأكواب لتصل بين أيـديهم وقـد ملئت من شـراب تلك العيون، فيسـتلذون بما لا وصف له عند أهل الدنيا.

«أكواب»: جمع (كوب)، وهو القدح، أو الظرف الذى له عروة.

ويستمر الحديث عن جزئيات نعيم الجنة: «وَنَمَارِقُ مَّصْفُوفَةٌ».

«نمارق»: جمع (نمرقة)، وهى الوسادة الصغيرة التى يتكأ عليها.

«مصـفوفة»: إشارة إلى تعددها بنظم خاص، ليظهر أنّ لأهل الجنة جلسات انس جماعية، التى لا يتخللها أى لغو وباطل، ويدور الحديث فيها حول الألطاف الإلهية ونعمه الخالدة، وعن الفوز الحقيقى الذى أبعدهم عن عذاب الآخرة.

ثم تكون الإشارة إلى فرش الجنة الفاخرة: «وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ».

«زرابية»: جمع (زرب) أو (زربيّة)، وهى الفرش والبسط الفاخرة ذات المتكأ.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۳

أ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (۱۹) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (۲۰) فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (۲۱) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (۲۲) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ (۲۳) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ (۲۴) إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ (۲۵) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ (۲۶) الإبل ... من آيات خلق اللَّه: بعد أن تحدثت الآيات السابقة بتفصيل عن الجنة ونعيمها، تأتى هذه الآيات لتوضح معالم الطريق الموصل إلى الجنة ونعيمها.

فمفتاح المعرفة «معرفة اللَّه»، ووصولًا لهذا المفتاح تذكر الآيات أربعة نماذج لمظاهر القدرة الإلهية وبديع الخلقة، داعية الإنسان للتأمل، عسى أن يصل إلى ما ينبغى له أن يصل إليه.

وتشير أيضاً إلى أنّ قدرة اللَّه المطلقة هى مفتاح درك المعاد ..

فتقول الآية الاولى: «أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ».

إنّ الآيات فى أوّل نزولها كانت تخاطب أهل مكة قبل غيرهم، والإبل أهم شىء فى حياة أهل مكة فى ذلك الزمان، فهى معهم ليل نهار وتنجز لهم ضروب الأعمال وتدر عليهم الفوائد الكثيرة. أضف إلى ذلك أنّ لهذا الحيوان خصائص عجيبة قد تفرّد بها عن بقية الحيوانات، ويعتبر بحق آية من آيات خلق اللَّه الباهرة.

ولابدّ من التذكير، بأنّ «النظر» الوارد فى الآية، يراد به النظر الذى يصحبه تأمل ودراسة.

وينتقل بنا البيان القرآنى فى الإبل إلى السماء: «وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ».

فكيف أصبحت تلك الكواكب فى مساراتها المحدودة، وما هو سرّ استقرارها فى أماكنها وبكلّ هذه الدقّة، ولِم لَم يتغيّر محور حركتها بالرغم من مرور ملايين السنين عليها.

مع كل هذا وذاک، ألا يكون أمر خلق السماء مدعاة للتأمل والتفكير، والخضوع والتسليم لربوبية الخالق الواحد الأحد؟!

وينقلنا إلى الجبال: «وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۴

الجبال التى تشمخ بتعمق جذورها فى باطن الأرض، وتحيط بالأرض على شكل حلقات وسلاسل لتقلل من شدّة الزلازل الناشئة من ذوبان المواد المعدنية فى باطن الأرض، وكذا ما لها من دور فى حفظ الأرض من عملية المدّ والجزر الناشئة من تأثيرات الشمس والقمر ..

«نصبت»: من «النصب»، وهو التثبيت، وربّما رمز هذا التعبير إلى بداية خلق الجبال أيضاً.

فقد توصل العلم الحديث إلى أنّ تكون الجبال يعتمد على عوامل عديدة وقسمها إلى عدّة أنواع:

فمنها: ما تكون نتيجة للتراكمات الحاصلة على الأرض.

ومنها: ما تكون من الحمم البركانية.

ومنها: ما تكون نتيجة لتفتت الأرض بواسطة الأمطار.

وكذا منها: ما تكون نتيجة للترسبات الحاصلة فى أعماق البحار ومن بقايا الحيوانات (كالجبال والجزر والمرجانية).

نعم، فالجبال وبكل ما فيها ولها تعدّ آية من آيات القدرة الإلهية، لمن رآها بعين بصيرة ولبّ شغول.

ثم إلى الأرض: «وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ».

فلينظر الإنسان إلى كيفية هطول الأمطار على الجبال لتسيل من بعدها محملة الأتربة كى تتكون بها السهول الصافية، لتكون صالحة

للزراعة من جهة ومهيئة لما يعمل بها الإنسان من جهة اخرى .. ولو كانت كل الأرض عبارة عن جبال ووديان، فما أصعب الحياة على سطحها والحال هذه.

ولابدّ لنا من التأمل والتفكير فى من جعلها تكون على هذه الهيئة الملائمة تماماً لحياة الإنسان؟ ..

إنّ هذه الإشياء الأربع (الإبل، السماء، الجبال والأرض) تدخل فى حياة الإنسان بشكل رئيسى، حيث من السماء مصدر النور والأمطار والهواء، والأرض مصدر نمو أنواع النباتات

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۵

وما يتغذى به، وكذا الجبال فبالإضافة لكونها رمز الثبات والعلو ففيها مخازن المياه والمواد المعدنية بألوانها المتنوعة، و ما الإبل إلّانموذج بارز متكامل لذلك الحيوان الأهلى الذى يقدّم مختلف الخدمات للإنسان.

وعليه، فقد تجمعت فى هذه الأشياء الأربع كل مستلزمات «الزراعة» و «الصناعة» و «الثروة الحيوانية»، وحرىّ بالإنسان والحال هذه أن يتأمل فى هذه النعم المعطاءة، كى يندفع بشكل طبيعى لشكر المنعم سبحانه وتعالى، وبلا شك فإنّ شكر المنعم سيدعوه لمعرفة خالق النعم أكثر فأكثر.

وبعد هذا البحث التوحيدى، يتوجه القرآن الكريم لمخاطبة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ» ... «لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ».

نعم، فخلق السماء والأرض والجبال والحيوانات ينطق بعدم عبثية هذا الوجود، وأنّ خلق الإنسان إنّما هو لهدف ...

فذكّرهم بهدفية الخلق، وبيّن لهم طريق السلوك الربّانى، وكن رائدهم وقدوتهم فى مسيرة التكامل البشرى.

وليس باستطاعتك إجبارهم، وإن حصل ذلك فلا فائدة منه، لأنّ شوط الكمال إنّما يقطع بالإرادة والإختيار، وليس ثمّة من معنى للتكامل الإجبارى.

وفى الآيتين التاليتين يأتى الاستثناء ونتيجته: «إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ» .. «فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ».

ويراد ب «الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ» «عذاب الآخرة» الذى يقابل عذاب الدنيا الصغير نسبة لحجم وسعة عذاب الآخرة، بقرينة الآية (۲۶) من سورة الزمر: «فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْىَ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْأَخِرَةِ أَكْبَرُ».

وكذلك يحتمل إرادة نوع شديد من عذاب الآخرة، لأنّ عذاب جهنم ليس بمتساو للجميع.

وبحدّية قاطعة، تقول آخر آيتين فى السورة: «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ» .. «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۶

والآيتان تتضمّنان التسلية لقلب النبى صلى الله عليه و آله فى مواجهته لأساليب المعاندين، لكى لا- ييئس من أفعالهم، ويستمر فى دعوته.

وهما أيضاً، تهديد عنيف لكل مَن تسول له نفسه فيقف فى صف الكافرين والمعاندين، فيخبرهم بأنّ حسابهم سيكون بيد جبار شديد.

بدأت سورة الغاشية بموضوع القيامة وختمت به أيضاً، كما تمّت الإشارة فيما بين البدء والختام إلى بحث التوحيد والنبوّة، وهما دعامتا المعاد.

«نهاية تفسير سورة الغاشية»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۷

۸۹. سورة الفجر

محتوى السورة: تقدّم لنا الآيات الاولى أقساماً نادرة فى نوعها لتهديد الجبارين بالعذاب الإلهى.

وتنقل لنا بعض آياتها ما حلّ ببعض الأقوام السالفة ممن طغوا فی الأرض وعاثوا فساداً (قوم عاد، ثمود وفرعون)، وجعلهم عبرة لُاولی الأبصار، ودرساً قاسياً لكل من يرى فی نفسه القوّة والإقتدار من دون اللَّه.

ثم تشير باختصار إلى الإمتحان الربانی للإنسان، وتلومه على تقصيره فی فعل الخيرات ..

وآخر ما تتحدث عنه السورة هو «المعاد» وما سينتظر المؤمنين ذوی النفوس المطمئنة من ثواب جزيل، وأيضاً ما سينتظر المجرمين والكافرين من عقاب شديد.

فضيلة تلاوة السورة: فی تفسير مجمع البيان ابی بن كعب عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «ومن قرأها فی ليال عشر، غفر اللَّه له، ومن قرأها سائر الأيّام، كانت له نوراً يوم القيامة».

وعن الإمام الصادق علیه السلام قال: «اقرأوا سورة الفجر فی فرائضكم ونوافلكم، فإنّها سورة الحسين بن علی علیه السلام، من قرأها كان مع الحسين بن علی علیه السلام يوم القيامة فی درجته من الجنة».

يمكن أن يكون وصف السورة بسورة الإمام الحسين علیه السلام بلحاظ أنّه أفضل مصاديق ما

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۸

جاء فی آخر آياتها، حيث فيما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام فی تفسير الآية الأخيرة من السورة: إنّ «النفس المطمئنة» هو الحسين بن علی علیهما السلام.

وعلى أيّة حال، فثوابها إنّما هو لمن تبصر فی قراءتها وعمل على ضوئها.

وَ الْفَجْرِ (۱) وَ لَيالٍ عَشْرٍ (۲) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (۳) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (۴) هَلْ فِی ذلِكَ قَسَمٌ لِذِی حِجْرٍ (۵) بدأت السورة بخمسة أقسام: الأوّل: «وَالْفَجْرِ» ... والثانی: «وَلَيَالٍ عَشْرٍ».

«الفجر»: بمعنى الشقّ الواسع، وقيل للصبح «الفجر» لأنّ نوره يشقّ ظلمة الليل.

وقيل: هو كل نور يشع وسط ظلام .. وعليه، فبزوغ نور الإسلام ونور المصطفى صلی الله علیه و آله فی ظلام عصر الجاهلية هو من مصاديق الفجر، وكذا بزوغ نور قيام المهدی علیه السلام فی وسط ظلام العالم (كما جاء فی بعض الروايات) «۱».

ومن مصاديقه أيضاً، ثورة الحسين علیه السلام فی كربلاء الدامية، لشقها ظلمة ظلام بنی اميّة، وتعرية نظامهم الحاكم بوجهه الحقيقی أمام الناس.

ويكون من مصاديقه، كل ثورة قامت أو تقوم على الكفر والجهل والظلم على مرّ التاريخ.

وحتى انقداح أوّل شرارة يقظة فی قلوب المذنبين المظلمة تدعوهم إلى التوبة، فهو «فجر».

وممّا لا شك فيه أنّ المعانی هی توسعة لمفهوم الآية، أمّا ظاهرها فيدل على «الفجر» المعهود.

والمشهور عن «ليال عشر»: إنّهن ليالی أوّل ذی الحجة، التی تشهد أكبر اجتماع عبادی سياسی لمسلمی العالم من كافة أقطار الأرض.

وقيل: ليالی أوّل شهر محرم الحرام.

وقيل أيضاً: ليالی آخر شهر رمضان، لوجود ليلة القدر فيها.

والجمع بين كل ما ذُكر ممكن جدّاً.

وذكر فی بعض الروايات التی تفسّر باطن القرآن: إنّ «الفجر» هو المهدی المنتظر علیه السلام ...

---

(۱) راجع تفسير البرهان ۴/ ۴۵۷/ ۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۴۹

و «ليال عشر» هم الأئمة العشر قبله علیهم السلام ..؛ و «الشفع»:- فی الآية- هما علی وفاطمة علیهما السلام.

ویأتی القَسم الثالث والقسم الرابع: «وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ».

للمفسـرین آراء کثیرة فیما ارید ب «الشفع والوتر» حتی ذکر (۳۶) قولًا فی ذلک «۱». أمّا سیکون تفسیران من التفاسیر المذکورة أکثر من غیرهما مناسبة وقرباً مع مراد الآیة، وهما:

الأوّل: المراد بهما یومی العید وعرفة، وهذا ما یناسب ذکر اللیالی العشـر الاولی من شهر ذی الحجّة، وفیهما تؤدی أهم فقرات مناسک الحج.

الثانی: أنّهما یشیران إلی «الصلاة» (رکعتی الشفع ورکعة الوتر فی آخر صلاة اللیل)، بقرینة ذکر «الفجر»، وهو وقت السحر ووقت الدعاء والتضرع إلی اللّه عزّ وجل.

وقد ورد هذان التفسیران فی روایات عن أئمة أهل البیت المعصومین علیهم السلام.

ونصل هنا إلی القسم الخامس: «وَالَّیْلِ إِذَا یَسْرِ».

وکأنّ الوصف یقول: بأنّ اللیل موجود حسی، له حس وحرکة، وهو یخطو فی ظلمته وصولًا لنور النهار.

اختلف المفسرون فی مراد الآیة من «اللیل»، هل هو مطلق اللیل أم لیلة مخصوصة، فإن کانت الألف واللام للتعمیم فجمیع اللیالی، کآیة من آیات اللّه ومظهر من مظاهر الحیاة المهمّة.

وإن کانت الألف واللام للتعریف، فلیلة عید الأضحی، بلحاظ الآیات السابقة، حیث یتجه حجاج بیت اللّه الحرام من (عرفات) إلی (المزدلفة)- المشعر الحرام- ویقضون لیلهم فی ذلک الوادی المقدس، وعند الصبح یتجهون نحو (منی).

(وقد ورد فی هذا روایات عن أئمة أهل البیت علیهم السلام) «۲».

فاللیل سواء کان بمعناه المطلق أم المحدد فهو من آیات عظمة الخالق سبحانه وتعالی، وهو من الضرورات الحیاتیة فی عالم الوجود.

فاللیل یکیّف حرارة الجو، ویعم علی جمیع الکائنات الإستقرار والسکون بعد جهد الحرکة والتنقل، وفوق هذا وذاک ففیه أفضل أوقات الدعاء والمناجات مع اللّه جّل وعلا.

---

(۱) نقل ذلک کل من: العلّامة الطباطبائی فی تفسیر المیزان عن بعض المفسرین فی الجزء ۲۰/ ۲۸۶؛ وفی تفسیر روح المعانی عن کتاب التحریر والتحبیر ۳۰/ ۱۲۰.

(۲) راجع تفسیر نور الثقلین ۵/ ۵۷۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۰

وتتجسد تلک العلاقة الموجودة بین الأشیاء الخمس التی أقسم بها (الفجر، لیال عشـر، الشفع، الوتر، اللیل إذا یسر) إذا ما اعتبرناها ضمن أیّام ذی الحجة ومراسم الحج العظیمة. وفی غیر هذا فسیکون إشارة إلی مجموعة من حوادث عالم التکوین والتشـریع المهمّة، والتی تبیّن جلال وعظمة الخالق سبحانه وتعالی.

ثم تأتی الآیة التالیة لتقول: «هَلْ فِی ذلِکَ قَسَمٌ لّـِذِی حِجْرٍ». «الحجر»: هنا بمعنی العقل، وفی الأصل بمعنی (المنع). اطلق علی العقل (حجر) لمنعه الإنسان عن الأعمال السیئة.

أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعَادٍ (۶) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (۷) الَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهَا فِی الْبِلَادِ (۸) وَ ثَمُودَ الَّذِینَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (۹) وَ فِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتَادِ (۱۰) الَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلَادِ (۱۱) فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسَادَ (۱۲) فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذَابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصَادِ (۱۴)

إمهال الظالمین ... والإنتقام: بعد أن تضمّنت الآیات الاولی خمسة أقسام حول معاقبة الطغاة، تأتی هذه الآیات لتعرض لنا نماذج من طواغیت الأرض، وتبیّن لنا الآیات المبارکة ما حلّ بهم من عاقبة ألیمة، محذرة المشرکین فی کل عصر ومصر علی أن یرعووا ویعودوا إلی رشدهم، لأنّهم مهما تمتعوا بقوّة وقدرة فلن یصلوا لما وصل إلیه الأقوام السالفة، وینبغی الإتعاظ بعاقبتهم، وإلّا فالهلاک والعذاب

الأبدى ولا غير سواه.

وتبتدأ الآيات ب: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ».

المراد «بالرؤية» هنا، العلم والمعرفة لما وصلت إليه تلك الأقوام من الشهرة بحيث أصبح من جاء بعدهم يعرف عنهم الشىء الكثير وكأنّه يراهم بام عينيه.

«عاد»: هم قوم نبى اللّه هود عليه السلام، وكانت تعيش فى أرض الأحقاف أو اليمن.

ويضيف القرآن قائلًا: «إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ».

«عماد»: بمعنى العمود تشير إلى عظمة أبنيتهم وعلوّ قصورهم وما فيها من أعمدة كبيرة.

ولذا تقول الآية التالية: «الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلدِ».

والآية تبيّن أنّ المراد ب «إرم» المدينة.

وتذكر الآية التالية جمع آخر من الطغاة السابقين: «وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ».

وصنعوا منها البيوت والقصور.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۱

«ثمود»: من أقدم الأقوام، ونبيّهم صالح عليه السلام، وكانوا يعيشون فى (وادى القرى) بين المدينة والشام، وكانوا يعيشون حياة مرفهة، ومدنهم عامرة.

«جابوا»: من «الجوبة»- على زنة توبة- وهى الأرض المقطوعة، ثم استعملت فى قطع كل أرض. فمراد الآية: قطع أجزاء الجبال وبناء البيوت القوية، كما أشارت إلى ذلك الآية (۸۲) من سورة الحجر- حول ثمود أنفسهم-: «وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ».

«واد»: فى الأصل (وادى)، وهو الموضع الذى يجرى فيه النهر، ومنه سمى المفرج بين الجبلين وادياً، لأنّ الماء يسيل فيه.

والمعنى الثانى أكثر مناسبة بقرينة ما ورد فى القرآن من آيات تتحدث عن هؤلاء القوم، وما ذكرناه آنفاً يظهر بأنّهم كانوا ينحتون بيوتهم فى سفوح الجبال.

وتتحرك الآية التالية لتستعرض قوماً آخرين: «وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ».

أى: ألم تر ما فعل ربّك بفرعون الظالم المقتدر؟!

«أوتاد»: جمع (وتد)، وهو ما يثبّت به.

ولِمَ وصف فرعون بذى الأوتاد؟ وثمّة تفاسير مختلفة:

الأوّل: لأنّه كان يملك جنوداً وكتائباً كثيرة، وكانوا يعيشون فى الخيم المثبتة بالأوتاد.

الثانى: لما كان يستعمل من أساليب تعذيب من يغضب عليهم، حيث غالباً ما كان يدق على أيديهم وأرجلهم بأوتاد ليثبتها على الأرض، أو يضعهم على خشبة ويثبتهم بالأوتاد، أو يدخل الأوتاد فى أيديهم وأرجلهم ويتركهم هكذا حتى يموتوا.

وينتقل القرآن لعرض ما كانوا يقومون به من أعمال: «الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلدِ» ..

«فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ».

الفساد الذى يشمل كل أنواع الظلم والإعتداء والإنحراف، والذى هو نتيجة طبيعية من نتائج طغيانهم، فكل من يطغى سيؤول أمره إلى الفساد لا محال.

ويذكر عقابهم الأليم وبعبارة موجزة: «فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ».

«السوط»: هو الجلد المضفور الذى يُضرب به، وأصل السوط: خلط الشىء بعضه ببعض، وهو هنا كناية عن العذاب، العذاب الذى يخلط لحم الإنسان بدمه فيؤذيه أشدّ الإيذاء. أمّا أنسب معانى «السوط» فهو المعروف بين الناس به.

«صبّ عليهم»: تستعمل فى الأصل لانسكاب الماء، وهنا إشارة إلى شدّة واستمرار نزول العذاب.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۲

فعلى إيجاز الآية، لكنّها تشير إلى أنواع العذاب الذى أصابهم، فعاد اصيبوا بريح باردة، كما تقول الآية (۶) من سورة الحاقّة: «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ». واهلك قوم ثمود بصيحة سماوية عظيمة، كما جاء فى الآية (۵) من سورة الحاقّة أيضاً: «فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ». والآية (۵۵) من سورة الزخرف تنقل صورة هلاك قوم فرعون:

«فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ».

وتحذر الآية التالية كل من سار على خطى اولئك الطواغيت: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ».

«المرصاد»: من «الرصد» وهو الإستعداد للترقب، وهو فى الآية يشير إلى عدم وجود أىّ ملجأ أو مهرب من رقابة اللّه وقبضته، فمتى شاء سبحانه أخذ المذنبين بالعقاب والعذاب.

«ربّك»: إشارة إلى أنّ هذه السنّة الإلهية لم تقف عند حدّ الذين خلوا من الأقوام السالفة، بل هى سارية حتى على الظالمين من امّتك يا محمّد صلى الله عليه و آله .. وفى ذلك تسلية لقلب النبى صلى الله عليه و آله وتطميناً لقلوب المؤمنين، فالوعد الإلهى قد أكّد على عدم انفلات الأعداء المعاندين من قبضة القدرة الإلهية أبداً أبداً، وفيه تحذير أيضاً لُاولئك الذين يؤذون النبى صلى الله عليه و آله ويظلمون المؤمنين، تحذير بالكف عن ممارساتهم تلك وإلّا سيصيبهم ما أصاب الأكثر منهم قدرة وقوّة، وعندها فسوف لن تقوم لهم قائمة إذا ما أتتهم ريح عاصفة أو صيحة مرعبة أو سيل جارف يقطع دابرهم.

فى تفسير على بن إبراهيم عن أبى جعفر عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية «وَجِاىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» [الفجر: ۲۳] سئل رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال: بذلك أخبرنى الروح الأمين أنّ اللّه لا إله غيره، إذا أبرز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين، أتى بجهنم تقاد بألف زمام، مع كل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وغضب وزفير، وشهيق، وإنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ اللّه عزّ وجل أخرهم للحساب لأهلكت الجميع ثم يخرج منها عنق [أى طائفة منها] فيحيط بالخلائق البر منهم والفاجر فما خلق اللّه عز وجل عبداً من عباد اللّه ملكاً ولا نبيّاً إلّاينادى نفسى نفسى وأنت يا نبى اللّه تنادى: امتى امتى ثم يوضع عليها الصراط أدق من حدّ السيف، عليها ثلاث قناطر:

أمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم، والثانية فعليها الصلاة، وأمّا الثالثة فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلّفون الممر عليها، فيحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منهما حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين عزّ وجل، وهو قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ»».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۳

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ (۱۵) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ (۱۶) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (۱۷) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (۱۸) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمّاً (۱۹) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً (۲۰) موقف الإنسان من تحصيل النعمة وسلبها: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن عقاب الطغاة، وتحذيرهم وإنذارهم، تأتى هذه الآيات لتبيّن مسألة الإبتلاء والتمحيص وأثرها على الثواب والعقاب الإلهى، وتعتبر مسألة الإبتلاء من المسائل المهمّة فى حياة الإنسان.

وتشرع الآيات ب: «فَأَمَّا الْإِنسنُ إِذَا مَا ابْتَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ».

وكأنّه لا يدرى بأنّ الإبتلاء سنّة ربانية تارة يأتى بصورة اليسر والرخاء واخرى بالعسر والضراء.

«وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ».

فيأخذه اليأس، ويظن إنّ اللّه قد ابتعد عنه، غافلًا عن سنّة الإبتلاء فى عملية التربية الربانية لبنى آدم، والتى تعتبر رمزاً للتكامل الإنسانى، فمن خلال نظرة ومعايشة الإنسان للإبتلاء يرسم بيده لوحة عاقبته، فأمّا النعيم الدائم، وأمّا العقاب الخالد.

وتأتى الآية (۵۱) من سورة فصّلت فى سياق الآيتين: «وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسنِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ». وكذا الآية (۹) من سورة هود: «وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُوسٌ كَفُورٌ».

وتوجه الآيتان التاليتان نظر إلى الإنسان والأعمال التى تؤدّى بحق للبعد عن اللَّه، وتوجب عقابه: «كَلَّا». فليس الأمر كما تظنون من أنّ أموالكم دليل على قربكم من اللَّه، لأنّ أعمالكم تشهد ببعدكم عنه، «بَل لَّاتُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» .. «وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ».

والملاحظ أنّ الآية لم تخص اليتيم بالإطعام بل بالإكرام، لأنّ الوضع النفسى والعاطفى لليتيم أهم بكثير من مسألة جوعه.

فلا ينبغى لليتيم أن يعيش حالة الإنكسار والذلة بفقدان أبيه، وينبغى الإعتناء به

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۴

وإكرامه لسدّ الثغرة التى تسببت برحيل أبيه، وقد أولت الأحاديث الشريفة والروايات هذا الجانب أهمية خاصة، وأكّدت على ضرورة رعاية وإكرام اليتيم. «تحاضون»: من «الحض» وهو الترغيب، فلا يكفى إطعام المسكين بل يجب على الناس أن يتواصوا ويحث بعضهم البعض الآخر على ذلك لتعم هذه السنّة التربوية كل المجتمع.

وتعرض الآية التالية ثالث أعمالهم القبيحة: «وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا».

ممّا لا شك فيه أنّ الإستفادة من الميراث المشروع عمل غير مذموم، ولذا فيمكن أن يكون المذموم فى الآية أحد الامور التالية:

الأوّل: الجمع بين حق الإنسان وحق الآخرين فى الميراث.

وكانت عادة العرب فى الجاهلية أن يحرموا النساء والأطفال من الإرث لاعتقادهم بأنّه نصيب المقاتلين (لأنّ أكثر أموالهم تأتيهم عن طريق السلب والإغارة).

الثانى: عدم الإنفاق من الإرث على المحرومين والفقراء من الأقرباء وغيرهم، فإن كنتم تبخلون بهذه الأموال التى وصلت إليكم بلا عناء، فأنتم أبخل فيما تكدّون فى تحصيله، وهذا عيب كبير فيكم.

الثالث: هو أكل إرث اليتامى والتجاوز على حقوق الصغار، وذلك من أقبح الذنوب، لأنّ فيه استغلال فاحش لحق من لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

والجمع بين هذه التفاسير الثلاث ممكن.

ثم يأتى الذّم الرابع: «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا».

فأنتم .. عبدة دنيا، طالبى ثروة، عشاق مال ومتاع .. ومن يكون بهذه الحال فمن الطبيعى أن لا يعتنى فى جمعه للمال، أكان من حلال أم من حرام، ومن الطبيعى أيضاً أن يتجاوز على الحقوق الشرعية المترتبة عليه، بأن لا ينفقها أو ينقص منها .. ومن الطبيعى كذلك إنّ القلب الذى امتلأ بحبّ المال والدنيا سوف لا يبقى فيه محل لذكر اللَّه عزّ وجل.

ولذا نجد القرآن الكريم بعد ذكره لمسألة امتحان الإنسان، يتعرض لأربعة اختبارات يفشل فيها المجرمين.

والملاحظ أنّ الإختبارات المذكورة إنّما تدور حول محور الأموال، للإشارة ما للمال من مطبات مهلكة، ولو تجاوزها الإنسان لسهلت عليه بقية العقبات فى طريقه نحو التكامل والرقى والسمو.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۵

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً (۲۱) وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً (۲۲) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (۲۳) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (۲۴) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (۲۵) وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (۲۶) يوم لا تنفع الذكرى: بعد أن ذمت الآيات السابقة الطغاة وعبدة الدنيا والغاصبين لحقوق الآخرين، تأتى هذه الآيات لتحذرهم وتهددهم بوجود القيامة والحساب والجزاء.

فتقول أوّلًا: «كَلَّا». فليس الأمر كما تعتقدون بأن لا حساب ولا جزاء، وأنّ اللَّه قد أعطاكم المال تكريماً وليس امتحاناً .. «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا».

«الدك»: الأرض اللينة السهلة، ثم استعملت فى تسوية الأرض من الإرتفاعات والتعرجات.

فالآية تشير إلى الزلازل والحوادث المرعبة التى تعلن عن نهاية الدنيا وبداية يوم القيامة، حيث تتلاشى الجبال وتستوى الأرض، كما أشارت لذلك الآيات (۱۰۵- ۱۰۷) من سورة طه: «وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا* لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا».

وبعد أن تنتهى مرحلة القيامة الاولى (مرحلة الدمار)، تأتى المرحلة الثانية، حيث يعود الناس ثانية للحياة ليحضروا فى ساحة العدل الإلهى: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا».

نعم، فسيقف الجميع فى ذلك المحشر لإجراء الأمر الالهى وتحقيق العدالة الربانية، وقد بيّنت لنا الآيات ما لعظمة ذلك اليوم، وكيف أنّ الإنسان لا سبيل له حينها إلّاالرضوخ التام بين قبضة العدل الإلهى.

وتقول الآية التالية: «وَجِاىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسنُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى .

وما نستنبطه من الآية، إنّ جهنم قابلة للحركة، فتقرب للمجرمين، كما هو حال حركة الجنة للمتقين: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» «۱».

فى تفسير مجمع البيان عن أبى سعيد الخدرى قال: لما نزلت هذه الآية، تغيّر وجه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وعُرف فى وجهه، حتى اشتدّ على أصحابه ما رأوا من حاله، وانطلق بعضهم إلى

---

(۱) سورة الشعراء/ ۹۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۶

على بن أبى طالب عليه السلام فقالوا: يا على! لقد حدث أمر قد رأيناه فى نبى اللَّه صلى الله عليه و آله، فجاء على عليه السلام فاحتضنه من خلفه، وقبّل بين عاتقيه، ثم قال: «يا نبى اللَّه بأبى أنت وامى، ما الّذى حدث اليوم؟ قال: جاء جبرائيل فأقرأنى «وَجِاىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ». قال فقلت: كيف يجاء بها؟ قال:

يجىء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم أتعرض لجهنم فتقول: ما لى ولك يا محمّد، فقد حرّم اللَّه لحمك علىّ، فلا يبقى أحد إلّا قال: نفسى نفسى، وإنّ محمّداً يقول ربّ امّتى امّتى». نعم، فحينما يرى المذنب كل تلك الحوادث تهتز فرائصه ويتزلزل رعباً، فيستيقظ من غفلته ويعيش حالة الهمّ والغمّ، ويتحسر على كل لحظة مرّت من حياته بعد ما يرى ما قدّمت يداه، ولكن هل للحسرة حينها من فائدة؟!

وعندها ... يصرح بملء كيانه: «يَقُولُ يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى».

وتشير الآية التالية إلى شدّة العذاب الإلهى: «فَيَوْمَئِذٍ لَّايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ».

نعم، فمن استخدم فى دنياه كل قدرته فى ارتكاب أسوء الجرائم والذنوب، فلا يجنى فى آخرته إلّاأشد العذاب ...

فيما سينعم المحسنون والصالحون فى أحسن الثواب، ويخلدون بحال ما لا عين رأت ولا اذن سمعت.

وتكمل الآية التالية تصوير شدّة العذاب: «وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ».

فوثاقه ليس كوثاق الآخرين، وعذابه كذلك، كل ذلك بما كسبت يداه حينما أوثق المظلومين فى الدنيا بأشدّ الوثاق، ومارس معهم التعذيب بكل وحشية، متجرد عن كل ما وهبه اللَّه من إنسانية.

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (۲۷) ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (۲۸) فَادْخُلِى فِى عِبَادِى (۲۹) وَ ادْخُلِى جَنَّتِى (۳۰) الشّرف العظيم:

وتنتقل السورة فى آخر مطافها إلى تلك النفوس المطمئنة ثقة باللَّه وبهدف الخلق، بالرغم من معايشتها فى خضم صخب الحياة الدنيا، فتخاطبهم بكل لطف ولين ومحبّة، حيث تقول: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» .. «ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» .. «فَادْخُلِى فِى عِبَادِى» .. «وَادْخُلِى جَنَّتِى».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۷

فهـل ثمّـة أجمل وألطف من هـذا التعبير ... تعبير يحكى دعوة اللَّه سبحانه وتعالى لتلك النفوس المؤمنـة، المخلصـة، المحبـة والواثقة بوعده جلّ شأنه.

ويراد بالنفس هنا: الروح الإنسانية.

«المطمئنة»: إشارة إلى الإطمئنان الحاصل من الإيمان، بدلالة الآية (۲۸) من سورة الرعد: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

ويعود اطمئنان النفس، لإطمئنانها بالوعود الإلهية من جهة، ولإطمئنانها لما اختارت من طريق ..

وهى مطمئنة فى الدنيا سواء أقبلت عليها أم أدبرت، ومطمئنة عند أهوال حوادث يوم القيامة الرهيبة أيضاً.

أمّا (الرجوع إلى اللَّه)، فهو رجوع إلى جواره وقربه بمعناه الروحى المعنوى، وليس بمعناه المكانى والجسمانى.

«راضية»: لما ترى من تحقق الوعود الإلهية بالثواب والنعيم بأكثر مما كانت تتصور.

«مرضيّة»: لرضا اللَّه تبارك وتعالى عنها.

فى الكافى عن سدير الصّيرفى قال: قلت لأبى عبداللَّه عليه السـلام: جعلت فداك يابن رسول اللَّه! هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قـال: «لاـ واللَّه، إنّه إذا أتـاه ملـك الموت لقبض روحه جزع عنـد ذلـك، فيقول له ملـك الموت: يا ولىّ اللَّه، لا تجزع، فو الـذى بعث محمّداً صـلى الله عليه و آله لأنا أبرّ بك وأشـفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينك فانظر، قال: ويمثّل له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين وفاطمـة والحسن والحسين والأئمـة من ذرّيتهم عليهم السـلام، فيقـال له: هـذا رسول اللَّه وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسـين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينه فينظر، فينادى روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول ":يا أيّتها النفس المطمئنـة (إلى محمّد وأهل بيته) ارجعى إلى ربّك راضـية (بالولاية) مرضـيّة (بالثواب) فادخلى فى عبادى (يعنى محمّداً وأهل بيته) وادخلى جنّتى. "فما شىء أحبّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادى».

«نهاية تفسير سورة الفجر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۵۹

۹۰. سورة البلد

محتوى السورة: هذه السورة المباركة على قصرها تحمل حقائق كبرى:

۱- فى بداية هذه السورة، بعد قسم ذى محتوى عميق، تُقرّر الآية أنّ حياة الإنسان فى هذه الدنيا مقرونة بمشاكل وأتعاب؛ وبذلك تُعدّ الإنسان من جهة ليصارع العقبات، ومن جهة اخرى تبعده عن طلب الراحة المطلقة فى هذا العالم.

۲- ثم تشير إلى أهم النعم الإلهية، ثم ذكر جحود الإنسان بهذه النعم.

۳- وفى آخر هذه السورة تقسيم الناس إلى: «أصحاب الميمنة» و «أصحاب المشئمة».

فضـيلة تلاوة السورة: فى تفسـير مجمع البيـان ابى بن كعب قـال: قـال رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله: «من قرأهـا أعطاه اللَّه الأمن من غضبه يوم القيامة».

لَا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ (۱) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهـذَا الْبَلَدِ (۲) وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدَ (۳) لَقَـدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى كَبَدٍ (۴) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (۵) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَداً (۶) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (۷)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۰

فى مواضع كثيرة يبـدأ القرآن بالقسم عنـد تعرّضه للحقائق الهامـة ... بالقسم الذى يؤدى بدوره إلى حركة فى الفكر والعقل .. بالقسم المرتبط إرتباطاً خاصاً بالموضوع المطروح.

وفى هذا الموضع تبدأ الآية بالقسم: قسماً بهذه المدينة المقدسة مكة: «لَاأُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ». لتقرر حقيقة من حقائق حياة الإنسان هى إنّ هذه الحياة مقرونة بالآلام والأسقام.

«وَأَنتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ».

أرض مكة مشرّفة ومعظمة، لأنّ فيها أوّل مركز للتوحيد ولعبادة اللَّه سبحانه، وكان هذا المركز مطاف أنبياء اللَّه العظام ... ولذلك أقسم اللَّه بها ... ولكن السورة تشير إلى عامل آخر أضفى على هذه المدينة شرفاً وكرامة: «وَأَنتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ» ... فالبلد استحق أن يقسم به اللَّه لوجودك أنت أيّها النبى الكريم فيه.

«وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ».

إنّ الوالد إبراهيم الخليل والولد إسماعيل الذبيح.

ونعلم أنّ إبراهيم وإبنه رفعا القواعد من البيت، وبذلك وضعا حجر أساس البلد الأمين.

والعرب فى الجاهلية كانوا يجلّون إبراهيم وإبنه ويفخرون فى الإنتساب إليهما.

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسنَ فِى كَبَدٍ».

إنّ «كبد» ألم يصيب الكَبِد، ثم اطلق على كل ألم ومشقّة.

هذه طبيعة الحياة، ومن توقّع منها غير ذلك خيّبت ظنّه. يقول الشاعر:

طبعت على كدر وأنت تريدهاصفواً من الأكدار والأقذار

ومكلّف الأيّام ضد طباعهامتطلب فى الماء جذوة نار

وهذه الحالة تشمل كل أبناء البشر دونما استثناء، بمن فيهم أنبياء اللَّه وأولياؤه الصالحون.

ثم إذا كان هناك استثناءات مكانية وزمانية محدودة من هذه الحالة العامة فلا ينتقض القانون العام للحياة: «أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ».

فما يحيط بالإنسان من مكابدة يدلّ على ضعف قدرته، هذه الحقيقة تردّ على اولئك الذين يمتطون مركب الغرور، ويخالون أنّهم فى مأمن من العقاب الإلهى.

«يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا».

إشارة إلى قول الذين يُطلب منهم أن ينفقوا أموالهم فى الخيرات، فيأبون ويقولون بغرور:

إننا أنفقنا فى هذا السبيل كثيراً من الأموال، بينما لم ينفق هؤلاء شيئاً، وإنّ أعطوا لأحد شيئاً فللرياء ولتحقيق هدف شخصى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۱

وقيل إنّها نزلت فى نفر أنفقوا الأموال الطائلة فى معاداة الرسول والرسالة، وتباهوا بذلك.

والجمع بين التفاسير المذكورة جائز، وإن كان التفسير الأوّل أكثر انسجاماً مع سياق الآيات التالية.

والفعل «أهلكت» يوحى إبادة الأموال وعدم الحصول على عائد منها.

و «لبد»: تعنى الشيء المتراكم، وهنا تعنى المال الوفير.

«أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ». إنّه غافل عن هذه الحقيقة ... حقيقة اطّلاع البارى تعالى على كل الامور وعلى ظواهر الأعمال، بل على ما يختلج فى أعماق النفس والقلب، وما يدور فى الخلد والنية ... عليم بالطريق غير المشروع للحصول على هذه الأموال، وعليم بأهداف الرياء والذاتية فى إنفاق هذه الأموال.

أ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسَاناً وَ شَفَتَيْنِ (٩) وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) نعمة العين واللسان والهداية: استتباعاً للآيات السابقة وما دار فيها من حديث عن الغرور والغفلة فى حالات الطاغين، تذكر هذه الآيات الكريمة جانباً من أهم ما أنعم اللَّه به على الإنسان من نعم مادية

ومعنوية ... كى تكسر فيه روح الغرور، وتدفعه إلى التفكير فى خالق هذه النعم، وتحرّك روح الشكر فى نفس الكائن البشرى ومن ثم تسوقه إلى معرفة الخالق: «أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَهُ النَّجْدَيْنِ».

ويكفى أن نذكر فى النعم السابقة أنّ:

«العين»: أهم وسيلة لإرتباط الإنسان بالعالم الخارجى، عجائب العين تـدفع الإنسان حقّاً إلى الخضوع أمام خالقه، الطبقات السبع للعين وهى المسماة بالقرنية، والمشيمية، والعنبية، والجلدية، والزلالية، والزجاجية، والشبكية، لكل منها تركيب عجيب دقيق مدهش، روعيت فيها القوانين الفزيائية والكيمياوية المتعلقة بالنور وانعكاساته على أدق وجه، حتى إن أعقد أجهزة التصوير تعتبر تافهة مقارنة بهذا العضو.

لو لم يكن فى الكون سوى الإنسان، ولم يكن من وجود الإنسان سوى العين، لكانت مطالعة هذا العضو كافية وحدها لمعرفة علم اللَّه الواسع وقدرته الجبارة جلّ وعلا.

و «اللسان»: فهو أهم وسائل إرتباط الإنسان بغيره من أبناء جلدته، ونقل المعلومات وتبادلها بين أبناء البشر فى الجيل الواحد وفى الأجيال المتعاقبة، وبدون هذه الوسيلة الهامّة

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۲

من وسائل الإرتباط ما كان بامكان الإنسان اطلاقاً أن يرتقى إلى ما ارتقى إليه فى العلم والمعرفة. و «الشفتان»: تلعبان أوّلًا دوراً هامّاً فى النطق، إذ أنّ الشفتين مخرج لكثير من الحروف، والشفتان تقومان بدور أيضاً فى هضم الطعام والمحافظة على رطوبة الفم، وشرب الماء، ترى لو انعدمت الشفتان فماذا كان وضع الإنسان فى أكله وشربه ونطقه والمحافظة على ماء فمه وحتى جمال وجهه وشكله؟!

وحقّاً ما قاله أمير المؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغة: «اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم!».

عبارة «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» إضافة لما لها من مدلول على مسألة الإختيار وحرية الإنسان، تدلّ أيضاً على ما يتطلبه طريق الخير من جهد وعناء، لأنّ «النجد» مكان مرتفع وتسلق المكان المرتفع يتطلب كداً وسعياً وجهداً، غير أنّ طريق الشرّ له مشاكله ومصاعبه أيضاً، فأولى بالإنسان أن يبذل الجهد والسعى على طريق الخير.

مع ذلك، فانتخاب الطريق بيد الإنسان ... الإنسان هو الذى يتحكم فى عينه ولسانه فيم يستعملها ... فى الحلال أو الحرام، وهو الذى يختار إحدى الجادتين «الخير» أو «الشر».

وفى تفسير مجمع البيان عن أبى حازم أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «إنّ اللَّه تعالى يقول: يابن آدم! إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين، فأطبق. وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق ...».

وهذه الهداية يحصل عليها الإنسان من ثلاثة طرق: من الإدراكات العقلية والإستدلال، ومن طريق الفطرة والوجدان دون الحاجة إلى الإستدلال، ومن طريق الوحى وتعاليم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وكل ما يحتاجه البشر ليطوى مسيرة تكامله قد بيّنه اللَّه سبحانه له بواحد من هذه الطرق أو فى كثير من الحالات بالطرق الثلاثة معاً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۳

العقبة: بعد ذكر النعم الكبيرة فى الآيات السابقة، تنحى هذه الآيات باللائمة على اولئك الذين يكفرون بهذه النعم، ولا يسخرونها على طريق النجاة، يقول سبحانه: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ».

وما المقصود من العقبة؟ الآيات التالية تفسّرها: «وَمَا أَدْرَيكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ».

من هنا فالعقبـة التى لم يتهيأ الكافرون لاجتيازها هى: فكّ رقبة عبد وتحريره من الرقّ، أو إطعام فى يوم الضائقة الإقتصادية والمجاعة، يتيماً ذا قربى أو فقيراً قـد لصق بالتراب من شـدّة فقره، العقبـة هى مجموعـة أعمال الخير التى تتجه لخدمـة الناس والأخذ بيد الضـعفاء والمعوزين، كما إنّها أيضاً مجموعة من المعتقدات الصـحيحة الخالصة تشـير إليها الآيات التالية. نعم، إن اجتياز هذه العقبة ليس بالأمر اليسير لما لأغلب الناس من التصاق بالمال والثروة.

۱- «اقتحم»: من «الإقتحام» وهو الدخول فى عمل صـعب مخيف (مفردات الراغب)، أو الولوج والعبور بشدّة ومشـقّة (تفسـير الكشّاف) وهذا يعنى أنّ إجتياز هذه العقبة ليس بالأمر اليسير، كما أنّه تأكيد على ما ورد فى أوّل السورة بشأن ما يكابد الإنسان فى حياته: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسنَ فِى كَبَدٍ».

۲- «المسـغبة»: من «سغب» على وزن (غضب) وهو الجوع؛ و «يوم ذى مسغبة» أى وقت المجاعة، والجياع موجودون فى المجتمع عادة، والآية إنّما تؤكّد على إطعامهم فى زمان المجاعة لأهمية الموضوع، وإلّا فإنّ اشباع الجياع هو دائماً من أفضل الأعمال.

۳- «المقربة»: بمعنى القرابة والرحم، والتأكيد على الأقرباء من اليتامى فى الآية إنّما هو لمراعاة الاولوية وللتأكيد على تصاعد المسؤولية تجاههم، لا لحصر الإطعام بهذا القسم من اليتامى.

۴- «المتربـة»: مصـدر ميمى من «ترب» وساكن التراب من شـدّة فقره هو ذو المتربـة، والتأكيـد على هذا النمط من المساكين لأولويتهم أيضاً.

وفى الكـافى عن معمر بن خلاد قال: كان أبوالحسن الرضا عليه السـلام إذا أكل أتى بصـفحة فتوضع بقرب مائـدته، فيعمـد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخـذ من كل شـىء شـيئاً فيضع فى تلك الصـفحة ثم يأمر بها للمساكين، ثم يتلو هذه الآية: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ». ثم يقول: «علم اللّه

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۴

عزّ وجل أنّه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة فجعل لهم السبيل إلى الجنة».

ثم تواصل الآية التالية بيان طبيعة هذه العقبة، وسبل اجتيازها فتقول: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ».

فالقادرون على اجتياز هذه العقبة متحلون بالإيمان ومتواصون بالصبر والإستقامة على الطريق، ومتواصون بالرحمة والعطف.

وبهـذا السـياق القرآنى لبيـان طبيعـة العقبـة نفهم أنّ القـادرين على اجتيازهـا هم المتحلون بالإيمـان والخلق الكريم كالتواصـى بالصبر والرحمـة، وذوو أعمـال البرّ والإحسـان كتحرير العبيـد وإطعـام الأيتـام والمسـاكين، إنّهم بعبـارة اولئـك الـذين يلجون ميادين الإيمان والأخلاق والعمل ويخرجون منها ظافرين منتصرين.

وفى خاتمة هذه الأوصاف تذكر السورة مكانة المتحلين بها فتقول: «أُولئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

ثم تتعرض الآية لتصوير حالة الفاشلين فى إجتياز «العقبة» فتقول: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَايَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ».

و «المشـئمة»: من «الشؤم» تقابـل «الميمنـة» من «اليُمن». أى إنّ هؤلاـء الكـافرين مشؤومون لاـ يُمن فيهم ولاـ بركـة، بل هم عامل شـقاء لأنفسـهم ولمجتمعهم ثم إنّ علامة شؤم الفرد يوم القيامة تسـلّمه صـحيفة أعماله بيده اليسـرى، ومن هنا ذهب بعض المفسرين إلى أنّ «المشـئمة» هى اليسار مقابل اليمين. أى إنّ الذين كفروا بآيات اللّه الذين يتسـلمون صـحائف أعمالهم بيدهم اليسرى خاصة وأنّ مادة «شؤم» جاءت فى اللغة بمعنى اليسار أيضاً.

وفى الآية الأخيرة من السورة إشارة قصيرة ذات دلالة عميقة إلى جزاء هذه الفئة الأخيرة: «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ».

و «الإيصاد»: إحكام الغلق، وواضح أنّ الإنسان- حين يكون فى غرفة حارّة الجوّ- يتوق إلى فتح أبوابها، ليهبّ عليه نسيم يلطف الهواء، فما بالك إذا كان فى محرقة جهنم والأبواب كلّها موصدة عليه؟!

«نهاية تفسير سورة البلد»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۵

۹۱. سورة الشمس

محتوى السورة: هـذه السورة هى فى الواقع سورة تهـذيب النفس، وتطهير القلوب من الأدران، ومعانيها تـدور حول هـذا الهدف، وفى مقـدمتها قَسم بأحـد عشـر مظهراً من مظاهر الخليقـة وبـذات البارى سـبحانه، من أجل التأكيد على أنّ فلاح الإنسان يتوقف على تزكيهٔ نفسه، والسورهٔ فيها من القَسم ما لم يجتمع فى سورهٔ اخرى.

وفى المقطع الأخير من السورهٔ ذكر لقوم «ثمود» باعتبارهم نموذجاً من أقوام طغت وتمردت، وانحـدرت- بسـبب ترك تزكيهٔ نفسـها- إلى هاويهٔ الشقاء الأبدى، والعقاب الإلهى الشديد.

فضـيلهٔ تلاوهٔ السورهٔ: فى المجمع ابى بن كعب عن النبى صـلى الله عليه و آله قـال: «من قرأهـا فكأنّمـا تصـدّق بكلّ شـىء طلعت عليه الشمس والقمر».

ومن المؤكّد أنّ هذه الفضيلهٔ الكبرى لا ينالها إلّامن استوعب محتواها بكل وجوده، ووضع مهمّهٔ تهذيب النفس نصب عينيه دائماً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۶

وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها (۱) وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها (۲) وَ النَّهارِ إِذا جَلَّاها (۳) وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (۴) وَ السَّماءِ وَ ما بَناها (۵) وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها (۶) وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها (۷) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها (۸) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (۹) وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (۱۰) أكبر عدد من القَسم القرآنى تتضـمّنه هذه السورهٔ، هو فى حساب «أحد عشـر»، وفى حساب آخر «سبعهٔ» أقسام ... ويبيّن أنّ السورهٔ تتعرض لموضوع خطير هام .. موضوع عظيم كعظمهٔ السماء والأرض والشمس والقمر ... موضوع حياتى مصيرى.

لنبدأ أوّلًا بشرح ما جاء فى السورهٔ من قَسم، لنتعرض بعد ذلك إلى موضوع الآيهٔ الاولى تقول: «وَالشَّمْسِ وَضُحهَا».

ولقد ذكرنا آنفاً أنّ القسم فى القرآن يستهدف مقصدين:

الأوّل: بيان أهميّهٔ ما جاء القَسم من أجله.

والثانى: أهميهٔ ما أقسم به القرآن، لأنّ القسم عادهٔ يكون بالمهم من الامور.

«الشـمس»: ذات دور هـام وبنّـاء جـدّاً فى الموجودات الحيـهٔ على ظهر البسيطهٔ فهى إضافهٔ إلى كونهـا مصـدراً للنور والحرارهٔ- وهما عاملان أساسـيان فى حياهٔ الإنسان- تعتبر مصـدراً لغيرهما من المظاهر الحياتيـهٔ، حركهٔ الرياح، وهطول الأمطار، ونمو النباتات، وجريان الأنهار والشلالات، بل حتى نشوء مصادر الطاقهٔ مثل النفط والفحم الحجرى ... كل واحد منها يرتبط- بنظرهٔ دقيقهٔ- بنور الشمس.

ولو قُدر لهذا المصباح الحياتى أن ينطفىء يوماً لساد الظلام والسكوت والموت فى كل مكان.

«الضـحى : فى الأصل انتشار نور الشـمس، وهـذا ما يحدث حين يرتفع قرص الشـمس عن الافق ويغمر النور كل مكان، ثم يطلق على تلك البرههٔ من اليوم اسم «الضحى».

والقسم الثالث بالقمر: «وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَهَا». وهذا التعبير إشارهٔ إلى القمر حين يكتمل ويكون بدراً كاملًا فى ليلهٔ الرابع عشـر من كل شـهر، ففى هذه الليلهٔ يطل القمر من افق المشرق متزامناً مع غروب الشمس. فيسطع بجماله النّير ويهيمن على جوّ السماء، ولجماله

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۷

وبهائه فى هذه الليلهٔ أكثر من أيّهٔ ليلهٔ اخرى جاء القسم به فى الآيهٔ الكريمهٔ.

والقسم الرابع بالنهار: «وَالنَّهَارِ إِذَا جَلهَا». و «التجليهٔ»: هى الإظهار والإبراز.

والقسم بهـذه الظاهرهٔ السـماويهٔ الهامـهٔ، يبيّن أهميتهـا الكبرى فى حيـاهٔ البشـر وفى جميع الأحيـاء، فالنهـار رمز الحركـهٔ والحياهٔ، وكل الفعاليات والنشاطات ومساعى الحياهٔ تتمّ عادهٔ فى ضوء النهار.

والقَسم الخامس بالليل: «وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشَهَا».

بالليل بكل ما فيه من بركة وعطاء ... إذ هو يخفّف من حرارة شمس النهار، ثم هو مبعث راحة جميع الموجودات الحية واستقرارها.

وفى القسمين السادس والسابع تحلّق بنا الآية إلى السماوات وخالق السماوات:

«وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنهَا».

أصل خلقة السماوات بما فيها من عظمة مدهشة من أعظم عجائب الخليقة.

وبناء كل هذه الكواكب والأجرام السماوية وما يحكمها من أنظمة أعجوبة اخرى ... وأهم من كل ذلك ... خالق هذه السماوات.

القَسم الثامن والتاسع بالأرض وخالق الأرض: «وَالْأَرْضِ وَمَا طَحهَا». بالأرض التى تحتضن حياة الإنسان وجميع الموجودات الحيّة ... الأرض بجميع عجائبها: بجبالها، وبحارها، وسهولها، ووديانها، وغاباتها، وعيونها، وأنهارها، ومناجمها، وذخائرها ... وبكلّ ما فيها من ظواهر يكفى كل واحد منها لأن يكون آية من آيات اللَّه ودلالة على عظمته.

وأعظم من الأرض وأسمى منها خالقها الذى «طحاها» و «الطحو» بمعنى البسط والفرش، وبمعنى الذهاب بالشىء وإبعاده أيضاً. وهنا بمعنى «البسط»، لأنّ الأرض كانت مغمورة بالماء، ثم غاض الماء فى منخفضات الأرض، وبرزت اليابسة، وانبسطت، ويعبّر عن ذلك أيضاً بدحو الأرض.

وأخيراً القسم الحادى عشر والقسم الثانى عشر بالنفس الإنسانية وبارئها: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيهَا».

قيل إنّ المراد بالنفس هنا روح الإنسان، وقيل إنّه جسمه وروحه معاً.

ولو كان المراد من النفس الروح فقط، فإنّ «سوّاها» تعنى إذن نظّمها وعدّل قواها ابتداء من الحواس الظاهرة وحتى قوّة الإدراك، والذاكرة، والإنتقال، والتخيل، والإبتكار،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۸

والعشق، والإرادة، والعزم ونظائرها من الظواهر المندرجة فى إطار «علم النفس». ولو كان المراد من النفس الروح والجسم معاً، فالتسوية تشمل أيضاً ما فى البدن من أنظمة وأجهزة يدرسها علم التشريح وعلم الفسلجة.

وفى القرآن الكريم وردت «نفس» بكلا المعنيين.

والأنسب هنا أن يكون معنى النفس هنا شاملًا للمعنيين لأنّ قدرة اللَّه سبحانه تتجلى فى الإثنين معاً.

الآية التالية تتناول أهم ظاهرة فى الخليقة وتقول: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيهَا».

إنّ اللَّه سبحانه قد منح الإنسان قدرة التشخيص والعقل، والضمير اليقظ بحيث يستطيع أن يميّز بين «الفجور» و «التقوى» عن طريق العقل والفطرة.

نعم، حين اكتملت خلقة الإنسان وتحقق وجوده، علّمه اللَّه سبحانه الواجبات والمحظورات. وبذلك أصبح كائناً مزيجاً فى خلقته من «الحمأ المسنون» و «نفخة من روح اللَّه»، ومزيجاً فى تعليمه من «الفجور» و «التقوى». أصبح بالتالى كائناً يستطيع أن يتسلق سلّم الكمال الإنسانى ليفوق الملائكة، ومن الممكن أن ينحط لينحدر عن مستوى الأنعام ويبلغ مرحلة «بَلْ هُمْ أَضَلُّ». وهذا يرتبط بالمسير الذى يختاره الإنسان عن إرادة.

«ألهمها»: من الإلهام، وهو فى الأصل بمعنى البلع والشرب، ثم استعمل فى إلقاء الشىء فى روع الإنسان من قِبل اللَّه تعالى.

«الفجور»: من مادة «فجر» وتعنى الشق الواسع؛ ولمّا كانت الذنوب تهتك ستار الدين فإنّها سمّيت بالفجور.

المقصود بالفجور فى الآية طبعاً الأسباب والعوامل والطرق المؤدية إلى الذنوب.

و «التقوى»: من «الوقاية» وهى الحفظ، وتعنى أن يصون الإنسان نفسه من القبائح والآثام والسيئات والذنوب.

بعد هذه الأقسام المهمّة المتتالية يخلص السياق القرآنى إلى النتيجة فيقول: «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكهَا».

و «التزكية»: تعنى النمو، و «الزكاة» فى الأصل بمعنى النمو والبركة؛ ثم استعملت الكلمة بمعنى التطهير، وقد يعود ذلك إلى أنّ التطهير من الآثام يؤدّى إلى النمو والبركة، والآية الكريمة تحتمل المعنيين.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۶۹

نعم، الفلاح لمن ربّى نفسه ونمّاها، وطهّرها من التلوّث بالخصائل الشيطانية وبالذنوب والكفر والعصيان.

والمسألة الأساسية فى حياة الإنسان هى هذه «التزكية»، فإن حصلت سعد الإنسان وإلّا شقى وكان من البائسين.

ثم يعرج السياق القرآنى على المجموعة المخالفة فيقول: «وَقَدْ خَابَ مَن دَسهَا».

«خاب»: من الخيبة، وهى فوت الطلب، كما يقول الراغب فى المفردات والحرمان والخسران.

«دسّاها»: من مادة «دس» وهى فى الأصل بمعنى إدخال الشيء قسراً.

وبهذا المعيار يتمّ تمييز الفائزين عن الفاشلين فى ساحة الحياة: «تزكية النفس وتنميتها بروح التقوى وطاعة اللَّه» أو «تلوثها بأنواع المعاصى والذنوب».

فى المجمع: وجاءت الرواية عن سعيد بن أبى هلال قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذا قرأ هذه الآية «قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكهَا» وقف ثم قال: «اللّهمّ آت نفسى تقواها، أنت وليّها ومولاها، وزكّها وأنت خير من زكّاها».

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَ سُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١۴) وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١۵) عاقبة مرّة للطغاة: عقب التحذير الذى اطلقته الآية السابقة بشأن عاقبة من ألقى بنفسه فى أوحال العصيان، قدمت هذه الآيات مصداقاً تاريخياً واضحاً لهذه السنّة الإلهية، وتحدثت عن مصير قوم «ثمود» بعبارات قصيرة قاطعة ذات مدلول عميق.

«الطغوى و «الطغيان» بمعنى واحد وهو تجاوز الحد، وفى الآية تجاوز الحدود الإلهية والعصيان أمام أوامره.

«قوم ثمود» من أقدم الأقوام التى سكنت منطقة جبلية بين «الحجاز» و «الشام». كانت لهم حياة رغدة مرفهة، وأرض خصبة، وقصور فخمة، غير أنّهم لم يؤدوا شكر هذه النعم، بل طغوا وكذبوا نبيّهم صالحاً، واستهزأوا بآيات اللَّه، فكان عاقبة أمرهم أن أبيدوا بصاعقة سماوية.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۰

ثم تستعرض السورة مقطعاً بارزاً من طغيان القوم وتقول: «إِذِ انبَعَثَ أَشْقَهَا».

و «أشقى» ثمود، هو الذى عقر الناقة التى ظهرت باعتبارها معجزة بين القوم.

وفى المجمع: عن عثمان بن صهيب عن أبيه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لعلى بن أبى طالب عليه السلام:

«من أشقى الأوّلين؟ قال: عاقر الناقة. قال: صدقت. فمن أشقى الآخرين؟ قال: قلت لا أعلم يا رسول اللَّه. قال: الذى يضربك على هذه- وأشار إلى يافوخه-».

وثمّة تشابه بين قاتل ناقة صالح، قدار بن سالف، وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام، عبد الرحمن بن ملجم المرادى؛ لم يكن الإثنان يحملان عداءً شخصياً، بل كان هدف الإثنين اطفاء نور اللَّه والقضاء على معجزة وآية من آيات اللَّه.

فى الآية التالية تفاصيل أكثر عن طغيان قوم ثمود: «فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيهَا».

المقصود من «رسول اللَّه» نبى قوم ثمود صالح عليه السلام؛ وعبارة «ناقة اللَّه» إشارة إلى أنّ هذه الناقة لم تكن عادية، بل كانت معجزة، تثبت صدق نبوّة صالح، ومن خصائصها- كما فى الرواية المشهورة- أنّها خرجت من قلب صخرة فى جبل لتكون حجة على المنكرين.

الآية التالية تقول: «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا». و «العقر»:- على وزن كفر- معناه الأساس والأصل والجذر؛ و «عقر الناقة» قطع أساسها وإهلاكها.

ويلاحظ أنّ قاتل الناقة شخص واحد أشارت إليه الآية بأشقاها، بينما نسب العقر إلى كل طغاة قوم ثمود: «فعقروها»، وهذا يعنى أنّ كل هؤلاء القوم كانوا مشاركين فى الجريمة.

وعقب هذا التكذيب أنزل اللَّه عليهم العقاب فلم يترك لهم أثراً: «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّيهَا».

«دمدم»: تعنى أهلك، وتأتى أحياناً بمعنى عذّب وعاقب وأحياناً بمعنى سحق واستأصل، وبمعنى سخط أو أحاط.

و «سوّاها»: من التسوية وهى تسوية الأبنية بالأرض نتيجة صيحة عظيمة وصاعقة وزلزلة، أو بمعنى إنهاء حالة هؤلاء القوم، أو تسويتهم جميعاً فى العقاب والعذاب، حتى لم يسلم أحد منهم.

ومن الممكن أيضاً الجمع بين هذه المعانى.

وتختتم السورة الحديث عن هؤلاء القوم بتحذير قارع لكل الذين يتجهون فى نفس هذه

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۱

المسيرة المنحرفة فتقول: «وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا».

كثيرون من الحكّام قادرون على انزال العقاب لكنّهم يخشون من تبعات عملهم، ويخافون ردود الفعل التى قد تحدث نتيجة فعلهم، ولذلك يكفّون عن المعاقبة. قدرتهم- إذن- محفوفة بالضعف وعلمهم ممزوج بالجهل. لا يعلمون مدى قدرتهم على مواجهة التبعات. بينما اللَّه سبحانه قادر متعال، علمه محيط بكل الامور وعواقبها، وقدرته على مواجهة النتائج لا يشوبها ضعف، فهو سبحانه وتعالى لا يخاف عقباها، ولذلك فإنّ مشيئته فى العقاب نافذة حازمة.

«نهاية تفسير سورة الشّمس»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۳

۹۲. سورة الليل

محتوى السورة: بعد القسم بثلاث ظواهر فى بداية السورة يأتى تقسيم الناس إلى منفقين متّقين، وبخلاء منكرين، وتذكر عاقبة كل مجموعة؛ اليسر والسعادة والهناء للمجموعة الاولى، والعسر والضنك والشقاء للمجموعة الثانية.

وفى مقطع آخر من السورة إشارة إلى أنّ الهداية من اللَّه سبحانه لعباده هى انذارهم من النار يوم القيامة.

ثم تذكر السورة فى نهايتها من يدخل هذه النار ومن ينجو منها، مع ذكر أوصاف الفريقين.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها أعطاه اللَّه حتى يرضى، وعافاه من العسر ويسّر له اليسر».

وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (۱) وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (۲) وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى (۳) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (۴) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى (۵) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى (۶) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (۷) وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى (۸) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى (۹) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (۱۰) وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (۱۱)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۴

سبب النّزول

فى تفسير مجمع البيان روى عن ابن عباس أنّ رجلًا كانت له نخلة فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربّما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها فى فىّ أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبى صلى الله عليه و آله، وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة. فقال له النبى صلى الله عليه و آله: «إذهب». ولقى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صاحب النخلة فقال: «تعطينى

نخلتک المائلة التی فرعها فی دار فلان ولک بها نخلة فی الجنة». فقال له الرجل: إنّ لی نخلًا کثیراً، وما فیه نخلة أعجب إلیّ تمرة منها. قال: ثم ذهب الرجل، فقال رجل کان یسمع الکلام من رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله یا رسول اللّٰه! أتعطینی ما أعطیت الرجل نخلة فی الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: «نعم». فذهب الرجل ولقی صاحب النخلة فساومها منه فقال له: أشعرت أنّ محمّداً أعطانی بها نخلة فی الجنة فقلت له: یعجبنی تمرتها وإنّ لی نخلًا کثیراً فما فیه نخلة أعجب إلیّ تمرة منها. فقال له الآخر: أترید بیعها؟ فقال: لا إلّا أن أعطی ما لا أظنّه اعطی. قال: فما مُناک؟ قال: أربعون نخلة. فقال الرجل: جئت بعظیم، تطلب بنخلتک المائلة أربعین نخلة؟! ثم سکت عنه. فقال له: أنا أعطیک أربعین نخلة. فقال له:

أشهد إن کنت صادقاً، فمرّ إلی اناس فدعاهم، فأشهد له بأربعین نخلة، ثم ذهب إلی النبی صلی الله علیه و آله فقال: یا رسول اللّٰه! إنّ النخلة قد صارت فی ملکی، فهی لک. فذهب رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله إلی صاحب الدار، فقال له: «النخلة لک ولعیالک». فأنزل اللّٰه تعالی: «وَالَّیْلِ إِذَا یَغْشَی السورة وعن عطاء قال: اسم الرجل (أبو الدحداح).

التّفسیر

التقوی والإمداد الإلهی: هذه السورة المبارکة أیضاً تبتدیء بثلاثة أقسام تثیر التفکیر فی المخلوقات وفی الخالق. تقول: «وَالَّیْلِ إِذَا یَغْشَی .

فالقَسم الأوّل باللیل حین یغطّی ... یغطّی بظلامه نصف الکرة الأرضیة ... أو یغطّی قرص الشمس، وهذا القسم تأکید علی أهمّیة اللیل ودوره الفاعل فی حیاة الأفراد، من تعدیله لحرارة الشمس، ونشره السکینة علی کل الموجودات الحیة، وتوفیر الجوّ لعبادة المتهجدین ومناجاة الصالحین.

ویستمر السیاق القرآنی فی القسم بالقول: «وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّی .

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۵

والنهار یبدأ من اللحظة التی یطلع فیها الفجر، فیشقّ قلب ظلام اللیل، ثم یمتدّ لیملاء کل السماء، ویغمر کل شیء بالنور.

ثم القَسم الأخیر فی السورة بالخالق المتعال: «وَمَا خَلَقَ الذَّکَرَ وَالْأُنثَی .

فوجود الجنسین فی عالم «الإنسان» و «الحیوان» و «النبات» ... والمراحل التی تمرّ بها النطفة منذ انعقادها حتی الولادة ... والخصائص التی یمتاز بها کل جنس متناسبة مع دوره ونشاطه ... والأسرار العمیقة المخبوءة فی مفهوم الجنسیة ... کلّها من دلالات وآیات عالم الخلیقة الکبیر ... وبها یمکن الوقوف علی عظمة الخالق.

ثم یأتی الهدف النهائی من کل هذه الأقسام بقوله سبحانه: «إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتَّی .

اتجاهات سعیکم مختلفة، ونتائجها مختلفة أیضاً، هذا یعنی أنّ أفراد البشر لا یستقرون فی حیاتهم علی حال ... بل هم فی سعی مستمر ... وفی استثمار دائم للطاقة التی أودعها اللّٰه فی نفوسهم ... فانظر أیّها الإنسان فی أی مسیر تبذل هذه الطاقة التی هی رأس مال وجودک ...

فی أیّ اتجاه ... وفی سبیل أیّة غایة؟!

حذار من تبدید کل هذه الطاقات فی سبیل نتیجة تافهة ... وحذار من بیعها بثمن بخس!

«شتی : جمع «شتیت» من مادة «شتّ» أیّ فرّق الجمع، وهنا بمعنی التفرق والتشعب فی المساعی من حیث الکیفیة والهدف والنتیجة.

ثم یأتی تقسیم الناس علی قسمین، ویبیّن خصائص کل قِسم. یقول سبحانه: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَی وَاتَّقَی وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَی فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْرَی . وأساساً أنّ الإیمان بالمعاد وبثواب الآخرة یهون المشاکل والصعاب، ویجعل بذل المال بل النفس میسوراً، ویخلق الدافع نحو طلب الشهادة فی میادین الجهاد عن رغبة مقرونة باحساس باللذة والنشوة.

وفی الجهة المقابلة تقف المجموعة الاخری التی تتحدث عنها الآیات التالیة: «وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَی وَکَذَّبَ بِالْحُسْنَی فَسَنُیَسِّرُهُ

لِلْعُسْرَى .

«من بخل» فى هذه المجموعة مقابل «من أعطى» فى تلك.

«استغنى : أى طلب الغنى، قد تكون إشارة إلى ذريعتهم لبخلهم، ووسيلتهم لإكتناز المال.

وهؤلاء البخلاء الخاوون من الإيمان يشقّ عليهم فعل الخير وخاصة الإنفاق، بينما هو للمجموعة الاولى مقرون باللذة والإنشراح.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۶

ثم يأتى التحذير لهؤلاء البخلاء المغفلين بالآية: «وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى .

لا يستطيع أن يصطحب ماله من هذه الدنيا، ولا يستطيع هذا المال- إذا اصطحبه- أن يقيه من السقوط فى نار جهنم.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (۱۲) وَ إِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولَى (۱۳) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (۱۴) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (۱۵) الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (۱۶) وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (۱۷) الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى (۱۸) وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (۱۹) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (۲۰) وَ لَسَوْفَ يَرْضَى (۲۱) عقب الآيات الكريمة السابقة التى قسمت الناس على مجموعتين: مؤمنة سخية، وعديمة الإيمان بخيلة، وبيّنت مصير كل منهما، تبدأ هذه الطائفة من الآيات بالتأكيد أنّ على اللّه الهداية لا الإجبار والإلزام، ويبقى الإنسان هو المسؤول عن اتخاذ القرار اللازم، وأنّ انتخاب الطريق المستقيم يعود بالنفع على الإنسان نفسه ولا حاجة للّهسبحانه بعمل خير يقدمه الفرد. يقول تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . الهدى عن طريق التكوين (الفطرة والعقل) أو عن طريق التشريع (الكتاب والسنة) ... فقد بيّنا ما يلزم وأدينا الأمر حقّه.

وبعد: «وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى . فلا حاجة بنا لإيمانكم وطاعتكم، ولا طاعتكم تجدينا نفعاً ولا معصيتكم تصيبنا ضرّاً، وكل منهج الهداية لصالحكم أنفسكم.

الإنذار والتحذير من سبل الهداية، ولذلك قال سبحانه: «فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى .

«تلظى : من اللظى، وهو الشعلة المتوهجة الخالصة والشعلة الخالصة من الدخان ذات حرارة أكبر، وتطلق «لظى» أحياناً على جهنم.

ثم تشير الآية إلى المجموعة التى ترد هذه النار المتلظية الحارقة وتقول: «لَايَصْلهَا إِلَّا الْأَشْقَى».

وفى وصف الأشقى تقول الآية: «الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى .

معيار الشقاء والسعادة- إذن- هو الكفر والإيمان وما ينبثق عنهما من موقف عملى، إنّه لشقى حقّاً هذا الذى يعرض عن كل معالم الهداية وعن كل الإمكانات المتاحة للإيمان والتقوى ... بل إنّه أشقى الناس.

ثم تتحدث السورة عن مجموعة قد جُنّبت النار وأبعدت عنها، تقول الآية: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۷

ومن هو هذا الأتقى؟ تقول الآية الكريمة: «الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى .

وعبارة «يتزكى تشير إلى قصد القربة، وخلوص النية، سواء أريد منها معنى النمو الروحى والمعنوى، أم قصد بها تطهير الأموال، لأنّ التزكية جاءت بمعنى «التنمية»، وبمعنى «التطهير».

وللتأكيد على خلوص النيّة فى إنفاقهم تقول الآية: «وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى .

فلا أحد قد أنعم على هذا «الأتقى» ليكون إنفاقه جزاء على هذه النعمة.

بل هدفه رضا اللّه لا غير: «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى .

إنّ إنفاق المؤمنين الأتقياء ليس رياء ولا ردّاً على خدمات سابقة قدمت إليهم، بل دافعها رضا اللّه لا غير، ومن هنا كان إنفاقهم ذا قيمة كبرى.

وفى خاتمة السورة ذكر بعبارة موجزة لما ينتظر هذه المجموعة من أجر عظيم تقول الآية:

«وَلَسَوْفَ يَرْضَى .

نعم، ولسوف يرضـى، فهو قد عمل على كسب رضا اللَّه، واللَّه سبحانه سوف يرضيه، إرضاءً واسعاً غير محدود ... إرضاءً عميق المعنى يستوعب كل النعم.

«نهاية تفسير سورة الليل»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۷۹

۹۳. سورة الضحى

محتوى السورة: هذه السورة نزلت فى مكة، وحسب بعض الروايات أنّها نزلت حين كان الرسول صلى الله عليه و آله متألماً بسبب تأخر نزول الوحى، وتقوّل الأعداء نتيجة هذا الإنقطاع المؤقت، نزلت السورة كغيث على قلب النبى صلى الله عليه و آله.

هذه السورة تبدأ بقَسمين، ثم تبشر النبى بأنّ اللَّه لا يتركه أبداً.

ثم تبشّره بعطاء ربانى تجعله راضياً.

ثم تعرض له صوراً من حياته السابقة تتجسّد فيها الرحمة الإلهية التى كانت تشمله دائماً وتحميه وتسنده فى أشدّ اللحظات.

وفى نهاية السورة تتكرر الأوامر الإلهية برعاية اليتيم والسائل، وباظهار النعم الإلهية (شكراً لهذه النعم).

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع ابى بن كعب عن النبى صـلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأها كان ممن يرضاه اللَّه، ولمحمّد صلى الله عليه و آله أن يشفع له، وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل».

وفضيلة التلاوة هذه هى طبعاً من نصيب من يقرأ ويعمل بما يقرأ.

جـدير بالـذكر أنّ الروايات تـذكر هـذه السورة والسورة التى تليها: (شـرح) على أنّها سورة واحـدة، ولـذلك لابدّ من قرائتهما معاً بعد سورة الحمد فى الصلاة (لوجوب قراءة سورة كاملة بعد الحمد فى الصلاة حسب مذهب أهل البيت عليهم السلام).

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۰

وَ الضُّحَى (۱) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (۲) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى (۳) وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (۴) وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (۵)

سبب النّزول

فى المجمع: قال ابن عباس: احتبس الوحى عنه صلى الله عليه و آله خمسة عشر يوماً، فقال المشركون:

إنّ محمّداً قد ودعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من اللَّه تعالى لتتابع عليه. فنزلت السورة.

وروى أنّه لمّا نزلت السورة قال النبى صلى الله عليه و آله لجبرائيل عليه السلام: «ما جئت حتى اشتقت إليك»! فقال جبرائيل: وأنا كنت أشدّ إليك شوقاً، ولكنّى عبد مأمور وما نتنزل إلّابأمر ربّك.

التّفسير

فى بداية السورة المباركة قسمان: الأوّل بالنور، والثانى بالظلمة. يقول سبحانه:

«وَالضُّحَى وهو قسم بالنهار- حين تغمر شمسه كل مكان.

«وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى . أى إذا عمّت سكينته كل مكان.

«الضحى»: يعنى أوائل النهار، أى حين يرتفع قرص الشمس فى كبد السماء، ويعم نورها الأرض، وهو أفضل ساعات النهار.

«سجى»: من السَّجو أو السُّجو، أى سكن وهدأ.

والمهم فى الليل هـدؤه وسـكينته ممّا يضـفى على روح الإنسان واعصابه هـدوءً وارتياحاً، ويُعـدّه لممارسـة نشاط يوم غد، وهو لذلك نعمة مهمّة استحقت القسم بها.

بین القَسمین ومحتوی السورة تشابه کبیر وإرتباط وثیق. النهار مثل نزول نور الوحی علی قلب النبی صلی الله علیه و آله، واللیل کانقطاع الوحی المؤقت، وهو أیضاً ضروری فی بعض المقاطع الزمنیة.

وبعد القسمین، یأتی جواب القسم، فیقول سبحانه: «مَا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَمَا قَلَی .

«قلی»: من «قلا»- علی وزن صدا- وهو شدّة البغض.

فی هذا التعبیر سکن لقلب النبی صلی الله علیه و آله وتسلّ له، لیعلم أنّ التأخیر فی نزول الوحی إنّما یحدث لمصلحة یعلمها اللَّه تعالی، ولیست- کما یقول الأعداء- لترک اللَّه نبیّه أو لسخطه علیه فهو مشمول دائماً بلطف اللَّه وعنایته الخاصّة، وهو دائماً فی کنف حمایة اللَّه سبحانه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۱

«وَلَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَّکَ مِنَ الْأُولَی .

أنت فی هذه الدنیا مشمول بالطاف اللَّه تعالی، وفی الآخرة أکثر وأفضل.

وتأتی البشری للنبی الکریم لتقول له: «وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی .

وهذا أعظم أکرام وأسمی احترام من ربّ العالمین لعبده المصطفی محمّد صلی الله علیه و آله. فالعطاء الربانی سیغدق علیه حتی یرضی ... حتی ینتصر علی الأعداء ویعم نور الإسلام الخافقین، کما أنّه سیکون فی الآخرة أیضاً مشمولًا بأعظم الهبات الإلهیة.

النبی الأعظم صلی الله علیه و آله باعتباره خاتم الأنبیاء، وقائد البشریة، لا یمکن أن یتحقق رضاه فی نجاته فحسب، بل إنّه سیکون راضیاً حین تُقبل منه شفاعته فی امته.

عن حرب بن شریح قال: قلت لأبی جعفر محمّد بن علی بن الحسین: جعلت فداک! أرأیت هذه الشفاعة التی یتحدث بها بالعراق أحق هی؟ قال: «شفاعة ماذا»؟ قلت: شفاعة محمّد صلی الله علیه و آله قال: «حق واللَّه، لحدثنی عمی محمّد بن علی بن الحنفیة عن علی بن أبی طالب علیه السلام أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «أشفع لُامّتی حتی ینادینی ربّی عزّ وجل أرضیت یا محمّد، فأقول: نعم رضیت». ثم أقبل علی علیه السلام فقال: إنّکم تقولون یا معشر العراق إنّ أرجی آیة فی کتاب اللَّه «یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنفُسِهِمْ» الآیة. قلت إنّا لنقول ذلک، قال: ولکنا أهل البیت نقول إنّ أرجی آیة فی کتاب اللَّه «وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی وهی الشفاعة «۱».

وفی المجمع عن الصادق علیه السلام قال: «دخل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علی فاطمة علیها السلام وعلیها کساء من ثلة الإبل وهی تطحن بیدها وترضع ولدها، فدمعت عینا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لما أبصرها، فقال: یا بنتاه! تعجلی مرارة الدنیا بحلاوة الآخرة فقد أنزل اللَّه علی «وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی ».

أ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوَی (۶) وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدَی (۷) وَ وَجَدَکَ عَائِلًا فَأَغْنَی (۸) فَأَمَّا الْیَتِیمَ فَلَا تَقْهَرْ (۹) وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (۱۰) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ (۱۱) الشکر علی کل هذه النعم الإلهیة: ذکرنا أنّ هدف هذه السورة المبارکة تسلیة قلب النبی صلی الله علیه و آله وبیان الطاف اللَّه التی شملته، وهذه الآیات المذکورة أعلاه تجسد للنبی ثلاث هبات من الهبات الخاصّة التی أنعم اللَّه بها علی النبی، ثم تأمره بثلاثة أوامر.

---

(۱) کنز العمال ۱۴/ ۶۳۶؛ المعجم الأوسط، الطبرانی ۲/ ۳۰۷؛ وتفسیر مجمع البیان ۱۰/ ۳۸۲.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۲

«أَلَمْ یَجِدْکَ یَتِیمًا فَاوَی .

فقد کنت یا محمّد فی رحم امّک حین توفی والدک فآویتک إلی کنف جدّک عبد المطلب (سید مکة).

وكنت فى السادسة حين توفيت والدتك، فزاد يتمك، لكنّنى زدت حبّك فى قلب «عبد المطلب».

وكنت فى الثامنة حين رحل جدّك «عبدالمطلب»، فسخرت لك عمّك «أبا طالب»، وليحافظ عليك كما يحافظ على روحه.

نعم، كنت يتيماً فآويتك.

ثم يأتى ذكر النعمة الثانية: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى .

نعم، لم تكن أيّها النبى على علم بالنبوّة والرسالة، ونحن أنزلنا هذا النور على قلبك لتهدى به الإنسانية، وهذا المعنى ورد فى الآية (۵۲) من سورة الشورى أيضاً: «مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلكِن جَعَلْنَهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا».

من هنا فإنّ المقصود من الضلالة فى كلمة «ضالًا» فى الآية ليس نفى الإيمان والتوحيد والطهر والتقوى عن النبى، بل بقرينة الآيات التى أشرنا إليها تعنى نفى العلم بأسرار النبوّة وبأحكام الإسلام، وتعنى عدم معرفة هذه الحقائق، كما أكّد على ذلك كثير من المفسرين.

لكنّه صلى الله عليه و آله بعد البعثة اهتدى إلى هذه الامور بعون اللّه تعالى.

ثم يأتى ذكر النعمة الثالثة: «وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى «۱».

لقد جعلناك تستأثر باهتمام «خديجة» هذه المرأة المخلصة الوفية لتضع كل ثروتها تحت تصرّفك ومن أجل تحقيق أهدافك، وبعد ظهور الإسلام رزقك مغانم كثيرة فى الحروب ساعدتك فى تحقيق أهدافك الرسالية الكبرى.

فى الآيات التالية ثلاثة أوامر تصدر إلى الرسول باعتبارها نتيجة الآيات السابقة ...

والخطاب، وإن كان متجهاً إلى الرسول صلى الله عليه و آله، فإنّه يشمل أيضاً كل المسلمين.

«فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ».

كأنّ اللّه يخاطب نبيّه قائلًا: لقد كنت يتيماً أيضاً وعانيت من آلام اليتم، والآن عليك أن

---

(۱) «العائل»: فى الأصل كثير العيال، وجاءت أيضاً بمعنى الفقير، وهى فى الآية بهذا المعنى.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۳

تهتم بالأيتام كل اهتمام وأن تروى روحهم الظمأى بحبّك وعطفك.

وهذا يدل على أنّ هناك مسألة أهم من الإطعام والإنفاق بشأن الأيتام، وهى اللطف بهم والعطف عليهم وإزالة إحساسهم بالنقص العاطفى. فى المجمع عن عبداللّه بن مسعود قال:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمرّ على يده نور يوم القيامة».

«وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ».

«نَهَرَ»: بمعنى ردّ بخشونة.

وفى معنى «السائل» عدّة تفاسير.

الأوّل: أنّه المتجه بالسؤال حول القضايا العلمية والعقائدية والدينية.

والثانى: هوالفقير فى المال والمتاع، والأمر يكون عندئذ ببذل الجهد فى هذا المجال، وبعدم ردّ هذا الفقير السائل يائساً.

والثالث: أنّ المعنى يشمل الفقير علمياً والفقير مادياً، والأمر بتلبية احتياجات السائل فى المجالين، وهذا المعنى يتناسب مع الهداية الإلهية لنبيّه صلى الله عليه و آله، ومع إيوائه حين كان يتيماً.

«وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ». والحديث عن النعمة قد يكون باللسان، وبتعابير تنمّ عن غاية الشكر والإمتنان، لا عن التفاخر والغرور. وقد تكون بالعمل عن طريق الإنفاق من هذه النعمة فى سبيل اللّه، انفاقاً يبيّن مدى هذه النعمة.

إنّ النعمة فی الآیة شاملًا للنعم المادیة والمعنویة. فی المجمع: قال الصادق علیه السلام معناه:

«فحدث بما أعطاک اللّه، وفضلک، ورزقک، وأحسن إلیک وهداک».

«نهایة تفسیر سورة الضحی»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۵

۹۴. سورة الشرح

محتوی السورة: المعروف أنّ هذه السورة نزلت بعد سورة «الضحی» ومحتواها یؤید ذلک، لأنّها تسرد أیضاً قسماً من الهبات الإلهیة للرسول الأکرم صلی الله علیه و آله.

فی سورة «الضحی» عرض لثلاث هبات إلهیة بعضها مادیة وبعضها معنویة، وفی هذه السورة ذکر لثلاث هبات أیضاً غیر أنّ جمیعها معنویة، وتدور السورة بشکل عام حول ثلاثة محاور: الأوّل: بیان النعم الثلاث؛ و الثانی: تبشیر النبی بزوال العقبات أمام دعوته؛ و الثالث: الترغیب فی عبادة اللّه الواحد الأحد.

ولذلک ورد عن أهل البیت علیهم السلام ما یدل أنّ هاتین السورتین سورة واحدة ووجب قراءتهما معاً فی الصلاة لوجوب قراءة سورة کاملة بعد الحمد.

فضیلة تلاوة السورة: فی المجمع ابی بن کعب عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «من قرأها اعطی من الأجر کمن لقی محمّداً صلی الله علیه و آله مغتماً ففرّج عنه».

أ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ (۱) وَ وَضَعْنَا عَنْکَ وِزْرَکَ (۲) الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ (۳) وَ رَفَعْنَا لَکَ ذِکْرَکَ (۴) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (۵) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (۶) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (۷) وَ إِلَی رَبِّکَ فَارْغَبْ (۸)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۶

نِعم إلهیة: سیاق الآیات ممزوج بالحب والحنان وبألطاف ربّ العالمین لنبیّه الکریم.

أهم هبة إلهیة تشیر إلیها الآیة الاولی: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ».

«الشرح»: فی الأصل توسعة قطع اللحم بتحویلها إلی شرائح أرق؛ و «شرح الصدر»:

سعته بنور إلهی وبسکینة واطمئنان من عند اللّه، ولهذه التوسعة مفهوم واسع، تشمل السعة العلمیة للنبی عن طریق الوحی والرسالة، وتشمل أیضاً توسعة قدرة النبی فی تحمله واستقامته أمام تعنت الأعداء والمعارضین.

فی المجمع: روی سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «لقد سألت ربّی مسألة وددت أنّی لم أسأله؛ قلت: أی ربّ! إنّه قد کان أنبیاء قبلی منهم من سخرت له الریح ومنهم من کان یحیی الموتی. قال، فقال: ألم أجدک یتیماً فآویتک. قال: قلت بلی. قال: ألم أجدک ضالًا فهدیتک. قال: قلت بلی أی ربّ. قال: ألم أشرح لک صدرک ووضعت عنک وزرک قال: قلت:

بلی أی ربّ».

وهذا یعنی أنّ نعمة شرح الصدر تفوق معاجز الأنبیاء. والمتمعّن فی دراسة حیاة الرسول صلی الله علیه و آله، وما فیها من مظاهر تدل علی شرح عظیم لصدره تجاه الصعاب والمشاق یدرک بما لا یقبل الشک أنّ الأمر لم یتأت لرسول اللّه بشکل عادی، بل إنّه حتماً تأیید إلهی ربّانی.

وبسعة الصدر هذه إجتاز الرسول صلی الله علیه و آله العقبات والحواجز والصعاب علی أفضل وجه، وأدّی رسالته خیر أداء.

ثم یأتی ذکر الموهبة الثانیة: «وَوَضَعْنَا عَنکَ وِزْرَکَ». أی ألم نضع عنک الحمل الثقیل؟

«الَّذِی أَنقَضَ ظَهْرَکَ».

وأی حمل وضعه اللّه عن نبیّه؟ القرائن فی الآیات تدل علی أنّه مشاکل الرسالة والنبوّة والدعوة إلی التوحید وتطهیر المجتمع من ألوان الفساد، ولیس نبیّ الإسلام وحده بل کل الأنبیاء فی بدایة الدعوة واجهوا مثل هذه المشاکل الکبری وتغلبوا علیها بالإمداد الإلهی وحده، مع فارق فی الظروف، فبیئة الدعوة الإسلامیة کانت ذات عقبات أکبر ومشاکل ...

وفی الموهبة الثالثة یقول سبحانه: «وَرَفَعْنَا لَکَ ذِکْرَکَ».

فاسمک مع اسم الإسلام والقرآن قد ملأ الآفاق، وأکثر من ذلک اقترن اسمک باسم اللّه سبحانه فی الأذان یرفع صباح مساء علی المآذن. والشهادة برسالتک لا تنفک عن الشهادة بتوحید اللّه فی الإقرار بالإسلام وقبول الدین الحنیف.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۷

وروی عن الرسول صلی الله علیه و آله فی تفسیر هذه الآیة قال: «قال لی جبرائیل قال اللّه عزّ وجل: إذا ذُکرتُ ذُکرتَ معی». [وکفی بذلک منزلة].

شاعر النبی «حسان بن ثابت» ضمّن معنی الآیة الکریمة فی أبیات جمیلة، وقال:

وضمّ الإله اسم النبی إلی اسمهإذ قال فی الخمس المؤذن أشهد

وشقّ له من اسمه لیجلّهفذو العرش «محمود» وهذا «محمّد»

الآیة التالیة تبشّر النبی صلی الله علیه و آله بأعظم بشری، وتقول: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْرًا».

ویأتی التأکید الآخر: «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْرًا».

لا تغتمّ أیّها النبی، فالمشاکل والعقبات لا تبقی علی هذه الحالة، ودسائس الأعداء لن تستمر، وشظف العیش وفقر المسلمین سوف لا یظلّ علی هذا المنوال.

إنّ اسلوب الآیتین یجعلهما لا تختصان بشخص النبی صلی الله علیه و آله وبزمانه، بل بصورة قاعدة عامة مستنبطة مما سبق، وتبشّر کل البشریة المؤمنة المخلصة الکادحة، وتقول لها: کل عسر إلی جانبه یسر.

فی من لا یحضره الفقیه بإسناده إلی النبی صلی الله علیه و آله قال: «واعلم أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الکرب وفإنّ مع العسر یسراً، إنّ مع العسر یسراً».

«فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ». أی إذا انتهیت من أداء أمر مهم فابدأ بمهمّة اخری، فلا مجال للبطالة والعطل. کن دائماً فی سعی مستمر ومجاهدة دائمة، واجعل نهایة أیة مهمّة بدایة لمهمّة اخری.

«وَإِلَی رَبِّکَ فَارْغَب». أی فاعتمد علی اللّه فی کل الأحوال.

اطلب رضاه، واسع لقربه.

الآیتان- حسب ما ذکرناه- لهما مفهوم واسع عام یقضی بالبدء بمهمّة جدیدة بعد الفراغ من کل مهمّة. وبالتوجه نحو اللّه فی کل المساعی والجهود.

إنّ هذه السورة تبیّن بمجموعها عنایة ربّ العالمین الخاصة للنبی الأعظم صلی الله علیه و آله، وتسلیة قلبه أمام المشاکل، ووعده بالنصر أمام عقبات الدعوة، وهی فی الوقت ذاته تحیی الأمل والحرکة والحیاة فی جمیع البشریة المهتدیة بهدی القرآن.

«نهایة تفسیر سورة الشرح»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۸۹

۹۵. سورة التین

محتوى السورة وفضيلتها: هذه السورة تدور آياتها حول حسن خلقة الإنسان ومراحل تكامله ونموّه وانحطاطه، وتبدأ بقسم عميق المعنى، تذكر عوامل انتصار الإنسان ونجاته وتنتهى بالتأكيد على مسألة المعاد وحاكمية اللَّه المطلقة.

وفى المجمع عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها أعطاه اللَّه خصلتين: العافية واليقين مادام فى دار الدنيا، فإذا مات أعطاه اللَّه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم».

وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (۱) وَ طُورِ سِينِينَ (۲) وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيم (۴) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (۵) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (۷) أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (۸) تبدأ السورة بالقسم أربع مرّات لبيان أمر مهم:

«وَالتّينِ وَالزَّيْتُونِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۰

«وَطُورِ سِينِينَ» «۱».

«وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ».

«التين» و «الزيتون» ثمرتان معروفتان، واختلف المفسرون فى المقصود بالتين وبالزيتون، هل هما الفاكهتان المعروفتان أم شىء آخر؟ بعضهم ذهب إلى أنّهما الفاكهتان بما لهما من خواص غذائية وعلاجية كبيرة، وبعض آخر قال: المقصود منهما جبلان واقعان فى مدينتى «دمشق» و «بيت المقدس» لأنّ المكانين منبَثق كثير من الرسل والأنبياء .. وبذلك ينسجم هذان القَسمان مع ما يليهما من قَسمين بأراض مقدسة.

«وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ». والبلد الأمين مكة، الأرض التى كانت فى عصر الجاهلية أيضاً بلداً آمناً وحرماً إلهيّاً، ولا يحق لأحد فيها أن يتعرض لأحد.

إذا حملنا كلمتى «التين» و «الزيتون» على معناهما الظاهر الإبتدائى، فالقسم بها ذو دلالة عميقة أيضاً، لأنّ «التين» فاكهة ذات مواد غذائية ثرّة، ولقمة مغذية ومقوية لمختلف الأعمار، وخالية من القشر والنواة والزوائد.

وفى الكافى عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام قال: «التين يذهب بالبخر ويشدّ الفم والعظم، وينبت الشعر، ويذهب بالداء، ولا يحتاج معه إلى دواء».

وقال عليه السلام: «التين أشبه شىء بنبات الجنة».

وحول الزيتون، فإنّ العلماء الذين قضوا عمرهم فى دراسة خواص النباتات يعيرون أهمية بالغة للزيتون وزيته. ويعتقدون أنّ الفرد إن أراد أن يعيش فى سلامة دائمة فلابدّ له أن يستفيد من هذا الأكسير الحياتى.

زيت الزيتون صديق حميم لكبد الإنسان، وله تأثير فعّال فى معالجة عوارض الكلى، وحصى الصفراء، والتشنجات الكليوية والكبدية، وإزالة الإمساك.

وزيت الزيتون مفعم أيضاً بأنواع الفيتامينات وفيه الفوسفور والكبريت والكلسيوم

---

(۱) قيل: إنّ «سينين» جمع بمعنى شجرة، واحدته «سينة»، فكأنّه قيل طور الأشجار. وقيل: إنّ سينين، اسم للبقعة التى فيها الجبل. وعن عكرمة بزيادة بلسان أهل الحبشة؛ وعن قتادة أنّه قال: سينين مبارك حسن ذو شجر (روح المعانى ۳۰/ ۱۷۳).

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۱

مختصر الامثل ج ۵ ۵۳۳

والحديد والبوتاسيوم والمنغنيز.

وفی المكارم الأخلاق للطبرسی عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام قال: «نعم الطعام الزیت، یطیب النكهة، ویذهب بالبلغم، ویصفی اللون، ویشدّ العصب، ویذهب بالوصب [المرض والألم والضعف ویطفیء الغضب».

ثم یأتی جواب القسم: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسنَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ».

«تقویم»: یعنی تسویة الشیء بصورة مناسبة، ونظام معتدل وكیفیة لائقة، وسعة مفهوم الآیة یشیر إلی أنّ اللّه سبحانه خلق الإنسان بشكل متوازن لائق من كل الجهات، الجسمیة والروحیة والعقلیة، إذ جعل فیه ألوان الكفاءات، وأعدّه لتسلق سلّم السموّ، وهو- وإن كان جرماً صغیراً- وضع فیه العالم الأكبر، ومنحه من الكفاءات والطاقات ما جعله لائقاً لوسام: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِی ءَادَمَ» «۱».

وهذا الإنسان بكل ما فیه من امتیازات، یهبط حین ینحرف عن مسیرة اللّه إلی «أسفل سافلین».

لذلك تقول الآیة التالیة: «ثُمَّ رَدَدْنهُ أَسْفَلَ سَافِلِینَ».

ولِم لا یكون كذلك وهو الموجود الملیء بالكفاءات الثرّة التی إن سخرها علی طریق الصلاح یبلغ أسمی قمم الفخر وإن استعملها علی طریق الفساد یخلق أكبر مفسدة، وینزلق طبعاً إلی «أسفل سافلین».

ولكن الآیة التالیة تقول: «إِلَّا الَّذِینَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ».

«ممنون»: من «المن» وتعنی هنا القطع أو النقص، من هنا فالأجر غیر مقطوع ولا منقوص، وقیل: إنّه خال من المنّة، لكن المعنی الأوّل أنسب.

الآیة التالیة تخاطب هذا الإنسان الكافر بأنعم ربّه والمعرض عن دلائل المعاد وتقول له:

«فَمَا یُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدّینِ».

تركیب وجودك من جهة، وبنیان هذا العالم الواسع من جهة اخری یؤكّدان أنّ هذه الحیاة الخاطفة لا یمكن أن تكون الهدف النهائی من خلقتك وخلقة هذا العالم الكبیر.

هذه كلّها مقدمات لعالم أوسع وأكمل، وبالتعبیر القرآنی، هذه «النشأة» الاولی» تنبیء عن «النشأة الاخری» فِلم لا یتذكر الإنسان! «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَی فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» «۲».

---

(۱) سورة الإسراء/ ۷۰.

(۲) راجع أدلة المعاد فی تفسیر سورة الواقعة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۲

واتضح أیضاً أنّ المقصود من «الدین» لیس هو الشریعة بل هو یوم الجزاء، و الآیة التالیة تؤید ذلك: «أَلَیْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِینَ».

فی تفسیر مجمع البیان: قال قتادة: وكان رسول اللّه صلی الله علیه و آله إذا ختم هذه السورة قال: «بلی وأنا علی ذلك من الشاهدین».

«نهایة تفسیر سورة التین»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۳

۹۶. سورة العلق

محتوی السورة: المشهور بین المفسرین أنّها أوّل ما نزل من القرآن، ومحتواها یؤید ذلك أیضاً.

هذه السورة تبدأ بأن تأمر النبی صلی الله علیه و آله بالقراءة، ثم تتحدث عن خلقة الإنسان بكل عظمته من قطعة دم تافهة.

وفی المرحلة التالیة تتحدث السورة عن تكامل الإنسان فی ظل لطف اللّه وكرمه، وعن تعلیمه وتمكینه من القلم.

ثم تتطرق إلی طغیان الإنسان رغم كل ما توفرت له من هبات إلهیة وإكرام ربانی.

وتشير بعد ذلك إلى ما ينتظر اولئك الصادين عن طريق الهداية والمانعين لأعمال الخير من عقاب.

وفى ختام السورة أمر بالسجود والإقتراب من ربّ العالمين.

فضيلة تلاوة السورة: فى تفسير مجمع البيان عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال:

«من قرأ فى يومه أو فى ليلته إقرأ باسم ربّك ثم مات فى يومه أو فى ليلته، مات شهيداً وبعثه اللَّه شهيداً، وأحياه كمن ضرب بسيفه فى سبيل اللَّه مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله».

هذه السورةالمباركة سمّيت سورة «العلق» و «إقرأ» و «القلم» لمناسبة هذه الكلمات فيها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۴

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (۳) الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ یَعْلَمْ (۵)

سبب النّزول

جاء فى الروايات أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله كان فى غار حراء حين نزل عليه جبرائيل وقال له: إقرأ يا محمّد. قال: ما أنا بقارىء، فاحتضنه جبرائيل وضغطه وقال له: إقرأ يا محمّد وتكرر الجواب. ثم أعاد جبرائيل عمله ثانية وسمع نفس الجواب. وفى المرّة الثالثة قال: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ» إلى آخر الآيات الخمس الاولى من السورة.

قال ذلک واختفى عن أنظار النبى صلى الله عليه و آله.

رسول اللَّه أحسّ بتعب شديد بعد هبوط أولى أشعة الوحى عليه فذهب إلى خديجة وقال: «زملونى ودثرونى» «۱».

فى تفسير مجمع البيان: أكثر المفسرين على أنّ هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن وأوّل يوم نزل جبرائيل عليه السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو قائم على حراء، علّمه خمس آيات من أوّل هذه السورة. وقيل: أوّل سورة نزلت على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فاتحة الكتاب.

رواه الحاكم أبوعبداللَّه الحافظ بإسناده عن أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال لخديجة: «إنّى إذا خلوت وحدى سمعت نداء». فقالت: ما يفعل اللَّه بک إلّاخيراً.

فواللَّه إنّک لتؤدّى الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث. قالت خديجة: فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمّ خديجة، فأخبره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بما رأى، فقال له ورقة: إذا أتاک فاثبت له حتى تسمع ما يقول، ثم ائتنى فأخبرنى. فلمّا خلا ناداه يا محمّد! قل له ذلک. فقال له: أبشر ثم أبشر، فأنا أشهد أنّک الذى بشّر به ابن مريم، وأنّک على مثل ناموس موسى، وأنّک نبى مرسل، وإنّک سوف تؤمر بالجهاد بعد يومک هذا، ولئن أدركنى ذلک لُاجاهدنّ معک. فلمّا توفى ورقة قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنّه آمن بى وصدّقنى». يعنى ورقة.

جدير بالذكر أنّ فى بعض كتب التفسير والتاريخ كلاماً حول حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله،

---

(۱) تفسير روح الجنان ۱۲/ ۹۶؛ وهذا المعنى أورده كثير من المفسرين بإضافات وزوائد لا يمكن قبول بعضها.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۵

فى هذه البرهة الزمنية لا تتناسب أبداً مع شخصية النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وتستند حتماً إلى أحاديث مختلقة أو إلى اسرائيليات. ويبدو أنّ أعداء الإسلام دسّوا هذه الروايات للطعن فى الإسلام وللحط من شخصية النبى صلى الله عليه و آله.

التّفسير

الآية الاولى فيها خطاب للنبى صلى الله عليه و آله تقول له: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ».

ويلاحظ هنا قبل كل شىء التركيز على مسألة الربوبية، ونعلم أنّ «الربّ» يعنى «المالک المصلح»، أى الشخص الذى يملک شيئاً،

ویتعهد إصلاحه وتربیته أیضاً.

ولإثبات ربوبیة اللَّه جاء ذکر الخلقة ... خلقة الکون، إذ إنّ أفضل دلیل علی ربوبیته خالقیته، فالذی یُدبّر العالم هو خالقه.

وهذا ردّ علی مشرکی العرب الذین قبلوا خالقیة اللَّه، وأوکلوا الربوبیة والتدبیر إلی الأوثان، ثم إنّ ربوبیة اللَّه وتدبیره لنظام الکون أفضل دلیل علی إثبات ذاته المقدسة.

ثم اختارت الآیة التالیة «الإنسان» باعتباره أهم مظاهر الخلیقة وقالت: «خَلَقَ الْإِنسَنَ مِنْ عَلَقٍ».

«العلق»: فی الأصل الإلتصاق بشیء، والنطفة بعد أن تطوی المراحل الجنینیة الاولی تتحول إلی قطعة دم متلاصقة هی العلق، وهی مع تفاهتها الظاهریة تعتبر مبدأ خلقة الإنسان، والآیة ترکز علی هذه الظاهرة لتبیّن قدرة الرب العظیمة علی خلق هذا الإنسان العجیب من هذه العلقة التافهة.

وقیل: إنّ العلق فی الآیة یعنی الطین الذی خلق منه آدم، وهو أیضاً مادة متلاصقة، وبدیهی أنّ الربّ الذی خلق آدم من طین لازب یستحق کل تمجید وثناء.

وقیل أیضاً: أنّ العلق یعنی «صاحب العلاقة»، وفیه إشارة إلی الروح الإجتماعیة للإنسان، والعلاقة الموجودة بین أفراد البشر هی أساس تکامل البشر وتطور الحضارات.

وقال آخرون: إنّ العلق إشارة إلی نطفة الرجل (الحیمن)، وهی تشبه دودة العلق إلی حدّ کبیر، وهذا الموجود المجهری یسبح فی ماء النطفة، ویتجه إلی بویضة المرأة فی الرحم، ویلقحها ویکون منها النطفة الکاملة للإنسان.

والقرآن الکریم بطرحه هذه المسألة یسجل معجزة علمیة اخری من معاجزه، إذ لم تکن هذه الامور معروفة أبداً فی عصر نزوله.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۶

ومن بین التفاسیر الأربعة، یبدو أنّ التفسیر الأوّل أوضح، وإن کان الجمع بین التفاسیر الأربعة ممکن أیضاً.

وللتأکید، تقول الآیة مرّة اخری: «اقْرَأْ وَرَبُّکَ الْأَکْرَمُ».

وهذه الآیة جواب علی قول الرسول صلی الله علیه و آله لجبرائیل: ما أنا بقاریء، وهذه الآیة تقول:

إنّک قادر علی القراءة بکرم الربّ وفضله ومنّه.

ثم تصف الآیتان التالیتان الربّ الأکرم:

«الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ». «عَلَّمَ الْإِنسَنَ مَا لَمْ یَعْلَمْ».

وهاتان الآیتان أیضاً تتجهان إلی الجواب علی قول رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ما أنا بقاریء، أی إنّ اللَّه الذی علم البشر بالقلم وکشف لهم المجاهیل، قادر علی أن یعلم عبده الأمین القراءة والتلاوة.

جملة «الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» تحتمل معنیین.

الأوّل: أنّ اللَّه علم الإنسان الکتابة، وأعطاه هذه القدرة العظیمة التی هی منبثق تاریخ البشر، ومنطلق جمیع العلوم والفنون والحضارات.

والثانی: المقصود أنّ اللَّه علم الإنسان جمیع العلوم عن طریق القلم وبوسیلة الکتابة.

وهو تعبیر عمیق المعنی فی تلک اللحظات الحساسة من بدایة نزول الوحی

إنّ أساس الإسلام أقیم منذ البدایة علی أساس العلم والقلم ... ولذلک استطاع قوم متخلفون أن یتقدموا فی العلم والمعرفة حتی تأهّلوا- باعتراف الأعداء والأصدقاء- لتصدیر علومهم إلی العالم! إنّ علم المسلمین ومعارفهم هو الذی مزّق ظلام القرون الوسطی فی أوروبا وأدخلها عصر الحضارة. وهذا ما یعترف به علماء أوروبا أنفسهم فیما کتبوه فی حقل تاریخ الحضارة الإسلامیة وفی تراث الإسلام.

وما أبشع وأفظع أن تکون أخلاق امّة کتلک تمتلک بین ظهرانیها دیناً کهذا متخلفة فی میادین العلم والمعرفة ومحتاجة إلی الآخرین

بل وتابعة لهم.

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (۶) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (۷) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (۸) أَ رَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى (۹) عَبْداً إِذَا صَلَّى (۱۰) أَ رَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (۱۱) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (۱۲) أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (۱۳) أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (۱۴)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۷

استتباعاً للآيات السابقة التى تحدثت عن النِعم المادية والمعنوية الإلهية على الإنسان ...

والنِعم التى تستلزم شكر الإنسان وتسليمه أمام اللَّه، هذه الآيات تبدأ بالقول: ليست نِعَم اللَّه تحيى روح الشكر فى الإنسان دائماً، بل إنّه يطغى:

«كَلَّا إِنَّ الْإِنسَنَ لَيَطْغَى . ومتى يكون ذلك؟ فيما لو رأى نفسه مستغنياً وغير محتاج.

«أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى . هذه طبيعة أغلب أفراد البشر ... الأفراد الذين لم يتربوا فى مدرسة العقل والوحى، حين يرون أنفسهم مستغنين غير محتاجين يعمدون إلى الطغيان، وينسلخون من عبودية اللَّه، ويرفضون الإعتراف بأحكامه، ويصمّون أذانهم عن ندائه، ولا يراعون حقّاً ولا عدلًا.

إنّ الهدف من الآية الفات نظر الرسول صلى الله عليه و آله بمنعطفات الطبيعة البشرية كى لا يتوقع قولًا سريعاً من الناس لدعوته، وليعدّ نفسه لإنكار المنكرين ومعارضة الطغاة المستكبرين، وليعلم أنّ الطريق أمامه وعر ملىء بالمصاعب.

ثم يأتى التهديد لهؤلاء الطغاة المستكبرين وتقول الآية التالية: «إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى .

وهو الذى يعاقب الطغاة على ما اقترفوه، وكما أنّ رجوع كل شىء إليه، وميراث السماوات والأرض له سبحانه: «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «۱». فكلّ شىء فى البداية منه، ولا مبرّر للإنسان أن يشعر بالإستغناء ويطغى

ثم تتحدث الآيات التالية عن بعض أعمال الطغاة المغرورين، مثل صدّهم عباد اللَّه عن السير فى طريق الحق.

«أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَى . «عَبْدًا إِذَا صَلَّى .

وفى تفسير مجمع البيان: فقد جاء فى الحديث أنّ أبا جهل قال: هل يعفّر محمّد وجهه بين أظهركم قالوا: نعم. قال: فبالذى يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته. فقيل له: ها هو ذاك يصلّى، فانطلق ليطأ على رقبته، فما فاجأهم إلّاوهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه. فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إنّ بينى وبينه خندقاً من نار، وهولًا، وأجنحة. وقال نبى اللَّه: «والذى نفسى بيده لو دنا منّى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً». فأنزل اللَّه سبحانه:

«أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَى إلى آخر السورة.

---

(۱) سورة آل عمران/ ۱۸۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۸

الآيات التالية تأكيد على نفس المفاهيم.

«أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى . «أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى . أى أرأيت إن كان هذا العبد المصلى على الهدى أو أمر بالتقوى فهل يصح نهيه؟ ألا يستحق من ينهاه النار؟

«أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى . ولو كذّب هذا الطاغية بالحق وتولى وأعرض عنه فماذا سيكون مصيره؟

«أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ويثبت كل شىء ليوم الجزاء والحساب.

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (۱۵) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (۱۶) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (۱۷) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (۱۸) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ (۱۹)

بعد الحديث فى الآيات السابقة عن الطغاة الكافرين الصادين عن سبيل اللَّه، توجّه هذه الآيات أشدّ التهديد لهم وتقول: «كَلَّا» لا يكون

ما يتصور (لأنّه تصور أن يصدّ عن عبادة اللَّه بوضعه قدمه على رقبة النبى).

«كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ». نعم، إذا لم ينته من إثمه وطغيانه سنجرّه بالقوّة من شعر مقدمة رأسه (وهى الناصية)، وثم وصف الناصية هذه بأنّها كاذبة خاطئة وهو وصف لصاحبها: «نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ».

«لنسفعاً»: من السفع، وله معانى متعددة: الجرّ بالشدّة، الصفع على الوجه، تسويد الوجه (الأثافى الثلاثة التى يوضع عليها القدر تسمى «سفع» لأنّها تسوّد بالدخان)، ووضع العلامة للإذلال.

والأنسب المعنى الأوّل، وإن كانت الآية تحتمل معانى اخرى أيضاً.

روى أنّه لما نزلت سورة الرحمن، علّم القرآن ... قال النبى صلى الله عليه و آله لأصحابه: «من يقرؤها منكم على رؤوساء قريش»؟ فتثاقلوا مخافة أذيتهم، فقام ابن مسعود وقال: أنا يا رسول اللَّه.

فأجلسه صلى الله عليه و آله، ثم قال: «من يقرؤها عليهم»؟ فلم يقم إلّاابن مسعود، ثم ثالثاً كذلك إلى أن أذن له، وكان صلى الله عليه و آله يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته، ثم إنّه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة، فافتتح قراءة السورة، فقام أبو جهل فلطمه فشقّ اذنه وأدماه، فانصرف وعيناه تدمع، فلما رآه النبى صلى الله عليه و آله رق قلبه وأطرق رأسه مغموماً، فإذا جبريل عليه السلام

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۴۹۹

يجيء ضاحكاً مستبشراً، فقال: «يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكى»! فقال: ستعلم.

فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى الجهاد، فقال: خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فإنّك تنال ثواب المجاهدين، فأخذ يطالع القتلى، فإذا أبو جهل مصروع يخور ... فصعد على صدره، فلما رآه أبو جهل قال: يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً، فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا ـ يعلى عليه. فقال أبو جهل: بلغ صاحبك أنّه لم يكن أحد أبغض إلى منه فى حياتى، ولا أحد أبغض إلى منه فى حال مماتى.

فروى أنّه صلى الله عليه و آله لمّا سمع ذلك قال: «فرعونى أشدّ من فرعون موسى فإنّه قال آمنت وهو قد زاد عتواً».

ثم قال [أبو جهل لابن مسعود: اقطع رأسى بسيفى هذا، لأنّه أحدّ وأقطع، فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله، فراح يجرّه على ناصيته إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وبذلك تحقق قوله سبحانه:

«لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ» فى هذه الدنيا أيضاً «۱».

«الناصية»: شعر مقدم الرأس، و (السفع بالناصية) يراد به الإذلال والإرغام، لأنّ أخذ الشخص بناصيته يفقده كل حركة ويجبره على الإستسلام.

ولقد وردت بعض الروايات الصحيحة بأنّ السورة- عدا المقطع الأوّل منها- قد نزلت فى أبى جهل إذ مرّ برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو يصلى عند المقام فقال (يا محمّد ألم أنهك عن هذا؟

وتوعده. فاغلظ له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وانتهره ...) ولعلّها هى التى أخذ فيها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بخناقه وقال له: (أولى لك ثم أولى). فقال: يا محمّد بأى شيء تهددنى؟ أما واللَّه إنّى لأكثر هذا الوادى نادياً «۲». وهنا نزلت الآية التالية تقول لأبى جهل: فليدع هذا الجاهل المغرور كل قومه وعشيرته وليستنجد بهم: «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ».

ونحن سندع أيضاً زبانية جهنم: «سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ». ليعلم هذا الجاهل الغافل أنّه عاجز عن فعل أى شيء وإنّه فى قبضة خزنة جهنم كقشة فى مهبّ الريح.

وفى آخر آية من السورة وهى آية السجدة يقول سبحانه: «كَلَّا». أى ليس الأمر كما

---

(۱) التفسير الكبير ۳۲/ ۲۳.

(۲) فى ظلال القرآن ۸/ ۶۲۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۰

يتصور بأنّه قادر على أن يمنع سجودك: «لَاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب». فأبو جهل أقل من أن يستطيع منع سجودك أو الوقوف بوجه دينك، فتوكل على اللَّه وأعبده واسجد له، وبذلك تقترب منه سبحانه على هذا المسير أكثر فأكثر.

ويستفاد ضمنياً من هذه الآية أنّ «السجود» عامل اقتراب من اللَّه، ولذا ورد فى الحديث عن عبداللَّه بن مسعود أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «أقرب ما يكون العبد من اللَّه إذا كان ساجداً».

وفى روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ القرآن يتضمّن أربعة مواضع فيها سجود واجب وهى فى «السجدة» و «فصّلت» و «النجم» وفى هذه السورة «العلق» وبقية المواضع السجدة فيها مستحبة.

«نهاية تفسير سورة العلق»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۱

۹۷. سورة القدر

محتوى السورة وفضيلتها: محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر، وبيان أهمّية هذه الليلة وبركاتها.

فى المجمع: ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها اعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر».

إنّ هذه الفضائل فى التلاوة لا- تعود على من يقرأها دون أن يدرك حقيقتها، بل إنّها نصيب من يقرأها ويفهمها ويعمل بها ... من يقدر القرآن حق قدره ويطبق آياته فى حياته.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ (۱) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (۲) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (۳) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (۴) سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (۵) ليلة القدر ليلة نزول القرآن: يستفاد من آيات الذكر الحكيم أنّ القرآن نزل فى شهر رمضان: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ» «۱». وظاهر الآية يدل على أنّ كل القرآن نزل

---

(۱) سورة البقرة/ ۱۸۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۲

فى هذا الشهر.

والآية الاولى من سورة القدر تقول: «إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ».

عبارة «إِنَّا أَنزَلْنَهُ» فيها إشارة اخرى إلى عظمة هذا الكتاب السماوى، فقد نسب اللَّه نزوله إليه، وبصيغة المتكلم مع الغير أيضاً، وهى صيغة لها مفهوم جمعى وتدل على العظمة.

نزول القرآن فى ليلة «القدر» وهى الليلة التى يقدر فيها مصير البشر وتعين بها مقدراتهم، دليل آخر على الأهمّية المصيرية لهذا الكتاب السماوى «۱».

لو جمعنا بين هذه الآية وآية سورة البقرة لاستنتجنا أنّ «ليلة القدر» هى إحدى ليالى شهر رمضان، ولكنّها أيّة ليلة؟ القرآن لا يبيّن لنا ذلك، ولكن المشهور فى الروايات أنّها فى العشر الأخيرة من شهر رمضان، وفى الليلتين الحادية والعشرين أو الثالثة والعشرين.

وثمّة روايات متعددة عن أهل البيت عليهم السلام تركز على الليلة الثالثة والعشرين.

فى الكافى عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «التقدير فى ليلة تسع عشرة، والإبرام فى ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء فى ليلة ثلاث وعشرين».

فى الآيتين التاليتين يبيّن اللّه تعالى عظمة ليلة القدر ويقول سبحانه:

«وَمَا أَدْرَيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ». «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

والتعبير هذا يوضح أنّ عظمة ليلة القدر كبيرة إلى درجة خفيت على رسول اللّه صلى الله عليه و آله أيضاً قبل نزول هذه الآيات، مع ما له من علم واسع.

وفى الدر المنثور عن مجاهد أنّ النبى صلى الله عليه و آله ذكر رجلًا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل اللّه ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك فأنزل اللّه: «إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» التى لبس فيها ذلك الرجل السلاح فى سبيل اللّه ألف شهر.

لماذا كانت خيراً من ألف شهر؟ ... الظاهر لأهمّية العبادة والإحياء فيها. وما جاء من

---

(۱) هذه المسألة طبعاً لا تتنافى مع حرية إرادة الإنسان ومسألة الإختيار، لأنّ التقدير الإلهى عن طريق الملائكة إنّما يتمّ حسب لياقة الأفراد وميزان إيمانهم وتقواهم وطهر نيّتهم وأعمالهم. أى يقدر كل فرد ما يليق له. وبعبارة اخرى: أرضية التقدير يوفرها الإنسان نفسه، وهذا لا يتنافى مع الإختيار بل يؤكّده.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۳

روايات بشأن فضيلة ليلة القدر وفضيلة العبادة فيها فى كتب الشيعة وأهل السنّة كثير، ويؤيد هذا المعنى. أضف إلى ذلك، فإنّ نزول القرآن فى هذه الليلة، ونزول البركات والرحمة الإلهية فيها يجعلها خيراً من ألف شهر.

ولمزيد من وصف هذه الليلة تقول الآية التالية: «تَنَزَّلُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مّن كُلّ أَمْرٍ».

و «تنزّل» فعل مضارع يدل على الإستمرار (والأصل تتنزل) ممّا يدل على أنّ ليلة القدر لم تكن خاصة بزمن النبى، وبنزول القرآن، بل هى ليلة تتكرر فى كل عام باستمرار.

والمقصود ب «الروح» هو مخلوق عظيم يفوق الملائكة.

وفى الكافى أنّ الإمام الصادق عليه السلام سئل عن الروح وهل هو جبرائيل؟ قال: «الروح هو أعظم من جبرئيل، إنّ جبرئيل من الملائكة، وإنّ الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول تبارك وتعالى: تنزّل الملائكة والروح».

«مّن كُلّ أَمْرٍ». أى: لكل تقدير وتعيين للمصائر، ولكل خير وبركة، فالهدف من نزول الملائكة فى هذه الليلة إذن هو لهذه الامور.

«سَلمٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ».

والآية الأخيرة هذه تصف الليلة بأنّها مفعمة بالخير والسلامة والرحمة حتى الصباح.

القرآن نزل فيها، وعبادتها تعادل عبادة ألف شهر، وفيها تنزل الخيرات والبركات، وبها يحظى العباد برحمة خاصة، كما إنّ الملائكة والروح تتنزل فيها ... فهى إذن ليلة مفعمة بالسلامة من بدايتها حتى مطلع فجرها. والروايات تذكر أنّ الشيطان يكبل بالسلاسل هذه الليلة فهى ليلة سالمة مقرونة بالسلامة.

«نهاية تفسير سورة القدر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۵

۹۸ سورة البينة

محتوی السورة: هذه السورة تناولت رسالة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وما فیها من دلائل بیّنة.

وفی مقطع آخر من السورة بیان عن مواقف أهل الکتاب والمشرکین تجاه الإسلام ...

بعضهم آمن وعمل صالحاً فهو خیر المخلوقات، وبعضهم کفر وأشرک فهو شرّ البریة.

هذه السورة أطلق علیها لمناسبة الفاظها اسماء متعددة أشهرها: «البیّنة» و «لم یکن» و «القیمة».

فضیلة تلاوة السورة: فی المجمع عن أبی الدرداء قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لو یعلم الناس ما فی (لم یکن) لعطلوا الأهل والمال وتعلموها». فقال رجل من خزاعة: ما فیها من الأجر یا رسول اللَّه؟ فقال: «لا یقرأها منافق أبداً ولا عبد فی قلبه شک فی اللَّه عزّ وجل. واللَّه إنّ الملائکة المقربین لیقرؤونها منذ خلق اللَّه السماوات والأرض لا یفترون عن قراءتها، وما من عبد یقرؤها بلیل إلّابعث اللَّه ملائکة یحفظونه فی دینه ودنیاه ویدعون له بالمغفرة والرحمة، فإن قرأها نهاراً اعطی علیها من الثواب مثل ما أضاء علیه النهار وأظلم علیه اللیل».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۶

لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ وَ الْمُشْرِکِینَ مُنْفَکِّینَ حَتَّی تَأْتِیَهُمُ الْبَیِّنَةُ (۱) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ یَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً (۲) فِیهَا کُتُبٌ قَیِّمَةٌ (۳) وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیِّنَةُ (۴) وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ حُنَفَاءَ وَ یُقِیمُوا الصَّلَاةَ وَ یُؤْتُوا الزَّکَاةَ وَ ذلِکَ دِینُ الْقَیِّمَةِ (۵) فی بدایة السورة ذکر لأهل الکتاب (الیهود والنصاری) ومشرکی العرب قبل ظهور الإسلام، فهؤلاء کانوا یدّعون أنّهم غیر منفکین عن دینهم إلّابدلیل واضح قاطع.

«لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ وَالْمُشْرِکِینَ مُنفَکّینَ حَتَّی تَأْتِیَهُمُ الْبَیّنَةُ».

و «البیّنة»: التی أرادوها: رسول من اللَّه یتلو علیهم کتاباً مطهّراً من ربّ العالمین:

«رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ یَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً».

وهذه الصحف فیها من الکتابة ما هو صحیح وثابت وذو قیمة: «فِیهَا کُتُبٌ قَیّمَةٌ».

کان هذا ادّعاؤهم قبل ظهور الإسلام، وحینما ظهر ونزلت آیاته تغیّر هؤلاء، واختلفوا وتفرقوا، وما تفرقوا إلّابعد أن جاءهم الدلیل الواضح والنبی الصادح بالحق.

«وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیّنَةُ».

وهذا المعنی یشبه ما جاء فی الآیة (۸۹) من سورة البقرة: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ کِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ وَکَانُوا مِن قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَی الْکَافِرِینَ».

نعلم أنّ أهل الکتاب کانوا ینتظرون مثل هذا الظهور، ولابدّ أن یکون مشرکو العرب مشارکین لأهل الکتاب فی هذا الإنتظار لما کانوا یرون فیهم من علم ومعرفة، ولکن حین تحققت آمالهم غیّروا مسیرهم والتحقوا باعداء الدعوة.

«البیّنة»: فی الآیة هی الدلیل الواضح، ومصداقها حسب الآیة الثانیة شخص «رسول اللَّه» وهو یتلو علیهم القرآن.

«صحف»: جمع «صحیفة»، وتعنی ما یکتب علیه من الورق، والمقصود بها هنا محتوی هذه الأوراق، إذ نعلم أنّ الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله لم یکن یتلو شیئاً علیهم من الأوراق.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۷

و «مطهّرة»: أی طاهرة من کل ألوان الشرک والباطل، ومن تلاعب شیاطین الجن والإنس، کما جاء فی الآیة (۴۲) من سورة فصّلت: «لَّایَأْتِیهِ الْبَاطِلُ مِن بَیْنِ یَدَیْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ».

ثم یتوالی التقریع لأهل الکتاب، ومن بعدهم للمشرکین، لأنّهم اختلفوا فی الدین الجدید، منهم مؤمن ومنهم کافر، بینما: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدّینَ حُنَفَاءَ وَیُقِیمُوا الصَّلَوةَ وَیُؤْتُوا الزَّکَوةَ».

ثم تضيف الآية القول: «وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ».

والمقصود هو: إنّ دين الإسلام ليس فيه سوى التوحيد الخالص والصلاة والزكاة وأمثالها من التعاليم. وهذه امور معروفة فلماذا يعرضون عنها.

المقصود ب «الدين» هو مجموع الدين والشريعة، أى إنّهم امروا أن يعبدوا اللَّه وأن يخلصوا له الدين والتشريع فى جميع المجالات.

جملة «وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» إشارة إلى أنّ الاصول المذكورة فى الآية وهى: التوحيد الخالص، والصلاة (الإرتباط باللَّه) والزكاة (الإرتباط بالنّاس) من الاصول الثابتة الخالدة فى جميع الأديان، بل إنّها قائمة فى أعماق فطرة الإنسان، ذلك لأنّ مصير الإنسان يرتبط بالتوحيد، وفطرته تدعوه إلى معرفة المنعم وشكره، ثم إنّ الروح الإجتماعية المدنية للإنسان تدعوه إلى مساعدة المحرومين.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (۶) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (۷) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ (۸) خير البريّة وشرّها: الآيات السابقة تحدثت عن انتظار أهل الكتاب والمشركين لبيّنة تأتيهم من اللَّه، لكنّهم تفرقوا من بعدما جاءتهم البيّنة.

هذه الآيات تذكر مجموعتين من الناس مختلفتين فى موقفهما من الدعوة «كافرة» و «مؤمنة» تذكر الكافرين أوّلًا بالقول: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۸

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ».

وعبارة «أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» عبارة قارعة مثيرة، تعنى أنّه لا يوجد بين الأحياء وغير الأحياء موجود أضل واسوأ من الذين تركوا الطريق المستقيم بعد وضوح الحق وإتمام الحجّة، وساروا فى طريق الضلال.

تقديم ذكر «أهل الكتاب» على «المشركين» فى هذه الآية أيضاً، قد يعود إلى ما عندهم من كتاب سماوى وعلماء ومن صفات صريحة لنبىّ الإسلام صلى الله عليه و آله فى كتبهم، لذلك كانت معارضتهم أفظع وأسوأ.

الآية التالية تذكر المجموعة الثانية، وهم المؤمنون وتقول: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ».

والآية التى بعدها تذكر جزاء هؤلاء المؤمنين، وما لهم عند اللَّه من مثوبة: «جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ».

عبارة «أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» تبيّن بجلاء أنّ الإنسان المؤمن ذا الأعمال الصالحة أفضل من الملائكة، فعبارة الآية مطلقة وليس فيها استثناء والآيات الاخرى تشهد على ذلك أيضاً، مثل آية سجود الملائكة لآدم، ومثل قوله سبحانه: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءَادَمَ» «۱».

إنّهم راضون عن اللَّه لأنّ اللَّه أعطاهم ما أرادوه، واللَّه راض عنهم لأنّهم أدّوا ما أراده منهم، وإن كانت هناك زلة فقد غفرها بلطفه وكرمه، وأيّة لذة أعظم من أن يشعر الإنسان أنّه نال رضا المحبوب ووصاله ولقاءه.

نعم، نعيم جسد الإنسان جنات الخلد، ونعيم روحه رضا اللَّه ولقاؤه، لأنّ هذه الخشية دافع للحركة صوب كل طاعة وتقوى وعمل صالح.

بحث

على عليه السلام وشيعته خير البريّة: ثمّة روايات كثيرة بطرق أهل السنّة فى مصادرهم الحديثية المعروفة، وهكذا فى المصادر الشيعية، فسّرت الآية: «أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» بأنّهم على بن أبى طالب عليه السلام وشيعته.

---

(۱) سورة الإسراء/ ۷۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۰۹

فى الدر المنثور عن ابن عباس قال: لما نزلت «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين».

وأخرج ابن مردويه عن على عليه السلام قال: «قال لى رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ألم تسمع قول اللّه «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» أنت وشيعتك وموعدى وموعدكم الحوض، إذا جئت الامم للحساب تدعون غرّاً محجلين».

هذا الحديث من الأحاديث المعروفة المشهورة المقبولة لدى أكثر علماء الإسلام، وفيه بيان لفضيلة كبرى من فضائل على عليه السلام وأتباعه.

وهذه الروايات تدل ضمناً أنّ كلمة «الشيعة» باعتبارها اسماً لأتباع على عليه السلام كانت قد شاعت منذ عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله بين المسلمين على لسان الرسول نفسه. واولئك الذين يخالون أنّ الكلمة هذه ظهرت فى عصور متأخرة فى خطأ كبير.

«نهاية تفسير سورة البيّنة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۱

۹۹. سورة الزلزلة

محتوى السورة: هذه السورة تدور مفاهيمها حول ثلاثة محاور: تتحدث أوّلًا: عن علامات البعث ويوم القيامة؛ و ثانياً: عن شهادة الأرض على جميع أعمال العباد؛ و ثالثاً: تقسم الناس إلى مجموعتين صالحة وطالحة، وتبيّن أنّ كل مجموعة ترى ثمار عملها.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها فكأنّما قرأ البقرة واعطى من الأجر كمن قرأ ربع القرآن».

وفى الكافى عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «لا تملوا من قراءة إذا زلزلت الأرض زلزالها فإنّه من كانت قراءته بها فى نوافله لم يصبه اللّه عزّ وجل بزلزلة أبداً، ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا حتى يموت».

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (۱) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (۲) وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (۳) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (۴) بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحَى لَهَا (۵) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (۶) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (۷) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (۸)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۲

هذه السورة تبدأ ببيان صور من الأحداث الهائلة المفزعة التى ترافق نهاية هذا العالم وبدء البعث والنشور. تقول: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا». «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا».

عبارة «زلزالها» تعنى أنّ الأرض بأجمعها تهتز فى ذلك اليوم (خلافاً للزلازل العادية الموضعية عادة) أو أنّها إشارة إلى الزلزلة المعهودة، أى زلزلة يوم القيامة.

و «الأثقال»- جمع ثقل، بمعنى الحمل- ذكر لها المفسرون معانى متعددة. قيل: إنّها البشر الذين يخرجون من أجداثهم على أثر الزلزال؛ كما جاء فى الآية (۴) من سورة الإنشقاق:

«وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ».

وقيل إنّها الكنوز المخبوءة التى ترتمى إلى الخارج، وتبعث الحسرة فى قلوب عبّاد الدنيا.

ويحتمل أيضاً أن يكون المقصود إخراج المواد الثقيلة الذائبة فى باطن الأرض، وهو ما يحدث أثناء البراكين والزلازل، فإنّ الأرض فى نهاية عمرها تدفع ما فى أعماقها إلى الخارج على أثر ذلك الزلزال العظيم.

ويمكن الجمع بين هذه التفاسير.

فی ذلک الجو الملیء بالرهبة والفزع، تصیب الإنسان دهشة ما بعدها دهشة فیقول فی ذعر: ما لهذه الأرض تتزلزل وتلقی ما فی باطنها؟ «وَقَالَ الْإِنسنُ مَا لَهَا».

إنّ الإنسان هنا له معنی عام یشمل کل أفراد البشر. فالدهشة من وضع الأرض فی ذلک الیوم لا یختص بالکافرین.

هذا السؤال التعجبی یرتبط بالنفخة الاولی، حیث تحدث الزلزلة الکبری وینتهی فیها هذا العالم.

وفی هذه الحالة یکون المقصود من أثقال الأرض معادنها وکنوزها والمواد المذابة فیها.

وأهم من ذلک أنّ الأرض: «یَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أَخْبَارَهَا».

تحدّث بالصالح والطالح، وبأعمال الخیر والشر، مما وقع علی ظهرها، وهذه الأرض واحد من أهم الشهود علی أعمال الإنسان فی ذلک الیوم، وهی إذن رقیبة علی ما نفعله علیها.

وفی المجمع: جاء فی الحدیث أنّ النبی صلی الله علیه و آله قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد علی کل عبد وأمة بما عمل علی ظهرها، تقول: عمل کذا وکذا، یوم کذا، وکذا وهذا أخبارها».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۳

«بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحَی لَهَا».

فما فعلته الأرض إنّما کان بوحی ربّها، وهی لا تتوانی فی تنفیذ أمر الرب.

وعبارة «أوحی» إنّما هی لبیان أنّ حدیث الأرض خلاف طبیعتها، ولا یتیسر ذلک سوی عن طریق الوحی الإلهی.

«یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّیُرَوْا أَعْمَالَهُمْ».

«أشتات»: جمع «شتّ» وهو المتفرق والمبعثر، أی أنّ الناس یردون ساحة المحشر متفرقین مبعثرین، وقد یکون التفرق والتبعثر لورود أهل کل دین منفصلین عن الآخرین.

أو قد یکون لورود أهل کل نقطة من نقاط الأرض بشکل منفصل.

أو قد یکون لورود جماعة بأشکال جمیلة مستبشرة، وجماعة بوجوه عبوسة مکفهرة إلی المحشر.

أو أنّ کل امّة ترد مع إمامها وقائدها؛ کما فی الآیة (۷۱) من سورة الإسراء: «یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ».

أو أن یحشر المؤمنون مع المؤمنین والکافرون مع الکافرین.

الجمع بین هذه التفاسیر ممکن تماماً لأنّ مفهوم الآیة واسع.

«یصدر»: من الصدور، وهو خروج الإبل من برکة الماء مجتمعة هائجة، وعکسه الورود.

وهی هنا کنایة عن خروج الأقوام من القبور وورودهم علی المحشر للحساب.

المقصود من عبارة «لِّیُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» هو: «تجسم الأعمال» ورؤیة الأعمال نفسها.

وهذه الآیة أوضح الآیات الدالة علی تجسم الأعمال، حیث تتخذ الأعمال فی ذلک الیوم أشکالًا تتناسب مع طبیعتها وتنتصب أمام صاحبها، وتکون رفقتها سروراً وانشراحاً أو عذاباً وبلاءً.

ثم ینتقل الحدیث إلی جزاء أعمال المجموعتین المؤمنة والکافرة، الصالحة والطالحة.

«فَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ». «وَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ».

ظاهر الآیة یدل أیضاً علی مسألة «تجسم الأعمال» ومشاهدة العمل نفسه، صالحاً أم طالحاً، یوم القیامة، حتی إذا عمل ما وزنه ذرّة من الذرّات یره مجسماً یوم القیامة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۴

«مثقال»: فی اللغة بمعنی الثقل، وبمعنی المیزان الذی یقاس به الثقل؛ والمعنی الأوّل هوالمقصود فی الآیة.

و «الذرّة»: ذكروا لها معانى متعددة من ذلك، فهو هنا أصغر وزن.

الآيتان المذكورتان وآيات اخرى مشابهة تدلّ دلالة واضحة على الدقّة المتناهية فى تحرّى الأعمال وفى المحاسبة يوم القيامة، كقوله سبحانه: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّموَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» «۱».

هذه التعابير القرآنية تدلّ على أنّ أصغر الأعمال يحاسب عليها فى تلك المحاسبة الكبرى، وهذه الآيات تحذر أيضاً من استصغار الذنوب الصغيرة، أو التهاون فى أعمال الخير والصغيرة. فما يحاسب عليه اللَّه سبحانه- مهما كان- ليس بقليل الأهمية.

وحقّاً، لو تدبر الإنسان فى محتوى هذه الآية تكفيه دافعاً إلى طريق الخير وناهياً عن طريق الفساد والإنحراف.

«نهاية تفسير سورة الزلزلة»

---

(۱) سورة لقمان/ ۱۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۵

۱۰۰. سورة العاديات

محتوى السورة وفضيلتها: هذه السورة تبدأ بالقسم بامور محفّزة محركة، ثم تتناول بعض مظاهر الضعف البشرى كالكفر والبخل وحب الدّنيا، ثم تشير السورة إلى مسألة المعاد وإحاطة اللَّه بعباده.

فى المجمع ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة، وشهد جمعاً».

وعن الإمام الصادق صلى الله عليه و آله قال: «من قرأ والعاديات وأدمن قراءتها بعثه اللَّه مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة خاصة، وكان فى حجره ورفقائه».

إنّ هذه الفضائل إنمّا هى نصيب من جعل السورة منهاجاً لحياته وآمن بكلّ محتواها وعمل بها.

وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (۱) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (۲) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (۳) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (۴) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (۵) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (۶) وَ إِنَّهُ عَلَى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (۷) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (۸) أَ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (۹) وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (۱۰) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (۱۱)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۶

سبب النّزول

فى المجمع: قيل: نزلت السورة لما بعث النبى صلى الله عليه و آله عليّاً إلى ذات السلاسل فأوقع بهم. وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو المروى عن أبى عبداللَّه عليه السلام فى حديث طويل قال: وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنّه أسر منهم، وقتل وسبى وشدّ أسراهم فى الحبال مكتفين كأنّهم فى السلاسل. ولما نزلت السورة خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى الناس، فصلى بهم الغداة وقرأ «والعاديات» فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه سورة لم نعرفها؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «نعم إن عليّاً ظفر بأعداء اللَّه وبشّرنى بذلك جبرائيل عليه السلام فى هذه الليلة». فقدم على عليه السلام بعد أيّام بالغنائم والأسارى.

التّفسير

قَسماً بالمجاهدين الواعين: قلنا إنّ هذه السورة تبدأ بالقَسم بأمور محفّزة متبهة، تقسم أوّلًا بالخيول الجارية المندفعة (إلى ميدان

الجهاد) وهى تحمحم وتتنفس بشدّة: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا».

ويمكن أن يكون القَسم هذا بإبل الحجاج المتجهة من عرفات إلى المشعر الحرام، ومن المشعر الحرام إلى منى وهى تتنفس بشدّة.

وهذا التّفسير أنسب من عدّة جهات، وورد فى روايات المعصومين عليهم السلام أيضاً.

«العاديات»: جمع عادية، من «العدو» وهو المغادرة والإبتعاد بالقلب. فتكون «العداوة» أو بالحركة الخارجية فيكون (العدو) وهو الركض، أو بالمعاملات فيسمى (العدوان).

و «العاديات» فى الآية هى الجاريات بسرعة.

«الضبح»: صوت الخيل وهى تتنفس بشدّة عند الجرى.

ثم يأتى القَسم التالى بهذه العاديات التى تورى النيران بحوافرها:

«فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا».

وهى خيل المجاهدين التى تجرى بسرعة فائقة فى ميدان القتال، بحيث تنقدح النار من تحت أرجلها جرّاء احتكاك حوافرها بصخور الأرض.

أو هى الإبل التى تجرى بين مواقف الحج، فتتطاير الحصى والحجارة من تحت أرجلها وترتطم بحصى وحجارة اخرى فتنقدح النيران.

«الموريات»: جمع «مورية» والإيراء يعنى أضرام النار.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۷

«القدح»: ضرب الحجارة أو الخشب أو الحديد بما يشبهه لتوليد النار.

والقسم الثالث بالتى تغير صباحاً على الأعداء: «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا».

«المغيرات»: جمع «مغيرة» والإغارة: الهجوم على العدو، وقيل إنّ الكلمة تتضمّن معنى الهجوم بالخيل.

ثم تشير الآية التالية إلى سرعة هذه العاديات فى هجومها، وذلك بإثارتها الغبار فى كل جانب: «فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا».

أو أنّ الغبار يثور من كل صوب نتيجة هجوم إبل الحجاج من المشعر الحرام على منى.

«أثرن»: من الإثارة، وهى نشر الغبار والدخان فى الجو.

وفى آخر خصائص هذه «المغيرات» تذكر الآية أنّها ظهرت بين الإعداء فى الفجر:

«فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا».

هجومها كان مباغتاً خاطفاً بحيث استطاعت خلال لحظات أن تشق صفوف العدّو وتشن حملتها فى قلبه، وتُشتت جمعه. وهذا نتيجة ما تتحلّى به من سرعة ويقظة وإستعداد وشهامة وشجاعة.

أو إنّها إشارة إلى ورود الحجاج من المشعر إلى قلب منى.

من هنا يتّضح أنّ الجهاد له منزلة عظيمة حتى أنّ أنفاس خيل المجاهدين استحقت أن يقسم بها ... وهكذا الشرر المتطاير من حوافر هذه الخيول ... والغبار الذى تثيره فى الجو ...

نعم حتى غبار ساحة الجهاد له قيمة وعظمة.

ثم يأتى جواب القسم، ويقول سبحانه: «إِنَّ الْإِنسَنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ».

نعم، الإنسان البعيد عن التربية الصحيحة ... والذى لم تشرق فى قلبه أنوار المعارف الإلهية وتعاليم الأنبياء ... الإنسان الخاضع لأهوائه وشهواته الجامحة هو حتماً كفور بالنعمة وبخيل ... إنّه لكنود.

و «كنود»: اسم للأرض التى لا تنبت، وتطلق على الإنسان الكفور والبخيل أيضاً.

كلمة (الإنسان) فى مثل هذه الاستعمالات القرآنية تعنى الأفراد المتطبعين على الشر والشهوات الجامحة والطغيان.

«وَإِنَّهُ عَلَى ذلِكَ لَشَهِيدٌ». فهو بصير بنفسه، وإن استطاع أن يخفى سريرته فلا يستطيع أن يخفيها عن اللَّه وعن ضميره، اعترف بهذه الحقيقة أم لم يعترف.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۸

«وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ». أى أنّه شديد الحبّ للمال والمتاع.

إطلاق «الخير» على المال فى الآية يعود إلى أنّ المال فى حد ذاته شيء حسن، ويستطيع أن يكون وسيلة لأنواع الخيرات، لكن الإنسان الكنود يصرفه عن هدفه الأصلى، وينفقه فى طريق ذاتياته وأهوائه.

وفى استفهام استنكارى يقول سبحانه: «أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ». «وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ». وانكشف ما فى نفسه من كفر وايمان، ورياء واخلاص وغرور وتواضع وسائر نيات الخير والشر.

«إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ». نعم، فهو عليم بأعمالهم ونياتهم وسيجازيهم وفقها.

«بعثر»: من «البعثرة» وهى البعث والإثارة والإخراج وبعثرة ما فى القبور، بعث الموتى واخراجهم من القبور.

«حُصّل»: من التحصيل، وهو فى الأصل يعنى إخراج اللب من القشر، وكذلك تصفية المعادن، واستخراج الذهب وأمثاله من الخامات. ثم استعملت لمطلق الإستخراج والفصل.

والكلمة فى الآية تعنى فصل الخير عن الشر فى القلوب ... الإيمان عن الكفر، أو الصفات الحسنة عن الصفات السيئة ... أو النوايا الحسنة عن الخبيثة ... تُفصل فى ذلك اليوم وتظهر، وينال كل فرد حسب ذلك جزاؤه.

والتعبير بكلمة «يومئذ» يعنى أنّ اللَّه (فى ذلك اليوم) خبير بأعمال العباد وسرائرهم.

ونعلم أنّ اللَّه سبحانه عليم دائماً بذات الصدور. فالتعبير «يومئذ» هو لأنّ ذلك اليوم يوم الجزاء، واللَّه يجازيهم على أعمالهم وعقائدهم.

نعم، اللَّه سبحانه عليم وخبير بأسرارنا وما تنطوى عليه نفوسنا كاملًا، لكن أثر هذا العلم سيكون أظهر وأوضح عند الجزاء، وهذا التحذير لو دخل دائرة إيمان البشر لكان سداً منيعاً بينهم وبين الذنوب.

«نهاية تفسير سورة العاديات»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۱۹

۱۰۱. سورة القارعة

محتوى السورة وفضيلتها: تتناول هذه السورة بشكل عام، المعاد، ومقدماته، حيث تُصنّف الناس يوم القيامة، إلى صنفين أو جماعتين: الجماعة التى تكون أعمالها ثقيلة فى ميزان العدل الإلهى، فتحظى جزاءً بذلك، حياة راضية سعيدة فى جوار الرحمة الإلهية، وجماعة أعمالها خفيفة الوزن، فتعيش فى نار جهنم الحارّة المحرقة.

وقد اشتقّ اسم هذه السورة، أى (القارعة) من الآية الاولى فيها.

فى المجمع عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «من قرأ القارعة أمنه اللَّه من فتنة الدجال أن يؤمن به، ومن قيح جهنم يوم القيامة».

الْقَارِعَةُ (۱) مَا الْقَارِعَةُ (۲) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (۳) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (۴) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۵) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (۶) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (۷) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (۸) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (۹) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (۱۰) نَارٌ حَامِيَةٌ (۱۱)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۰

الحادثة القارعة: هذه الآيات تصف القيامة وتقول: «الْقَارِعَةُ* مَا الْقَارِعَةُ».

«القارعـة»: من القرع، وهو طرق الشـيء بالشـيء مع إحـداث صوت شديـد، وسـمّيت كل حادثـة هامّة صـعبة بالقارعة. (تاء التأنيث قد تكون إشارة للتأكيد).

الآيـة الثالثة تخاطب حتى النبى صـلى الله عليه و آله وتقول له: «وَمَا أَدْرَيكَ مَا الْقَارِعَةُ». وهذا يدل على أنّ عظمة هذه الحادثة القارعة إلى درجة لا تخطر على فكر أحد.

أكثر المفسرين ذكروا أنّ «القارعة» أحد أسماء القيامة، ولكن لم يوضّحوا هل أنّه اسم لمقدمات القيامة إذ تقرع هذه الدنيا.

أو إنّه اسم للمرحلـة التاليـة .. أى مرحلـة احياء الموتى، وظهور عالم جديـد، وتسـميتها «القارعة»- فى هذه الحالة- لما تبعثه من خوف وذعر فى القلوب ..

ولكن الإحتمال الأوّل أنسب، وإن ذكرت الحادثتان كلاهما فى هذه الآيات متتابعتين.

وفى وصف ذلك اليوم العجيب يقول سبحانه: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ».

والتشبيه بالفراش قد يكون لأنّ هذه الحشـرات تلقى بنفسـها بشـكل جنونى فى النار، وهذا ما يفعله أهل السيئات إذ يلقون بأنفسهم فى جهنم.

ثم تذكر الآية التالية وصفاً آخر لذلك اليوم وتقول: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ».

و «العهن»: هو الصوف المصبوغ.

و «المنفوش»: هو المنشور ويتمّ ذلك عادة بآلة الحلج الخاصة.

سبق أن ذكرنا أنّ القرآن الكريم فى مواضع متعـددة يتحدث عن الجبال عند قيام القيامة بأنّها تتحرك أوّلًا، ثم تُدَكّ وتتلاشـى وأخيراً تصبـح بشـكل غبار متطاير فى السماء. وهذه الحالة الأخيرة تشبهها الآية بالصوف الملون المحلوج ... الصوف المتطاير فى مهبّ الريح، لم يبق منه إلّاألوان ... وهذه آخر مراحل انهدام الجبال.

ثم تتطرق الآيات التالية إلى الحشر والنشر وإحياء الموتى وتقسيمهم إلى مجموعتين:

«فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ». أى إنّ ميزان عمله ثقيـل. «فَهُوَ فِى عِيشَـةٍ رَّاضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ* وَمَا أَدْرَيكَ مَاهِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ» «۱».

«موازين»: جمع ميزان، وهو وسيلة للوزن، تستعمل فى وزن الأجسام، ثم استعملت فى المعايير المعنوية.

---

(۱) «ماهيه»: أصلها «ما هى»، والهاء الحقت بها للسكت.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۱

وليس من الضـرورى أن يكون الميزان هو الآلة المعروفة ذات الكفتين، بل هو كل وسيلة لتقويم الوزن، كما ورد فى‌الحديث: «إنّ أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام هم الموازين» «۱».

وفى احتجاج الطبرسى عن الصادق عليه السلام حين سئل عن معنى الميزان قال: «العدل».

وبهـذا نفهـم أنّ أوليـاء اللّه وقـوانين العـدل الإلـهى هى مـوازين يعرض عليهـا النـاس وأعمـالهم ويتمّ قيـاس الـوزن على مقـدار الشبه والمطابقة.

واضح أنّ المقصود بثقل الموازين وخفتها هو ثقل الأشياء التى توزن بها وخفة تلك الأشياء.

كلمـة «ام» فى قوله: «فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ» تعنى المأوى والملجأ، لأنّ «الام» هى مأوى ابنائها وملاذهم، ويكون معنى الآيـة: إنّ هؤلاء المـذنبين الذين خفت موازينهم لا ملاذ لهم سوى جهنم، وويل لمن كان ملجؤه جهنم.

«نهاية تفسير سورة القارعة»

(۱) تصحیح اعتقادات الإمامیۀ، الشیخ المفید/ ۱۱۵.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۳

۱۰۲. سورة التكاثر

محتوى السورة: هـذه السورة تتناول فى مجموعها تفاخر الأفراد على بعضـهم اسـتناداً إلى مسائل موهومـة، وتـذم ذلک وتلوم علیه، ثم تحذرهم من حساب المعاد وعذاب جهنم وممّا سیسألون یوم ذاک عن النعم التی منّ اللّه بها علیهم.

وقد اشتقّ اسم هذه السورة، أی (التّكاثر) من الآیة الاولى فیها.

فضـیلة تلاوة السورة: فی المجمع ابی بن کعب عن رسول اللّه صـلی الله علیه و آله قال: «ومن قرأها لم یحاسبه اللّه بالنعیم الـذی أنعم علیه فی دار الدنیا، واعطی من الأجر کأنّما قرأ ألف آیة».

إنّ کل هذا الثواب إنّما هو لمن یقرأها ولمن یطبقها فی برنامج حیاته ویتفاعل معها روحیاً ونفسیاً.

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (۱) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (۲) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۴) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (۵) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (۶) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (۷) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (۸)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۴

سبب النّزول

المفسرون یعتقـدون أنّ السورة نزلت فی قبائـل کانت تتفاخر على بعضـها بکثرة الأموال والأنفس حتى أنّها کانت تـذهب إلى المقابر وتعدّ موتاها لترفع احصائیة أفراد القبیلة.

سبب النزول- مهما کان- فهو لا یحد قطعاً معنى الآیة.

التّفسیر

بلاء التكاثر والتفاخر: الآیات الاولى توجّه اللوم إلى المتكاثرین المتفاخرین وتقول:

«أَلْهكُمُ التَّكاثُرُ». فی الأنفس والأموال.

حتى إنّکم ذهبتم إلى المقابر لتستکثروا أفراد قبیلتکم: «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ».

«ألهاکم»: من «اللهو» وهو الإنشغال بالأعمال الصغیرة والإنصراف عن المهام الکبیرة؛ و «التكاثر»: یعنی التفاخر والمباهاة.

«زرتم»: من الزیارة و «زَور» (على وزن قول) فی الأصل بمعنى أعلى الصـدر، ثم اسـتعمل للقاء والمواجهة؛ «المقابر»: جمع مقبرة، وهی مکـان دفن المیت. وزیـارة المقـابر إمّا أن تکون کنایـة عن الموت، أو بمعنى الـذهاب إلى المقابر وإحصاء الموتى بهـدف التكاثر فی الأنفس والتفاخر بالعدد (حسب التفسیر المشهور).

والمعنى الثانی أصـح، وأحـد شواهـده کلام لأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السـلام- فی الخطبة (۲۲۱) نهـج البلاغة- قاله بعد تلاوته: «أَلْهكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» «یا له مراماً أبعده! وزوراً ما أغفله! وخطراً ما أفظعه! لقد استخلوا منهم أیّ مدّکر وتناوشوهم من مکان بعید! أفبمصارع آبائهم یفخرون! أم بعدید الهلکى یتکاثرون! یرتجعون منهم أجساداً خوت، وحرکات سـکنت. ولأن یکونوا عبراً أحق من أن یکونوا مفتخراً».

الآیات التالیة فیها تهدید شدید لهؤلاء المتكاثرین، تقول: «کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ».

فلیس الأمر کما ترون، وبه تتفاخرون، بل سوف تعلمون عاجلًا نتیجة هذا التكاثر الموهوم.

لمزید من التأکید یقول سبحانه: «ثُمَّ کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ».

وفى المجمع عن أمير المؤمنين على عليه السلام قال: «ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ألهاكم التّكاثر، إلى قوله: كلّا سوف تعلمون، يريد فى القبر، ثم كلّا سوف تعلمون، بعد البعث».

«كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ». كلّا ليس الأمر كما تظنون أيّها المتفاخرون المتكاثرون.

فلو أنّكم تعلمون الآخرة علم اليقين، لما اتجهتم إلى التفاخر والمباهاة بهذه المسائل الباطلة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۵

ولمزيد من التأكيد والإنذار تقول لهم الآيات التالية:

«لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ». «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

فى ذلك اليوم عليكم أن توضحوا كيف انفقتم تلك النعم الإلهية؛ وهل استخدمتموها فى طاعة اللّه أم فى معصيته، أم أنّكم ضيعتم النعمة ولم تؤدّوا حقّها.

إنّ النعيم له معنى واسع جدّاً يشمل كل المواهب الإلهية المعنوية منها مثل: الدين والإيمان والإسلام والقرآن والولاية، وأنواع النعم المادية الفردية منها والاجتماعية. بيد أنّ النعم التى لها أهمية أكبر مثل: نعمة «الإيمان والولاية» يُسأل عنها أكثر، هل أدّى الإنسان حقّها أم لا؟

بحثان

۱- منبع التفاخر والتكاثر: من آيات السورة يتبيّن أنّ أحد العوامل الأساسية للتفاخر والتكاثر والمباهات، هو الجهل بجزاء الآخرة وعدم الإيمان بالمعاد.

كما أنّ جهل الإنسان بضعفه ومسكنته ... ببدايته ونهايته ... من العوامل الاخرى الباعثة على الكبر والغرور والتفاخر.

ثم عامل آخر لهذه الظاهرة هو الإحساس بالضعف وعقدة الحقارة الناتجة عن الفشل.

والأفراد الفاشلون من أجل أن يغطوا على فشلهم يلجأون إلى الفخر والمباهات، ولذلك فى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما من رجل تكبر أو تجبّر إلّالذلة وجدها فى نفسه».

۲- اليقين ومراحله: «اليقين» يقابل «الشك». ويستفاد من الروايات أنّ اليقين هو أعلى مراحل الإيمان، وهى ثلاثة:

أ) علم اليقين: وهو الذى يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كأن يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أن هناك ناراً.

ب) عين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة كأن يرى بعينه مثلًا النار.

ج) حق اليقين: وهو كأن يدخل الإنسان النار بنفسه ويحسّ بحرقتها، ويتصف بصفاتها.

وهذه أعلى مراحل اليقين؛ وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين، العلم بالمعلوم والعلم بأنّ خلاف ذلك العلم محال.

«نهاية تفسير سورة التّكاثر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۷

۱۰۳. سورة العصر

محتوى السورة: شمولية هذه السورة تبلغ درجة حدت ببعض المفسرين إلى أن يرى فيها خلاصة كل مفاهيم القرآن وأهدافه.

تبدأ السورة من قسم عميق المحتوى بالعصر. ثم تتحدث عن خسران كل أبناء البشر خسراناً قائماً فى طبيعة حياتهم التدريجية، ثم تستثنى مجموعة واحدة من هذا الأصل العام، وهى التى لها منهج ذو أربع مواد:

الإيمان، والعمل الصالح، والتواصى بالحق، والتواصى بالصبر، وهذه الاصول الأربعة هى فى الواقع المنهج العقائدى والعملى الفردى والإجتماعى للإسلام.

فضیلة تلاوة السورة: فی المجمع عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «من قرأ والعصر فی نوافله بعثه اللَّه یوم القیامة مشرقاً وجهه، ضاحکاً سنّه، قریرة عینه، حتی یدخل الجنة».

إنّ هذه الفضائل وهذه البشری نصیب من طبّق الاصول الأربعة المذکورة فی حیاته، لا أن یقنع فقط بقراءتها.

وَ الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِی خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۸

فی بدایة هذه السورة نواجه قَسماً قرآنیا جدیداً. یقول سبحانه: «وَالْعَصْرِ».

«العصر»: فی الأصل الضغط، وإنّما اطلق علی وقت معین من النهار لأنّ الأعمال فیه مضغوطة. ثم اطلقت الکلمة علی مطلق الزمان ومراحل تاریخ البشریة، أو مقطع زمانی معین، کأن نقول عصر صدر الإسلام.

قیل: إنّه کل الزمان وتاریخ البشریة المملوء بدروس العبرة، والأحداث الجسیمة. وهو لذلک عظیم یستحق القسم الإلهی.

بعضهم قال: إنّه مقطع خاص من الزمان مثل عصر البعثة النبویة المبارکة، أو عصر قیام المهدی المنتظر علیه السلام، وهی مقاطع زمنیة ذات خصائص متمیزة وعظمة فائقة فی تاریخ البشر.

والقسم فی الآیة إنّما هو بتلک الأزمنة الخاصة.

ولکن الأنسب فیها هو القسم بالزمان وتاریخ البشریة، لأنّ القسم القرآنی- کما ذکرنا مراراً- یتناسب مع الموضوع الذی أقسم اللَّه من أجله ومن المؤکّد أنّ خسران الإنسان فی الحیاة ناتج عن تصرّم عمره، أو أنّه عصر بعثة الرسول صلی الله علیه و آله، لأنّ المنهج ذا المواد الأربع فی ذیل هذه السورة نزل فی هذا العصر.

الآیة التالیة تحمل الموضوع الذی جاء القَسم من أجله. یقول سبحانه: «إِنَّ الْإِنسنَ لَفِی خُسْرٍ».

الإنسان یخسر ثروته الوجودیة شاء أم أبی. تمرّ الساعات والأیّام والأشهر والأعوام من عمر الإنسان بسرعة، تضعف قواه المادیة والمعنویة، تتناقص قدرته باستمرار.

القلب له قدرة معینة علی الضربان، وحین تنفد هذه القدرة یتوقف القلب تلقائیاً دون علّة من عیب أو مرض، هذا إذا لم یکن توقف الضربان نتیجة مرض، وهکذا سائر الأجهزة الوجودیة للإنسان، وثروات قدراته المختلفة.

إنّ الدنیا فی المنظور الإسلامی سوق تجارة، کما یقول الإمام علی بن محمّد الهادی علیه السلام:

«الدنیا سوق، ربح فیها قوم وخسر آخرون» «۱».

الآیة الکریمة التی نحن بصددها تقول: کل الناس فی هذه السوق الکبری خاسرون إلّا مجموعة تسیر علی المنهج الذی تبیّنه الآیة التالیة.

---

(۱) تحف العقول/ ۴۸۳.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۲۹

نعم، هناک طریق واحد لا غیر لتفادی هذا الخسران العظیم القهری الإجباری، وهو الذی تبیّنه آخر آیات هذه السورة.

«إِلَّا الَّذِینَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ».

بحث

منهج السعادة ذو المواد الأربع: من المهم أن نقف ولو قلیلًا عند المنهج الذی وضعه القرآن الکریم للنجاة من ذلک الخسران ... إنّه منهج یتکون من أربعة اصول هی:

الأصل الأوّل: «الإیمان» وهو البناء التحتی لکل نشاطات الإنسان، لأنّ فعالیات الإنسان العملیة تنطلق من اسس فکره واعتقاده، لا

كالحيوانات المدفوعة فى حركاتها بدافع غريزى.

بعبارة اخرى: أعمال الإنسان بلورة لعقائده وأفكاره، ومن هنا فإنّ جميع الأنبياء بدأوا قبل كل شىء باصلاح الاسس الإعتقادية لُلامم والشعوب، وحاربوا الشرك بشكل خاص باعتباره أساس أنواع الرذائل والشقاوة والتمزق الإجتماعى.

الأصل الثانى: «العمل الصالح» وهو ثمرة دوحة الإيمان. تقول الآية: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» لا العبادات فحسب، ولا الإنفاق فى سبيل اللَّه وحده، ولا الجهاد فى سبيل اللَّه فقط، ولا الإكتفاء بطلب العلم ... بل كل الصالحات التى من شأنها أن تدفع إلى تكامل النفوس وتربية الأخلاق والقرب من اللَّه، وتقدم المجتمع الإنسانى.

ولما كان الإيمان والعمل الصالح لا يكتب لهما البقاء إلّافى ظل حركة اجتماعية تستهدف الدعوة إلى الحق ومعرفته من جهة، والدعوة إلى الصبر والإستقامة على طريق النهوض باعباء الرسالة، فإنّ هذين الأصلين تبعهما أصلان آخران هما فى الحقيقة ضمان لتنفيذ أصلَى «الإيمان» و «العمل الصالح».

الأصل الثالث: «التواصى بالحق» أى الدعوة العامة إلى الحق، ليميز كل أفراد المجتمع الحق من الباطل، ويضعوه نصب أعينهم، ولا ينحرفون عنه فى مسيرتهم الحياتية.

الأصل الرابع: «التواصى بالصبر» والاستقامة، إذ بعد الإيمان والحركة فى المسيرة الإيمانية تبرز فى الطريق العوائق والموانع والسرور. وبدون الاستقامة والصبر لا يمكن المواصلة فى إحقاق الحق والعمل الصالح والثبات على الإيمان.

نعم، إحقاق الحق فى المجتمع لا يمكن من دون حركة عامة وعزم اجتماعى، ومن دون

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۰

الإستقامة والوقوف بوجه ألوان التحديات.

«الصبر» هنا يحمل مفهوماً واسعاً يشمل الصبر على الطاعة، والصبر على دوافع المعصية، والصبر إزاء المصائب والحوادث المرّة، وفقدان الإمكانات والثروة والثمرات.

والمسلمون اليوم إذا طبقوا هذه الاصول الأربعة فى حياتهم الفردية والاجتماعية لتغلبوا على كل ما يعانون منه من مشاكل وتدهور وتخلف، ولبدلوا ضعفهم وهزيمتهم انتصاراً، ولاقتلعوا شرّ الأشرار من على ظهر الأرض.

«نهاية تفسير سورة العصر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۱

۱۰۴. سورة الهمزة

محتوى السورة: هذه السورة تتحدث عن اناس كرسوا كل همهم لجمع المال، وحصروا كل قيم الإنسان الوجودية فى هذا الجمع. ثم هم يسخرون من الذين لا يملكون المال وبهم يستهزئون.

السورة تتحدث فى النهاية عن المصير المؤلم الذى ينتظر هؤلاء، وكيف أنّهم يلقون فى جهنم صاغرين، وأنّ نار جهنم تتجه بلظاها أوّلًا إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بالنار، بنار مستمرة.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها اعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمّد وأصحابه».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ ويل لكل همزة فى فريضة من فرائضه، نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء».

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (۱) الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ (۲) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (۳) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ (۴) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ

(۵) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (۶) الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَةِ (۷) إِنَّهَا عَلَیْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (۸) فِی عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (۹)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۲

سبب النّزول

فی المجمع: قیل: إنّ الآیات نزلت فی الولید بن المغیرة، وکان یغتاب النبی صلی الله علیه و آله من ورائه صلی الله علیه و آله ویطعن علیه فی وجهه.

وقیل: نزلت فی الأخنس بن شریق الثقفی، وکان یلمز الناس ویغتابهم.

ولکن، إن قبلنا أسباب النزول هذه فلا ینفی ذلک شمولیة مفاهیم الآیات، بل إنّها تستوعب کل الذین یحملون هذه الصفات.

التّفسیر

الویل للهمّازین واللمّازین: تبدأ هذه السورة بتهدید قارع وتقول: «وَیْلٌ لِّکُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» ... لکل من یستهزیء بالآخرین، ویعیبهم، ویغتابهم، ویطعن بهم، بلسانه وحرکاته وبیده، وعینه وحاجبه.

«الهمزة» و «اللمزة»: صیغتا مبالغة. من مجموع آراء اللغویین فی الکلمتین یستفاد أنّهما بمعنی واحد، ولهما مفهوم واسع یشمل کل ألوان إلصاق العیوب بالناس وغیبتهم والطعن والإستهزاء بهم، باللسان والإشارة والنمیمة والذم.

أساساً، الإسلام ینظر إلی شخصیة الإنسان وکرامته باحترام بالغ، ویعدّ أیّ عمل یؤدی إلی إهانة الآخرین ذنباً کبیراً. وفی أمالی الصدوق عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «أذل الناس من أهان الناس».

وفی عوالی اللئالی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «رأیت لیلة الإسراء قوماً یقطع اللحم من جنوبهم ثم یلقمونه، ویقال: کلوا ما کنتم تأکلون من لحم أخیکم. فقلت: یا جبرئیل من هؤلاء؟

فقال: هؤلاء الهمازون من امّتک اللمازون».

ثم تذکر الآیة التالیة منبع ظاهرة اللمز والهمز فی الأفراد، وتری أنّها تنشأ غالباً من کبر وغرور ناشئین بدورهما من تراکم الثروة لدی هؤلاء الأفراد، وتقول: «الَّذِی جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ» بطریق مشروع أو غیر مشروع.

فهو انشدّ بالمال انشداداً جعله منشغلًا دائماً بعدّ المال والإلتذاذ ببریق الدرهم والدینار.

تحول الدرهم والدینار عنده إلی وثن ویری فیه شخصیته وینظر من خلاله أیضاً إلی شخصیة الآخرین، ومن الطبیعی أن یکون تعامل مثل هذا الإنسان الضال الأبله بالسخریة والإستهزاء مع المؤمنین الفقراء.

«عدده»: من (عدّ) بمعنی حَسَب. هذه الآیة تقصد الذین یدّخرون الأموال ولا ینظرون

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۳

إلیها باعتبارها وسیلة بل هدفاً، ولا یحدّهم قید أو شرط فی جمعها، حتی ولو کان من طریق الحرام والإعتداء علی حقوق الآخرین وارتکاب کل دنیئة ورذیلة، ویعتبرون ذلک دلیلًا علی عظمتهم وشخصیتهم.

هؤلاء لا یریدون المال لسد حاجاتهم الحیاتیة، ولذلک یزداد حرصهم علی جمع المال کلّما کثرت أموالهم، وإلّا فإنّ المال فی الحدود المعقولة ومن الطرق المشروعة لیس بمذموم، بل إنّ القرآن الکریم عبّر عنه فی موضع بأنّه «فضل اللّه»؛ حیث یقول تعالی فی الآیة (۱۰) من سورة الجمعة: «وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ».

وفی موضع آخر یسمیه خیراً، کقوله سبحانه فی الآیة (۱۸۰) من سورة البقرة: «کُتِبَ عَلَیْکُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَکَ خَیْرًا الْوَصِیَّةُ».

مثل هذا المال لیس بالتأکید مبعث طغیان، ولا وسیلة تفاخر، ولا دافع سخریة بالآخرین، لکن المال الذی یصبح معبوداً وهدفاً نهائیاً، ویدعو أصحابه من أمثال «قارون» إلی الطغیان، هو العار والذلة والمأساة ومبعث البعد عن اللّه والخلود فی النار.

ومثل هذا المال لا یمکن جمعه وعدّه إلّابالسقوط فی أوحال الحرام. فی الخصال عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام قال: «لا یجتمع المال إلّابخصال خمس: ببخل شدید، وأمل طویل، وحرص غالب، وقطیعة الرحم، وایثار الدنیا علی الآخرة».

فی الآیة التالیة یقول سبحانه: «یَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ».

ما أتفه هذا التفکیر! قارون بکل ما کان یملکه من کنوز لا تستطیع العصبة أولو القوّة أن تحمل مفاتحها، لم یستطع أن یستخدم أمواله لتأخیر مصیره الأسود ساعة واحدة:

«فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ» «۱».

الأموال التی کان یمتلکها الفراعنة: «مِن جَنَّاتٍ وَعُیُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ کَرِیمٍ وَنَعْمَةٍ کَانُوا فِیهَا فَاکِهِینَ» «۲»، تحولت فی ساعة إلی غیرهم: «کَذلِکَ وَأَورثَنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِینَ» «۳».

لذلک فإنّ هؤلاء اللاهین بأموالهم، حین تزول من أمام أعینهم الحجب والأستار یوم القیامة یرفعون عقیرتهم بالقول: «مَا أَغْنَی عَنّی مَالِیَهْ هَلَکَ عَنّی سُلْطَانِیَهْ» «۴».

من هنا یتبیّن أنّ الظن بقدرة المال علی الإخلاد، هو الذی یدفع إلی جمع المال، وجمع المال

---

(۱) سورة القصص / ۸۱.

(۲) سورة الدخان/ ۲۵- ۲۷.

(۳) سورة الدخان/ ۲۸.

(۴) سورة الحاقّة/ ۲۸ و ۲۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۴

مختصر الامثل ج۵ ۵۷۵

أیضاً عامل علی الإستهزاء والسخریة بالآخرین عند هؤلاء الغافلین.

القرآن الکریم یردّ علی هؤلاء ویقول: «کَلَّا لَیُنبَذَنَّ فِی الْحُطَمَةِ». کلّا، لیس الأمر کما یتصور، فسرعان ما یقذف باحتقار وذلّة فی نار محطّمة «وَمَا أَدْرَیکَ مَا الْحُطَمَةُ* نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفِدَةِ».

«لینبذنّ»: من نبذ، أی رمی الشیء لتفاهة قیمته.

أی إنّ اللَّه سبحانه یرمی هؤلاء المغرورین المتعالین یوم القیامة فی نار جهنم کموجودات تافهة لا قیمة لها، لیروا نتیجة کبرهم وغرورهم.

«الحطمة»: صیغة مبالغة من «حطّم» أی هشّم. وهذا یعنی أنّ نار جهنم تهشّم أعضاء هؤلاء.

عبارة «نار اللَّه» دلیل علی عظمة هذه النار؛ و «الموقدة» تعنی استعارها المستمر.

والعجیب أنّ هذه النار لیست مثل نار الدنیا التی تحرق الجلد أوّلًا ثم تنفذ إلی الداخل، بل هی تبعث بلهبها أوّلًا إلی القلب، وتحرق الداخل وتبدأ أوّلًا بالقلب ثم بما یحیطه، ثم تنفذ إلی الخارج.

لماذا لا تکون کذلک، وقلوب هؤلاء الطاغین مرکز للکفر والکبر والغرور، وبؤرة حبّ الدنیا والثروة والمال؟!

إنّهم فی هذه الدنیا احرقوا قلوب المؤمنین بسخریتهم وهمزهم ولمزهم؟! العدالة الإلهیة تقتضی أن یری هؤلاء جزاء یشبه أعمالهم.

الآیات الأخیرة من السورة تقول: «إِنَّهَا عَلَیْهِم مُّؤْصَدَةٌ* فِی عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ».

و «مؤصدة»: من الإیصاد، بمعنی الأحکام فی غلق الباب.

هؤلاء یقبعون فی غرف تعذیب مغلقة الأبواب لا طریق للخلاص منها، کما کانوا یجمعون أموالهم فی الخزانات المغلقة الموصدة.

جمع من المفسرين قال: إنّها الأوتاد الحديدية العظيمة التى تغلق بها أبواب جهنم حتى لم يعد هناك طريق للخروج منها أبداً، وهى بذلك تأكيد على الآية السابقة التى تقول: «إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ».

«نهاية تفسير سورة الهمزة»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۵

۱۰۵. سورة الفيل

محتوى السورة: هذه السورة- كما يظهر من اسمها- تشير إلى الحادثة التاريخية التى اقترنت بولادة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وفيها نجّى اللّه سبحانه الكعبة من شرّ جيش كافر كبير تجهّز من اليمن ممتطياً الفيل.

التذكير بهذه القصة فيه تحذير للكفار المغرورين المعاندين، كى يفهموا ضعفهم تجاه قدرة اللّه تعالى الذى أباد جيشاً عظيماً بطير أبابيل تحمل حجارة من سجّيل، وهو سبحانه إذن قادر على أن يعاقب هؤلاء المستكبرين المعاندين.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع: أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ فى الفريضة «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدر بأنّه كان من المصلين، وينادى يوم القيامة مناد: صدقتم على عبدى، قبلت شهادتكم له، أو عليه. أدخلوا عبدى الجنة، ولا تحاسبوه فإنّه ممن احبّه واحبّ عمله».

إنّ هذه الفضائل وهذا الثواب لمن كانت قراءته باعثاً على انكسار روح الغرور فى نفسه، وعلى السير فى طريق رضا اللّه سبحانه.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۶

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (۱) أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (۲) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (۳) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (۴) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (۵) قصة أصحاب الفيل: ذكر المفسرون والمؤرخون: إنّ «ذو نواس» ملك اليمن اضطهد نصارى نجران قرب اليمن كى يتخلوا عن دينهم (ذكر القرآن قصة هذا الإضطهاد فى موضوع أصحاب الأخدود فى سورة البروج).

بعد هذه الجريمة نجا من بين النصارى رجل اسمه (دوس) وتوجه إلى قيصر الروم الذى كان على دين المسيح، وشرح له ما جرى.

ولما كانت المسافة بين الروم واليمن بعيدة، كتب القيصر إلى النجاشى (حاكم الحبشة) لينتقم من (ذو نواس) لنصارى نجران، وارسل الكتاب بيد القاصد نفسه.

جهّز النجاشى جيشاً عظيماً يبلغ سبعين ألف محارب بقيادة (أرياط) ووجهه إلى اليمن، وكان (أبرهة) أيضاً من قواد ذلك الجيش.

اندحر (ذو نواس) وأصبح (أرياط) حاكماً على اليمن، وبعد مدّة ثار عليه أبرهة وأزاله من الحكم وجلس فى مكانه.

بلغ ذلك النجاشى، فقرر أن يقمع (أبرهة). لكن أبرهة أعلن استسلامه الكامل للنجاشى وولاءه له. حين رأى النجاشى منه ذلك عفا عنه وأبقاه فى مكانه.

و (أبرهة) من أجل أن يثبت ولاءه، بنى كنيسة ضخمة جميلة غاية الجمال، لا يوجد على ظهر الأرض مثلها آنذاك، وقرر أن يدعو أهل الجزيرة العربية لأن يحجّوا إليها بدل (الكعبة)، وينقل مكانة الكعبة إلى أرض اليمن.

أرسل أبرهة الوفود والدعاة إلى قبائل العرب فى أرض الحجاز، يدعونهم إلى حج كنيسة اليمن.

تذكر بعض الروايات أنّ مجموعة من العرب جاؤوا خفية وأضرموا النار فى الكنيسة، وقيل إنّهم لوثوها بالقاذورات، ليعبروا عن اعتراضهم على فعل أبرهة ويهينوا معبده.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۷

غضب أبرهة وقرر أن يهدم الكعبة هدماً كاملًا، للإنتقام ولتوجيه أنظار العرب إلى المعبد الجديد، فجهّز جيشاً عظيماً كان بعض أفراده يمتطى الفيل، واتجه نحو مكة.

عند اقترابه من مكة بعث من ينهب أموال أهل مكة، وكان بين النهب مائتا بعير لعبد المطلب.

بعث (أبرهة) قاصداً إلى مكة. جاء رسول أبرهة إلى مكة وبحث عن شريفها فدلوه على عبد المطلب، فحدثه بحديث أبرهة، فقال عبد المطلب، نحن لا طاقة لنا بحربكم، وللبيت ربّ يحميه.

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه [فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال: حاجتى أن يرد على الملك مئتى بعير أصابها لى فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمنى فيه؟!

قال له عبد المطلب: إنّى أنا ربّ الإبل، وإنّ للبيت ربّ سيمنعه ... فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له.

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز فى شعف الجبال، والشعاب، تخوفاً عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون اللَّه ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هُمّ إنّ العبد يمنع رحله فامنع حلالكلا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

قال ابن اسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب [الخثعمى حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ باذنه فقال: أبرك محمود، أو ارجع راشداً

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۸

من حيث جئت، فإنّك فى بلد اللَّه الحرام، ثم أرسل اذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل، وضربوا الفيل ليقوم، فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين [ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم فى مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكة فبرك، فأرسل اللَّه عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلّاهلك.

وقيل: إنّ الحجر كان يسقط على الرجل منهم فيخترقه ويخرج من الجانب الآخر.

(أبرهة) اصيب بحجر، وجُرح، فاعيد إلى صنعاء عاصمة ملكه، وهناك فارق الحياة.

وقيل: إنّ مرض الحصبة والجدرى شوهد لأوّل مرّة فى أرض العرب فى تلك السنة.

وفى هذا العام ولد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حسب الرواية المشهورة، وقيل إنّ بين الحادثتين إرتباطاً.

إنّ أهمية هذه الحادثة الكبرى بلغت درجة تسمية ذلك العام بعام الفيل، وأصبح مبدأ تاريخ العرب «۱».

التّفسير

كيد أبرهة: يخاطب اللَّه رسوله صلى الله عليه و آله فى الآية الاولى من السورة ويقول له: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ». «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ». لقد استهدفوا الكعبة ليهدموها وليقيموا بدلها كعبة اليمن، وليدعوا قبائل العرب إلى حج هذا المعبد

الجدید، لکنّه سبحانه حال دون تحقق هدفهم، بل زاد الکعبة شهرة وعظمة بعد أن ذاع نبأ أصحاب الفیل فی جزیرة العرب، وأصبحت قلوب المشتاقین تهوی إلیها أکثر من ذی قبل، وأسبَغ علی هذه الدیار مزیداً من الأمن.

کیدهم إذن صار فی تضلیل، أی فی ضلال حیث لم یصلوا إلی هدفهم.

ثم تشرح الآیات التالیة بعض جوانب الواقعة: «وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ».

---

(۱) سیرة النبی صلی الله علیه و آله لابن هشام الحمیری ۱/ ۲۸؛ وبحار الأنوار ۱۵/ ۷۰ و ۱۳۰؛ ومجمع البیان ۱۰/ ۴۴۲.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۳۹

عبارة «طیراً أبابیل» تعنی طیراً علی شکل مجموعات، والمشهور أنّ هذه الطیر کانت تشبه الخطاطیف قدمت من صوب البحر الأحمر فی اتجاه أصحاب الفیل.

«تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ» «۱».

«فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ».

و «العصف»: هو النبات الجاف المتهشّم، أی هو (التبن) بعبارة اخری.

وتعبیر «مأکول» إشارة إلی أنّ هذا التبن قد سحق مرّة اخری بأسنان الحیوان، ثم هشّم ثالثة فی معدته، وهذا یعنی أنّ أصحاب الفیل، قد تلاشوا بشکل کامل عند سقوط الحجارة علیهم.

وفی هذا السورة تحذیر وإنذار لکل الطغاة والمستکبرین فی العالم، لیعلموا مدی ضعفهم أمام قدرة اللَّه سبحانه.

«نهایة تفسیر سورة الفیل»

---

(۱) «سجّیل»: کلمة فارسیة مأخوذة من دمج کلمتین هما «سنگ» و «گل»؛ وتعنی الطین المتحجّر.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۱

۱۰۶. سورة قریش

محتوی السورة: هذه السورة مکملة لسورة الفیل، وآیاتها تدل علی ذلک. تتضمّن هذه السورة بیان نعمة اللَّه علی قریش ولطفه لهم ومحبّته له، کی یحرک فیهم دافع الشکر ویحثهم علی عبادة ربّ هذا البیت العظیم الذی یستمدون منه کل مفاخرهم وشرفهم.

وکما إنّ سورة «الضّحی» وسورة «الشرح» تعتبران سورة واحدة کذلک سورة «الفیل» وسورة «قریش» هما سورة واحدة، وإرتباط موضوعهما یدل علی ذلک أیضاً.

ولذلک وجب قراءتهما معاً فی الصلاة لمن یری وجوب قراءة سورة کاملة بعد الحمد.

فضیلة تلاوة السورة: فی المجمع ابی بن کعب عن النبی صلی الله علیه و آله قال: «من قرأها اعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالکعبة واعتکف بها».

هذه الفضیلة دون شک لمن عبد ربّ البیت حق عبادته، وصان حرمة البیت کما یجب، وتشرّبت نفسه برسالة هذا المرکز التوحیدی.

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (۱) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ (۲) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ (۳) الَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (۴)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۲

فی سورة الفیل جاء ذکر إبادة أصحاب الفیل الذین جاؤوا لهدم الکعبة وهذه السورة التی تعتبر امتداداً للسورة السابقة تقول: نحن جعلنا أصحاب الفیل کعصف مأکول:

«لِإِيلفِ قُرَيْشٍ». أى لكى تأتلف قريش فى هذه الأرض المقدسة وتتهيأ بذلك مقدمات ظهور نبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

«إيلاف»: مصدر آلف، و «آلفه» أى جعله يألف، أى جعله يجتمع اجتماعاً مقروناً بالانسجام والانس والإلتيام.

والمقصود إيجاد الالفة بين قريش وهذه الأرض المقدسة وهى مكة والبيت العتيق، لأنّهم وكل أهل مكة إختاروا السكن فى هذه الأرض لمكانتها وأمنها. كثير من أهل الحجاز كانوا يحجّون البيت كل سنة، ويقترن حجّهم بنشاط أدبى واقتصادى فى هذا البلد الأمين.

كل ذلك كان يحدث فى ظل الجو الآمن، ولو أنّ هذا الأمن قد انعدم أو أنّ الكعبة قد انهدمت بفعل هجوم أبرهة وأمثاله لما كان لأحد الفة بهذه الأرض.

«إِيلفِهِمْ رِحْلَةَ الشّتَاءِ وَالصَّيْفِ».

مكة تقع فى وادٍ غير ذى زرع، والرعى فيها قليل، لذلك كانت عائدات أهل مكة غالباً من قوافل التجارة، فى فصل الشتاء يتجهون إلى أرض اليمن فى الجنوب حيث الهواء معتدل، وفى فصل الصيف إلى أرض الشام فى الشمال حيث الجوّ لطيف. والشام واليمن كانا من مراكز التجارة آنئذ، ومكة والمدينة حلقتا اتصال بينهما.

هذه هى رحلة الشتاء ... ورحلة الصيف.

والمقصود ب «إيلافهم» فى الآية أعلاه قد يكون جعلهم يألفون الأرض المقدسة خلال رحلاتهم وينشدّون إليها لما فيها من أمن، كى لا تغريهم أرض اليمن والشام، فيسكنون فيها ويهجرون مكة.

وقد يكون المقصود إيجاد الالفة بينهم وبين سائر القبائل طوال مدّة الرحلتين، لأنّ الناس بدأوا ينظرون إلى قوافل قريش باحترام ويعيرونها أهمية خاصة بعد قصة اندحار جيش أبرهة.

قريش لم تكن طبعاً مستحقة لكل هذا اللطف الإلهى لما كانت تقترفه من آثام، لكن اللّه لطف بهم لما كان مقدّراً للإسلام والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله أن يظهرا من هذه القبيلة وتلك الأرض المقدسة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۳

الآية الاخيرة تقول: إنّ هذه النعم الإلهية التى أغدقت على قريش ببركة الكعبة يجب أن تدفعهم إلى عبادة ربّ البيت لا الأوثان. «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ». «الَّذِى أَطْعَمَهُم مّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مّنْ خَوْفٍ» ... الذى جعل تجارتهم رائجة مريحة ومربحة، ودفع عنهم الخوف والضرر، كل ذلك باندحار جيش أبرهة، وبفضل دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام مؤسس الكعبة. لكنّهم لم يقدّروا هذه النعمة، فبدلوا البيت المقدس ببيت للأوثان، وذاقوا فى النهاية وبال أمرهم.

«نهاية تفسير سورة قريش»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۵

۱۰۷. سورة الماعون

محتوى السورة: هذه السورة بشكل عام تذكر صفات وأعمال منكرى القيامة فى خمس مراحل، فهؤلاء نتيجة لتكذيبهم بذلك اليوم، لا ينفقون فى سبيل اللّه وعلى طريق مساعدة اليتامى والمساكين، ثم هم يتساهلون فى الصلاة، ويعرضون عن مساعدة المحتاجين.

وفى المجمع: قيل: نزلت فى أبى سفيان بن حرب كان ينحر فى كل أسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع عن الباقر عليه السلام قال: «من قرأ «أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذّبُ بِالدّينِ» فى فرائضه ونوافله قبل اللّه صلاته وصيامه، ولم يحاسبه بما كان منه فى الحياة الدنيا».

أ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (۱) فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (۲) وَ لَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (۳) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (۴) الَّذِينَ هُمْ عَنْ

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (۵) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (۶) وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (۷)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۶

إنكار المعاد وآثاره المشؤومة: هذه السورة المباركة تبدأ بسؤال موجّه للنّبى صلى الله عليه و آله عن الآثار المشؤومة لإنكار المعاد وتقول: «أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذّبُ بِالدّينِ».

وتجيب عن السؤال: «فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ».

«الدين» هنا «الجزاء» أو يوم الجزاء، وإنكار يوم الجزاء له عواقبه الوخيمة وانعكاسات على أعمال الإنسان، وفى هذه السورة ذكرت خمسة آثار لهذا الإنكار منها: «طرد اليتيم، وعدم الحثّ على إطعام المسكين»، أى إنّ الشخص المنكر للمعاد لا يطعم المساكين، ولا يدعو الآخرين إلى إطعامهم.

«يدع»: أى يدفع دفعاً شديداً، ويطرد بخشونة.

و «يحضّ»: أى يحرض ويرغب الآخرين على شيء.

ويتواصل وصف هؤلاء المكذبين بالدين فتقول الآيات التالية: «فَوَيْلٌ لّلْمُصَلّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ».

لا يقيمون للصلاة وزناً، ولا يهتمون بأوقاتها، ولا يراعون أركانها وشروطها وآدابها.

الصفة الرابعة والخامسة للمكذبين بالدين تذكرها الآيتان الأخيرتان: «الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ».

المجتمع الذى يتعود على الرياء لا يبتعد عن اللَّه وعن الأخلاق الحسنة والملكات الفاضلة فحسب، بل تصبح كل برامجه الإجتماعية فارغة خالية المحتوى، لا تتعدى مجموعة من المظاهر، وإنّها لمأساة أن يكون مصير الفرد ومصير المجتمع بهذا الشكل.

من المؤكّد أنّ أحد عوامل التظاهر والرياء عدم الإيمان بيوم القيامة، وعدم الرغبة بالثواب الإلهى. وإلّا كيف يمكن للإنسان أن يترك مثوبة اللَّه ويتجه إلى الناس ليتزلف إليهم.

«الماعون»: من «المَعن» وهو الشيء القليل. وكثير من المفسرين قالوا: إنّ المقصود من «الماعون» الأشياء البسيطة التى يستعيرها أو يقتنيها الناس وخاصة الجيران من بعضهم، مثل حفنة الملح، والماء، والنار (الثقاب)، والأوانى وأمثالها.

واضح أنّ الذى يبخل فى إعطاء مثل هذه الأشياء إلى غيره إنسان دنيء عديم الإيمان.

أى إنّه بخيل إلى درجة الإباء عن إعطاء مثل هذه الأشياء.

فى أمالى الصدوق عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «من منع الماعون جاره منعه اللَّه خيره يوم القيامة، ووكّله إلى نفسه، ومن وكّله إلى نفسه فما أسوأ حاله».

«نهاية تفسير سورةالماعون»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۷

۱۰۸. سورة الكوثر

سبب نزول السورة: فى المجمع قيل: نزلت السورة فى العاص بن وائل السهمى، وذلك أنّه رآى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يخرج من المسجد، فالتقيا عند باب بنى سهم، وتحدثا، واناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد. فلما دخل العاص قالوا: من الذى كنت تتحدث معه؟

قال: ذلك الأبتر. وكان قد توفى قبل ذلك عبد اللَّه بن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو من خديجة. وكانوا يسمون من ليس له إبن، أبتر. فسمّته قريش عند موت إبنه أبتر وصنبوراً.

[فنزلت السورة تبشر النبى بالنعم الوافرة والكوثر وتصف عدوّه بالأبتر].

ولمزید من التوضیح نذکر أنّ النبی صلی الله علیه و آله کان له ولدان من ام المؤمنین خدیجهٔ علیها السلام أحدهما «القاسم» والآخر «الطاهر» ویسمی أیضاً عبد اللَّه. وتوفی کلاهما فی مکهٔ، وأصبح النبی صلی الله علیه و آله من دون ولد. هذه المسألهٔ وفرت للأعداء فرصهٔ الطعن بالنبی فسمّوه الأبتر «۱».

والعرب حسب تقالیدها کانت تعیر أهمّیهٔ بالغهٔ للولد، وتعتبره امتداداً لمهام الأب. بعد وفاهٔ عبد اللَّه خال الأعداء أنّ الرسالهٔ سوف تنتهی بوفاهٔ الرسول صلی الله علیه و آله.

---

(۱) کان للرسول صلی الله علیه و آله إبن آخر من «ماریهٔ القبطیهٔ» إسمه إبراهیم، ولد فی الثامنهٔ للهجرهٔ بالمدینهٔ، ولکنّه توفی أیضاً قبل بلوغ الثانیهٔ من عمره، وحزن علیه الرسول کثیراً.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۸

السورهٔ نزلت لتردّ علی هؤلاء الأعداء بشکل إعجازی ولتقول لهم: إنّ عدوّ الرسول هو الأبتر، وأنّ الرسالهٔ سوف تستمر وتتواصل وهذه البشری بددت من جههٔ آمال الأعداء وطیبت خاطر النبی صلی الله علیه و آله بعد أن اغتم من لمز الأعداء وتآمرهم.

فضیلهٔ تلاوهٔ السورهٔ: فی المجمع ابی بن کعب عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «من قرأها سقاه اللَّه من أنهار الجنهٔ، واعطی من الأجر بعدد کل قربان قربه العباد فی یوم عید، ویقربون من أهل الکتاب والمشرکین».

اسم هذه السورهٔ (الکوثر) مأخوذهٔ من أوّل آیهٔ فیها.

إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ (۱) فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ (۲) إِنَّ شَانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ (۳) أعطیناک الخیر العمیم: الحدیث فی کل هذه السورهٔ موجّه إلی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله (مثل سورهٔ الضّحی، وسورهٔ الشرح)، وأحد أهداف هذه السور تسلیهٔ قلب النبی إزاء رکام الأحداث المؤلمهٔ وطعون الأعداء. تقول له أوّلًا: «إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ».

و «الکوثر»: من الکثرهٔ، وبمعنی الخیر الکثیر، ویسمی الفرد السخی کوثراً. وفی معنی الکوثر: فی المجمع: قال ابن عباس: لما نزلت «إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ» صعد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله المنبر، فقرأها علی الناس، فلما نزل قالوا: یا رسول اللَّه! ما هذا الذی أعطاک اللَّه؟ قال: «نهر فی الجنهٔ، أشدّ بیاضاً من اللبن، وأشدّ استقامهٔ من القدح، حافتاه قباب الدرّ والیاقوت».

وقیل: هو النبوّهٔ والکتاب، وقیل: هو القرآن. وقیل: هو کثرهٔ الأصحاب والأشیاع.

وقیل: هو کثرهٔ النسل والذرّیهٔ، وقد ظهرت الکثرهٔ فی نسله من ولد فاطمهٔ علیها السلام، حتی لا یحصی عددهم، واتصل إلی یوم القیامهٔ مددهم. وقیل هو الشفاعهٔ. رووه عن الصادق علیه السلام.

ولکن هذه التفاسیر تبیّن غالباً المصادیق البارزهٔ لمعناها الواسع وهو «الخیر الکثیر».

إنّ کل الهبات الإلهیهٔ لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی کل المجالات تدخل فی إطار هذا الخیر الکثیر، ومن ذلک انتصاراته علی الأعداء فی الغزوات، بل حتی علماء امّته الذین یحملون مشعل الإسلام والقرآن فی کل زمان ومکان.

ولا ننسی أنّ کلام اللَّه سبحانه تعالی لنبیّه فی هذه السورهٔ کان قبل ظهور الخیر الکثیر،

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۴۹

فهو إخبار بالمستقبل القریب والبعید، إخبار إعجازی یشکل دلیلًا آخر علی صدق دعوهٔ الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله.

هذا الخیر الکثیر یستوجب شکراً عظیماً، وإن کان المخلوق لا یستطیع أداء حق نعمهٔ الخالق أبداً، إذ إنّ توفیق الشکر نعمهٔ اخری منه سبحانه، ولذا یقول سبحانه لنبیّه: «فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَانْحَرْ».

نعم، واهب النعم هو سبحانه. لذلک لیس ثمّهٔ معنی للعبادات إن کانت لغیره.

والأمر بالصلاهٔ والنحر للربّ مقابل ما کان یفعله المشرکون من سجودهم للأصنام ونحرهم لها، بینما کانوا یرون نعمهم من اللَّه. وتعبیر

(لربّك) دليل واضح على وجوب قصد القربة فى العبادات.

وفى آخر آيـة يقول اللَّه سبحانه لنبيّه ردّاً على ما وَصَمه به المشركون: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ». «الشانىء»: هو المعادى من «الشنان»- على وزن ضربان- وهو العداء والحقد.

و «أبتر»: فى الأصل هو الحيوان المقطوع الذنب. وصدر هذا التعبير من أعداء الإسلام لإنتهاك الحرمة والإهانة. وكلمة (شانىء) فيها ايحاء بأنّ عدوك لا يراعى أيّة حرمة ولا يلتزم بأى أدب. أى أنّ عداوته مقرونة بالفظاظة والدناءة. والقرآن يقول لهؤلاء الأعداء فى الواقع: إنّكم أنتم تحملون صفة الأبتر لا رسول اللَّه.

بحث

فاطمة عليها السلام والكوثر: قلنا إنّ «الكوثر» له معنى واسع يشمل كل خير وهبه اللَّه لنبيّه صلى الله عليه و آله، ومصاديقه كثيرة، لكن كثيراً من علماء الشيعة ذهبوا إلى أنّ «فاطمة الزهراء عليها السلام» من أوضح مصاديق الكوثر، لأنّ رواية سبب النزول تقول: إنّ المشركين وصموا النبى بالأبتر، أى بالشخص المعدوم العقب، وجاءت الآية لتقول: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ».

ومن هنا نستنتج أنّ الخير الكثير أو الكوثر هو فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنّ نسل الرسول صلى الله عليه و آله انتشر فى العالم بواسطة هذه البنت الكريمة ... وذرّيّة الرسول صلى الله عليه و آله من فاطمة عليها السلام لم يكونوا امتداداً جسمياً للرسول فحسب، بل كانوا امتداداً رسالياً صانوا الإسلام وضحوا من أجل المحافظة عليه وكان منهم أئمّة الدين الإثنى عشر، أو الخلفاء الإثنى عشر بعد النبى كما أخبر عنهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى الأحاديث المتواترة بين السنّة والشيعة.

والفخر الرازى فى استعراضه لتفاسير معنى الكوثر، يقول:

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۰

القول الثالث: «الكوثر» أولاده، قالوا لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه صلى الله عليه و آله بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلًا يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلىء منهم، ولم يبق من بنى امية فى الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم «۱».

«نهاية تفسير سورة الكوثر»

---

(۱) التفسير الكبير ۳۲/ ۱۲۴.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۱

۱۰۹. سورة الكافرون

محتوى السورة: من لحن السورة نفهم أنّها نزلت فى زمان كان المسلمون فى أقلية والكفار فى أكثرية، والنبى صلى الله عليه و آله يعانى من الضغوط التى تطلب منه أن يهادن المشركين، وأمام هذه الضغوط كان النبى يعلن صموده وإصراره على المبدأ، دون أن يصطدم بهم.

وفى هذا درس عبرة لكل المسلمين أن لا يساوموا أعداء الإسلام فى مبادىء الدين مهما كانت الظروف، وأن يبعثوا اليأس فى قلوبهم متى ما بادروا إلى هذه المساومة.

فضيلة تلاوة السورة: فى حديث ابى عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ومن قرأ يا أيّها الكافرون فكأنّما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين، وبرىء من الشرك ويعافى من الفزع الأكبر».

وشعيب الحداد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان أبى يقول: (قل يا أيّها الكافرون) ربع القرآن، وكان إذا فرغ منها قال: أعبد

اللَّه وحده، أعبد اللَّه وحده».

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (۴) وَ لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (۵) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ (۶)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۲

سبب النّزول

فى المجمع: نزلت السورة فى نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمى، والعاص بن أبى وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى، والأسود بن المطلب بن الأسد، وأمية بن خلف قالوا: هلم يا محمّد فاتبع ديننا نتبع دينك، ونشركك فى أمرنا كلّه، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد آلهتك سنة، فإن كان الذى جئت به خيراً مما بأيدينا، كنّا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يديك كنت قد شركتنا فى أمرنا، وأخذت بحظك منه.

فقال صلى الله عليه و آله: «معاذ اللَّه أن أشرك به غيره».

قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك.

فقال: «حتى انظر ما يأتى من عند ربّى».

فنزل «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»- السورة. فعدل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة. فأيسوا عند ذلك، فآذوه وآذوا أصحابه.

التّفسير

لا- أهادن الكافرين: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ». والخطاب إلى قوم مخصوصين من الكافرين كما ذكر كثير من المفسرين، والألف واللام للعهد، وإنّما ذهب المفسرون إلى ذلك لأنّ الآيات التالية تنفى أن يعبد الكافرون ما يعبده المسلمون وهو اللَّه سبحانه فى الماضى والحال والمستقبل، والمجموعة المخاطبة بهذه الآيات بقيت بالفعل على كفرها وشركها حتى آخر عمرها، بينما دخل كثير من المشركين بعد فتح مكة فى دين اللَّه أفواجاً.

«لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ». فهذه مسألة مبدئية لا تقبل المساومة والمهادنة والمداهنة.

«وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ». لما تأصّل فيكم من لجاج وعناد وتقليد أعمى لآبائكم، ولما تجدونه فى الدعوة من تهديد لمصالحكم وللأموال التى تدر عليكم من عبدة الأصنام.

ولمزيد من التأكيد وبث اليأس فى قلوب الكافرين، ولبيان حقيقة الفصل الحاسم بين منهج الإسلام ومنهج الشرك قال سبحانه: «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ». فعلى هذا لا معنى لإصراركم على المصالحة والمهادنة معى حول مسألة عبادة الأوثان فإنّه أمر محال «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۳

لحن الآيات يوضّح بجلاء أنّها نوع من التحقير والتهديد، أى دعكم ودينكم فسترون قريباً وبال أمركم، تماماً مثل ما ورد فى الآية (۵۵) من سورة القصص: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَانَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ».

«نهاية تفسير سورة الكافرون»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۵

۱۱۰. سورة النصر

محتوى السورة: هذه السورة نزلت فى المدينة بعد الهجرة، وفيها بشرى النصر العظيم ودخول الناس فى دين اللَّه أفواجاً، وتدعو النبى

صلى الله عليه و آله أن يسبح اللّه ويحمده ويستغفره شكراً على هذه النعمة.

فى الإسلام فتوحات كثيرة، ولكن فتحاً بالمواصفات المذكورة فى السورة ما كان سوى «فتح مكة» «۱»، خاصة وأنّ العرب- كما جاء فى الروايات- كانت تعتقد أنّ نبى الخاتم صلى الله عليه و آله لا يستطيع أن يفتح مكة إلّاإذا كان على حق ... ولو لم يكن على حق فربّ البيت يمنعه كما منع جيش أبرهة، ولذلك دخل العرب فى دين اللّه بعد فتح مكة أفواجاً.

قيل: إنّ هذه السورة نزلت بعد صلح الحديبية فى السنة السادسة للهجرة، وقبل عامين من فتح مكة.

ومن أسماء هذه السورة «التوديع» لأنّها تتضمّن خبر وفاة النبى صلى الله عليه و آله.

فى المجمع: قال مقاتل: لما نزلت هذه السورة قرأها صلى الله عليه و آله على أصحابه ففرحوا واستبشروا، وسمعها العباس فبكى، فقال صلى الله عليه و آله: «ما يبكيك يا عم»؟ فقال: أظنّ أنّه قد نعيت إليك نفسك يا

---

(۱) فتح مكة فتح صفحة جديدة فى تاريخ الإسلام، ودحر الأعداء بعد عشرين عاماً من المقاومة، وتطهرت أرض الجزيرة العربية من الشرك والأوثان، والإسلام تأهب لدعوة بقيّة أصقاع العالم.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۶

رسول اللّه. فقال: «إنّه لكما تقول». فعاش بعدها سنتين ما رؤى فيهما ضاحكاً متبشراً.

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع ابى بن كعب عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها فكأنّما شهد مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله فتح مكة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من قرأ «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» فى نافلة أو فريضة نصره اللّه على جميع أعدائه، وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق، قد أخرجه اللّه من جوف قبره، فيه أمان من حرّ جهنم ومن النار، ومن زفير جهنم، يسمعه باذنيه، فلا يمرّ على شيء يوم القيامة إلّا بشّره، وأخبره بكل خير حتى يدخل الجنّة».

إنّ هذه الفضائل لمن قرأ هذه السورة فسلك مسلك رسول اللّه وعمل بسيرته وسنته.

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (۱) وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (۲) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً (۳) عند انبلاج فجر النصر: فى هذه السورة دار الحديث عن نصرة اللّه، ثم عن «الفتح» والإنتصار، وبعدها عن اتساع رقعة الإسلام ودخول الناس فى دين اللّه زرافات ووحداناً.

نعم، لابدّ من إعداد القوّة للغلبة على العدو، لكن الإنسان الموحّد يؤمن أنّ النصر من عند اللّه وحده، ولذلك لا يغتّر بالنصر، بل يتجه إلى شكر اللّه وحمده.

وبين هذه الثلاثة إرتباط علة ومعلول، فبنصر اللّه يتحقق الفتح، وبالفتح تزال الموانع من الطريق ويدخل الناس فى دين اللّه أفواجاً.

بعد هذه المراحل الثلاث- التى يشكل كل منها نعمة كبرى- تحل المرحلة الرابعة وهى مرحلة الشكر والحمد.

من جهة اخرى نصراللّه والفتح هدفهما النهائى دخول الناس فى دين اللّه وهداية البشرية.

«التسبيح»: تنزيه اللّه من كل عيب ونقص.

و «الحمد»: لوصف اللّه بالصفات الكمالية.

و «الإستغفار»: إزاء تقصير العبد.

هذا الفتح العظيم ينبغى أن لا- يؤدّى بالإنسان إلى الظن بأنّ اللّه يترك أنصاره وحدهم (ولذلك جاء أمر التسبيح لتنزيهه من هذا النقص) و أن يعلم المؤمنون بأنّ وعده الحق (موصوف بهذا الكمال)، وأن يعترف العباد بنقصهم أمام عظمة اللّه.

«نهاية تفسير سورة النصر»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۷

۱۱۱. سورة المسد

محتوى السورة: هـذه السورة نزلت فى أوائل الـدعوة العلنيـة. وهى السورة الوحيـدة التى تحمل هجوماً شديـداً بالاسم على أحد أعداء الإسلام والنبى صلى الله عليه و آله آنذاك وهو أبولهب. ومن السورة يتضح أنّه كان يحمل عداء خاصاً للنّبى ويمارس هو وزوجه كل أنواع الأذى بحقّه.

القرآن يصرّح بأنّهما أهل جهنم، وليس لهما طريق للنجاة، وتحققت هذه النبوءة القرآنية، وكلاهما مات على الكفر.

فضـيلة تلاوة السورة: فى حديث ابى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «من قرأها رجوت أن لا يجمع اللَّه بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة».

إنّ هذه الفضيلة نصيب من بقراءتها يفصل مسيرته عن مسيرة أبى لهب، لا من يقرأها بلسانه ويعمل عمل أبى لهب فى أفعاله.

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (۱) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (۲) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (۳) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (۴) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (۵)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۸

سبب النّزول

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات يوم الصفا فقال: «يا صباحاه»! فأقبلت إليه قريش، فقالوا له: ما لك؟ فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العـدوّ مصـبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصـدّقونى». قالوا: بلى. قال: «فإنّى نـذير لكم بين يدى عذاب شديد».

فقال أبولهب: تبّاً لك! ألهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل اللَّه هذه السورة.

ويروى عن أسـماء بنت أبى بكر قـالت: لمـا نزلت هـذه السورة، أقبلت العوراء ام جميـل بنت حرب، ولهـا ولولـة وفى يـدها فهر، وهى تقول: مذمّماً أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا.

والنبى صـلى الله عليه و آله جالس فى المسـجد ومعه أبوبكر. فلما رآها أبوبكر قال: يا رسول اللَّه! قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «إنّها لن ترانى». وقرأ قرآناً فاعتصم به، كما قال:

«وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا» [الإسراء: ۴۵] فوقفت على أبى بكر، ولم تر رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله فقـالت: يـا أبابكر! أخبرت أنّ صاحبك هجانى. فقال: لا وربّ البيت ما هجاك. فولّت وهى تقول: قريش تعلم أنّى بنت سيّدها.

التّفسير

هـذه السورة- كما ذكرنا فى سـبب نزولها- ترد على بـذاءات أبى لهب عم النبى صـلى الله عليه و آله وابن عبد المطلب. وكان من ألد أعداء الإسـلام، وحين صدح النبى صـلى الله عليه و آله بدعوته واعلنها على قريش وأنذرهم بالعذاب الإلهى قال: تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؟!

والقرآن يرد على هذا الإنسان البذىء ويقول له: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ».

فى المجمع: قـال طـارق المحـاربى: بينـا أنا بسوق ذى المجاز إذا أنا بشاب يقول: «يا أيّها الناس! قولوا لا إله إلّااللَّه تفلحوا». وإذا برجل خلفه يرميه قـد أدمى ساقيه وعرقوبيه، ويقول: يا أيّها الناس! إنّه كـذاب فلا تصـدّقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هو محمّد، يزعم أنّه نبى، وهذا عمّه أبولهب يزعم أنّه كذاب «۱».

وفی روایهٔ اخری: وکان من عظیم خطر أبی لهب ضد الدعوهٔ الإسلامیهٔ أنّه کلّما جاء وفد إلی النبی صلی الله علیه و آله یسألون عنه عمّه أبالهب- اعتباراً بکبره وقرابته وأهمیته- کان یقول لهم:

إنّه ساحر، فیرجعون ولا یلقونه، فأتاه وفد فقالوا: لا ننصرف حتی نراه، فقال: إنّا لم نزل

---

(۱) مجمع البیان ۱۰/ ۵۵۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۵۹

نعالجه من الجنون فتباً له وتعساً «۱».

من هذه الروایات نفهم بوضوح أنّ أبالهب کان یتتبع النبی صلی الله علیه و آله غالباً کالظلّ، وما کان یری سبیلًا لإیذائه إلّاسلکه، وکان یقذعه بأفظع الألفاظ، ومن هنا کان أشدّ أعداء الرسول والرسالهٔ، ولذلک جاءت هذه السورهٔ لتردّ علی أبی لهب وامرأته بصراحهٔ وقوّهٔ.

«مَا أَغْنَی عَنْهُ مَالُهُ وَمَا کَسَبَ»، فلیس بامکان أمواله أن تدرأ عنه العذاب الإلهی «سَیَصْلَی نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ».

من الآیهٔ الاولی نفهم أنّه کان ثریاً ینفق أمواله فی محاربهٔ النبی صلی الله علیه و آله.

وأبولهب ناره ذات لهب یصلاها یوم القیامهٔ، وقیل: یصلاها فی الدنیا قبل الآخرهٔ.

و «لهب» جاءت بصیغهٔ النکرهٔ لتدل علی عظمهٔ لهب تلک النار.

لا أبا لهب ولا أی واحد من الکافرین والمنحرفین تغنیه أمواله ومکانته الإجتماعیهٔ من عذاب اللَّه، کما یقول سبحانه: «یَوْمَ لَایَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَی اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» «۲».

بل لم تغنه فی الدنیا من سوء المصیر.

فی تفسیر مجمع البیان: قال عکرمهٔ، قال أبو رافع مولی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: کنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وکان الإسلام قد دخلنا أهل البیت، وأسلمت ام الفضل وأسلمت وکان العباس یهاب قومه ویکره أن یخالفهم وکان یکتم إسلامه وکان ذا مال کثیر متفرق فی قومه، وکان أبولهب عدوّ اللَّه قد تخلف عن بدر وبعث مکانه العاص بن هشام بن المغیرهٔ، وکذلک صنعوا لم یتخلف رجل إلّابعث مکانه رجلًا.

فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قریش کبته اللَّه وأخزاه، ووجدنا فی أنفسنا قوّهٔ وعزّاً، قال: وکنت رجلًا ضعیفاً وکنت أعمل القداح أنحتها فی حجرهٔ زمزم، فواللَّه إنّی لجالس فیها أنحت القداح وعندی ام الفضل جالسهٔ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبولهب، یجرّ رجلیه حتی جلس علی طنب الحجرهٔ، فکان ظهره إلی ظهری فبینا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفیان ابن حرث بن عبد المطلب، وقد قدم. فقال أبو لهب، هلم إلیّ یا ابن أخی فعندک الخبر. فجلس إلیه والناس قیام علیه، فقال: یا ابن أخی!

---

(۱) تفسیر الفرقان ۳۰/ ۵۰۳.

(۲) سورهٔ الشعراء/ ۸۸ و ۸۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۰

أخبرنی کیف کان أمر الناس؟ قال: لا شیء واللَّه إن کان إلّاأن لقیناهم فمنحناهم أکتافنا یقتلوننا ویأسروننا کیف شاؤوا وأیم اللَّه مع ذلک ما لمت الناس لقینا رجالًا بیضاً علی خیل بلق، بین السماء والأرض، ما تلیق شیئاً، ولا یقوم لها شیء.

قال أبورافع: فرفعت طرف الحجرهٔ بیدی، ثم قلت: تلک الملائکهٔ. قال: فرفع أبولهب یده وضرب وجهی ضربهٔ شدیدهٔ، فثاورته

واحتملنى فضرب بى الأرض، ثم برك على يضربنى وكنت رجلًا ضعيفاً، فقامت ام الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجة منكرة، وقالت: تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلًا، فواللّه ما عاش إلّاسبع ليال حتى رماه اللّه بالعدسة، فقتله.

ولقد تركه أبناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفناه حتى أنتن فى بيته وكانت قريش تتقى العدسة كما يتقى الناس الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان إنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيبانه؟ فقالا: إنّا نخشى هذه القرحة. قال: فانطلقا فأنّا معكما، فما غسلوه إلّاقذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه بالحجارة، حتى واروه.

«وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ».

الآيتان تتحدثان عن ام جميل امرأة أبى لهب، وأخت أبى سفيان، وعمّة معاوية، وتصفانها بأنّها تحمل الحطب كثيراً، وفى عنقها حبل من ليف.

ولماذا وصفها القرآن بأنّها حمالة الحطب؟

قيل: لأنّها كانت تأخذ الحطب المملوء بالشوك وتضعه على طريق رسول اللّه صلى الله عليه و آله لتدمى قدماه.

«نهاية تفسير سورة المسد»

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۱

۱۱۲. سورة الاخلاص

محتوى السورة: هذه السورة تركز على توحيد اللّه.

فى الكافى فى نزول السورة عن محمّد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ اليهود سألوا رسول اللّه فقالوا: أنسب لنا ربّك فلبث ثلاثاً لا يجيبهم. ثم نزلت قل هو اللّه أحد إلى آخرها».

وفى الإحتجاج عن العسكرى عليه السلام إنّ السائل عبد اللّه بن صوريا اليهودى. وفى بعض روايات أهل السنة إنّ السائل عبد اللّه بن سلام سأله صلى الله عليه و آله ذلك بمكة ثم آمن وكتم إيمانه. وفى بعضها أنّ أناساً من اليهود سألوه ذلك وفى غير واحد من رواياتهم أنّ مشركى مكة سألوه ذلك.

فضيلة تلاوة السورة: وردت فى فضيلة هذه السورة نصوص كثيرة تدل على مكانة هذه السورة بين سور القرآن. فى المجمع عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة»؟ قلت: يا رسول اللّه! ومن يطيق ذلك؟ قال: «اقرأوا قل هو اللّه أحد».

وفى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ النبى صلى الله عليه و آله صلّى على سعد بن معاذ. فقال: لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً ملك، وفيهم جبرئيل عليه السلام يصلون عليه فقلت: يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ قال: بقراءته قل هواللّه أحد قائماً، وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۲

وفى الكافى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «من مضى به يوم واحد فصلّى فيه الخمس صلوات ولم يقرأ فيها بقل هو اللّه أحد، قيل له: يا عبد اللّه لست من المصلين».

وفى المجمع عن سهل بن سعد الساعدى قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله فشكا إليه الفقر، وضيق المعاش. فقال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «إذا دخلت بيتك، فسلم إن كان فيه أحد، وإن كان لم يكن فيه أحد، فسلم واقرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» مرة واحدة».

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (۱) اللَّهُ الصَّمَدُ (۲) لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (۳) وَ لَمْ يَكَنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (۴) جواباً عن الأسئلة المكررة التی طرحت من قبل الأفراد والجماعات بشأن أوصاف اللَّه سبحانه تقول الآية: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

الضمير (هو) فی الآية للمفرد الغائب ويحكی عن مفهوم مبهم، وهو فی الواقع يرمز إلی أنّ ذاته المقدسة فی نهاية الخفاء، ولا تنالها أفكار الإنسان المحدودة وإن كانت آثاره أظهر من أی شیء آخر، كما ورد فی الآية (۵۳) من سورة فصّلت: «سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِی الْآفَاقِ وَفِی أَنفُسِهِمْ حَتَّی يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ».

ثم بعد الضمير تكشف الآية عن هذه الحقيقة الغامضة وتقول: «اللَّهُ الصَّمَدُ».

عن أبی جعفر الباقر عليه السلام عن أمير المؤمنين علی عليه السلام قال: «رأيت الخضر عليه السلام فی المنام قبل بدر بليلة، فقلت له: علمنی شيئاً أنصر به علی الأعداء. فقال: قل: يا هو، يا من لا هو إلّاهو. فلمّا أصبحت قصصتها علی رسول اللَّه صلی الله عليه و آله فقال لی: يا علی عُلمت الإسم الأعظم، فكان علی لسانی يوم بدر».

«... كان علی عليه السلام يقول ذلک يوم صفين وهو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أميرالمؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم اللَّه الأعظم وعماد التوحيد للَّهلا إله إلّا هو ...» «۱».

«اللَّه» اسم علم للباری سبحانه وتعالی. ومفهوم كلام الإمام علی عليه السلام أنّ جميع صفات الجلال والجمال الإلهية اشير إليها بهذه الكلمة، ومن هنا سميت باسم اللَّه الأعظم.

---

(۱) التوحيد للشيخ الصدوق/ ۸۹.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۳

هذا الإسم لا يطلق علی غير اللَّه، بينما أسماء اللَّه الاخری تشير عادة إلی واحدة من صفات جماله وجلاله مثل: العالم والخالق والرازق، وتطلق غالباً علی غيره أيضاً مثل:

(رحيم، وكريم، وعالم، وقادر ...).

هذا الإسم المقدس تكرر أكثر من «ألف مرّة» فی القرآن الكريم، ولم يبلغه أی اسم من الأسماء المقدسة فی مقدار تكراره. وهو اسم ينير القلب، ويبعث فی الإنسان الطاقة والطمأنينة، ويغمر وجوده صفاءً ونوراً.

«أحد»: يعنی اللَّه أحد وواحد، لا بمعنی الواحد العددی أو النوعی أو الجنسی، بل بمعنی الوحدة الذاتية. بعبارة أوضح: وحدانيته تعنی عدم وجود المثل والشبيه والنظير.

الدليل علی ذلک واضح: فهو ذات غير متناهية من كل جهة، ومن المسلم أنّه لا يمكن تصور ذاتين غير متناهيتين من كل جهة، إذ لو كان ثمّة ذاتان، لكانت كلتاهما محدودتين، ولمّا كان لكل واحدة منهما كمالات الاخری (تأمل بدقّة).

«اللَّهُ الصَّمَدُ». وهو وصف آخر لذاته المقدسة.

وفی جامع الأخبار: سئل ابن الحنفية عن الصمد، فقال: قال علی عليه السلام: «تأويل الصمد لا اسم ولا جسم، ولا مثل ولا شبه، ولا صورة ولا تمثال، ولا حدّ ولا حدود، ولا موضع ولا مكان، ولا كيف ولا أين، ولا هنا ولا ثمّة، ولا ملأ ولا خلأ، ولا قيام ولا قعود، ولا سكون ولا حركة، ولا ظلمانی ولا نورانی، ولا روحانی ولا نفسانی، ولا يخلو منه موضع ولا يسعه موضع، ولا علی لون، ولا علی خطر قلب، ولا علی شمّ رائحة، منفی عنه هذه الأشياء».

هذه الرواية توضّح أنّ «الصمد» له مفهوم واسع ينفی كل صفات المخلوقين عن ساحته المقدسة.

الآية التالية تردّ علی معتقدات اليهود والنصاری ومشركی العرب وتقول: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ».

إنّها ترد علی المؤمنين بالتثليث (الربّ الأب، والربّ الإبن، وروح القدس).

النصارى تعتقد أنّ المسيح ابن اللَّه، واليهود ذهبت إلى أنّ العزير ابن اللَّه: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۴

كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» «۱».

ومشركو العرب كانوا يعتقدون أنّ الملائكة بنات اللَّه: «وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ» «۲».

ثم تبلغ الآية الأخيرة غاية الكمال فى أوصاف اللَّه تعالى: «وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ». أى ليس له شبيه ومثل اطلاقاً.

«الكفو»: هوالكفء فى المقام والمنزلة والقدر، ثم اطلقت الكلمة على كل شبيه ومثيل.

استناداً إلى هذه الآية، اللَّه سبحانه منزّه عن عوارض المخلوقين وصفات الموجودات وكل نقص ومحدودية، وهذا هو التوحيد الذاتى والصفاتى، مقابل التوحيد العددى.

من هنا فهو تبارك وتعالى لا شبيه له فى ذاته، ولا نظير له فى صفاته، ولا مثيل له فى أفعاله، وهو متفرد لا نظير له من كل الجهات.

أمير المؤمنين على عليه السلام يقول فى الخطبة (۱۸۶) نهج البلاغة: «لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً ... ولا كفء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه».

هذا التفسير الرائع يكشف عن أسمى معانى التوحيد وأدقّها.

بحوث

الأوّل: التوحيد: التوحيد يعنى وحدانية ذات اللَّه تعالى ونفى أى شبيه ومثيل له، وإضافة إلى الدليل النقلى المتمثل فى النصوص الدينية ثمّة دلائل عقلية كثيرة أيضاً تثبت ذلك نذكر قسماً منها باختصار:

۱- برهان صرف الوجود: وملخصه أنّ اللَّه سبحانه وجود مطلق لا يحده قيد ولا شرط، ومثل هذا الوجود سيكون غير محدود دون شك، فلو كان محدوداً لمُنى بالعدم، والذات المقدسة التى ينطلق منها الوجود لا يمكن أن يعترضها العدم والفناء، وليس فى الخارج شىء يفرض عليه العدم، ولذلك لا يحدّه حدّ.

---

(۱) سورة التوبة/ ۳۰.

(۲) سورة الأنعام/ ۱۰۰.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۵

من جهة اخرى لا يمكن تصوّر وجودين غير محدودين فى العالم، إذ لو كان ثمّة وجودان لكان كل واحد منهما فاقداً حتماً لكمالات الآخر، أى لا يملك كمالاته، ومن هنا فكلاهما محدودان، وهذا دليل واضح على وحدانية ذات واجب الوجود (تأمّل بدقّة).

۲- البرهان العلمى: عندما ننظر إلى الكون الذى يحيط بنا، نلاحظ فى البداية موجودات متفرقة ... الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم وأنواع النباتات والحيوانات، وكلّما ازددنا إمعاناً فى النظر الفينا مزيداً من الترابط والإنسجام بين أجزاء هذا العالم وذراته، وظهر لنا أنّه مجموعة واحدة تتحكم فيها جميعاً قوانين واحدة.

هذه الوحدة فى نظام الوجود، والقوانين الحاكمة عليه، والإنسجام التام بين أجزائه كلّها ظواهر تشهد على وحدانية الخالق.

۳- برهان التمانع: (الدليل العلمى الفلسفى)، وهو دليل آخر على إثبات وحدانية اللَّه، مستلهم من قوله سبحانه: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» «۱».

۴- دعوة الأنبياء إلى اللَّه الواحد الأحد: وهو دليل آخر على وحدانية اللَّه، إذ لو كان هناك خالقان كل واحد منهما واجب الوجود فى العالم، لاستلزم أن يكون كل واحد منهما منبعاً للفيض، فلا يمكن لوجود ذى كمال مطلق أن يبخل فى الإفاضة لأنّ عدم الفيض نقص

بالنسبة للوجود الكامل، وحكمته تستوجب أن يشمل الجميع بفيضه.

أمير المؤمنين على عليه السلام يقول لإبنه الحسن المجتبى عليه السلام وهو يوصيه: «واعلم يا بنى أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه» «۲».

الثانى: فروع دوحة التوحيد: تذكر للتوحيد عادة أربعة فروع:

۱- توحيد الذات: (وهو ما شرحناه أعلاه).

۲- توحيد الصفات: أى إنّ صفات اللَّه ليست زائدة على ذاته، وليست منفصلة عن بعضها، بل هو وجود كلّه علم، وكلّه قدرة، وكلّه أزلية وأبدية.

ولو لم يكن ذلك لإستلزم التركيب، وإن كان مركباً لاحتاج إلى الأجزاء والمحتاج لا يكون واجباً للوجود.

---

(۱) سورة الأنبياء/ ۲۲.

(۲) نهج البلاغة، الرسالة ۳۱.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۶

۳- التوحيد الأفعالى: ويعنى أنّ كل وجود وكل حركة وكل فعل فى العالم يعود إلى ذاته المقدسة، حتى الأفعال التى تصدر منّا هى فى أحد المعانى صادرة عنه، فهو الذى منحنا القدرة والإختيار وحرية الإرادة، ومع أنّنا نفعل الأفعال بأنفسنا، وأنّنا مسؤولون تجاهها. فالفاعل من جهة هو اللَّه سبحانه لأنّ كل ما عندنا يعود إليه: (لا مؤثّر فى الوجود إلّااللَّه).

۴- التوحيد فى العبادة: أى تجب عبادته وحده دون سواه، ولا يستحق العبادة غيره، لأنّ العبادة يجب أن تكون لمن هو كمال مطلق، ومطلق الكمال، لمن هو غنى عن الآخرين، ولمن هو واهب النعم وخالق كل الموجودات وهذه صفات لا تجتمع إلّافى ذات اللَّه سبحانه.

الثالث: التوحيد الأفعالى: توحيد الأفعال له بدوره فروع كثيرة نشير إلى ستة من أهمها:

۱- توحيد الخالقية: والقرآن الكريم يقول فى الآية (۱۶) من سورة الرعد: «قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلّ شَىْءٍ».

ودليله واضح، فحين ثبت بالأدلة السابقة أنّ واجب الوجود واحد، وكل ما عداه ممكن الوجود، يترتب على ذلك أنّ خالق كل الموجودات واحد أيضاً.

۲- توحيد الربوبية: أى إنّ اللَّه وحده هو مدبّر العالم ومربّيه ومنظّمه؛ كما جاء فى الآية (۱۶۴) من سورة الأنعام: «قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلّ شَىْءٍ».

دليل ذلك أيضاً وحدة واجب الوجود، وتوحيد الخالق فى عالم الكون.

۳- التوحيد فى التقنين والتشريع: يقول سبحانه فى الآية (۴۴) من سورة المائدة:

«وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ».

لمّا ثبت أنّه سبحانه هو المدير والمدبّر، فليس لأحد غيره حتماً صلاحية التقنين. إذ لا سهم لغيره فى تدبير العالم كى يستطيع أن يضع قوانين منسجمة مع نظام التكوين.

۴- التوحيد فى المالكية: سواء «الملكية الحقيقية» أى السلطة التكوينية على الشىء، أم «الملكية الحقوقية» وهى السلطة القانونية على الشىء، فهى له سبحانه؛ كما فى الآية (۱۸۹) من سورة آل عمران يقول تعالى: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ». وفى الآية (۷) من سورة الحديد يقول سبحانه: «وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ».

والدليل على ذلك هو نفس الدليل على توحيد الخالقية، وحين يكون هو سبحانه خالق كل شىء فهو مالك كل شىء أيضاً، فكلّ

ملكية يجب أن تستمد وجودها من مالكيته.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۷

۵- توحيد الحاكمية: لابدّ للمجتمع البشرى من حكومة، لأنّ الحياة الإجتماعية تتطلب ذلك، فلا يمكن بدون حكومة أن تقسم المسؤوليات، وتنظم المشاريع، ويحال دون التعدى والتجاوز.

ومن جهة اخرى، مبدأ الحرية يقرر أن لا أحد له حق الحكومة على أحد، إلّاإذا سمح بذلك المالك الأصلى والصاحب الحقيقى. من هنا فالإسلام يرفض كل حكومة لا تنتهى إلى الحكومة الإلهية ومن هنا أيضاً نرى شرعية الحكم للنبى صلى الله عليه و آله وللأئمة المعصومين عليهم السلام ثم للفقيه الجامع للشرائط بعدهم.

ومن الممكن أن يجيز الناس أحداً ليحكمهم، ولكن اتفاق الناس بأجمعهم غير ممكن فى مجتمع عادة، ولذلك لا يمكن إقامة مثل هذه الحكومة عملياً «۱».

۶- توحيد الطاعة: اللَّه سبحانه هو وحده «واجب الإطاعة» فى هذا الكون، وهو تعالى مصدر مشروعية إطاعة غيره، أى إنّ إطاعة غيره يجب أن تعدّ إطاعة له.

دليل ذلك واضح أيضاً، حين تكون الحاكمية له دون سواه فيجب أن يكون هو المطاع دون غيره، ولذلك نحن نعتبر إطاعتنا للأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام ومن ينوب عنهم هى انعكاس عن طاعتنا للَّه؛ كما فى الآية (۵۹) من سورة النّساء يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ». وفى الآية (۸۰) من نفس السورة يقول تعالى: «مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ».

«نهاية تفسير سورة الإخلاص»

---

(۱) لذلك إذا تعينت حكومة عن طريق الإنتخابات وبأكثرية الأصوات، فلابدّ من تنفيذ الفقيه الجامع للشرائط كى تكون لها شرعية إلهيّة.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۶۹

۱۱۳. سورة الفلق

محتوى السورة: تتضمن السورة تعاليم للنبى صلى الله عليه و آله خاصة، وللناس عامة تقضى أن يستعيذوا باللَّه من شرّ كل الأشرار، وأن يوكلوا أمرهم إليه، ويأمنوا من كل شرّ فى اللجوء إليه.

فضيلة السورة: عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «انزلت علىّ آيات لم ينزل مثلهنّ المعوذتان».

وأبوعبيدة الحذاء عن أبى جعفر محمّد بن على الباقر عليه السلام قال: «من أوتر بالمعوذتين، وقل هو اللَّه أحد، قيل له: يا عبد اللَّه! أبشر فقد قبل اللَّه وترك».

وعن النبى صلى الله عليه و آله قال: «يا عقبة! ألا اعلمك سورتين هما أفضل القرآن، أو من أفضل القرآن»؟ قلت: بلى يا رسول اللَّه. فعلّمنى المعوذتين، ثم قرأ بهما فى صلاة الغداة، وقال لى: «إقرأهما كلّما قمت ونمت».

إنّ هذه الفضائل نصيب من جعل روحه وعقيدته وعمله منسجماً مع محتوى السورة.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (۱) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (۲) وَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (۳) وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ (۴) وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (۵)

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۷۰

بربّ الفلق أعوذ: يخاطب اللَّه سبحانه نبيّه باعتباره الاسوة والقدوة، ويقول له: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ».

«الفلق»: من «فَلَق» أى شقّ وفَصَل؛ وسمى طلوع الصبح بالفلق لأنّ ضوء الصبح يشق ظلمة الليل؛ ومثله الفجر، اطلق على طلوع الصبح لنفس المناسبة.

وقيل: إنّ الفلق يعنى ولادة كل الموجودات الحيّة، بشرية كانت أم حيوانية أم نباتية.

فولادة هذه الموجودات تقترن بفلق حبّتها أو بيضتها، والولادة من أعجب مراحل وجود هذه الأحياء.

وقيل: إنّ الفلق له معنى واسع يشمل كل خلق، لأنّ الخلق، هو شقّ ستار العدم ليسطع نور الوجود.

وكل واحد من هذه المعانى الثلاثة (طلوع الصبح- وولادة الموجودات الحيّة- وخلق كل موجود) ظاهرة عجيبة تدل على عظمة البارى والخالق والمدبّر، ووصف اللَّه بذلك له مفهوم عميق.

«مِن شَرِّ مَا خَلَقَ» ... من كل موجود شرّير من الإنس والجن والحيوان وحوادث الشرّ والنفس الأمارة بالسوء، وهذا لا يعنى أنّ الخلق الإلهى ينطوى فى ذاته على شرّ، لأنّ الخلق هو الإيجاد، والإيجاد خير محض. يقول سبحانه: «الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ» «۱».

بل الشرّ يعرض المخلوقات حين تنحرف عن قوانين الخلقة، وتنسلخ عن المسير المعين لها، على سبيل المثال، أنياب الحيوانات وسيلة دفاعية تستخدمها أمام الأعداء، كما نستخدم نحن السلاح للدفاع مقابل العدو، فلو أنّ هذا السلاح استخدم فى محله فهو خير، وإن لم يستعمل فى محله كأن صوّب تجاه صديق فهو شرّ.

وجدير بالذكر أنّ كثيراً من الامور نحسبها شرّاً وفى باطنها خير كثير، مثل الحوادث والبلايا التى تنفض عن الإنسان غبار الغفلة وتدفعه إلى التوجه نحو اللَّه هذه ليس من الشرّ حتماً.

«وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ». «غاسق»: من الغسق، وهو شدّة ظلمة الليل فى منتصفه.

«غاسق»: تعنى إذن فى الآية: الفرد المهاجم، أو الموجود الشرّير الذى يتستر بظلام الليل لشنّ هجومه.

«وقب»: من الوَقب، وهو الحفرة، ثم استعمل الفعل «وَقَبَ» للدخول فى الحفرة؛ وكأنّ

---

(۱) سورة السّجدة/ ۷.

هذه الموجودات الشريرة المضرة تستغل ظلام الليل، فتصنع الحفر الضارة لتحقق مقاصدها الخبيثة، وقد يكون الفعل يعنى: نَفَذَ وتوغّل.

«وَمِن شَرِّ النَّفثَاتِ فِى الْعُقَدِ».

«النفاثات»: من «النفث» وهو البصق القليل؛ ولمّا كان البصق مقروناً بالنفخ، فاستعملت نفث بمعنى نفخ أيضاً.

كثير من المفسرين قالوا إنّ «النفاثات» هى النساء الساحرات، وهى صيغة جمع للمؤنث ومبالغة من نَفث، وهذه النسوة كن يقرأن الأوراد وينفخن فى عقد، وبذلك يعملن السحر، وقيل: إنّها إشارة للنساء اللاتى كن يوسوسن فى اذن الرجال وخاصة الأزواج ليثنوهم عن عزمهم وليوهنوا إرادتهم فى أداء المهام الكبرى.

الفخر الرازى يقول أنّ النساء لأجل كثرة حبّهن فى قلوب الرجال يتصرفن فى الرجال يحولنهم من رأى إلى رأى ومن عزيمة إلى عزيمة «۱».

وهذا المعنى فى عصرنا أظهر من أى وقت آخر، إذ إنّ إحدى أهم وسائل نفوذ الجواسيس فى أجهزة السياسة العالمية استخدام النساء، اللائى ينفثن فى العقد، فتنفتح مغاليق الأسرار فى القلوب ويحصلن على أدقّ الأسرار.

وقيل: إنّ النفاثات هى النفوس الشريرة، أو الجماعات المشككة التى تبعث بوساوسها عن طريق وسائل إعلامها لتوهن عزيمة الجماعات والشعوب.

ولا يستبعد أن تكون الآية ذات مفهوم عام جامع يشمل كل اولئك ويشمل أيضاً النمامين والذين يهدمون بنيان المحبة بين الأفراد.

«وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ».

هذه الآية تبيّن أنّ الحسد أسوأ الصفات الرذيلة وأحطها، لأنّ القرآن وضعه فى مستوى أعمال الحيوانات المتوحشة والثعابين اللاسعة والشياطين الماكرة.

«الحسد»: خصلة سيئة شيطانية تظهر فى الإنسان نتيجة عوامل مختلفة؛ مثل: ضعف الإيمان، وضيق النظر، والبخل. وهو يعنى طلب وتمنّى زوال النعمة من شخص آخر.

الحسد منبع لكثير من الذنوب الكبيرة.

فى الكافى عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب».

«نهاية تفسير سورة الفلق»

---

(۱) التفسير الكبير ۳۲/ ۱۹۶.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۷۳

۱۱۴. سورة الناس

محتوى السورة: الإنسان معرض دائماً لوساوس الشيطان، وشياطين الجن والإنس يسعون دائماً للنفوذ فى قلبه وروحه، ومقام الإنسان فى العلم مهما ارتفع، ومكانته فى المجتمع مهما سمت يزداد تعرضه لوساوس الشياطين ليبعدوه عن جادة الحق. وليبيدوا العالم بفساد العالِم.

هذه السورة تأمر النبى صلى الله عليه و آله باعتباره القدوة والاسوة أن يستعيذ باللَّه من شرّ الموسوسين.

محتوى هذه السورة شبيه بمحتوى سورة الفلق، فكلاهما يدوران حول الإستعاذة باللَّه من الشرور والآفات، مع فارق أنّ سورة الفلق تتعرض لأنواع الشرور، وهذه السورة تركز على شرّ (الوسواس الخناس).

فضيلة تلاوة السورة: فى المجمع عن الفضل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله اشتكى شكوى شديدة، ووجع وجعاً شديداً، فأتاه جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، فقعد جبرائيل عليه السلام عند رأسه وميكائيل عند رجليه، فعوّذه جبرائيل بقل أعوذ بربّ الفلق وميكائيل بقل أعوذ بربّ الناس».

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۷۴

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (۱) مَلِكِ النَّاسِ (۲) إِلهِ النَّاسِ (۳) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (۴) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (۵) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (۶) بربّ الناس أعوذ: فى هذه السورة يتجه الخطاب إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله باعتباره الاسوة والقدوة: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلهِ النَّاسِ».

يلاحظ أنّ الآيات ركزت على ثلاث من صفات اللَّه سبحانه هى (الربوبية والمالكية والالوهية) وترتبط كلّها إرتباطاً مباشراً بتربية الإنسان ونجاته من براثن الموسوسين.

المقصود من الإستعاذة باللَّه ليس طبعاً ترديد الإستعاذة باللسان فقط، بل على الإنسان أن يلجأ إليه جلّ وعلا فى الفكر والعقيدة والعمل أيضاً، مبتعداً عن الطرق الشيطانية والأفكار المضللة الشيطانية، والمناهج والمسالك الشيطانية والمجالس والمحافل الشيطانية، ومتجهاً على طريق المسيرة الرحمانية، وإلّا فإنّ الإنسان الذى أرخى عنان نفسه تجاه وساوس الشيطان لا تكفيه قراءة هذه السورة ولا تكرار الفاظ الإستعاذة باللسان.

على المستعيذ الحقيقى أن يقرن قوله «ربّ الناس» بالإعتراف بربوبية اللَّه تعالى، وبالإنضواء تحت تربيته؛ وأن يقرن قوله «ملك الناس» بالخضوع لمالكيته، وبالطاعة التامة لأوامره؛ وأن يقرن قوله: «إله الناس» بالسير على طريق عبوديته، وتجنب عبادة غيره.

ومن كان مؤمناً بهذه الصفات الثلاث؛ وجعل سلوكه منطلقاً من هذا الإيمان فهو دون شك سيكون فى مأمن من شرّ الموسوسين.

هذه الأوصاف الثلاثة تشكل فى الواقع ثلاثة دروس تربوية هامّة ... ثلاث سبل وقاية ...

وثلاث طرق نجاة من شرّ الموسوسين، إنّها تؤمن على مسيرة الإنسان من الأخطار.

«مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِی يُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النَّاسِ».

«الوسواس»: أصلها- كما يقول الراغب فى المفردات- صوت الحُلى (اصطكاك حلية بحلية)، ثم اطلق على أى صوت خافت، ثم على ما يخطر فى القلب من أفكار وتصورات سيئة، لأنّها تشبه الصوت الباهت الذى يوسوس فى الاذن.

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۷۵

«الوسواس»: مصدر، ويأتى بمعنى اسم الفاعل بمعنى الموسوس، وهى فى الآية بهذا المعنى.

«الخنّاس»: صيغة مبالغة من الخنوس وهو التراجع، لأنّ الشياطين تتراجع عند ذكر اسم اللَّه؛ والخنوس له معنى الإختفاء أيضاً، لأن التراجع يعقبه الإختفاء عادة.

فقوله سبحانه: «مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ». أى: أعوذ باللَّه من شرّ الموسوس ذى الصفة الشيطانية الذى يهرب ويختفى من ذكر اسم اللَّه.

عمل الشيطان هو التزيين، واخفاء الباطل تحت طلاء الحق، والكذب فى قشر من الصدق، والذنب فى لباس العبادة، والضلال خلف ستار الهداية.

وبإيجاز، الموسوسون متسترون، وطرقهم خفية، وفى هذا تحذير لكل سالكى طريق اللَّه أن لا يتوقعوا رؤية الشياطين فى صورتهم الأصلية، أو رؤية مسلكهم على شكله المنحرف.

أبداً ... فهم موسوسون خناسون ... وعملهم الحيلة والمكر والخداع والتظاهر والرياء وإخفاء الحقيقة.

جملة «مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ» تنبيه على حقيقة هامّة هى إنّ «الوسواس الخناس» لا ينحصر وجوده فى مجموعة معينة، ولا فى فئة خاصة، بل هو موجود فى الجن والإنس ... فى كل جماعة وفى كل ملبس، فلابدّ من الحذر منه أينما كان، والإستعاذة باللَّه منه فى كل أشكاله وصوره.

أصدقاء السوء، والجلساء المنحرفون، وأئمة الظلم والضلال، والولاة الجبابرة الطواغيت، والكتاب والخطباء الفاسدون، والمدارس الإلحادية والإلتقاطية المخادعة، ووسائل الإعلام المزوّرة الملفّقة، كلّها هى وأمثالها تندرج ضمن المفهوم الواسع للوسواس الخناس وتتطلب من الإنسان أن يستعيذ باللَّه منها.

فى أمالى للشيخ الصدوق عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «لمّا نزلت هذه الآية: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» [آل عمران: ۱۳۵] صعد إبليس جبلًا بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها. فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس:

أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئه، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم

مختصر الامثل، ج۵، ص: ۵۷۶

الإستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة».

«نهاية تفسير سورة الناس»

اللّهمّ! احفظنا من شرّ کل وسواس خناس.

ربّنا! التآمر دقیق، والعدوّ متربّص، والمخططات خفیة رهیبة، ولا نجاة منها إلّابلطفک وفضلک.

یا کریم! بفضلک وبمنّک وبنعمتک استطعت بعد ثلاثة عاماً أن ننهی هذا التفسیر.

یا غفور ویا رحیم! تعلم أنّنا فی هـذه اللحظات مغمورون بفرحة ممزوجة بالشکر فنبتهل إلیک ونتضـرع أن تغفر لنا زلاتنا فإنّک أرحم الراحمین.

وتقبل منّا یا ربّ هذا الجهد المتواضع بکرمک، واجعله لنا ذخراً یوم نلقاک.

وآخر دعوانا أن الحمد للّهربّ العالمین

قم- الحوزة العلمیّة

أحمد- علی‌بابائی

۱۳ رجب ۱۴۲۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبْنُ موسَی الرِّضا – علـَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َیَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِـنَ کَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِـحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلّامـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع " القائمیّـة " الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله " الشـمس آباذی " – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـِذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَـغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علـَیهـِم) و لاسیَّما بحضـرة الإمام علیّ بن موسَـی الرِّضا (علیه السّـلام) و بِسـاحة صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهـذا أسّـِس مع نظره و درایته، فی سَـنـَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز " القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَـنـَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّـة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتـّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثـَقافة الثـَّقـَلـَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـَّباب و عموم النـاس إلی التـَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکـانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِـَج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشـّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنـّه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثـّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالـَم – مِن جـِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنـّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزاید و المتـّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثـّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفـِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.